٤٨٤

رياض السالكين

في شرح صحيفة

سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام

تأليف

العلامة الأريب والفاضل الأديب

السيد علي خان الحسيني المدني الشيرازي

قدس سره

١٠٥٢ - ١١٢٠ هـ ق

الجزء الرابع

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

٤٨٤

رياض السالكين

في

شرح صحيفة سيّد الساجدين صلوات الله عليه

تأليف

العلّامة الأريب والفاضل الأديب

السيّد علي خان الحسيني المدني الشيرازي

قدّس سرّه

١٠٥٢ ـ ١١٢٠ هـ ق

الجزء الرابع

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة

شبكة الفكر
alfeker.net
يا علي يا فاطمة

سرشناسه: مدنى، على خان بن احمد، ۱۰۵۲ ـ ۱۱۲۰ ق.
عنوان قراردادى: صحيفهٔ سجّاديه. شرح.
عنوان و نام پديدآور: رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين صلوات الله عليه / تأليف علي خان حسيني الحسني المدني الشيرازي، المحقّق محسن الحسيني الأميني .
مشخّصات نشر: قم: جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ۱۳٦۸ ـ ۱۳۸٥.
مشخّصات ظاهرى: ۷ ج.
فروست: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة. ٤۸٤.
شابک: دورة ۸ ـ ۲۹۳ ـ ٤۷۰ ـ ۹٦٤ ـ ۹۷۸؛ ج . ٤: ۳ ـ ۷٦٤ ـ ٤۷۰ ـ ۹٦٤ ـ ۹۷۸.
وضعيّت فهرست‌نويسى: فاپا. يادداشت: عربى.
يادداشت: ج.۱ـ۷ (چاپ سوم: ۱۳۸٥). يادداشت: ج. ۱ و ٤ و ٦ (چاپ پنجم: ۱۳۸٥).
يادداشت: ج. ۱، ۲، ٦ و ۷ (چاپ ششم: ۱٤۲۸ ق. ۱۳۸٦).
يادداشت: ج. ۲ و ٥ (چاپ پنجم: ۱٤۲۷ ق. = ۱۳۸٥). يادداشت: کتابنامه.
موضوع: على بن حسين عليه السلام، امام چهارم، ۲۸ ـ ۹٤ ق. صحيفه سجاديه ـ ـ نقد و تفسير.
موضوع: دعاها.
شناسه افزوده: حسينى امينى، سيد محسن، ۱۳۲۱ ـ ، مصحّح.
شناسه افزوده: على بن حسين عليه السلام، امام چهارم، ۲۸ ـ ۹٤ ق. صحيفهٔ سجاديه. شرح.
شناسه افزوده: جامعهٔ مدرّسين حوزهٔ علميهٔ قم. دفتر انتشارات اسلامى.
رده‌بندى کنگره: ۱۳٦۸ ۳۰۲۱۷ ص ۸ ع / ۱ / ۲٦۷ Bp
رده بندى ديويى: ۲۹۷/۷۲۲
شمارهٔ کتابشناسى ملى: ۲۱۲۱ ـ ٦۸ م

رياض السالكين

في شرح صحيفة سيّد الساجدين عليه السلام

(ج ٤)

■ المؤلّف : العلّامة الأديب السيّد علي خان المدنيّ الشيرازيّ رحمه الله □
■ المحقّق : فضيلة السيّد محسن الحسينيّ الأمينيّ □
■ الموضوع : المعارف الإلهيّة □
■ طبع و نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي □
■ عدد الصفحات : ٥۳٦ □
■ الطبعة : الثامنة □
■ المطبوع : ٥۰۰ نسخة □
■ التاريخ : ۱٤۳٥ هـ. ق □
■ شابك ج ٤ : ۳ ـ ۷٦٤ ـ ٤۷۰ ـ ۹٦٤ ـ ۹۷۸ □
ISBN 978 - 964 - 470 - 764 - 3

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

الروضة الثالثة والعشرون

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا سَأَلَ اللّٰهَ الْعَافِيَةَ وَشُكْرَهَا

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَلْبِسْنِي عَافِيَتَكَ وَجَلِّلْنِي عَافِيَتَكَ وَحَصِّنِّي
بِعَافِيَتِكَ وَأَكْرِمْنِي بِعَافِيَتِكَ وَأَغْنِنِي بِعَافِيَتِكَ وَتَصَدَّقْ عَلَيَّ بِعَافِيَتِكَ
وَهَبْ لِي عَافِيَتَكَ وَأَفْرِشْنِي عَافِيَتَكَ وَأَصْلِحْ لِي عَافِيَتَكَ وَلَا تُفَرِّقْ
بَيْنِي وَبَيْنَ عَافِيَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَ
عَافِنِي عَافِيَةً كَافِيَةً شَافِيَةً عَالِيَةً نَامِيَةً عَافِيَةً تُوَلِّدُ فِي بَدَنِي
الْعَافِيَةَ عَافِيَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالصِّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ
فِي دِينِي وَبَدَنِي وَالْبَصِيرَةِ فِي قَلْبِي وَالنَّفَاذِ فِي أُمُورِي وَالْخَشْيَةِ لَكَ وَ
الْخَوْفِ مِنْكَ وَالْقُوَّةِ عَلٰى مَا أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَالْاِجْتِنَابِ لِمَا
نَهَيْتَنِي عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِكَ اَللّٰهُمَّ وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَزِيَارَةِ قَبْرِ
رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلٰى آلِهِ وَآلِ
رَسُولِكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَبَداً مَا أَبْقَيْتَنِي فِي عَامِي هٰذَا وَفِي كُلِّ عَامٍ وَ
اجْعَلْ ذٰلِكَ مَقْبُولًا مَشْكُوراً مَذْكُوراً لَدَيْكَ مَذْخُوراً عِنْدَكَ وَأَنْطِقْ
بِحَمْدِكَ وَشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ لِسَانِي وَاشْرَحْ لِمَرَاشِدِ
دِينِكَ قَلْبِي وَأَعِذْنِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَمِنْ شَرِّ السَّامَّةِ وَ

الْهَامَّةِ وَالْعَامَّةِ وَاللَّامَّةِ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ
سُلْطَانٍ عَنِيدٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مُتْرَفٍ حَفِيدٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ضَعِيفٍ وَشَدِيدٍ وَ
مِنْ شَرِّ كُلِّ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ قَرِيبٍ وَ
بَعِيدٍ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مَنْ نَصَبَ لِرَسُولِكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ حَرْباً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اللَّهُمَّ
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَادْحَرْ عَنِّي مَكْرَهُ
وَادْرَأْ عَنِّي شَرَّهُ وَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ وَاجْعَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَدّاً حَتَّى
تُعْمِيَ عَنِّي بَصَرَهُ وَتُصِمَّ عَنْ ذِكْرِي سَمْعَهُ وَتُقْفِلَ دُونَ إِخْطَارِي
قَلْبَهُ وَتُخْرِسَ عَنِّي لِسَانَهُ وَتَقْمَعَ رَأْسَهُ وَتُذِلَّ عِزَّهُ وَتَكْسِرَ جَبَرُوتَهُ
وَتُذِلَّ رَقَبَتَهُ وَتَفْسَخَ كِبْرَهُ وَتُؤْمِنَنِي مِنْ جَمِيعِ ضَرِّهِ وَشَرِّهِ وَغَمْزِهِ وَ
هَمْزِهِ وَلَمْزِهِ وَحَسَدِهِ وَعَدَاوَتِهِ وَحَبَائِلِهِ وَمَصَائِدِهِ وَرَجِلِهِ
وَخَيْلِهِ إِنَّكَ عَزِيزٌ قَدِيرٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

الحمدلله الذي إذا مرضت فهو يشفين، وإذا اضطررت فهو يكفين والصّلاة والسّلام على رسوله أشرف المرسلين، وعلى أهل بيته عصمة المتوسّلين.

وبعد فهذه الروضة الثالثة والعشرون من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء الثالث والعشرين، من صحيفة زين العابدين وسيّد الزاهدين صلّى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء راجي فضل ربّه السني، عليّ صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ، شفاه الله وكفاه، ومنّ عليه بالعفو والعافية والمعافاة.

شرح الدعاء الثالث والعشرين

وكانَ مِنْ دُعائِهِ عَلَيهِ السَّلامُ إذا سَأَلَ اللهَ العافِيَةَ وَشُكرها.

العافية: اسم من عافاه الله معافاة أي: أصحّه ومحىٰ عنه الأسقام.

وقال الجوهري: وتوضع موضع المصدر ويقال: عافاه الله عافية(١).

وفي القاموس: العافية: دفاع الله عن العبد، عافاه الله من المكروه ومعافاة وعافية: وهب له العافية من العلل والبلايا(٢)، إنتهىٰ.

وقال الفيومي: هي مصدر جاءت على فاعلة، ومثلها ناشئة الليل بمعنى نشؤ الليل (٣).

والخاتمة: بمعنى الختم.

والعافية: بمعنى العقب، وقال بعضهم: إطلاق العافية، ونحوها من المصادر التي جاءت على فاعلة، على المصدر من باب المجاز اللغوي، وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له.

قال بعض العلماء: العافية متناولة لدفع جميع المكروهات في النفس والبدن، والظاهر والباطن، وفي الدين والدنيا والآخرة.

وفي الحديث ما سأل الله شيئاً -يعني النبيّ صلّى لله عليه وآله- أحبّ إليه من أنّ يسأل الله العافية (٤)؛ وذلك لأنّه لفظ جامع لأنواع خير الدارين.

---

(١) الصحاح: ج٦ ص٢٤٣٢.

(٢) القاموس المحيط: ج٤ ص٣٦٤.

(٣) المصباح المنير: ص٥٧٢.

(٤) سنن الترمذي: ج٥ ص٥٣٥ ح٣٥١٥.

قال صلوات الله عليه:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَلْبِسْني عافِيَتَكَ، وَجَلِّلْني عافِيَتَكَ، وَحَصِّنّي بِعافِيَتِكَ، وَأَكْرِمْني بِعافِيَتِكَ، وَأَغْنِني بِعافِيَتِكَ، وَتَصَدَّقْ عَلَيَّ

وإيقاع الشكر على العافية مجاز عقلي؛ لكونها سبباً فيه، والأصل: وشكره عليها.

ألبسته الثوب فلبسه.

وجلّله: غطّاه، وهو من جلّل المطر الأرض إذا عمّها وطبقها فلم يدع شيئاً إلّا غطّى عليه. ويتعدّى إلى الثاني بنفسه وبالباء، فيقال: جلّله إيّاه وجلّله به، ومن الأوّل ماروي: جلّلهم الله خزياً (١).

وحصّن نفسه وماله تحصيناً وأحصنه إحصاناً: منعه وحفظه كأنّه أدخله الحصن، وهوالمكان الذي لايقدر عليه لارتفاعه.

والإكرام: يكون بمعنى الإعزاز والتعظيم، ويكون بمعنى التنزيه.

قال في القاموس: أكرمه وكرّمه: عظّمه ونزّهه(٢).

ومنه أنا أكرمك عن كذا أي: أنزّهك عنه.

والإغناء: إمّا من الغنى بالكسر والقصر بمعنى الثروة والجدة، أو من الغناء بالفتح والمدّ بمعنى الكفاية. وقيل: هما بمعنى، وهو ضدّ الفقر.

وتصدّق على الفقراء بكذا: أعطاهم صدقة،وهي العطيّة يبتغي به المثوبةمن الله.

والمراد بالتصدّق هنا مطلق العطاء دون قيد ابتغاء الثواب، من باب إطلاق الخاص على العام والمقيّد على المطلق مجازاً، وآثر التعبير بالتصدّق نظراً إلى فقره وغناه تعالى، من حيث إنّ الصدقة إنما تكون للفقراء من الغني، وفيه شاهد على جواز إطلاق التصدّق على عطائه تعالى خلافاً لمن منع ذلك.

قال النظام النيسابوري في تفسيره: منع العلماء أن يقال لله تعالى: متصدّق، أو

---

(١) النهاية لابن الاثير: ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٧٠.

بعافِيَـتِكَ ، وَهَبْ لي عافِيَتِكَ ، وَأَفْرِشْني عافِيَتِكَ وَأَصْلِحْ لي عافِيَتَكَ ، ولا تُفَرِّقْ بَيْني وَبَيْنَ عافِيَتِكَ في الدُنْيا وَالآخِرَةِ.

اللّهم تصدّق علينا؛ بل يجب أن يقال: اللّهم أعطني أو تفضّل عليّ أو ارحمني؛ لأنّ الصدقة يرجى بها المثوبة عندالله(١)، وهو مستحيل في حقّه جلّ شأنه. وإذا ورد ذلك في كلام المعصوم عليه السّلام فلاعبرة بكلام غيره.

ووهبت لزيد مالاً: ملكّته إيّاه بلاعوض.

وأفرشت زيداً إفراشاً وفرشته فرشاً: بسطته له، والرواية في الدعاء وردت بالوجهين.

وأصلحت الشيء :أزلت فساده وجعلته منتفعاً به.

وفرّقت بين الشيئين تفريقاً: مبالغة في فرقت بينهما ـمن باب قتل ـ أي: فصلت، هذا ما عليه الجمهور.

وقال ابن الأعرابي: فرقت بين الكلامين فافترقا مخفّف، وفرّقت بين العبدين فتفرّقا مثقّل فجعل المخفّف في المعاني والمثقّل في الأعيان (٢) .

والذي حكاه عيره أنّهما بمعنى، والتقيل مبالغة.

واعلم أنّ قوله عليه السّلام: «ألبسني عافيتك وجلّلني عافيتك»، ونحوه من الأفعال التي لايتعلّق معناها الحقيقي بالعافية، من باب الإستعارة، وهي إمّا استعارة تبعيّة نحو: قتل البخل وأحيى السماحا، أو مكنيّة مرشّحة، ولايبعد جعلها من باب الاستعارة التمثيلية، كما تقدّم التنبيه عليه في نظير ذلك .

وإنّما كرّر لفظ العافية بسؤالها بأنواع الطلب، ووضع الظاهر موضع المضمر فيما سوى الفقرة الأولى؛ لمزيد العناية والاهتمام بشأنها، وقرعاً لباب الإلحاح المندوب إليه في الدعاء، وتلذّذاً للتلفظ باسمها، وبسطاً للخطاب حيث الإصغاء مطلوب.

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص ٣٥٩. (٢) المصباح المنير: ص ٦٤٣.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعافِني عافِيَةً كافِيَةً شافِيَةً عالِيَةً نامِيَةً، عافِيَةً تُوَلِّدُ في بَدَني العافِيَةَ، عافِيَةَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

ويحتمل تخصيص كلّ لفظ منها بمعنى؛ لأنّها لفظ جامع لخيرات الدارين، بأن يقال: وألبسني عافيتك من المرض البدني؛ لأنّ الإلباس للثواب المخصوص للبدن.

وجلّلني عافيتك: من الفضيحة؛ بدليل التجليل الذي هو بمعنى التغطية والستر.

وحصّني بعافيتك: ممّن يريدبي سوء؛ بقرينة التحصين.

وأكرمني بعافيتك: من الذلّ والمهانة أو من المعائب والقبائح؛ بدليل الإكرام بمعنى التعظيم أو التنزيه.

وأغنني بعافيتك: من الفقر والحاجة؛ بدليل الإغناء.

وتصدّق عليّ بعافيتك: من الاضطرار إلى صدقة غيرك.

وهب لي عافيتك: من الاحتياج إلى هبة غيرك.

وأفرشني عافيتك: أي مهادها من الخوف، كما يقال: أفرشه مهاد أمنه.

وأصلح لي عافيتك: الحاصلة عندي التي قد أفسدها المرض ونحوه.

ولا تفرّق بيني وبين عافيتك: العامّة في أُمورالدنيا والآخرة *.

عافية: منصوب على المفعوليّة المطلقة، مبيّن لنوع عامله لكونه موصوفاً.

وكافية: صفة له.

وشافية ومابعده: يحتمل الوصفيّة والحاليّة.

وعافية الثانية: بدل من عافية الأُولى بدل كلّ، وفائدتها التأكيد والتنصيص على أنّ العافية الموصوفة بالصفات المذكورة هي العافية التي تولّد في بدني العافية.

وقوله: «عافية الدنيا والآخرة» بدل من العافية بدل الكلّ أيضاً، وهو في الموضعين في حكم تكرير العامل؛ من حيث إنّه المقصود بالنسبة، مفيد لمتبوعه مزيد تأكيد وتقرير وإيضاح وتفسير، كما هوشأن بدل الكلّ من الكلّ.

ومعنى كونها كافية أي: مغنية عن الأطباء، أو عن سؤال عافية أُخرىٰ معها.

وَ امْنُنْ عَلَيَّ بِالصِّحَّةِ وَالأَمْنِ وَالسَّلامَةِ في دِيْنِي وَبَدَنِي، وَالبَصيرَةِ

وشافية: أي معدّلة للأخلاط؛ فإنّ معنى الشفاء، رجوع الأخلاط إلى الاعتدال، أو مزيلة للأمراض من شفى الله المريض إذا أصحّه.

وعالية: أي رفيعة لاتنالها الأسقام والعلل، أو عالية للمرض قاهرة له، من علافلان فلاناً إذا غلبه وقهره.

ونامية: أي زائدة كثيرة، من نمى الشيء ينمي -من باب رمىٰ- نماءً بالفتح والمدّ في لغة، ينمو نموّاً -من باب قعد- أي: زاد وكثر.

وتولّد: أي تنشأ، من تولّد الشيء عن غيره أي: نشأ عنه.

والألف واللام في العافية للجنس باعتبار تحقّقه في ضمن جميع أفراده، وهو المعبّر عنه بالاستغراق الحقيقي؛ ولهذا أبدل منها قوله: «عافية الدنيا والآخرة»؛ توضيحاً وتفسيراً للشمول المقصود من تعريف العافية، والمعنى تولّد في بدني كلّ عافية دنيويّة وأُخرويّة.

أو لاستغراق خصائص الأفراد، أي: العافية الكاملة في معناها، نحو: هو الرجل أي: الكامل في الرجوليّة، ويكون قوله: «عافية الدنيا والآخرة» لبيان أنّ العافية الكاملة هي الدنيويّة والاخرويّة، والمراد بالأُخرويّة العافية والسلامة من مضارّ الآخرة وآفاتها. ولا ينافيه قوله: «في بدني»: لأنّ الأعمال الحاصلة للإنسان التي تكون سبباً للسلامة من أهوال الآخرة ومضارّها، إنّما تحصل عن هذا البدن وتستفاد بواسطته، والله أعلم.

الصحّة: البرء من المرض، والبراءة من كلّ عيب.

وقال الفيومي الصحة في البدن حالة طبيعيّة تجري أفعاله معها على المجرى الطبيعي، وقد استعيرت للمعاني، فقيل: صحّت الصلاة إذا اسقطت القضاء، وصحّ العقد إذ ترتّب عليه أثره، وصحّ الخبر إذا طابق الواقع(١).

(١) المصباح المنير: ص ٤٥٤.

فِي قَلْبِي، والنفاذِ في أُمُورِي، وَالخَشْيَةِ لَكَ، وَالخَوْفِ مِنْكَ، وَالقُوَّةِ عَلىٰ ما أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ طاعَتِكَ، والاجْتِنابِ لِما نَهَيْتَنِي عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِكَ.

وقال بعضهم: الصحّة حالة أو ملكة تصدر بها الأفعال عن موضعها سليمة، وهي عند الفقهاء عبارة عن كون الفعل مسقطاً للقضاء في العبادات، أو سبباً لترتّب ثمراته المطلوبة منه عليه شرعاً في العبادات، و بإزائه البطلان.

وقيل: هي استتباع الغاية، وبإزائها البطلان والفساد.

والأمن: عدم توقّع مكروه في المستقبل.

والسلامة: الخلوص من الآفات.

ودان بالإسلام ديناً بالكسر تعبّد به.

والبدن في اللغة: من الجسد ماسوى الرأس والأطراف.

وقيل: هو ماسوى المقاتل. والمراد به هنا جميع الجسد.

والبصيرة: قوّة القلب المنوّر بنورالقدس يرى بها حقائق الأشياء و بواطنها، وهي بمثابة البصر للنفس ترى به صور الأشياء وظواهرها، وهي التي تسمّيها الحكماء: العاقلة النظرية والقوّة القدسيّة.

ونفذ في الأمر والقول ـ من باب قعد ـ نفوذاً ونفاذاً: مضى، وأمرٌ نافذ أي: ماض مطاع. وأصله من نفذ السهم إذا خرق الرمية وخرج منها.

والخشية: تألم القلب بسبب توقّع مكروه في المستقبل.

والخوف: بمعناها. وهما يكونان تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله سبحانه وهيبته، وخشية الأنبياء والأئمّة وخوفهم من هذا القبيل.

وقال بعضهم: لايكاد اللغوي يفرّق بين الخوف و الخشية، ولاشكّ أنّ الخشية أعلىٰ منه وهي أشدّ الخوف؛ فإنّها مأخوذة من قولهم: شجرة خشيّة أي: يابسة و هي فوات بالكلية، والخوف من ناقة خوفاء: أي بها داء، وهو نقص وليس بفوات؛ ولذلك خصّت الخشية بالله في قوله تعالى: «يَخشَون رَبَّهم ويَخافون سُوء

....

الحِساب»(١).

وفرّق بينهما أيضاً بأنّ الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قويّاً، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً، ويدلّ لذلك أنّ الخاء والشين والياء في تقاليبها تدلّ على العظمة، نحو شيخ: للسيد الكبير، وخيش: لما غلظ من اللباس؛ ولذا وردت الخشية غالباً في حقّ الله «إنّما يَخشَى اللهَ مِن عِباده العُلماءُ»(٢)، إنتهى.

وقد تقدّم في الروضة السادسة عشرة كلام للمحقّق الطوسي طاب ثراه في الفرق بين الخوف والخشية، فليرجع إليه(٣).

قال بعض العارفين: إذا احترقت جميع الشهوات بنار الخوف، ظهر في القلب الذبول والخشوع والانكسار، وزال عنه الحقد والكبر والحسد، وصار كلّ همّه النظر في خطر العافية، فلايتفرّغ لغيره، ولايصير له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، والاحتراز من تضييع الأنفاس والأوقات، ومؤاخذة النفس في الخطوات والخطرات، وأمّا الخوف الذي لايترتّب عليه شيءمن هذه الآثار، فلايستحقّ أن يطلق عليه اسم الخوف، وإنّما هو حديث النفس(٤).

ولهذا قال بعض أرباب القلوب: إذا قيل لك: هل تخاف الله، فاسكت عن الجواب؛ فإنّك إن قلت «لا» كفرت، وإن قلت: «نعم» كذبت (٥)

والقوّة: تمكّن الحيوان من الأفعال الشاقّة، ولايبعد أن يكون المراد بهاهنا الجدّ والعزيمة، كما فسّر به قوله تعالى: «خُذُوا ما آتَيناكُم بِقوّةٍ»(٦)، أي: بعزيمةٍ وجدٍّ غير

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢١. (٢) سورة فاطر: الآية ٢٨. (٣)ج٣، ص ١٣٠.

(٤) المحجّة البيضاء: ج ٧ ص ٢٧٠، واحياء علوم الدين: ج ٤ ص ١٥٧.

(٥) حياة القلوب في هامش قوت القلوب: ج ٢ ص ١٩٤.

(٦) سورة البقرة: الآية ٦٣ و٩٣، وسورة الاعراف. الآية ١٧١.

اللَّهُمَّ وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالحَجِّ، وَالعُمْرَةِ، وَزِيارَةِ قَبْرِ رَسُولِكَ، صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكاتُكَ عَلَيْهِ، وَعَلىٰ آلِهِ وَآلِ رَسُولِكَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، أَبداً ما أَبْقَيْتَني، في عامي هٰذا وَفي كُلِّ عامٍ، وَاجْعَلْ ذٰلِكَ مَقْبُولاً مَشْكُوراً مَذْكُوراً لَدَيْكَ، مَذْخُوراً عِنْدَكَ.

متكاسلين ولا متغافلين.

وعن الصادق عليه السّلام: أنّ المراد بها قوّة الأبدان والقلوب جميعاً(١).

والاجتناب: مطاوع جنّبته الشرّ جنوباً -من باب قعد-: أبعدته ونحّيته عنه فاجتنبه، ومنه «وأجْنِبني وبَنِيَّ أنْ نَعبُدَ الأصنامَ»(٢).

وجنّبته بالتثقيل مبالغة، فتجنّبه هو، ومعنى منّه تعالى عليه بالاجتناب لما نهاه عنه من المعاصي، حسم أسبابها وعدم الإعداد لها، والله أعلم.

الحجّ لغةً: القصد، حجّ حجّاً -من باب قتل-: قصد فهو حاجّ، وقيل: هو القصد إلى الشيء المعظم.

وشرعاً: قصد بيت الله تعالى بصفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرائط مخصوصة، والاسم الحِجّ بالكسر.

والعمرة: اسم من الاعتمار، وهو لغةً: الزيارة أخذاً من العمارة؛ لأنّ الزائر يعمر المكان بزيارته.

وشرعاً: زيارة بيت الله الحرام بعمل مخصوص، وهي واجبة عندنا مثل الحجّ، وبه قال الشافعي في الجديد، وتسمّى الحجّ الأصغر.

روى ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن أو صحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: لمّا أفاض آدم من منى تلقّته الملائكة، فقالوا: يا آدم برّ حجّك، أما أنّه قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجّه بألفي عام(٣).

---

(١) مجمع البيان: ج ١-٢، ص١٢٨. (٢) سورة ابراهيم: الآية ٣٥. (٣) الكافي: ج ٤ ص١٩٤ ح ٤.

....

وقد ورد في فضل الحجّ والعمرة وثوابهما من الأخبار ما لا يحصى، فعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الحجّة ثوابها الجنّة، والعمرة كفّارة لكلّ ذنب(١).

وعنه عليه السّلام: ضمان الحاجّ والمعتمر على الله، إن أبقاه بلغه أهله وإن أماته أدخله الجنّة(٢).

وعنه عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: تابعوا بين الحجّ والعمرة؛ فإنّهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد(٣).

وعنه عليه السّلام: الحاجّ والمعتمر وفدالله، إنّ سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم، وإن شفعوا شفعهم، وإن سكتوا ابتدأهم ويعوّضون بالدرهم ألف درهم(٤).

ولمّا كان من المستحبّات المؤكّدة أن يختم الحاجّ حجّه بالورود إلى المدينة المشرّفة، لزيارة النبيّ صلّى الله عليه وآله وزيارة أهل بيته سلام الله عليهم أجمعين، سأل عليه السّلام ذلك بقوله: «وزيارة قبر رسولك إلى آخره».

روى أبو حجر الأسلمي عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من أتى مكّة حاجّاً ولم يزرني في المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنّة(٥).

ومن الأخبار المستفيضة عنه صلّى الله عليه وآله: من حجّ ولم يزرني فقد جفاني(٦).

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٣ ح ٤.
(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٣ ح ٣.
(٣) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٥ ح ١٢.
(٤) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٥ ح ١٤.
(٥) الكافي: ج ٤ ص ٥٤٨ ح ٥.
(٦) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ١٨٩ أبواب المزار باب ٢ ح ١.

....

وبسندٍ صحيح عن أبي جعفر عليه السّلام قال: ابدأوا بمكّة واختموا بنا(١).

وعن المعلّىٰ أبي شهاب قال: قال الحسين عليه السّلام لرسول الله صلّى الله عليه وآله: يا أبتا مالمن زارك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بنيّ من زارني حيّاً أو ميّتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك ، كان حقّاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأُخلّصه من ذنوبه(٢).

قال شيخنا الشهيد قدّس سرّه في كتاب الدروس: يستحبّ للحاجّ وغيرهم زيارة النبيّ صلّى الله عليه وآله بالمدينة استحبابا مؤكّداً، ويجبر الامام الناس على ذلك لوتركوه؛ لقوله صلّى الله عليه وآله: من أتى مكّة حاجّاً أو معتمراً ولم يزرني جفوته يوم القيامة، الحديث(٣).

قوله عليه السّلام: «صلواتك عليه ورحمتك وبركاتك عليه وعلى آله» جملة دعائيّة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لامحلّ لها من الاعراب. والصلاة من الله قيل: المغفرة والرحمة، وقيل: الثناء، وقيل: الكرامة.

والمراد برحمته تعالى: رحمته التي وسعت كلّ شيء،واستتبعت كلّ خير.

وبركاته: خيراته النامية الفائضة منه بواسطة رحمته، المستتبعة لكلّ خير، الواسعة لكلّ شيء .

قال بعضهم: إضافة البركات إليه تعالى باعتبار أنّ البركة، سواء كانت بمعنى الزيادة أو بمعنى الكثرة أو بمعنى الخصب، ناشئة من الله تعالى وكائنة بإعطائه. وأتى بالبركات بصيغة الجمع دون الرحمة اقتفاءً لقوله تعالى حاكياً عن ملائكته الكرام: «قالوا: أتَعجَبين مِن أمرِالله رَحمتُ اللهِ وبَركاتُه عَليكم أهلَ البَيتِ إنّهُ حَميدٌ مَجيدٌ»(٤).

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٥٥٠ ح ١.

(٢) الكافي: ج ٤ ص٥٤٨ ح ٤.

(٣) الدروس: ص ١٥١.

(٤) سورة هود: الآية ٧٣.

....

روي أن أميرالمؤمنين عليه السّلام مرّ بقوم فسلّم عليهم، فقالوا: عليك السّلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه، فقال: لاتجاوزوابنا ما قالت الملائكة لأبينا ابراهيم عليه السّلام: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد(١).

واعلم أنّ في أكثر النسخ المستفيضة لفظة «عليه» بعد الصلوات وبعد البركات، فهما جملتان متعاطفتان، أي: صلواتك مستقرّة عليه ورحمتك وبركاتك مستقرّة عليه. وفي نسخة ابن إدريس لفظة «عليه» بعد البركات فقط، فهي جملة واحدة.

قوله عليه السّلام: «وآل رسولك عليهم السّلام» عطف على قبر رسولك، أي: وزيارة قبور آل رسولك. وحذف المضاف للعلم به ولدلالة ماتقدّم عليه.

روي عن أبي الحسن الرضا عليه السّلام: أنّ لكلّ امام عهداً في عنق شيعته وأوليائه، وأنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم عليهم السّلام رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة(٢).

وعن زيد الشحّام، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: مالمن زار رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قال: كمن زارالله عزّوجلّ فوق عرشه، قال: قلت: فما لمن زار أحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلّى الله عليه وآله(٣).

قوله عليه السّلام: «أبداً ما أبقيتني في عامي هذا وفي كلّ عام».

الأبد: الدهر الطويل، وقيل: الدهر الطويل: لاحدّ له، ونصبه على الظرف أي: دهراً طويلاً، وهو متعلّق بامنن، وماقيل: من احتمال كونه ظرفاً للسلام من قوله: «عليهم السّلام»، ليس بشيء.

---

(١) مجمع البيان: ج ٥ - ٦ ص ١٨٠. (٢) الكافي: ج ٤ ص ٥٦٧ ح ٢. (٣) الكافي: ج ٤ ص ٥٨٥ ح ٥.

....

و«ما» من قوله: «ما أبقيتني»: مصدريّة زمانيّة أي: مدّة إبقائي، والموصول وصلته في موضع نصب، على أنّه بدل أو عطف بيان من قوله «أبداً».

وقوله: «في عامي هذا» متعلّق با منن، قيل: أو بأبقيتني.

والعام: الحول، وهو في تقدير فعل بفتحتين؛ ولهذا يجمع على أعوام مثل سبب وأسباب.

وفي القاموس: العام: السنة(١)، وقد تقدّم في الروضة الأُولى عن ابن الجواليقي وصاحب التهذيب: أنّ العام أخصّ من السنة، وأنّ عدم الفرق بينهما غلط،(٢) فراجعه.

وقوله: «هذا» صفة للعام بتأويل الحاضر.

وقال ابن السّراج: هو بدل منه (٣).

وقال السهيلي: عطف بيان(٤) والأوّل هو الذي عليه الجمهور من البصريين ومحقّقوا المتأخّرين.

قوله عليه السّلام: «واجعل ذلك مقبولاً» إلى آخره، ذلك إشارة إلى المذكور من الحجّ والعمرة والزيارة، ومافيه من معنى البعد للإشعار بعلوّ درجته وبعد منزلته في الفضل.

والمقبول: المرضي لله أو المثاب عليه كما تقدّم في معنى المقبول، ويحتمل أن يكون الطلب متوجّهاً إلى جعله من جملة الأعمال المقرونة بالإخلاص، فكنّى بطلب القبول عن ذلك، فلا يرد أن طلب القبول يدلّ على أن العمل المقرون بالإخلاص

---

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٥٥.

(٢) المصباح المنير: ص ٥٩٩ - ٦٠٠.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) لم نعثر عليه.

وَأَنْطِقْ بِحَمْدِكَ وَشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَحُسْنِ الثَناءِ عَلَيْكَ لِساني، وَاشْرَحْ لِمَراشِدِ دِينِكَ قَلْبي.

لايجب ترتّب الثواب عليه وإلّا لم يكن في طلبه فائدة.

والمشكور: العامل معاملة ما يشكر عليه في حسن الجزاء.

قال العلماء: الشكر عبارة عن مجموع أُمور ثلاثة: اعتقاد كون العامل محسناً في تلك الأعمال، والثناء عليه بالقول، والاتيان بأفعال تدلّ على كونه مطيعاً عند ذلك الشاكر، والله تعالى يعامل المطيعين بهذه الأُمور الثلاثة؛ لأنّه يعلم كونهم محسنين في تلك الأعمال، وأنّه يثني عليهم بكلامه، ويعاملهم المعاملات الدالّة على كونهم مطيعين عند الله.

وقيل: المشكور من الأعمال: المضاعف جزاؤه، المتجاوز عمّا فيه من الخلل والنقص.

والمذكور: الحال محلّ ما يذكر في تعلّق الثواب به وإظهارالرضا واستحقاق المنزلة والإكرام، وبإزائه المنسي المطرح الذي لايعبأ به ولايلتفت إليه.

والمذخور: ما أُعدّ لوقت الحاجة إليه، أي: اجعل ثوابه ذخراً وعدّةً ليوم فاقتي إليه وهو يوم القيامة*.

أي: ألهم لساني النطق بذلك، وقد يراد بإنطاقه تعالى إقداره على النطق، كما في قوله تعالى: «قالوا أنطقَنا اللهُ الّذي أنطقَ كلّ شيء»،(١) وهذا المعنى ليس مراداً هنا، لأنّه واقع فلا فائدة في طلبه.

وشرح فلان أمره: إذا أظهره وأوضحه، ومنه شرح المسألة إذا بيّنها وفسّرها وأوضح معناها، وشرح الله صدره للإسلام: وسّعه لقبول الحقّ. ولاشكّ أنّ توسيع الصدر والقلب غيرممكن على سبيل الحقيقة، ولكنّه كناية عن جعل القلب قابلاً

---

(١) سورة فصلت: الآية ٢١.

....

للحقّ، مهيّئاً لحلوله فيه، مصفّى عمّا يمنعه وينافيه.

وقال النظام النيسابوري: إذا اعتقد الإنسان في عمل من الأعمال أنّ نفعه زائد وخيره راجح، مال طبعه إليه وقوى طلبه ورغبته في حصوله، وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله، فسمّيت هذه الحالة سعة الصدر، وإن حصل في القلب علم أو اعتقاد أو ظنّ يكون ذلك العمل مشتملاً على ضرر زائد ومفسدة راجحة، دعاه ذلك إلى تركه، وحصل في النفس نبوة عن قبوله، فيقال لهذه الحالة: ضيق الصدر؛ لأنّ المكان إذا كان ضيّقاً لم يتمكّن الداخل من الدخول فيه، وإذا كان واسعاً قدر على الدخول فيه، وأكثر استعمال شرح الصدر في جانب الحقّ والإسلام، وقد ورد في الكفر أيضاً، قال تعالى: «ولكن من شرح بالكفر صدراً»(١).

قال أمين الإسلام الطبرسي: وقد وردت الرواية الصحيحة أنّه لمّا نزل قوله تعالى: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام» الآية، سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن شرح الصدر ما هو؟ فقال: نور يقذفه الله في قلب المؤمن، فينشرح له صدره وينفسح، قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال صلّى الله عليه وآله: نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت(٢).

قال النيسابوري: وهذا البيان مناسب لما ذكرنا؛ فإنّ الإنابة إلى دار الخلود لابدّ أن يترتّب على اعتقاد أنّ عمل الآخرة زائد النفع والخير والتجافي عن دار الغرور إنّما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زائد الضرّ والضير، والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الأمرين: الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة(٣).

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص ١٠٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٣٦٣.

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص ١٠٣.

وَأعِذْني وَذُرِّيَتي، مِنَ الشَّيْطانِ الرَجيم، وَمِنْ شَرِّ السامَّةِ وَالهامّة والعامَّةِ واللامَّة، ومِنْ شرّ كُلِّ شَيْطان مَريد، ومِنْ شَرّ كُلِّ سُلْطان عَنيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مُتْرَفٍ حَفيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ضَعيفٍ وَشَديدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَريفٍ وَوَضيعٍ، وَمِنْ شرِّ كُلِّ صَغيرٍ وَكَبيرٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ قَريبٍ وَبَعيد ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مَنْ نَصَبَ لِرَسُولِكَ وَلِأهْلِ بَيْتِهِ حَرْباً، مِنَ الجِنِّ وَالإنْسِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ أنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِها، إنَّكَ عَلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيمٍ.

والمراشد: جمع مرشد، وهو إمّا مصدر ميميّ بمعنى الرشد، كالمقصد بمعنى القصد، وجمع باعتبار الأنواع، ومنه قول الزمخشري في الأساس: هو يهدي إلى المراشد(١)، أو اسم موضع.

قال الجوهري: المراشد، المقاصد من الطرق(٢)، أي: الطرق المستقيمة؛ فإنّ قصد الطريق هو استقامته.

والمعنى: اشرح قلبي لقبول مراشد دينك أي: هداياته، أو لسلوك مراشده أي: طرقه المستقيمة، والله أعلم.

أي: أجرني بحفظك واعصمني.

وذرّيتي عطف على الضمير.

والرجيم: المطرود، وأصل الرجم الرمي بالحجارة، أولأنّه يرجم بالكواكب؛ لقوله تعالى: «وجعلناها رُجوماً للشّياطين»(٣)، أو من رجمته بالقول إذا شتمته ورميته بالفحش؛ لأنّه يسبّ ويشتم.

---

(١) أساس البلاغة: ص ٢٣٢.

(٢) الصحاح: ج ٢ ص ٤٧٤.

(٣) سورة الملك: الآية ٥.

....

والمستعاذ منه وسواسه وإغواؤه وجميع شروره، بل نفسه لأنّه بذاته شرّيستعاذ منه.

وفي الدعاء اقتباس من قول أمرأة عمران: «وإنّي أُعيذها بِكَ وذُرّيتَها من الشَيطانِ الرَجيمِ»(١).

روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: ما من مولود يولد إلّا والشيطان يمسّه حين يولد، فيستهلّ صارخاً من مسّه، إلّا مريم وابنها؛ فإنّ الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة(٢).

وقيل: معناه أنّ الشيطان يطمع في إغواء كلّ مولود بحيث يتأثّرمنه إلّا مريم وابنها، وقد تقدّم الكلام على الذريّة مبسوطاً في الروضة الرابعة(٣).

والسامّة إذا قرنت بالهامّة فالمراد بها مايسمّ ولا يبلغ أن يقتل بسمّه كالعقرب والزنبور.

والهامّة: كلّ ذات سمّ يقتل كالحيّة، وإذا قرنت بالعامّة أوالخامّة فالمراد بها الخاصّة، ومنه: من قال حين يمسي أو يصبح: أعوذ بك من شرّ السامّة والخامّة ومن شرّ ما خلقت، لم تضرّه دابّة،(٤) قال الزمخشري في الفائق: أي: الخاصّة والعامّة.

قال العجاج:

هو الذي أنعم نعمي عمّت على الذين أسلموا وسمّت(٥)

إنتهى.

والخامّة كما تطلق على العامّة تطلق على خاصّة الرجل من أهله وولده، لكن

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

(٢) الدرالمنثور: ج ٢ ص ١٩.

(٣) ج ٢ ص ١١٩.

(٤) و(٥) الفائق في غريب الحديث: ج ٢ ص ٢٠٠.

....

عطفها على السامّة عيّن كون المراد بها المعنى الأوّل، وقد تقع الهامّة على مايدبّ من الحشرات وإن لم يقتل.

واللامّة: كلّ ما يخاف من فزع وشرّ، أو المراد بها العين اللاّمة أي: المصيبة بسوء، ومنه أعوذ بكلمات الله التامّة من كلّ عين لامّة(١).

أي: ذات لمم وهو طرف من الجنون،ولم يقل: ملمّة، وأصله من ألمت لمشاكلة سامّة.

والمريد: العاتي.

قال في القاموس: مرد ـ كنصر وكرم ـ مروداً ومرادةً فهومارد ومتمرد: أقدم وعتا، أو هو أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف(٢)إنتهى.

وقيل: هو المتجرّد للفساد، وأصله العرى المنبئ عن التمحّض له كالتشمّر، ولعلّه مأخوذ من تجرّد المصارعين عند المصارعة.

وقيل: هو بمعنى الخالي من الخير، من قولهم: صخرة مرداء أي: ملساء، ومنه الأمرد.

وقيل: هو المتطاول في الشرّ والفساد، من قولهم: بناء ممرّد أي: متطاول متجاوز، والمراد إمّا إبليس وجنوده، أو رؤوس أهل الفساد والشرّ الذين يدعون من دونهم إلى الغيّ والضلال.

والعنيد: الجائر عن القصد الباغي الذي يردّ الحق مع العلم به، فعيل من عند عن القصد عنوداً ـ من باب قعد ـ أي: جار، وقيل: هو من عندالعرق عنوداً ـ من باب نزل ـ إذا سأل وكثر مايخرج منه فلم يرقأ.

---

(١) سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١١٦٤ ـ ١١٦٥ ح ٣٥٢٥.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٣٧.

....

والمترف: المتنعّم المتوسّع في ملاذّ الدنيا وشهواتها، الذي قد أترفته وأبطرته النعمة وسعة العيش.

وقال ابن عرفة: المترف: المتروك يصنع ما يشاء لايمنع منه(١).

وفي القاموس: المترف: المتنعّم لايمنع من تنعّمه، والجبار(٢).

وقال الفارابي في ديوان الأدب: أترفته النعمة: أي أطغته، وأترفه: أي نعّمه (٣).

وفي الأساس: أترفته النعمة: أبطرته، وأترف فلان وهو مترف، وأعوذ بالله من الإتراف والإسراف، واستترفوا تعفرتوا وطغوا، ولم أزل معهم في ترفة أي: نعمة (٤).

والحفيد: فعيل بمعنى مفعول، وهوالذي يخدمه أصحابه ويعظّمونه ويسرعون في خدمته، وأصله من حفد ـ من باب ضرب ـ أي: أسرع.

قال في الأساس: حفد البعير حفداً وحفوداً وحفداناً: أسرع في سيره ودارك الخطو، ومن المجاز: حفد فلان في الأمر واحتفد إذا أسرع فيه وخفّ في القيام به، وحفدت فلاناً: خدمته وخففت إلى طاعته، ورجل محفود: مخدوم مطاع(٥).

وضعف عن الشيء ـ من باب قرب ـ: عجز عن احتماله فهو ضعيف. وشدّ الشيء يشدّ ـ من باب ضرب ـ: قوى فهو شديد، والمراد: كلّ ضعيف وشديد جسماً ومعنى: وقدّم الضعيف على الشديد؛ لرعاية السجع ولمزيد الاهتمام بالاستعاذة من شرّه؛ فإنّ الشديد لشدّته يكثر الاحتراز والتوقّي شروره، بخلاف الضعيف فإنّه كثيراً ما يحتقر فلا يعبأ به لضعفه، فينفذ شره وهو مغفول عنه، كما قيل:

---

(١) تاج العروس: ج ٦ ص ٤٩.
(٢) القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٢٠.
(٣) ديوان الأدب: ج ٢ ص ٣١٣.
(٤) أساس البلاغة: ص ٦٢.
(٥) أساس البلاغة: ص ١٣٢.

....

ولا تحتقر كيد الضعيف فربّما تموت الأفاعي من سموم العقارب

وقال أبو عبيدة: العرب تقدّم الأخسّ غالباً، يقولون: ربيعة و مضر وسليم وعامر، ولم يترك قليلاً ولا كثيراً (١).

والشريف: الماجد الرفيع القدر.

والوضيع: الساقط لاقدر له، والمراد بالصغير والكبير: امّا باعتبار السنّ، أو باعتبار المهانة والقدر.

وقال الفيومي: صغر في عيون الناس: ذهبت مهابته فهو صغير، ومنه يقال: جاء الناس صغيرهم وكبيرهم، أي: من لاقدر له ومن له قدر(٢).

والقريب والبعيد: إمّا باعتبار المسافة أو باعتبار النسب. ولك حمل كلّ من الألفاظ المذكورة على معنى مجازي عام يكون كلّ واحد من المعاني المذكورة فرداً حقيقيّاً له.

ونصبت لزيد الحرب والعداوة: أقمتها وأظهرتها له، ومنه الناصب وهو معلن العداوة لعليّ عليه السّلام وشيعته(٣).

قال في القاموس: النواصب والناصبيّة وأهل النصب: المتديّنون ببغضة عليّ عليه السّلام؛ لأنّهم نصبوا له أي: عادوه(٤).

والدابّة: كلّ حيوان في الأرض، وخالف بعضهم فأخرج الطير من الدوّاب، وردّ بالسماع، وهو قوله تعالى: «واللهُ خَلقَ كُلَّ دابّةٍ مِن ماءٍ»(٥)، قالوا: أي خلق كلّ حيوان مميزاً كان أو غير مميّز. وأمّا تخصيص الفرس والبغل بالدابّة عند الإطلاق فعرف طارئ. وتطلق الدابّة على الذكر و الأُنثى، والجمع الدوابّ.

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج ٢ ص ١٧٣- ١٧٤.
(٢) المصباح المنير: ص ٤٦٦.
(٣) مجمع البحرين: ج ٢ ص ١٧٣.
(٤) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٣٣.
(٥) سورة النور: الآية ٤٥.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَنْ أرادني بِسُوءٍ فَاصْرِفْهُ عَنّي، وَادْحَرْ عَنّي مَكْرَهُ، وَادْرأ عَنّي شَرَّهُ، وَرُدَّ كَيْدَهُ في نَحْرِهِ، وَاجْعَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ سُدّاً، حَتّىٰ تُعْمِيَ عَنّي بَصَرَهُ، وَتُصِمَّ عَنْ ذِكْري سَمْعَهُ، وَتُقْفِلَ دُونَ إخْطاري قَلْبَهُ، وَتُخْرِسَ عَنّي لِسانَهُ، وَتَقْمَعَ رَأْسَهُ، وَتُذِلَّ عِزَّهُ وَتَكْسِرَ جَبَرُوتَهُ، وَتُذِلَّ رَقَبَتَهُ، وَتَفْسَخَ كِبْرَهُ، وَتُؤْمِنَني مِنْ جَميعِ ضَرِّهِ وَشَرِّهِ، وَغَمْزِهِ وَهَمْزِهِ وَلَمْزِهِ، وَحَسَدِهِ وَعَداوَتِهِ، وَحَبائِلِهِ وَمَصائِدِهِ، وَرَجْلِهِ وَخَيْلِهِ، إنَّكَ عَزيزٌ قَديرٌ.

وقوله: «أنت آخذ بناصيتها» أي: مالك لها قادر عليها تصرّفها كيف تشاء غير مستعصية عليك، فإن الاخذ بالناصية تمثيل لذلك. وإنّما خصّت الناصية لحكم الوهم بأنّه تعالى في جهة فوق فيكون أخذه بالناصية؛ ولأنّها أشرف ما في الدابّة فسلطانه تعالىٰ على الأشرف يستلزم القهر والغلبة وتمام القدرة، وقد تقدّم معنىٰ الناصية في الروضة الحادية والعشرين عند قوله عليه السّلام: «وفي قبضتك ناصيتي»، والجملة في محلّ جرّ صفة لدابّة، والوصف للتأبيد والتعميم لا للتقييد والتخصيص.

وقوله: «إنّك على صراط مستقيم» تعليل لما يدلّ عليه عموم طلب إعاذته من شرّ كلّ حيوان يدّب على وجه الأرض حتّى لايكون له قدرة على إضراره، أي: إنّك على طريق الحقّ والعدل في ملكك، فلا تسلّط عليّ شيئاً من ذلك؛ إذ لا يضيع عندك معتصم بك. وفيه اقتباس من قوله تعالى: «إنّي تَوَكّلتُ علىٰ اللهِ ربّي وربّكم ما مِن دابّةٍ إلّا هُو آخذٌ بِناصِيتها إنّ رَبّي علىٰ صراطٍ مستقيمٍ»(١) *.

الإرادة هنا: بمعنى القصد، أي: من قصدني بسوء وأنّ حملها على معنى نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه، فالكلام على حذف مضاف، أي: من

---

(١) سورة هود: الآية ٥٦.

....

أراد إصابتي بسوء، لأنّها بهذا المعنى لا تتعلّق بالذوات. والباء: للاستعانة.

ونكّر السوء مبالغة، أي: بشيء يسؤني، وكما يقال: أراده بسوءٍ يقال: أراد به سوء، قال تعالى: «إِنْ يُرِدنِ الرَّحمٰنُ بِضُرٍّ»(١)، وقال: «وأرادوا بِهِ كَيداً»(٢)، فالباء في هذا للإلصاق، أي: أرادوا إلصاق كيد به.

وصرفت الشيء صرفاً -من باب ضرب-: رددته؛ أي: فردّه عنّي.

ودحره دحراً ودحوراً -من باب منع-: طرده وأبعده ودفعه.

والمكر: إيصال مكروه إلى الإنسان من حيث لايشعر.

ودرأت الشيء درءً بالهمزة -من باب نفع-: دفعته.

والكيد: إرادة مضرّة الغير خفية.

والنحر: موضع القلادة من الصدر، وقد يطلق على الصدر، وردّ كيده في نحره كناية عن رجع كيده عليه وصرفه إليه، وإنّما خصّ النحر لأنّه أعظم المقاتل.

وبين يديه أي: قدّامه.

والسدّ بالفتح والضمّ: الجبل والردم والحاجز بين الشيئين، وقيل: المضموم ماكان من خلق الله كالجبل، والمفتوح ماكان من عمل بني آدم، وهو تمثيل لطلب منعه عن وصوله إليه كالمسدود عليه طريقه.

وحتّى: تعليلية، أي: كي تعمي عنّي بصره.

والعمى: عدم البصر عمّا من شأنه يبصر.

والصمّ: آفة مانعة من السماع، وأصله الصلابة واكتناز الأشياء، ومنه الحجر الأصمّ والقناة الصمّاء، سمي به فقدان حاسّة السمع؛ لما أنّ سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه، بحيث لايكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموّجه.

---

(١) سورة يس: الآية ٢٣. (٢) سورة الأنبياء: الآية ١٧.

....

والخرس: البكم، وهو آفة في اللسان تمنع من الكلام. وليس المراد أن يحدث هذه الآفات ببصره وسمعه ولسانه، بل المراد أن يجعله غافلاً عنه، فلا يعمل بصره وسمعه ولسانه في أمره بسوء، حتّى كأنّه أعماه وأصمّه وأخرسه؛ ولذلك قيّده بقوله: «عنّي». وهذا عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه، كما في قول الشاعر:

ويصعد حتّى يظنّ الجهول بأنّ له حاجة في السماء(١)

لا من قبيل الاستعارة التي يطوي فيها ذكر المستعارة له بالكليّة، حتّى لولم يكن هناك قرينة يحمل على المعنى الحقيقي، كما في قوله زهير:

لدي اسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلّم(٢)

وأقفلت الباب إقفالاً: وضعت عليه القفل بالضمّ، وهو الحديد الذي يغلق به الباب، فهو مقفل.

وخطر الشيء في باله وعلى باله خطراً وخطوراً -من بابي قعد وضرب-: مرّ بفكره، وذلك إذا ذكره بعد نسيان، ومنه الخاطر وهو ما يتحرّك في القلب من رأي أو معنى، وأخطره إخطاراً: أمرّه بفكره.

ودون بمعنى: عند، أي: عند إخطاري، ومنه: من قتل دون ماله(٣). أي: عند ماله، أو بمعنى: قدّام، أي: قدّام إخطاري، ومنه: من قتل دون دينه(٤)، أي: قدّامه، بأن قصد كافر أو مبتدع خذلانه في دينه أو توهينه فيه و هو يذبّ عنه كالحامي له. قاله الطيبي في شرح المشكاة(٥).

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ص٤٣٤. والبيت منسوب إلى أبي تمام.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ص٤٣٤. منسوباً إلى زهير.

(٣) و (٤) الجامع الصغير: ج ٢ ص١٧٨.

(٥) لايوجد لدينا كتابه.

....

وقمعته قمعاً ـمن باب منع ـ: ضربته بالمقمعة بكسر الأوّل، وهي خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه ليذلّ ويهان: قاله الفيومي في المصباح(١).

وفي القاموس: المقمعة كمكنسة: العمود من حديد أو كالمحجن يضرب به رأس الفيل، وخشبة يضرب بها الإنسان على رأسه، الجمع مقامع، قمعه كمنعه: ضربه بها وقهره وذلّله(٢)، إنتهى.

وفي المحكم: قمع الرجل يقمعه قمعاً: ضرب أعلى رأسه، والمقمع والمقمعة كلاهما ما قمع به(٣) إنتهى.

والمراد بقمع الرأس هنا: القهر والإذلال والإهانة، أو الردع والكفّ، من قمعه قمعاً: ردعه وكفّه. نصّ عليه في المحكم (٤).

وخصّ الرأس بالذكر لأنّه مجمع الحواس ورئيس الأعضاء.

وذلّ ذلاً ـمن باب ضرب ـ والاسم الذلّ بالضمّ والذلّة بالكسر والمذلة: إذا ضعف وهان، فهو ذليل.

والعزّ والعزّة بكسرهما: الرفعة والامتناع والشدّة والغلبة.

والجبروت بفتح الباء: الكبر والتعاظم والقهر، قيل: هو مصدر على زنة المبالغة؛ لأنّ الواو والتاء تزادان للمبالغة كالرهبوت والملكوت، والمراد بكسره: إضعافه وإذلاله.

والرقبة: العنق، فجعلت كناية عن جميع الذات، وقد مرّ بيانه فيما سبق.

وفسخ ثوبه ـمن باب منع ـ فسخاً: نزعه، والبيع: نقضه.

والكبر: الاسم من التكبّر، وهو العظمة، ومثله الكبرياء.

وآمنه ممّا يخاف بمدّ الهمزة جعله آمناً لايخاف غائلته.

والضرّ بفتح الضاد مصدر ضرّه يضرّه ـمن باب قتل ـ: إذا فعل به مكروهاً.

---

(١) المصباح المنير: ص٧٠٩.

(٢) القاموس المحيط: ج٣ ص٧٤.

(٣) المحكم في اللغة: ج١ ص١٥٢.

(٤) المحكم في اللغة: ج١ ص١٥١.

....

قال ابن القوطية: كلّما كان من سوء حال وفقر وشدّة في بدن فهو ضرّ بالضمّ، وما كان ضدّ النفع فهو بفتحها (١).

والشر: الفساد والظلم.

وغمز بالحاجب والعين غمزاً ـ من باب ضرب ـ: أشار، وغمز فيه طعن، وبالرجل سعى به شرّاً.

وهمزه همزاً ـ من باب ضرب ـ: اغتابه في غيبته.

وفي النهاية: الهمز: الغيبة والوقيعة في الناس وذكر عيوبهم(٢).

ولمزه لمزاً ـ من باب ضرب أيضاً ـ: عابه. وقيل: الهمز: العيب في الغيبة، واللمز: العيب في الوجه، ومنه الحديث: أعوذبك من همز الشيطان ولمزه(٣).

والحبائل: جمع حبالة، وهي الشرك التي يصاد بها.

والمصايد بغير همز: جمع مصيد بكسر الميم وسكون الصاد وفتح الياء، وهي آلة الصيد. وكلاهما استعارة للأُمورالتي يوطئها لإيقاعه بها في المكاره، ومنه: فلان نصب حبائله وبثّ غوائله، ومثله نصب مصائده وبثّ مكائده.

والخيل: الخيّالة، وهم الفرسان، ومنه قوله صلّى الله عليه وآله: يا خيل الله اركبي(٤).

والرجل بفتح الراء وسكون الجيم: اسم جمع للراجل كالصحب والركب للصاحب والراكب، قيل: هما كناية عن أعوانه من كلّ راكب وماش، والأقرب أنّ هذا كلام أُورد مورد التمثيل، فقد يقال للرجل المجدّ في الأمر: جئتنا بخيلك ورجلك، مثّل حاله في جدّه وجهده لإيقاعه به بصاحب جند من خيّالة ورجّالة.

---

(١) كتاب الأفعال الثلاثية والرباعية: ص٩٢.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص٢٧٣.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج٤ ص٢٦٩.

(٤) تفسير الكشاف: ج٢ ص٦٧٧.

....

قال صاحب الكشّاف في قوله تعالى: «واستَفززِ مَن استَطَعتَ مِنهم بِصَوتِك وأجلِب عَليهم بِخَيلِك ورِجلك»: مثّلت حال إبليس في تسلّطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم، فصوّت بهم صوتاً يستفزّهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم، وأجلب عليهم بجنده من خيّالة ورجّالة حتّى استأصلهم (١).

وقوله عليه السّلام: «إنّك عزيز قدير» تعليل لاستدعاء القبول، وتأكيد الجملة لقوّة عرض يقينه بمضمونها، وذكر صفتي «العزّة والقدرة» لإظهار أنّه العزيز، أي: الغالب الذي لايمانعه أحد، والقدير الذي لايعجزه شيء فيدخل في ذلك ماسأله عليه السّلام من صرف من أراده بسوء إلى آخر ماتضمّنه الدعاء دخولاً أوّلياً، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثالثة والعشرين من رياض السالكين، وقد وفق الله سبحانه لإتمامها مع مكابدة المصائب ومقاساة النوائب التي تهدّ الجبال الرواسي وتذيب الصخور القواسي والله المستعان، ضحوة الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة من سنة احدى ومائة وألف، والحمدلله علىٰ كلّ حال.

---

(١) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٦٧٨.

الروضة الرابعة والعشرون

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبَوَيْهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ
وَاخْصُصْهُمْ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَسَلَامِكَ
وَاخْصُصِ اللّٰهُمَّ وَالِدَيَّ بِالْكَرَامَةِ لَدَيْكَ وَالصَّلٰوةِ مِنْكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَلْهِمْنِي عِلْمَ مَا
يَجِبُ لَهُمَا عَلَيَّ إِلْهَامًا وَاجْمَعْ لِي عِلْمَ ذٰلِكَ كُلِّهِ تَمَامًا ثُمَّ اسْتَعْمِلْنِي بِمَا
تُلْهِمُنِي مِنْهُ وَوَفِّقْنِي لِلنُّفُوذِ فِيمَا تُبَصِّرُنِي مِنْ عِلْمِهِ حَتّٰى لَا يَفُوتَنِي
اسْتِعْمَالُ شَيْءٍ عَلَّمْتَنِيهِ وَلَا تَثْقُلَ أَرْكَانِي عَنِ الْحُفُوفِ فِيمَا أَلْهَمْتَنِيهِ
اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا شَرَّفْتَنَا بِهِ وَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا
أَوْجَبْتَ لَنَا الْحَقَّ عَلَى الْخَلْقِ بِسَبَبِهِ اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي أَهَابُهُمَا
هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعَسُوفِ وَأَبَرُّهُمَا بِرَّ الْأُمِّ الرَّؤُوفِ وَاجْعَلْ
طَاعَتِي لِوَالِدَيَّ وَبِرِّي بِهِمَا أَقَرَّ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْوَسْنَانِ وَأَثْلَجَ
لِصَدْرِي مِنْ شَرْبَةِ الظَّمْآنِ حَتّٰى أُوثِرَ عَلٰى هَوَايَ هَوَاهُمَا وَأُقَدِّمَ عَلٰى
رِضَايَ رِضَاهُمَا وَأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُمَا وَإِنْ قَلَّ وَأَسْتَقِلَّ بِرِّي بِهِمَا وَإِنْ
كَثُرَ اَللّٰهُمَّ خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي وَأَطِبْ لَهُمَا كَلَامِي وَأَلِنْ لَهُمَا عَرِيكَتِي

وَاعْطِفْ عَلَيْهِمَا قَلْبِي وَصَيِّرْنِي بِهِمَا رَفِيقاً وَعَلَيْهِمَا شَفِيقاً اَللّٰهُمَّ
اشْكُرْ لَهُمَا تَرْبِيَتِي وَاَثِبْهُمَا عَلٰى تَكْرِمَتِي وَاحْفَظْ لَهُمَا مَا حَفِظَاهُ مِنِّي
فِي صِغَرِي اَللّٰهُمَّ وَمَا مَسَّهُمَا مِنِّي مِنْ اَذًى اَوْ خَلَصَ اِلَيْهِمَا عَنِّي مِنْ
مَكْرُوهٍ اَوْ ضَاعَ قِبَلِي لَهُمَا مِنْ حَقٍّ فَاجْعَلْهُ حِطَّةً لِذُنُوبِهِمَا
وَعُلُوّاً فِي دَرَجَاتِهِمَا وَزِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِمَا يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ
بِاَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ اَللّٰهُمَّ وَمَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ اَوْ اَسْرَفَا
عَلَيَّ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ اَوْ ضَيَّعَاهُ لِي مِنْ حَقٍّ اَوْ قَصَّرَا بِي عَنْهُ مِنْ وَاجِبٍ
فَقَدْ وَهَبْتُهُ لَهُمَا وَجُدْتُ بِهِ عَلَيْهِمَا وَرَغِبْتُ اِلَيْكَ فِي وَضْعِ تَبِعَتِهِ
عَنْهُمَا فَاِنِّي لَا اَتَّهِمُهُمَا عَلٰى نَفْسِي وَلَا اَسْتَبْطِئُهُمَا فِي بِرِّي وَلَا اَكْرَهُ مَا
تَوَلَّيَاهُ مِنْ اَمْرِي يَا رَبِّ فَهُمَا اَوْجَبُ حَقّاً عَلَيَّ وَاَقْدَمُ اِحْسَاناً اِلَيَّ وَ
اَعْظَمُ مِنَّةً لَدَيَّ مِنْ اَنْ اُقَاصَّهُمَا بِعَدْلٍ اَوْ اُجَازِيَهُمَا عَلٰى مِثْلٍ اَيْنَ
اِذاً يَا اِلٰهِي طُولُ شُغْلِهِمَا بِتَرْبِيَتِي وَاَيْنَ شِدَّةُ تَعَبِهِمَا فِي حِرَاسَتِي وَاَيْنَ اِقْتَارُهُمَا
عَلٰى اَنْفُسِهِمَا لِلتَّوْسِعَةِ عَلَيَّ هَيْهَاتَ مَا يَسْتَوْفِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا وَلَا اُدْرِكُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ
لَهُمَا وَلَا اَنَا بِقَاضٍ وَظِيفَةَ خِدْمَتِهِمَا فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاَعِنِّي يَا خَيْرَ مَنِ اسْتُعِينَ
بِهِ وَوَفِّقْنِي يَا اَهْدٰى مَنْ رُغِبَ اِلَيْهِ وَلَا تَجْعَلْنِي فِي اَهْلِ الْعُقُوقِ لِلْآبَاءِ وَالْاُمَّهَاتِ

يَوْمَ تُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَاخْصُصْ اَبَوَيَّ بِاَفْضَلِ ما خَصَصْتَ بِهِ آباءَ عِبادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَاُمَّهاتِهِمْ يا اَرْحَمَ الرّاحِمِينَ اَللّٰهُمَّ لا تُنْسِنِي ذِكْرَهُما فِي اَدْبارِ صَلَواتِي وَفِي اِنًى مِنْ آناءِ لَيْلِي وَفِي كُلِّ ساعَةٍ مِنْ ساعاتِ نَهارِي اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاغْفِرْ لِي بِدُعائِي لَهُما وَاغْفِرْ لَهُما بِبِرِّهِما بِي مَغْفِرَةً حَتْماً وَارْضَ عَنْهُما بِشَفاعَتِي لَهُما رِضىً عَزْماً وَبَلِّغْهُما بِالْكَرامَةِ مَواطِنَ السَّلامَةِ اَللّٰهُمَّ وَاِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لَهُما فَشَفِّعْهُما فِيَّ وَاِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لِي فَشَفِّعْنِي فِيهِما حَتّىٰ نَجْتَمِعَ بِرَأْفَتِكَ فِي دارِ كَرامَتِكَ وَمَحَلِّ مَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ اِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالْمَنِّ الْقَدِيمِ وَاَنْتَ اَرْحَمُ الرّاحِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمدلله الذي وصّىٰ الإنسان بوالديه حسناً، ووعده علىٰ برّهما من لديه المقام الأسنىٰ، والصّلاة والسّلام علىٰ نبيّه أنجب المخلوقين أُمّاً وأباً، وعلىٰ أهل بيته الذين فرض طاعتهم علىٰ كلّ أحد شاء أو أبىٰ.

وبعد فهذه الروضة الرابعة والعشرون من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء الرابع والعشرين من صحيفة سيّد العابدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء العبد الراجي فضل ربّه السني، عليّ صدرالدين الحسيني الحسنيّ غفرالله له ولوالديه، وجعل خير أيّامه يوم الوقوف بين يديه.

---

(١) (ج ـ الف): وبه ثقتي

شرح الدعاء الرابع والعشرين

وكانَ مِن دُعائِـهِ عَليهِ السّلامُ لِإبَويهِ عَلَيهِما السّلامُ.

المراد بالأبوين: الأب والأمّ، وهو من ألفاظ التغليب التي غلّب فيها أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر، بأنّ جعل الآخر موافقاً له في الاسم، ثمّ ثنّي ذلك الاسم وقصد إليهما جميعاً، فتارة يغلّب الاشرف كالأبوين، وتارة الأخفّ كالعمرين، وتارة المذكّر كالقمرين.

وقيل: المعتبر هو الاسم الأخفّ إلّا أن يكون الأثقل مذكّراً كالقمرين، على أنّ هذا النوع مسموع يحفظ ولا يقاس عليه، وقد استوفيت الكلام عليه في شرح الصمدية(١) فليرجع إليه.

واعلم أنّ تعظيم الأبوين أمر معتبر في جميع الشرائع، ومركوز في كلّ العقول، وحسبك أنّ الله سبحانه نصّ على ذلك في غير موضع من كتابه المجيد، وورد في الأخبار النبويّة مايضيق عنه نطاق الحصر. ومن تعظيمهما والإحسان إليهما أن يحبّهما من صميم القلب، ويراعي دقائق الأدب في خدمتهما والشفقة عليهما، ويبذل وسعه في رضاهما، ولايمنع كرائم أمواله عنهما، ويجتهد في تنفيذ وصاياهما، ويذكرهما في صالح دعائه، كما أرشد الله تعالىٰ إلى جميع ذلك في قوله سبحانه: «وقَضىٰ رَبُّكَ ألّا تعبدوا إلّا إيّاهُ وبالوالدين إحساناً إمّا يَبلُغَنَّ عِندكَ الكِبَرَ أحدُهما أو كِلاهُما فلاتقل لهما أُفٍّ ولاتَنهَرْهُما وقُل لَهما قَولاً كريماً * واخفِض لَهما جَناحَ الذُلِّ مِنَ الرّحمةِ

---

(١) الحدائق الندية: ص ٦٢-٦٣.

....

وقُل رَبِّ ارْحَمْهُما كمار بياني صغيراً»(١).

قال أمين الدين الطبرسي: معناه أُدع لهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما وبعد مماتهما جزاء لتربيتهما إيّاك في صباك، وهذا إذا كانا مؤمنين، وفي هذا دلالة علىٰ أنّ دعاء الولد لوالده الميّت مسموع وإلّا لم يكن لأمره به معنى (٢)

و روىٰ أبو أُسيد الأنصاري قال: بينا نحن عند رسول الله صلّى الله عليه وآله، إذ جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من برّوالديّ شيءٍ أبرّهما به بعد موتهما؟ فقال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلّا بهما (٣).

وروىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: مايمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيّين وميّتين، يصلّي عنهما ويتصدّق عنهما ويحجّ عنهما ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك، فيزيده الله عزّوجلّ ببرّه وصلاته خيراً كثيراً (٤).

وعن أبي جعفر عليه السّلام قال: إنّ العبد ليكون برّاً بوالديه في حياتهما، ثمّ يموتان فلا يقضي عنهما دينهما ولايستغفر لهما فيكتبه الله عاقّاً، وانّه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بارٍّ بهما، فإذا ماتاقضىٰ دينهما واستغفرلهما فيكتبه الله عزّوجلّ باراً (٥).

تنبيــه

ظاهر قوله تعالىٰ: «وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهما كَما رَبّياني صَغيراً»: (٦) أنّ الامر للوجوب من غير تكرار، فيكفي في العمر مرّة واحدة ربّ ارحمهما.

---

(١) سورة الأسراء: آية ٢٣، ٢٤.

(٢) و(٣) مجمع البيان: ج ٥-٦، ص ٤١٠.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٥٩، ح ٧.

(٥) اصول الكافي: ج ٢، ص ١٦٣، ح ٢١.

(٦) سورة الاسراء: الآية ٢٤.

....

وسئل سفيان: كم يدعو الإنسان لوالديه، أفي كلّ يوم مرّة أم في كلّ شهر أم في كلّ سنة؟ فقال: نرجو أن يجزيه إذا دعالهما في آخر التشهّدات، كما انّ الله تعالىٰ قال: «يا أيُّها الّذينَ آمَنوا صَلُّوا عليه وسلّموا تسليماً»(١).وكانوا يرون الصلاة عليه في التشهّد، وكما قال الله تعالى: «وَاذْكُرُوااللهَفي أيّامٍ مَعدوداتٍ»(٢)، فهم يكبّرون في أدبار الصلاة (٣).

وقال النظام النيسابوري: ويشبه أن يدعولهما كلّما ذكرهما أوذكرشيئاً من أنعامهما(٤).

ارشاد

قال العلماء: إنّما جعل الله سبحانه الإحسان إلىٰ الوالدين تالياً لعبادته، وشكرهما تالياً لشكره، في قوله تعالى: «ألّا تَعبُدوا إلّا إيّاهُ وبِالوالِدينِ إحساناً»(٥)، وقوله تعالىٰ: «أن اشكُرْ لي وَلِوالِديك» (٦)، لوجوه:

منها: أنّهما سبب وجود الولد كما أنّهم سبب التربية، وغيرالوالدين قد يكون سبب التربية فقط، فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين.

ومنها: أن إنعامهما شبه إنعام الله تعالى؛ من حيث إنّهما لايطلبان بذلك ثناءً ولا ثواباً «إنّما نطعمكم لوجه الله لانُريدُ منكم جزاءً ولاشكوراً»(٧).

ومنها: أنّ المحبّة والمناسبة والميل بين الوالد وولده ذاتيّة حتّى عمّت جميع الحيوان، كما أنّ المناسبة بين الواجب والممكن ذاتيّةلاعرضيّة، وهاهنا أسرارفلتتأمّل.

ومنها: أنّه لاكمال يمكن للولد إلّا يطلبه الوالد لأجله وبرّيده عليه، كما أنّ الله تعالىٰ لاخير يمكن للعبد إلّا بريده عليه؛ ولهذا أرسل الرسل وأنزل الكتب ونصب

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٣.

(٣) تفسير روح المعاني: ج ١٥ ص ٥٧.

(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص ٤٥٠.

(٥) سورة الأسراء: الآية ٢٣.

(٦) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٧) سورة الانسان: الآية ٩.

....

الأدلّة وأزاح العلّة، ومن غاية شفقة الوالدين أنّهما لا يحسدان ولدهما إذا كان خيراً منهما بل يتمنّيان ذلك، بخلاف غيرهما فإنّه لايرضىٰ أن يكون غيره خيراً منه.

إذا عرفت ذلك، فمن عظيم الجهل ماحكي أنّ بعض المتسمّين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول: هوالذي أدخلني في عالم الكون والفساد، وعرضني للفقر والعمىٰ والزمانة(١).

وما روي عن أبي العلاء المعرّي أنّه أمر أن يكتب على قبره هذا الشعر.

هذا ما جناه أبي عليّ   وما جنيت علىٰ أحد(٢)

وقال في ترك التزوّج والولد.

وتركت فيهم نعمة العدم التي   سبقت وصدّت عن نعيم العاجل
ولو أنّهم ولدوا لعانوا شدّة   ترمي بهم في موبقات الآجل (٣)

وقال بعض الحكماء:

قبّح الله لذّة قد تولّت   نالها(٤) الأُمّهات والاباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد   فإيجادنا علينا بلاء (٥)

وهذا كلّه جهل منهم بنعمة الوجود المستتبعة لجميع النعم والمنافع في الدارين.

ويحكىٰ أنّ الاسكندر كان يعظّم أُستاذه أكثر من تعظيمه والده، فقيل له في ذلك، فقال: إنّ الأُستاذ أعظم منه؛ لأنّه تحمّل أنواع الشدائد والمحن عند تعليمي حتّىٰ أوقعني في نور العلم، وأمّا الوالد فإنّه طلب لذّة الوقاع لنفسه فأخرجني إلى آفاق عالم الكون والفساد (٦).

---

(١) و(٢) تفسير روح المعاني: ج ١٥ ص ٦١.
(٣) تفسير روح المعاني: ج ١٥ ص ٦١.
(٤) (الف ـ ج): أدركتها.
(٥) تفسير روح المعاني: ج ١٥ ص ٦١.
(٦) تفسير روح المعاني: ج ١٥ ص ٦١.

أَللّـهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُـحَمَّـدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَهْـلِ بَيْتِـهِ الطاهِرِينَ، وَاخْصُصْهُمْ بِأَفْضَلِ صَلَواتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكاتِكَ وَسَلامِكَ.

قـال العقـلاء: هب أن الوالـد في أوّل الأمر طلب لـذّة الوقاع، إلاّ أنّ اهـتمامه بإيصال الخيرات إلى الـولد ودفـع الآفات عنه، من أوّل دخـول الولـد في الوجود إلى أوان كبره بل إلى آخر عمره، لاينكر ولا يكفر(١)، والله أعلم *.

قال امام المتّقين وسيّدالعـابديـن صلوات الله وسلامه عـليه وعلى آبائه وأبـنائه الطاهرين(٢):

بدأ عليه السّلام بالدعاء للنبيّ صلّى الله عليه وآله لوجوه:

أحدها: مامرّغيرمرّة من أنّه أعظم أسباب إجابة الدعاء.

الثاني: كونه أشرف آبائه عليهم السّلام من جهة النسب الحقيقي.

الثالث: كونـه صلّى الله عليه وآله أباً معنوياً لأُمّته، فيجب الدعاء له على كلّ أحد من أُمّته من هذه الجهة.

قـال المفسّرون في قوله تعـالـىٰ: «مـا كانَ مُحَمَّدٌ أبا أحـدٍ مِـن رِجـالِكم ولٰكِن رَسـول اللهِ وخاتَمَ النَّـبيِّين»(٣) معـنـىٰ هذا الاستـدراك هوإثبـات الأُبـوّة من هذه الجهة؛ لأنّ النبيّ كالأب لأُمّـته من حيث الشفقة والنصيحة ورعاية حقوق التعظّم معه، وأكّد هذا المعنى بقوله «وخاتم الـنّبيين»؛ لأنّ النبـيّ صلّى الله عليه وآله إذا علم أنّ بعده نبيّاً آخر فقد يترك بعض البيان والإرشاد، بخلاف ما إذا علم أنّ ختم النبوّة عليه(٤).

وفي الحديث عنه عليه السّلام: يا عليّ أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة(٥).

الرابع: مـا ثبت عنـد أرباب التحقيق والـعرفان من أنّه صلّى الله عـليه وآله أبو

---

(١) تفسيرروح المعاني: ج ١٥ ص ٦١.

(٢) أي: ابتداء الدعاء كما في صدرالصفحة.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

(٤) التفسير الكبير للفخرالرازي: ج ٢٥ ص ٢١٤

(٥) المناقب لابن شهرآشوب: ج ٣، ص ١٠٥.

....

الأرواح، كما أنّ آدم عليه السّلام أبو الأجساد.

قال بعض العارفين من أصحابنا المتأخّرين: أعلم أنّ الأرواح كلّها مخلوقة من روح واحدة هي روح النبيّ صلّى الله عليه وآله فروحه أصل الأرواح، فكما كان آدم أبا البشر وخليفة الله في الأرض، كان النبيّ صلّى الله عليه وآله أبا الأرواح وخليفة الله في عالم الأرواح، فالروح خليفة الله ومجتمع صفاته الذاتيّة، كالعلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والبقاء، والجسد خليفة الروح، وهو مجتمع صفاته الفعليّة، وذلك أنّ الله تعالىٰ لمّا خلق روح النبيّ صلّى الله عليه وآله، كان الله ولم يكن معه شيء آخر حتّى ينسب أو يضاف إليه الروح غير الله، بل كان روحه أوّل شيء تعلّقت به القدرة الأزليّة؛ ولذلك شرّفه بتشريف الإضافة إلىٰ نفسه فسمّاه روحي، كما سمّىٰ أوّل بيت وضع للناس وشرّفه بالإضافة إلى نفسه فقال: بيتي، ثمّ حين أراد أن يخلق آدم سوّاه ونفخ فيه من روحه، أي: من الروح المضاف إلى نفسه، وهو روح النبيّ صلّى الله عليه وآله، كما قال «فإذا سَوَّيتُه ونَفَخْتُ فيه مِن رُوحِي»(١)، ولم يقل: نفخت فيه روحي بدون «من»؛ ليكون فيه دلالة علىٰ أنّ الروح المنفوخ في آدم هو بعينه روح النبيّ صلّى الله عليه وآله، بل كان روح آدم متولّداً منه، فالنبيّ صلّى الله عليه وآله الأب الروحاني لأب البشر وسائر الأنبياء، وأبو البشر الأب الجسماني للنبيّ صلّى الله عليه آله وسائر البشر، كما قيل:

وإنّي وإن كنت ابن آدم صورةً ... فلي فيه معنى شاهدٌ بأُبوّتي

وكذلك أرواح أولاد آدم مخلوقة من روح النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لقوله تعالى: «ثمّ جَعلَ نَسلَهُ مِن سُلالةٍ من ماءٍ مهين * ثم سواهُ ونفخَ فيه روحه»(٢)، وكذلك قال في حقّ روح عيسى عليه السلام: «فنفَخنا فيهِ من روحِنا»(٣)، فكانت النفخة لجبرئيل والروح

---

(١) سورة الحجر: الآية ٢٩. (٢) سورة السجدة: الآية ٨ و٩. (٣) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

....

من روح النبيّ صلّى الله عليه وآله المضاف إلى الحضرة الإلهيّة، ولأجل كون حقيقة الروح على هذه المنزلة والشرف، قصرت أفهام الناس وتلاشت العقول من دركها، كما تتلاشى أنوار الأبصار في شعاع الشمس؛ ولهذا قال تعالى «وما أُوتيتُم مِن العِلْمِ إلّا قَليلاً»(١)،فافهم هذاالمقال فإنّه مدرك عزيز المنال(٢)، إنتهى كلامه.

قوله عليه السّلام: «واخصصهم بأفضل صلواتك» من خصّه بكذا خصوصاً -من باب قعد-: إذا جعله له دون غيره، كاختصّه به اختصاصاً، وخصّصه به بالتثقيل: للمبالغة.

قال كثير من العلماء: الأصل في لفظ الخصوص ومايتفرّع منه أن يستعمل بإدخال الباء على المقصور عليه، فيقال: خصّ المال بزيد أي: جعل المال له دون غيره، هذا هو الاستعمال العربي الذي يسبق إلى فهمهم، لكن شاع في العرف إدخال الباء على المقصور، كما وقع في عبارة الدعاء، وذلك، إمّا بناءً على جعل الخصوص مجازاً عن التميز مشهوراً في العرف، أو على تضمينه معنى التميز والافراد فيلاحظ المعنيان معاً، وحاصله يرجع إلى ملاحظة معنى التميز؛ لأنّ خصوص شيء بشيء في قوّة تميز الآخر به، وأبى بعضهم إلّا هذا الاستعمال وشدّد النكير على من خالفه.

والصلاة من الله تعالى: الرحمة، وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوّعها، والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة، كما في قوله تعالى: «رأفةً ورحمةً»(٣)، و«رَؤوفٌ رَحيمٌ»(٤).

وبركاته تعالى: خيراته النامية المتكاثرة.

والسلام: اسم من سلّم عليه تسليماً، وبمعنى السلامة من المكاره، فقوله عليه

(١) سورة الاسراء: الآية ٨٥.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٤) سورة التوبة: الآية ١١٧.

وَاخْصُصِ اللّهُمَّ والِدَيَّ بِالـكَـرامَةِ لَدَيْكَ، وَالصَّلاةِ مِنْـكَ يـا أَرْحَمَ الراحِمينَ.

أَللّـهُـمَّ صَلِّ عَلىٰ مُـحَـمَّـدٍ وَآلِهِ، وَأَلْهِمْني عِلْـمَ مـايَـجِبُ لَهُما عَلَيَّ إِلْهاماً، واجْمَـعْ لي عِلْمَ ذَلِكَ كُلِّـهِ تَـماماً، ثُمَّ اسْتَعْمِلْني بِما تُلْهِمُني مِنْهُ، وَوَفِـقْني لِـلنُفُوذِ فيما تُبَصِّـرُني مِـنْ عِلْمِهِ، حَتّىٰ لايَـفُـوتَني اسْتِعْمالُ شَيءٍ عَلَّمْتَنيهِ، وَلا تَثْقُلَ أَرْكاني عَنِ الحَفُوفِ فيما أَلْهَمْتَنيهِ.

السّلام: «وسلامك» إمّا بمعنىٰ تحيّتك أي: تسليمك عليه، أو بمعنىٰ سلامتك، والإضافة للفاعل*.

أي: ميّزهما وفضّلهما، وتوسيط النداء بين الفعل ومفعوله لإبراز مزيد الضراعة.

والكرامة: من الإكرام.

قال الجوهري: التكريم والإكرام بمعنىٰ، والاسم منه الكرامة(١).

ولديك ومنك: متعلّقان بمحذوفين حالين من الكرامة والصلاة، اي: بالكرامة كائنة لديك والصلاة كائنة منك.

والغرض كمال علوّ مرتبة الكرامة والصلاة المطلوبتين لهما وتكرير النداء للتضرّع، وإظهار الخشوع، والإلحاح في الدعاء، والمبالغة في الاستدعاء.

ولذلك ناداه أوّلاً: بوصف الأُلوهيّة الجامعة لجميع الكمالات.

وثانياً: بوصف الرحمة الفائقة على كلّ رحمة *.

ألهمه الله خيراً: لقنّه إيّاه وألقاه في روعه.

وقال ابن الأثير: الإلهام أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخصّ الله به من يشاء من عباده (٢).

---

(١) الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٢١.

(٢) النهاية: لابن الأثير ج ٤، ص ٢٨٢.

....

وقوله عليه السلام «إلهاماً» مصدر مؤكّدلعامله، أي: إلهاماً تامّاً، والتمام: نقيض النقصان، قيل: هو مصدر.

قال في القاموسّ: تمّ يتمّ تمّاً وتماماً مثلّثتين (١).

وقيل: اسم من أتممت الشيء.

قال الفيومي: يقال: أتممته، والاسم التمام بالفتح (٢).

فهو إمّا مصدر مؤكّد لمحذوف هو حال من العلم، أي: يتمّ تماماً، أو اسم أنيب مناب المصدر مؤكّد لاجمع على غير لفظه، كأنّه قيل: وأتمّ لي علم ذلك كلّه تماماً نحو اغتسل غسلاً، والأصل اتماماً واغتسالاً، او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحاليّة أي: متمّماً، أو مفعول له أي: لأجل التمام.

وثمّ: للترتيب؛ لأن العمل بعد العلم.

واستعملني: أي اجعلني عاملاً.

و«من» في قوله عليه السّلام «منه» للتبيين، ومثلها قوله: «من علمه».

ومفعول تلهمني وتبصرّني محذوف، أي: تلهمنيه وتبصّرني به، وحذفه في ذلك مطرّد بكثرة كما مرّ مراراً.

والنفوذ في الأمر: المضيّ فيه.

وبصّرته بالأمر تبصيراً فبصر به: إذا أعلمته إيّاه فعلمه، وهو من البصيرة، وأمّا بصّرته الشيء فأبصره فهو بمعنىٰ أريته إيّاه فرآه، فهو من البصر.

وحتّىٰ: بمعنىٰ كي التعليليّة، أي: كيلا يفوتني استعمال شيء والاستعمال هنا: بمعنىٰ العمل بالشيء يقال: استعمله إذا جعله عاملاً، واستعمله إذا عمل به.

وجملة علّمتنيه: في محلّ جرّ صفة لشيء.

---

(١) القاموس المحيط: ج ٤، ص ٨٣.

(٢) المصباح المنير: ص ١٠٦.

....

والأركان: جمع ركن بالضمّ وهو جانب الشيء والمراد بها هنا الجوارح.

قال ابن الأثير في النهاية في حديث الحساب: ويقال لأركانه: انطقي أي: جوارحه، وأركان كلّ شيءٍ: جوانبه التي يستند إليها ويقوم بها(١)، إنتهى.

وثقل الأركان عبارة عن فتور الجوارح وعدم نهوضها للعمل.

وفي القاموس: تثاقل عنه: ثقل وتباطأ(٢).

والحفوف: يروى بالحاء المهملة، فيكون بمعنى الخدمة.

قال في الكنز: الحفوف «خدمت كردن»(٣).

وبه فسّر بعضهم المثل: من حفّنا أو رفّنا فليقتصد(٤).

قال الميداني في مجمع الأمثال: يقال: من حفّنا أي: من خدمنا وتعطّف علينا، ورفّنا أي: حاطنا، ويقال: مالفلان حافّ ولا رافّ، وذهب من كان يحفّه ويرفّه، أي: يخدمه ويحوطه(٥)، إنتهى.

ويروى بالخاء المعجمة بمعنى الخفّة، ومنه حديث: قد حان منّي خفوف، أي: عجلة وسرعة مسير(٦).

وفي رواية بقافين بعد الحاء المهملة جمع حقّ.

ولمّا كانت حقوق الوالدين ومايجب لهما على الولد حيّين وميّتين أكثر من أن يحيط بها علم الإنسان، كان مدار هذا الفصل من الدعاء سؤاله عليه السّلام أن يلهمه سبحانه ويعلّمه جميع ذلك، ثمّ يوفّقه للقيام به.

روى ثقة الإسلام في الكافي بسند صحيح عن أبي ولّاد الحنّاط، قال: سألت أبا عبدالله عليه السّلام عن قول الله عزّ وجلّ: «وبالوالدين إحساناً» ما هذا

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢، ص ٢٦٠

(٢) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٤٣.

(٣) كنز اللغات: ج ١ ص ٥٢٢.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٠٩.

(٥) مجمع الامثال: ج ٢ ص ٣١٠.

(٦) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٥٥. وفيه: «قد كان منّي»

....

الإحسان؟ فقال: الإحسان أن تحسن صحبتهما، وأن لا تكلّفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين، أليس يقول الله عزّوجلّ: «لن تنالوا البرّ حتّىٰ تنفقوا ممّا تحبّون»؟ قال: ثمّ قال أبوعبدالله عليه السّلام: وأمّا قول الله عزّوجلّ: «إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفّ ولا تنهرهما»، قال: إن أضجراك فلا تقل لهما أُفّ، ولا تنهرهما إن ضرباك ، قال: «وقل لهما قولاً كريماً»، قال: إن ضرباك فقل لهما: غفرالله لكما، فذلك منك قولٌ كريم، قال: «واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة»، قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلّا برحمة ورقّة، ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا يدك فوق أيديهما، ولا تقدّم قدّامهما (١).

وعن معاذبن جبل قال: بلغنا أنّ الله تعالىٰ كلّم موسى عليه السّلام ثلاثة آلاف وخمسمائة مرّة، وكان آخر كلامه. يا ربّ أوصني، قال: أُوصيك بأُمّك حتّىٰ قال سبع مرّات، ثمّ قال: يا موسىٰ ألا إنّ رضاها رضاي وسخطها سخطي (٢).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: أتىٰ رجل رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله إنّي راغب في الجهاد نشيط، قال: فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: فجاهد في سبيل الله، فإنّك إن تقتل تكن حيّاً عندالله ترزق، وإن تمت فقد وقع أجرك على الله وإن رجعت رجعت من الذنوب كما ولدت، قال: يا رسول الله إنّ لي والدين كبيرين يزعمان أنّهما يأنسان بي ويكرهان خروجي، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: فقر مع والديك، فوالذي نفسي بيده لأُنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة (٣).

وقد دلّت هذه الأخبار علىٰ أنّ أكثر حقوق الوالدين وبرّهما كما يجب، ممّا

---

(١) الكافي: ج ٢ ص١٥٧، ح ١.

(٢) كتاب المخلاة: ص٦.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ١٦٠، ح ١٠.

....

لا يعلمه إلّا الله أو من علمه الله، والله أعلم.

تبصرة

قال شيخنا الشهيد محمّدبن مكّي في قواعد الأُصول: لاريب أنّ كلّ مايحرم أو يجب للأجانب يحرم أو يجب للأبوين، وينفردان بأُمور:

الأوّل: تحريم السفر المباح بغير إذنهما، وكذا السفر المندوب.

وقيل: يجوز سفر التجارة وطلب العلم، إذا لم يمكن استيفاء التجارة والعلم في بلدهما.

الثاني: قال بعضهم: يجب طاعتهما في فعل وإن كان شبهة، فلو أمراه بالأكل معهما من مال يعتقده شبهة أكل؛ لأنّ طاعتهما واجبة وترك الشبهة مستحبّة.

الثالث: لودعواه إلى فعل وقد حضرت الصلاة، فليؤخّر الصلاة وليطعهما؛ لما قلناه.

الرابع: هل لهما منعه من الصلاة جماعة؟ الأقرب أنّه ليس لهما منعه مطلقاً، بل في بعض الأحيان بما يشقّ عليهما مخالفته، كالسعي في ظلمة الليل إلىٰ العشاء والصبح.

الخامس: لهما منعه من الجهاد مع عدم التعيين؛ لما صحّ أنّ رجلاً قال: يا رسول الله أُبايعك علىٰ الهجرة والجهاد، فقال: هل من والديك أحد؟ قال: نعم كلاهما، قال: أفتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم، قال: فارجع إلىٰ والديك فأحسن صحبتهما.

السادس: الأقرب أنّ لهما منعه من فرض الكفاية إذا علم قيام الغير أو ظنّ؛ لأنّه يكون حينئذٍ كالجهاد الممنوع منه.

السابع: قال بعض العلماء: لودعَواه في صلاة نافلة قطعها؛ لما صحّ عن رسول الله

....

صلّى الله عليه وآله: أنّ امرأة نادت ابنها وهو في صومعة، قالت: ياجريح، فقال: اللّهم أُمّي وصلاتي، وقالت: ياجريح، فقال: اللّهم أُمّي وصلاتي، فقالت: لا تموت حتّىٰ تنظر في وجوه الموسات(١).

وفي بعض الروايات أنّه صلّى الله عليه وآله قال: لوكان جريح فقيهاً لعلم أنّ إجابة أُمّه أفضل من صلاته.

وهذا الحديث يدلّ على قطع النافلة لأجلها، ويدلّ بطريق الأولىٰ على تحريم السفر؛ لأنّ غيبة الوجه فيه أعظم، وهي كانت تريد منه النظر إليها والإقبال عليها.

الثامن: كفّ الأذىٰ عنها وإن كان قليلاً، بحيث لا يوصله الولد إليها ويمنع غيره من إيصاله بحسب طاقته.

التاسع: ترك الصوم ندبا إلّا بإذن الأب، ولم أقف على نصّ في الأُمّ.

العاشر: ترك اليمين والعهد إلّا بإذنه أيضاً، مالم يكن في فعل واجب أو ترك محرّم. ولم نقف في النذر علىٰ نصّ خاصّ، إلّا أن يقال: هو يمين يدخل في النهي عن اليمين إلّا بإذنه.

تتمّة

برّ الوالدين لا يتوقّف علىٰ الإسلام؛ لقوله تعالىٰ: «ووَصّيْنا الإنسانَ بِوالِدَيه حُسْناً»(٢)، «وإنْ جاهَداكَ علىٰ أنْ تُشرِكَ بي ماليسَ لَكَ به عِلمٌ فلا تُطِعهُما وصاحِبْهُما في الدُنيا مَعروفاً»(٣) وهو نصّ، وفيه دلالة علىٰ مخالفتها في الأمر بالمعصية.

---

(١) هكذا في الأصل، والمومسة: الفاجرة،جمهرة اللغة: ج٣ ص٢٥٨. ولكن في (ج) و(الف) والقواعد: المؤمنات.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٨. (٣) سورة لقمان: الآية ١٥.

أَللّـٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَما شَرَّفْتَنابِهِ، وَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَما أَوْجَبْتَ لَنا الحَقَّ عَلىٰ الخَلْقِ بِسَبَبِهِ.

وهو كقوله عليه السّلام: لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق(١) *.

الكاف في الموضعين: للتعليل عند المثبتين له.

وما: مصدريّة، أي: لتشريفك إيّانا به ولإيجابك لنا الحقّ على الخلق بسببه، ومنه عندهم قوله تعالىٰ: «واذْكُروهُ كما هَدىٰكُم»(٢) أي: لهدايته إيّاكم.

ونفىٰ الأكثرون ورود الكاف للتعليل، وقالوا: هي في ذلك ونحوه للتشبيه.

وما: إمّا مصدريّة، فالكاف ومجرورها في محلّ نصب نعت لمصدر محذوف، والتقدير في قوله: «كما شرّفتنابه»: صلّ علىٰ محمّد وآله صلاةً مماثلةً لتشريفك إيّانا به، أي: تكون جزاء لتشريفك إيّانا به، وقس عليه ما بعده ونحوه.

وإمّا كافّة لامحلّ لها من الإعراب؛ لأنّ الكاف حينئذٍ ليست بجارّة، بل لمجرّد تشبيه مضمون الجملة بالجملة؛ ولذا لاتطلب فعلاً عاملاً يفضي معناه إلىٰ مدخولها. نصّ عليه الرضي (٣).

قال ابن هشام في المغني: وفيه إخراج الكاف عمّا يثبت لها من عمل الجرّ من غير مقتض وهو في محلّه (٤).

وقد تقدّم الكلام علىٰ هذه الكاف بأبسط من هذا في الروضة الثانية، عند قوله عليه السّلام: «كما نصب لأمرك نفسه»(٥)،فليرجع إليه.

واعلم أنّ الضمير في قوله عليه السّلام: «كما شرّفتنابه» «وأوجبت لنا الحق علىٰ

(١) إلى هنا كان كلام الشهيد قدس سرّه، راجع القواعد والفوائد: ج ٢ ص٤٦- ٤٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٨.

(٣) شرح الكافية في النحو: ج ٢، ص٣٤٨.

(٤) مغني اللبيب: ج ١، ص١٧٧.

....

الخلق بسببه» إمّا أن يكون المراد به مطلق المسلمين، فتشريفهم به مانالوه به من شرف الإسلام وشرف الذكر، إلىٰ غير ذلك، وإيجابه لهم الحقّ علىٰ الخلق بسببه ما أوجبه تعالىٰ من حقوق المسلمين بعضهم علىٰ بعض.

روىٰ رئيس المحدّثين في الفقيه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: للمؤمن علىٰ المؤمن سبع حقوق واجبة من الله تعالىٰ عليه: الإجلال في عينه، والودّله في صدره، والمواساة له في ماله، وأن يحرّم غيبته، وأن يعوده في مرضه، وأن يشيّع جنازته، وأن لايقول فيه بعد موته إلّا خيراً (١).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: ما أعظم حقّ المسلم علىٰ أخيه المسلم(٢).

وسئل عليه السّلام عن حقّ المسلم على المسلم، فقال له: سبع حقوق واجبات ما منهنّ حقّ إلّا وهو عليه واجب، إن ضيّع منها حقّاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه نصيب، ثمّ شرحها عليه السّلام، والحديث مذكور في الكافي (٣).

وفي رواية أُخرىٰ أنّه سئل عن ذلك، فقال: سبعون حقّاً(٤).

والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة.

وإمّا أن يكون المراد به خصوص الأئمّة عليهم السّلام، فتشريفهم به وإيجابه لهم الحقّ على الخلق بسببه ظاهر؛ فإنّ جميع الحقوق التي أوجبها الله سبحانه لرسوله علىٰ خلقه أوجبها لهم عليهم السّلام، وكفىٰ شاهداً على ذلك قوله تعالىٰ: «أطيعُوا الله وأطيعُوا الرّسُول وأُولي الأمرِ مِنكم» (٥). وتخصيص بعض المترجمين الحقّ في الدعاء بمضمون آية القربىٰ من ضيق العطن، والله أعلم.

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج ٤ ص٣٩٨، ح ٥٨٥٠.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٧٠، ح ٥.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٦٩، ح ٢.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ١٧٤، ح ١٤.

(٥) سورة محمّد: الآية ٣٣.

أللّهُمَّ اجْعَلني أهابُهُما هَيْبَةَ السُلطانِ العَسُوفِ، وَأبَرُّهُما بِرَّ الأُمِّ الرَؤوفِ، وَاجْعَلْ طاعَتي لِوالِدَيَّ وَبِرّي بِهِما أقرَّ لِعَيْني مِنْ رَقْدَةِ الوَسْنانِ، وَأثْلَجَ لِصَدْري مِنْ شَرْبَةِ الظَمْآنِ، حَتّىٰ أُوثِرَ عَلىٰ هُوايَ هُواهُما، وَأُقَدِّمَ عَلىٰ رِضايَ رِضاهُما، وَأسْتَكْثِرَ بِرَّهُما بي وَإنْ قَلَّ، وَأسْتَقِلَّ بِرّي بِهِما وَإنْ كَثُرَ.

هابه يهابه -من باب تعب- هيبةً: حذره.

وقال ابن فارس: الهيبة: الإجلال(١)، فالفاعل هائب والمفعول مهيوب ومهيب أيضاً، وهيبه -من باب ضرب- لغة، وتهيّبته: خفته، وتهيّبني أفزعني(٢).

وفي النهاية: يقال: هاب الشيء يهابه إذا خافه وإذا عظّمه ووقّره(٣).

والعسوف: الظلوم.

قال ابن الأثير في النهاية: لاتبلغ شفاعتي إماماً عسوفاً، أي: جائراً ظلوماً، والعسف في الأصل أن يأخذ المسافر علىٰ غير طريق ولا جادّة ولا علم.

وقيل: هو ركوب الأمر من غير رويّة، فنقل إلىٰ الظلم والجور(٤)، إنتهىٰ.

قال الفيومي في المصباح: عسفه عسفاً -من باب ضرب-: أخذه بقوّة والفاعل عسوف(٥).

والإضافة في هيبة السلطان من إضافة المصدر إلىٰ المفعول؛ إذ المصدر هنا من المبني للمفعول، أي: كما يهاب السلطان العسوف، وإنّما استغنىٰ عن ذكر من يهابه لأنّه ظاهر غير ملتبس.

ويجوز أن يكون من المبني للفاعل مضافاً إلىٰ المفعول في اللفظ، وهو في التقدير

---

(١) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: ج٦ ص٢٢.

(٢) المصباح المنير: ص٨٨٧ نقلاً عن ابن فارس.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص٢٨٥-٢٨٦.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج٣، ص٢٣٧.

(٥) المصباح المنير: ص٥٦٠.

....

مضاف إلى الفاعل، وتقديره: هيبة الرعيّة السلطان العسوف، كقوله تعالى: «يُحِبّونَهم كَحُبِّ اللهِ»(١) أي: كما يحبّ الله أو كحبّ المؤمنين الله، هذا.

ومقتضى الظاهر أن يقال: هيبة الرعيّة للسلطان العسوف؛ لأنّ المشبّه هو المصدر المبني للفاعل، أعني هائبيته، لا من المبني للمفعول أعني مهيبته والديه حتّى تشبّه بمهيبيّة السلطان، فلعلّه أراد التشبيه فيها ولكنّه أوجز النظم، فذكر في جانب المشبّه الهابيته، وفي جانب المشبّه به المهيبيّة، واكتفى بما ذكر في كلّ موضع عمّا ترك في الموضع الآخر، وهذا الأُسلوب يسمّى الاحتباك (٢) في علم البديع، وقد بسطت القول فيه في شرح بد يعيّتي، المسمّى بأنوار الربيع في أنواع البديع(٣)، فليرجع إليه.

وبرّ الوالدين: إحسان الطاعة إليها، والرفق بها، وتحرّي محابّهما، وتوقّي مكارهما.

يقال: بررت والدي أبرّه -من باب علم- برّاً وبروراً.

والرؤوف: فعول من الرأفة وهي أشدّ الرحمة، وهو مشترك الوزن بين المذكّر والمؤنّث.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٥.

(٢) هو أن يحذف ما أثبت مقابله في الثاني، وفي الثاني ما أثبت مقابله في الأوّل، وبعبارة أُخرى: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كلّ واحد مقابله لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى: «ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق» الآية، التقدير: ومثل الأنبياء والكفّار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به، فحذف من الأوّل الأنبياء لدلالة الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه، وله في القرآن نظائر، وهو أبلغ مايكون من الكلام وبانه في عبارة ان التقدير واجعلني أهابهما هيبة كهيبة الرعيّة للسلطان العسوف، واجعل هيبتها عندي هيبة السلطان العسوف، فحذف من الأوّل كهيبة الرعيّة لدلالة قوله: هيئة السلطان العسوف عليه، ومن الثاني واجعل هيبتها عندي لدلالة أهابهما عليه.

(٣) أنوار الربيع في أنواع البديع للمصنّف.

....

قال في البارع : إذا كان فعول بمعنىٰ فاعل استوىٰ فيه المذكّر والمؤنث، فلا يؤنّث بالهاء سوى عدوّ فيقال: عدوّة (١).

وكلّ من هيبة السلطان وبرّ الأُمّ مفعول مطلق مبيّن للنوع، إلّا أنّه في الأوّل مضاف إلىٰ المفعول كما عرفت، وفي الثاني مضاف إلىٰ الفاعل، أي: برّ الأُمّ الرؤوف لولدها.

والطاعة: اسم من أطاعه اطاعة، أي: انقاد له.

واللام في قوله: «لوالديّ»: للتقوية، نحو: كلامي لزيد حسن، وإنّما قال: لوالديّ ولم يقل: لهما، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ للإيذان بفخامة مضمون الجملة وإظهار مزيد البرّ بهما، وتعدية البرّ بالباء لتضمينه معنىٰ الرفق، وإلّا فهو متعدّ بنفسه كما علمت.

وقرّت العين ـ من بابي ضرب وتعب ـ قرّةً بالضمّ وقروراً: بردت سروراً، من القرّ بالضمّ وهو البرد، فهو كناية عن السرور.

وقيل: أي سكنت ببلوغ منيتها من القرار، فهو كناية عن الفوز بالمراد.

ويرجّح الأوّل قولهم: سخنت عينه، في نقيض قرّت عينه.

قال المفضّل: في قرّة العين ثلاثة أقوال:

أحدها: برد دمعها؛ لأنّه دليل السرور والضحك، كما أنّ حرّه دليل الغمّ والحزن.

والثاني: نومها؛ لأنّه يكون مع فراغ الخاطر وذهاب الحزن.

الثالث: حصول الرضا فلا تطمح لشيء آخر(٢).

وقد تقدّم الكلام علىٰ ذلك مبسوطاً في الروضة الأُولىٰ، عند قوله عليه السّلام:

---

(١) المصباح المنير: ص ٥٤٤ نقلاً عن البارع.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢٤ ص ١١٥.

....

«حمداً تقرّ به عيوننا إذا برقت الأبصار»، فليرجع إليه.

والرقدة: فعلة من الرقود وهو النوم، ليلاً كان أو نهاراً، وبعضهم يخصّه بنوم الليل، والأوّل هو الحقّ، ويشهد له المطابقة في قوله تعالىٰ: «وتَحسَبُهم أيقاظاً وهُم رُقود»(١).

قال المفسّرون: «إذا رأيتهم حسبتهم أيقاظاً» لأنّ أعينهم مفتّحة وهم نيام (٢).

ورجل وسنان وامرأة وسنىٰ أي: بهما سنة وهي النعاس. وفاؤها محذوفة، والأصل وسن بالتحريك، حذفت الفاء وعوّض عنها الهاء(٣).

وإنّما خصّ رقدة الوسنان، لأنّ من ملكته السنة لايكون أقرّ لعينه ولا أهمّ إليه من النوم.

وثلوج الصدر، برده وبلّ غلّته.

يقال: ثلج صدره ثلوجاً وثلجاً محرّكاً -من باب قعد وتعب- وهو مأخوذ من الثلج، وهو صغائر القطر التي تجمد في حال الغيم ويلتزق بعضها ببعض وتنزل بالرفق.

قال الزمخشري في الأساس: ثلجت نفسه بكذا: بردت وسُرّت، وأثلجت صدري بخيرك ، قال الشاعر:

فقرّت بهم عيني وأفنيت جمعهم وأثلجت لما أن قتلتهم صدري(٤)

إنتهىٰ.

وقال صاحب كتاب المجتبىٰ: ثلج صدرك أي: سررت، فجعل كناية عن

(١) سورة الكهف: الآية ١٨.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢١ ص ١٠١، وتفسير القرطبي: ج ١٠ ص ٣٩٩.

(٣) (ج): الثاء.

(٤) أساس البلاغة للزمخشري: ص ٧٥، وفيه: «بخبرك».

....

السرور، وأصله ماذكرناه(١).

والشربة: المرّة الواحدة من الشرب، ومن الماء: مايشرب مرّة.

قال الفارابي في ديوان الأدب: يقال: هل عندك شربة ماء أي: مايشرب منه مرّة (٢).

والظمآن: العطشان، ظمى ظمأً مهموز مثل عطش عطشاً وزناً ومعنىً، وهي ظمأىٰ مثل عطشان وعطشىٰ.

وقيل: الظمأ: أشدّ العطش، وهو الأنسب هنا.

وفي أقرّ وأثلج من عبارة الدعاء شاهد علىٰ جواز بناء اسم التفضيل من أفعل مع كونه ذا زيادة، وهو قياس عند سيبويه.

قال الرضي وغيره: ويؤيّده كثرة السماع، كقولهم: هو أعطاهم للمال، وأولاهم للمعروف، وأكرمهم للضيف.

وآثرت هذا علىٰ ذاك بالمدّ إيثاراً: فضّلته ورجّحته.

والهوىٰ: إرادة النفس، ويكون في الخير والشرّ، كما نصّ عليه المحقّقون من أئمّة اللغة، خلافاً لمن خصّه بالشر(٣).

وتقديم كلّ من المجرورين علىٰ المفعول الصريح في الفقرتين؛ لإظهار الرغبة في المؤخّر بتقديم أحواله؛ فإنّ تأخير ماحقّه التقديم عمّا هو من أحواله المرغبة فيه، كما يورث شوق السامع إلى وروده، ينبئ عن كمال رغبة المتكلّم فيه واعتنائه بحصوله لامحالة.

واستكثرت الشيء: عددته كثيراً، ونقيضه أستقللته أي: عددته قليلاً.

---

(١) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٢) ديوان الأدب: ج ١ ص ١٣٤.

(٣) المصباح المنير: ص ٨٨٥.

أَللّهُمَّ خَفِّضْ لَهُما صَوْتي، وَأَطِبْ لَهُما كَلامي، وَأَلِنْ لَهُما عَريكَتي، وَاعْطِفْ عَلَيْهِما قَلْبي، وَصَيِّرْني بِهِما رَفيقاً، وَعَلَيْهِما شَفيقاً.

و«إنْ» من قوله: «وإن قلّ وإن كثر»: وصليّتان، وقد استوفينا عليها الكلام في الرياض السابقة، والله أعلم.

والغرض من استكثار برّهما به وإن قلّ، واستقلال برّه بهما وإن كثر، استعظام برّهما به؛ ليزداد رغبته في محبّتهما وطاعتهما، ولايقصّر في شكرهما والقيام بحقوقهما، وليجهد نفسه في مزيد برّه بهما إذا رآه قليلاً، فلا يكتفي ويقتصر علىٰ ما كان من برّه بهما وإن كان في نفسه كثيراً والله أعلم *.

خفض الرجل صوته خفضاً ـ من باب ضرب ـ: غضّه ولم يجهر به، وخفّضه تخفيضاً بالتثقيل: للمبالغة. أي: وفّقني لرعاية الأدب معهما حتّىٰ إذا خاطبتهما خفضت صوتي لهما، كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظّم، وحفظاً على مراعاة أُبّهة الأُبوّة وجلالة مقدارها؛ فإنّ رفع الصوت والجهر به عند الخطاب خارج عن قانون الأدب، منبئ عن عدم التوقير والإجلال، ولا سيّما في حق الوالدين.

وعن الصادق عليه السّلام في قوله تعالى: «وأخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة»، قال: لا تملأ عينك من النظر إليهما إلّا برحمة ورأفة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولايدك فوق أيديهما، ولا تقدّم قدّامهما (١).

وأطاب الشيء طيبةً أي: جعله طيّباً، والطيّب: الحسن الجيّد من كلّ شيء.

وقال الشهاب الفيومي: والطيّبات من الكلام: أفضله وأحسنه (٢).

أي: وفّقني لأنّ أُطيّب لهما كلامي، وفيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: «وقُلْ لهما قولاً كريماً»(٣).

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٥٧ ـ ١٥٨، ح ١.

(٢) المصباح المنير: ص ٥٢٢.

(٣) سورة الاسراء: الآية ٢٣.

....

قال أمين الإسلام الطبرسي: أي خاطبهما بقول رفيق لطيف حسن جميل، بعيد عن اللغو والقبيح، يكون فيه كرامة لهما، ويدلّ علىٰ كرامة القول له علىٰ القائل(١).

وقيل: أي جميلاً مشتملاً علىٰ حسن الأدب، ورعاية دقائق المروّة والحياء والاحتشام.

وقيل: القول الكريم أن يقول لهما: يا أبتاه يا أُمّاه دون أن يسمّيهما باسمهما.

ورجل ليّن العريكة: إذا كان سلساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف والنفور.

وقيل: العريكة: الطبيعة، وقيل: الخُلق، وقيل: النفس.

قال في المحكم: رجل ليّن العريكة أي: ليّن الخُلق سلسه، والعريكة: النفس، ويقال: إنّه لصعب العريكة وسهل العريكة، أي: النفس(٢)، إنتهىٰ.

وقال الزمخشري في الأساس: فلان ليّن العريكة إذا كان سلساً، وأصله في البعير، والعريكة: السنام (٣)

قال صاحب المحكم: إنّما سمّي السنام عريكة، لأنّ المشتري يعرك ذلك الموضع ليعرف سمنه وقوّته(٤)، إنتهىٰ.

وعلىٰ هذا، فلين العريكة استعارة لسلاسة الطبيعة وانقيادها، كما مرّ بيانه في الروضة العشرين(٥).

وعطف عليه عطفاً: أشفق وتحنّن، وعطفه الله عليه أي: جعله مشفقاً عليه. أي: اجعل قلبي عاطفاً عليهما مشفقاً متحنّناً.

والرفق: اللطف، رفق به يرفق -من باب قتل- فهو رفيق.

---

(١) مجمع البيان: ٥-٦ ص٤٠٩.

(٢) المحكم لابن سيده: ج١ ص١٦٢.

(٣) أساس البلاغة: ص٤١٧.

(٤) المحكم لابن سيده: ج١ ص١٦١.

(٥) ج٣ ص٢٦٣.

أللّهُمَّ اشْكُرْ لَهُما تَرْبِيَتي، وَأثِبْهُما عَلىٰ تَكْرِمَتي، وَاحْفَظْ لَهُما ما حَفِظاهُ مِنّي في صِغَري.

وأشفق عليه إشفاقاً: رقّ له ورحمه، والاسم الشفقة بالتحريك. وفي القاموس: الشفقة: حرص الناصح علىٰ صلاح المنصوح(١).

وقال في الأساس: لي عليه شفقة وشفق: رحمة ورقّة وخوف من حلول المكروه به مع نصح، وأشفقت عليه أن يناله مكروه، وأنا مشفق عليه وشفيق وشفق(٢).

وتقديم المجرور علىٰ المفعول في الفقرات كلّها؛ لإظهار الاعتناء به وإبراز الرغبة في المؤخّر بتقديم أحواله، كما مرّ بيانه *.

الشكر من الله عزّ وجلّ: مجازاته علىٰ يسير الطاعات بجليل المثوبات.

وقيل: ثناؤه علىٰ من أطاعه.

وقال في النهاية: في أسمائه تعالىٰ الشكور، وهو الذي يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، فشكره لعباده مغفرته لهم(٣)، إنتهىٰ.

قال بعضهم: لمّا كان تعالىٰ مجازياً للمطيع علىٰ طاعته بجزيل ثوابه، جعل مجازاته لهم شكراً على طريق المجاز، كما سميّت المكافاة مكراً.

والمعنىٰ: إجزهما علىٰ تربيتي عظيم الجزاء.

قالوا: والأكثر في الشكر أن يتعدّىٰ باللام، فيقال: شكرت له، وربّما تعدّى بنفسه فيقال: شكرته.

وأنكره الأصمعي في السعة، وقال: بابه الشعر(٤).

والتحقيق أنّ الشكر إذا عدّي إلىٰ المنعم عدّي باللام، فيقال: شكرت له، كما قال تعالىٰ: «واشكُروا لي»(٥)، وإذا عدّي إلىٰ النعمة عدّي بنفسه، فيقال:

---

(١) القاموس المحيط: ج٣، ص٢٥٠.

(٢) أساس البلاغة: ص٣٣٣.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج٢، ص٤٩٣.

(٤) المصباح المنير: ص٤٣٩.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

....

شكر النعمة، وقد يجمع بينهما في الذكر على هذا الوجه، فيقال. شكر له نعمته، ومثله عبارة الدعاء، وربّما عدّي إلىٰ المنعم بنفسه علىٰ تقدير مضاف، فيقال: شكر فلاناً أي: شكر نعمته.

قال الزمخشري في الأساس: شكر لله نعمته «واشكروا لي»، وقد يقال: شكرت فلاناً يريدون نعمة فلان، وقد جاء زياد الأعجم بهما في قوله:

ويشكر تشكر من ضامها ويشكر لله لا تشكر(١)

إنتهىٰ كلامه.

وربىٰ الصغير يربي -من باب تعب- وفي لغة ربا يربو-من باب علا-: إذا نشأ ونما، ويتعدّىٰ بالتضعيف فيقال: ربّاه يربّيه تربية فتربّىٰ هو. وعرّفوا التربية بأنّها تبليغ الشيء إلىٰ كماله شيئاً فشيئاً.

وأثابه يثيبه إثابةً: جازاه علىٰ صنيعه وكافاه به، والاسم الثواب، ويكون في الخير والشّر والأوّل أكثر.

والتكرمة بفتح التاء وكسر الراء: اسم من كرّمه تكريماً بمعنىٰ أكرمه إكراماً.

وفي القاموس: التكرمة: التكريم(٢).

وحفظت لزيد صنيعه: راعيته وشكرته له وكافأته به ولم أنسه. أي: وجازهما علىٰ ما صاناه من أمري وقامابه من شأني في وقت صغري.

وفي هذه الفقرات إشارة إلى عجز الولد عن القيام بما يجب للوالدين، من الشكر والمكافاة لهما ومجازاته علىٰ إحسانها إليه، فتوسّل إلىٰ القادر علىٰ ذلك بأن يشكر لهما ويجازيها عليه.

وفي الحديث: أنّ رجلاً جاء إلىٰ النبيّ صلّى الله عليه وآله، فقال له: يا

---

(١) أساس البلاغة: ص ٣٣٥. (٢) القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٧٠.

أَللّهُمَّ وَما مَسَّهُما مِنّي مِنْ أذىً، أوْ خَلَصَ إلَيْهِما عَنّي مِنْ مَكْرُوهٍ، أوضاعَ لَهُما قِبَلي مِنْ حَق فَاجْعَلْهُ حِطَّةً لِذُنُوبِهِما، وَعُلُوّاً في دَرَجاتِهِما، وَزِيادَةً في حَسَناتِهِما، يا مُبَدِّلَ السَّيِّئاتِ بِأضْعافِها مِنَ الحَسَناتِ.

رسول الله إنّ أبويّ بلغا من الكبر، إنّي ألي منهما ماوليا منّي في الصغر، فهل قضيتهما حقّهما؟ قال: لا فإنّهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبّان بقاءك ، وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما (١).

وشكى إليه آخر سوء خلق أُمّه، فقال: لم تكن سيّئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر، قال: إنّها سيّئة الخلق قال: لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين، قال: إنّها سيّئة الخلق، قال: لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها، قال: لقد جازيتها، قال: ما فعلت؟ قال: حججت بها على عاتقي، قال: ما جازيتها ولا طلقة(٢). والله أعلم *.

مسّه يمسّه- من باب تعب، وفي لغة من باب قتل-: لمسه بيده.

وقال الفيومي: مسسته: أفضيت إليه بيدي من غير حائل، هكذا قيّدوه(٣)، إنتهى.

وقال البيضاوي: المسّ: إيصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثّر الحاسّة، واللمس كالطلب له؛ ولذلك يقال: ألمسه فلا أجده(٤)، إنتهى.

يعني أنّ اللمس ينبئ عن اعتبار الطلب معه، سواء كان داخلاً في مفهومه أو لازماً له؛ فإنّه في الأصل المسّ باليد، على ما في الصحاح(٥) والقاموس(٦).

ولعدم الجزم بالدخول أورد الكاف، لا أنّ معناه مجرّد الطلب له على ماتوهّم، فأورد عليه قوله تعالى: «أوْلامَستُمُ النِساء»(٧)؛ ولاعتبار الطلب في مفهومه سواء

(١) و(٢) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٦٥٩.

(٣) المصباح المنير: ص ٧٨٦.

(٤) أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٥.

(٥) الصحاح: ج ٣، ص ٩٧٨.

(٦) القاموس المحيط: ج ٢، ص ٢٥١.

(٧) سورة المائدة: الآية ٦.

....

كان داخلاً او خارجاً، يقال: ألمسه أي: أطلب مسّه فلا أجده، ثمّ استعير المسّ للإصابة، ومنه قوله تعالى: «إنْ تَمْسَسْكُم حَسنةٌ»(١).

قال الزمخشري في الكشّاف: المسّ مستعار لمعنى الإصابة(٢).

وقال في الأساس: ومن المجاز: مسّه الكِبَر ومسّه العذاب(٣).

ومن: الأُولىٰ للابتداء، والثانية للتبيين.

والأذىٰ: المكروه اليسير، كذا في القاموس(٤).

وقال بعضهم: الأذىٰ مصدر كالأسىٰ، يقال: آذاه يؤذيه، والأذىٰ نوع من الضرر، وهو الضرر اليسير، إنتهىٰ.

وقد يقال: لمّا كان الأذىٰ عبارة عن يسير المكروه والضرر، ناسب أن يعبّر عن الإصابة بالمسّ المنبئ عن أدنىٰ مراتب الإصابة؛ فإنّ الإصابة أقوىٰ من المسّ، وإن لم يفرّق بينهما صاحب الكشّاف، لكنّ المحقّقون نصّوا علىٰ ذلك في قوله تعالىٰ: «إنْ تَمْسَسكُم حَسَنةٌ تَسُؤهم وإنْ تُصِبكُم سَيِّئةٌ يَفرحُوا بِها»(٥).

قالوا: ذكر المسّ مع الحسنة والإصابة مع السيّئة؛ للإيذان بأنّ مدارمساءتهم أدنىٰ مراتب إصابة الحسنة، ومناط فرحهم تمام إصابة السيّئة.

وقال صاحب الكشف هوالسراج الفارسي: التحقيق أنّ الإصابة أقوىٰ من المسّ، فالمعنىٰ أنّ الحسنة أيّ قدر كان ولو مساساً تسؤهم، وأمّا الفرح بالسوء فلا يكون إلّا إذا كان بوصول له وقع؛ لأنّ مقام المبالغة في الحسد والغيظ يقتضي ذلك(٦)، إنتهىٰ.

قال النظام النيسابوري: وعلىٰ هذا فلا يبعد أن يقال: التنوين في حسنة

---

(١) و(٥) سوره آل عمران: الآية ١٢٠.

(٢) تفسير الكشاف: ج ١، ص ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٣) أساس البلاغة: ص ٥٩٤.

(٤) القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٩٨.

(٦) لم نعثر عليه.

....

للتقليل، وفي سيّئة للتعظيم(١)، إنتهىٰ.

والخلوص إلىٰ الشيء: الوصول إليه.

قال في الأساس: خلص إليهم: وصل، وخلص إليه الحزن والسرور (٢).

والفعل من باب قعد.

وعن: للمجاوزة، أي: متجاوزاً ومنفصلاً عنّي، وهذا الموضع يجوز فيه استعمال «من» و«عن».

قال الرضي: إذا قصدت بـ «من» مجرّد كون المجرور بها موضعاً انفصل عنه الشيء وخرج منه، لا كونه مبدأً لشيء ممتدّ، جاز أن يقع موقعها عن؛ لأنّها لمجرّد التجاوز، تقول: انفصلت منه وعنه(٣)، إنتهىٰ.

وحاصل الفقرتين: ما نالهما منّي من مكروه يسير أو جليل،فيكون التنوين في مكروه للتعظيم.

قبلي بكسرالقاف وفتح الباء: أي عندي.

قال الفارابي في ديوان الأدب: يقال لي قبل فلان حقّ، أي: عنده(٤).

والفاء من قوله: «فاجعله»: لربط شبه الجواب بشبه الشرط. والحطّة بالكسر: اسم من حطّ الله عنه ذنبه.

قال في القاموس: استحطّه وزره: سأله أن يحطّه، والاسم: الحطّة(٥).

وقال ابن الأثير في النهاية: فيه من ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطّة، أي: يحطّ عنه خطاياه وذنوبه، وهي فعلة من حطّ الشيء يحطّه: إذ أنزله وألقاه، ومنه الحديث في ذكر حطّة بني إسرائيل، وهو قوله تعالىٰ: «وقُولوا حِطّة» أي: قولوا حطّ

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص ٣٥٧.

(٢) أساس البلاغة: ص ١٧٢.

(٣) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٢١.

(٤) ديوان الأدب: ج ١ ص ٢٦٥.

(٥) القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣٥٤.

أللّهُمَّ وَما تَعَدّيا عَلَيَّ فيهِ مِنْ قَوْلٍ، أوْ أسْرَفا عَلَيَّ فيهِ مِنْ فِعْلٍ، أوْ ضَيَّعاهُ لي مِنْ حَقٍّ، اَوْ قَصّرا بي عَنْهُ مِنْ واجِبٍ، فَقَدْ وَهَبْتُهُ لَهُما، وَجُدْتُ بِهِ عَلَيْهِما، وَرَغِبْتُ إلَيْكَ في وَضْعِ تَبِعَتِهِ عَنْهُما، فَإنّي لا أتَّهِمُهُما عَلىٰ نَفْسي، وَلا أسْتَبْطِئُهُما في بِرّي، ولا أكْرَهُ ما تَوَلّياهُ مِنْ أمْري، يا ربِّ فَهُما أوْجَبُ حَقّاً عَلَيَّ، وَأقْدَمُ إحْساناً إليَّ، وأعْظَمُ مِنَّةً لَدَيَّ، مِنْ أنْ أُقاصَّهُما بِعَدْلٍ، أوْ أُجازِيَهُما عَلىٰ مِثْلٍ، أيْنَ إذاً يا إلٰهي

عنّا ذنوبنا(١)، إنتهىٰ.

أي: اجعله سبباً لحطّ ذنوبهما. وقد تقدّم توجيه اعتراف المعصومين عليهم السّلام بالذنوب والاستغفار منها، في الروضة الثانية عشرة بما لامزيد عليه، فليرجع إليه.

ولمّا كان ابتلاء المؤمن بالمصائب والمكاره في هذه الدار، إمّا حطّة لأوزاره أو رفعة لمقداره، كما نطقت به مستفيضات الأخبار، سأل عليه السّلام أن يجعل الله تعالىٰ ما أصاب والديه من قبله من المكاره ونالهما من التقصير من جهته، سبباً لخير عائد إليهما، وهو حطّة لذنوبهما ورفعة في درجتهما وزيادة في حسناتهما، فيكون ما وقع منه من السيّئة حسنة له أيضاً.

ولذلك ختم هذا الفصل بقوله عليه السّلام: يا مبدّل السيّئات بأضعافها من الحسنات.

وقد مرّ شرح هذه الفقرة مبسوطاً في آخر الروضة الثانية، فأغنى عن الإعادة*.

عدّىٰ عليه وتعدّىٰ واعتدىٰ: ظلمه وتجاوز الحدّ.

وفي: للظرفيّة المجازيّة.

ومن: للبيان.

وأسرف إسرافاً: جاوز المقصد، والاسم السرف بفتحتين.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٠٢.

طُولُ شُغْـلِهِما بِتَرْبِـيَتي، وأيْنَ شِدَّةُ تَعَبِهِما في حِراسَتي، وأيـنَ إقْتارُهُما عَلىٰ أنْفُسِهِما لِلتَّـوْسِعَةِ عَلَـيَّ، هَـيْهاتَ ما يَسْتَـوْفِيانِ مِنّـي حَـقَّهُما، وَلا أُدْرِكُ مـا يَجِبُ عَلَـيَّ لَهُما، وَلا أنا بِقـاضٍ وَظيفَةَ خِدْمَتِـهِما، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَأعِنّي يا خَيْرَ مَنِ اسْتُعينَ بِهِ، وَوَفِّقْني يا أهْـدىٰ مَنْ رُغِبَ إلَيْهِ، وَلا تَـجْعَلْني في أهْلِ الـعُقُـوقِ لِلآباءِ وَالأُمَّهـاتِ، يَوْمَ تُجْزىٰ كُـلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ.

قال الأزهري وغيره: السرف في الشيء: مجاوزة الحدّ المعروف لمثله(١)، إنتهىٰ.

وأكثر ما يستعمل في مجاوزة الحدّ في النفقة، ومنه: لاخير في السرف كما لاسرف في الخير(٢).

قال الراغب: وليس الإسراف متعلّقاً بالمال فقط، بل بكلّ شيء وضع في غير موضعه اللائق به، ألا ترىٰ أنّ الله تعالىٰ وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث، فقال: «إنّكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون»، ووصف فرعون بقوله عزّوجلّ: «إنّه كان عالياً من المسرفين»، وقوله: «وإنّ فرعون لعال في الأرض وإنّه لمن المسرفين»(٣)، إنتهىٰ.

وحقّ الإنسان: ما كان ثابتاً لازماً له.

وقصّر به عن الشيء تقصيراً: لم يبلغ به إليه.

يقال: قصر به -من باب قرب-، وقصّر به تقصيراً عن الشيء بالتثقيل: للمبالغة، ومنه قصرت بنا النفقة: إذا لم تبلغ بنا مقصدنا.

وفي الحديث: إنّ قومك قصرت بهم النفقة(٤).

---

(١) تهذيب اللغة: ج ١٢ ص ٣٩٩.

(٢) عوالي اللئالي: ج ١ ص ٢٩١ ح ١٥٤.

(٣) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة: ص ٢١٦-٢١٧

(٤) صحيح البخاري: ج ٢، ص ١٨٠.

....

روي بتشديد الصاد المفتوحة، وبتخفيفها مضمومة. نصّ عليه الكرماني في شرح البخاري(١).

فالباء للتعدية، فهي مع المخفّف مثل خرجت به، ومع المثقّل مثل مثّلت به تمثيلاً.

والمعنىٰ: مالم يبلغابي إليه من واجب لي عليهما.

والحقّ والواجب هنا وإن كانا بمعنىٰ، إلّا أنّ مفاد الفقرة الأُولىٰ ضياع الحقّ جملة، ومفاد الفقرة الثانية عدم إتمام الواجب بل الوقوف دونه، فقول بعضهم: إنّ ظرفيّة الباء أولىٰ من سببيّتها وهمٌ أو خبطٌ.

و«أو» في الموضعين: للتنويع.

ووهبت لزيد مالاً أهبه له هبةً: أعطيته بلا عوض.

وجاد عليه يجود -من باب قال- جوداً بالضمّ: تكرّم.

ورغبت إلى الله: تضرّعت إليه وسألته.

والتبعة على وزن كلمة: ماتطلبه من ظلامة ونحوها.

ومدار هذا الفصل علىٰ تجاوزه عليه السّلام عن مؤاخذتها بما وقع منهما إليه، من الإساءة في قول أو فعل، أو إضاعة حقّ، أو تقصير في واجب.

فقد روىٰ رئيس المحدّثين بسنده عن سيّد العابدين صاحب الدعاء عليه السّلام أنّه قال في حديث طويل: وأمّا حقّ ولدك فأن تعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عمّا وليّته من حسن الأدب، والدلالة علىٰ ربّه عزّ وجلّ، والمعونة له علىٰ طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب علىٰ الإحسان إليه، معاقب علىٰ الإساءة إليه(٢).

---

(١) شرح صحيح البخاري: للكرماني: ج٨، ص١٠٥.

(٢) الخصال: ص٥٦٨.

....

وروىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن زيدبن عليّ عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يلزم الوالدين من العقوق لولدهما مايلزم الولدلهما من عقوقهما(١).

والفاء من قوله: «فإنّي لا أتّهمهما»: للسببيّة بمعنىٰ اللام، فهي للدلالة علىٰ سببيّة مابعدها لما قبلها.

واتّهمته بكذا: ظننت به، واتّهمته في قوله: شككت في صدقه. وأصله اوتهمت؛ لأنّه من الوهم، قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، ثمّ أُبدلت منها التاء فأُدغمت في تاء الافتعال.

واستبطأته: اعتقدته ورأيته بطيئاً، وهو استفعال من البطء بالضمّ مهموز الآخر، وهو نقيض السرعة.

وتولّى الأمر تولية: صار عليه والياً.

وكرّر النداء أوّلاً بوصف الأُلوهيّة الجامعة لجميع الكمالات، وثانياً بوصف الربوبيّة المنبئة عمّا فيه صلاح المربوب؛ إظهاراً لكمال التضرّع والابتهال ومبالغةً في الاستدعاء.

والفاء من قوله: «فهما أوجب»: سببيّة، إذ كان مابعدها سبباً لماقبلها، فهي لتعليل جعله عدم اتّهامهما علىٰ نفسه، واستبطائهما في برّه، وكراهيّته لما تولّياه من أمره، سبباً لتجاوزه عنهما والرغبة إليه تعالىٰ في وضع التبعة عنهما، فكأنّه قال: إنّما جعلت حسن ظنّي بهما ومابعده سبباً لتجاوزي عن مؤاخذتهما؛ لأنّهما أوجب حقّاً عليّ إلىٰ آخره.

ولك جعلها ـ أعني الفاء ـ رابطة للجملة بماقبلها، مثلها في قوله تعالى: «وإذا قِيلَ

(١) الكافي: ج٦، ص٤٨، ح٥.

....

له إتّقِ اللهَ أخَذَتهُ العِزَّةُ بالإثم فحَسْبُه جَهنّم» (١).

وقول بعضهم: استئناف الفاء في «فهما» أولىٰ من سببيّتها وهم؛ إذ لم يقل أحد باقتران الجملة الاستئنافيّة بالفاء مع ذكر المبتدأ فيها، بل صريح كلامهم أنّ الفاء الاستئنافيّة هي التي يقدّر مابعدها مبنيّاً على مبتدأ محذوف، نحو: ما تأتينا فتحدّثنا بالرفع، أي: فأنت تحدّثنا الآن بدلاً عن ذلك، وقول الشاعر:

* ألم تسأل الربع القواء فينطق *

أي: فهو ينطق.

وأوجب: أي: ألزم وأثبت، من وجب الشيء: إذا لزم وثبت.

وحقّاً: منصوب علىٰ التميز، وأصله حقّهما أوجب، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه وهو ضمير الغائبين مقامه، فارتفع وانفصل وصارهما أوجب، ثمّ جيء بالمحذوف تمييزاً، وقس عليه قوله: «أقدم إحساناً وأعظم منّة».

وتوهّم بعضهم أنّ هذا التميز محوّل عن الفاعل كاشتعل الرأس شيباً، فخبط خبط عشواء.

وأقدم: أفعل من قدم الشيء بالضمّ قدماً علىٰ وزن عنب بمعنىٰ سبق، أي: أسبق إحساناً.

و«من» في قوله: «من أن أُقاصّهما»: ليست صلة لأفعل، بل متعلّقة بالبعد المفهوم من التفضيل، لعدم صحّة قصد التفضيل والمشاركة للمفضّل عليه تحقيقاً أو تقديراً، بل اسم التفضيل هنا مخرج عن معناه التفضيلي إلىٰ التجاوز والبعد الذي يلزمه؛ فإنّ التفضيل يستلزم بُعد المفضّل عن المفضّل عليه، فكأنّه قيل: هما بعيدان من جهة الحقّ من مقاصّتي لهما، أو المعنىٰ هما أبعد الناس حقّاً من مقاصّتي لهما،

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٦.

....

علىٰ تضمين أفعل معنىٰ أبعد. وقد بسطنا الكلام علىٰ بيان هذه المسألة واختلاف أقوال العلماء فيها في الروضة السادسة عشرة، فليرجع إليه.

فما وقع لبعض المعربين من أنّ «من» لابتداء الغاية جارّة للمفضّل عليه المؤوّل من أنّ المصدريّة وأُقاصّ، خبط لايلتفت إليه.

وقاصصته مقاصّة -من باب قاتل- فعلت به مثل ما فعل، والاسم القصاص. ويجب إدغام الفعل والمصدر واسم الفاعل، يقال: قاصّه مقاصّةً كما يقال: سارّه مسارّة وحاجّة محاجّة وما أشبه ذلك.

والعدل: إمّا بمعنىٰ ضدّ الجور، فالباء للاستعانة كما في كتبت بالقلم، أو للسببيّة متعلّقة بأُقاصّهما، جعل العدل كالآلة للقصاص أو سبباً فيه. ويجوز أن تكون للملابسة فتكون متعلّقة بمحذوف حال من ضمير المتكلّم أي: ملتبساً بِعدل، أو صفة لمصدر محذوف أي: مقاصّةً ملتبسةً بعدل.

وإمّا بمعنىٰ المثل والنظير، فالباء للمقابلة، نحو: كافأته علىٰ إحسانه بضعف، والمعنىٰ أن أقاصّهما بمثل ما فعلاه بي.

وجازيته بذنبه: عاقبته عليه.

وأو: للتنويع.

وعلىٰ: ليست صلة لأُجازيهما كما هو المتبادر؛ إذ لا معنىٰ للمجازاة علىٰ فعل المثل، بل المجازاة إنّما تكون علىٰ نفس الفعل، فهي متعلّقة بمحذوف صفة لمصدر مؤكّد محذوف، والتقدير: أو أُجازيهما مجازاةً كائنةً علىٰ مثل أي: مماثلة لفعلهما من الإساءة.

والفرق بين المقاصّة والمجازاة أنّ المقاصّة تكون بمقابلة الفعل بفعل من جنسه، كمقابلة الضرب بالضرب والجرح بالجرح، والمجازاة تكون بمقابلته من غير جنسه، كمقابلة الشتم بالضرب، فكان مفاد كلّ من الفقرتين غير الآخر.

....

قال بعضهم: ويحتمل أن يكون المراد بفقرة المجازاة بيان عدم قدرته علىٰ مجازاة حقّها بما يساويه ويماثله. ولا يخفىٰ عدم ملاءمته لما قبله ومابعده.

قوله عليه السّلام: «أين إذاً يا إلهي طول شغلها بتربيتي» استئناف لانقطاع تعلّق الجملة بما قبلها لفظاً، وإن تعلّقت به من جهة المعنىٰ، فهي كجملة الدعاء من قولك: مات فلان رحمه الله.

وأين: اسم استفهام عن المكان، وليس الاستفهام به علىٰ حقيقته، بل المراد به استعظامه لحقّها واعتداده بإحسانها إليه.

وإذن عندالجمهور حرف بسيط، والنون فيها أصل كنون لن وعن، وهي حرف جواب وجزاء.

قال البدر الدماميني: معنىٰ كونها حرف جواب لأنّها تستعمل في كلام مقتضب ابتداء، بحيث لايكون هناك كلام متقدّم يقتضي أن تكون الجملة التي فيها إذن جواباً له، وإنّما تستعمل حيث يكون ثمّ سؤال أو كلام ملفوظ أو مقدّر، وتكون الجملة التي وقعت إذن في صحبتها جواباً لذلك الكلام الملفوظ أو المقدّر (١).

والجواب في الحقيقة إنّما هو تلك الجملة التي وقعت إذن في صحبتها، سواء وقعت في صدرها أو حشوها أو آخرها لا إذن وحدها، وليس المراد بالجواب مايراد بجزاء الشرط، ولا مايراد في قولهم: أنّ مثل نعم، ولا حرف جواب كما توهّمه بعضهم.

والمراد بكونها للجزاء أن يكون مضمون الكلام الذي هي فيه جزاءً لمضمون كلام آخر.

قال في المفصّل: إذن: جواب وجزاء، يقول الرجل: أنا آتيك، فتقول: إذن

---

(١) تحفة الغريب بهامش المنصف من الكلام: ج ١ ص ٤١ - ٤٢.

....

أكرمك، فقد جعلت كلامك جواباً لكلامه، وصيّرت إكرامك جزاءً لاتيانه(١)، إنتهى.

قال المرادي وغيره: قال قوم منهم الشلوبين: هي للجواب والجزاء في كلّ موضع(٢)، وتكلّفوا تخريج ما خفي فيه ذلك.

وقال الفارسي: في الأكثر، وقد تكون للجواب وحده، نحو أن يقال: أُحبّك، فتقول: إذن أظنّك صادقاً، فلا يتصوّر هنا الجزاء(٣)، إنتهى.

وإنّما يتصوّر هنا الجزاء لما قال الرضي: إنّ الشرط والجزاء امّا في الاستقبال أو في الماضي، ولايتأتّى شيءمنهما في الحال (٤).

إذا عرفت ذلك فكون إذن في عبارة الدعاء للجواب كونها جواباً عن سؤال مقدّر، كأنّه سئل عليه السّلام فقيل له: ما عليك لو قاصصهما بعدل وجازيتهما على مثل؟ فقال عليه السّلام: أين إذن طول شغلهما بتربيتي.

كما قال التبريزي في شرح الحماسة في قوله:

لوكنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيباناً
إذن لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة إن ذولوثةٍ لانا (٥)

قال سيبويه: إذن: حرف جواب وجزاء، فيجوز أن يكون هذا القائل قدّر أنّ سائلاً سأله، فقال: ولوكنت من مازنٍ فما ذا كانوا يصنعون؟

فقال: إذن لقام بنصري البيت، فهذا البيت جواب لهذا السائل وجزاء للمستبيح(٦)، إنتهى.

وإذن هذه هي الناصبة للمضارع إذا دخلت عليه، بشرط تصدّرها واستقباله

(١) المفصّل: ص٣٢٣.
(٢) مغني اللبيب: ص٣٠.
(٣) مغني اللبيب: ص٣٠ نقلاً بالمعنىٰ.
(٤) الكافية النحو: ج٢ ص٢٣٦.
(٥) مغني اللبيب: ص ٣٠.
(٦) مغني اللبيب: ص ٣٠-٣١نقلاً عن سيبويه.

....

واتصالهما أو انفصالهما بالقسم أو بـلا النافية، والصحيح أنّها هي الناصبة بنفسها لا بأن مضمرة.

وذهب بعضهم إلىٰ أنّها اسم، والأصل في «إذن أكرمك» إذا جئتني أكرمك، ثمّ حذفت الجملة وعوّض عنها التنوين وأُضمرت أن.

وقال الزركشي في البرهان: وذكر بعض المتأخّرين أنّ إذن تكون مركّبة من إذ التي هي ظرف زمان ومضاف، ومن جملة بعدها تحقيقاً أو تقديراً، لكن حذفت الجملة تخفيفاً وأُبدل منها التنوين، كما في قولهم: حينئذٍ، وليست هذه الناصبة للمضارع؛ لأنّ تلك تختصّ به ولذا عملت فيه، وهذه لا تختصّ بل تدخل علىٰ الماضي، نحو: «إذاً لا تيناهم»، «إذاً لامستكم»، «إذاً لأذقناك»، وعلىٰ الاسم نحو: «إنكم إذاً لمن المقرّبين»، قال: وهذا المعنىٰ لم يذكره النحاة، لكنّه قياس ماقالوه في إذن(١)، إنتهىٰ.

قال بعض المحقّقين: وعدم ذكر النحاة لهذا المعنىٰ هو الوجه؛ لأنّ إذن هذه هي الناصبة للمضارع جزماً، والقول بأنّ تلك تختصّ بالمضارع ممنوع؛ فقد صرّح النحويّون بعدم الاختصاص.

قال في التصريح: حكىٰ سيبويه عن بعض العرب إلغاء إذن من عمل النصب في المضارع مع استيفاء شروط العمل، وهوالقياس لأنّها لا تختصّ(٢)، إنتهىٰ.

وقال الزجّاج والفارسي: الناصب أن مضمرة بعدها لا هي؛ لأنّها غير مختصّة إذ تدخل علىٰ الجمل الابتدائيّة، نحو: إذن عبد الله يأتيك، وتليها الأسماء مبنيّة علىٰ غير الفعل(٣).

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ج ٤ ص ١٨٧.

(٢) شرح التصريح على التوضيح: ج ٢ ص ٢٣٥.

(٣) تحفة الغريب بهامش المنصف من الكلام: ج ١ ص ٤١.

....

وقال الرضي: الذي يلوح لي في إذن ويغلب في ظنّي أنّ أصلها إذا، حذفت الجملة المضاف إليها وعوّض منها التنوين، لما قصد جعله صالحاً لجميع الأزمنة الثلاثة بعد ما كان مختصاً بالماضي؛ وذلك أنّهم أرادوا الإشارة إلىٰ زمان فعل مذكور، فقصدوا إلىٰ لفظ إذا الذي هو بمعنىٰ مطلق الوقت لخفّة لفظه، وجرّدوه عن معنىٰ الماضي وجعلوه صالحاً للأزمنة الثلاثة، وحذفوا الجملة المضاف هو إليها؛ لأنّهم لما قصدوا أن يشيروا به إلىٰ زمان الفعل المذكور دلّ ذلك الفعل السابق علىٰ الجملة المضاف إليها، كما يقول لك شخص: أنا أزورك، فتقول: إذن أُكرمك، أي: إذ تزورني أُكرمك، أي: وقت زيارتك لي أُكرمك، وعوّض التنوين من المضاف إليه لأنّه وضع في الأصل لازم الإضافة، فهو ككلّ وبعض إلّا أنّهما معربان.

وإذ مبنيّ، فإذ ـعلىٰ ماتقرّرـ صالح للماضي، كقوله: إذن لقام بنصري، وللمستقبل نحو: إن جئتني إذن أُكرمك، وللحال نحو: إذن أظنّك كاذباً، وإذن هاهنا هي إذ في قولك: حينئذٍ ويومئذٍ، إلّا أنّه كسر ذلك في نحو: حينئذٍ، لتكون في صورة ما أُضيف إليه الظرف المقدّم، وإذا لم يكن قبله ظرف في صورة المضاف فالوجه فتحه؛ ليكون في صورة ظرف منصوب لأنّ معناه الظرف، وقد جاء كسره نادراً كقوله:

نهيتك عن طلابك أمّ عمرو بعاقبةٍ وأنتِ إذ صحيح

كما جاء فتحه في حينئذٍ نادراً. قال: وإنّما ارتكبت ادّعاء إذا زمانيّة محذوفة الجملة المضاف إليها؛ لظهور معنىٰ الزمان فيها في جمع استعمالاتها كما في إذ؛ فإنّ معنىٰ إن جئتني إذن أكرمك: في وقت المجئ أكرمك، وكذا لوزرتني إذن أُكرمك، ولاسيّما في قوله تعالى: «فعلتها إذاً وأنا من الضالّين».

وقولهم: إذن أظنّك كاذباً بالرفع، فإنّها متمحّضة للزمان ولاشرطيّة فيها، وقلب

....

نونها ألفاً في الوقف يرجّح جانب اسميّتها(١)، إنتهىٰ.

وهذا القول ممّا تفرّد به الرضي ولم يقل به غيره فيما أعلم، وهو من الحسن بمكان، وعليه فمعنى إذن في عبارة الدعاء: أين إذن أُقاصصهما بعدل وأُجازيهما علىٰ مثل طول شغلهما بتربيتي، أي: وقت مقاصّتي ومجازاتي لهما. وإنّما بسطنا الكلام علىٰ إذن هنا؛ لأنّي لم أرَ من استوفىٰ الكلام عليها في مثل هذه العبارة، فأردت أن أكشف عن حقيقتها، والله أعلم.

تنبيه

اتّفقت نسخ الصحيفة الشريفة إلّا ماشذّ علىٰ رسم إذا بالألف، وهو الموافق لرسمها في المصاحف. واختلف النحويّون في ذلك، وجزم ابن مالك في التسهيل بأنّها تكتب بالألف مراعاةً للوقف عليها؛ لأنّها تبدل في الوقف ألفاً تشبيهاً لها بتنوين المنصوب (٢).

وعزاه ابن هشام في المغني للجمهور(٣).

وقال أبوحيّان في شرح التسهيل: وذهب المازني والأكثرون إلىٰ أنّها تكتب بالنون(٤).

واختلف النقل عن الفراء، فقال الرضي(٥) وابن هشام: قال الفرّاء: إن أُعملت كتبت بالألف وإلّا كتبت بالنون؛ للفرق بينها وبين إذاً الزمانيّة، وأمّا إذا عملت فالعمل يميّزها عنها (٦).

وقال أبوحيّان: فصّل الفرّاء: فقال: إن الغيت كتبت بالألف لضعفها، وإن

---

(١) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٢) التسهيل:

(٣) مغني اللبيب ص ٣١

(٤) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٥) الكافية في لنحو: ج ٢ ص ٢٣٨.

(٦) مغني اللبيب: ص ٣١.

....

أُعملت كتبت بالنون لقوّتها(١).

وحكي عن أبي العبّاس المبرّد أنّه كان يقول: أشتهي أنأكوي يد يكتب إذن بالألف لأنّها مثل أن ولن، ولايدخل التنوين في الحرف(٢).

وتعقّبه ابن هشام في حاشيته على التسهيل بما لفظه: الحقّ أن كتابتها بالألف وأنّ الوقف عليها بالألف، وكذا وقف الفرّاء، وقوله مردود برسم الصحابة بالألف علىٰ حسب الوقف، ويخشىٰ عليه عاقبة ماقال، ولايعذّب بالنار إلّا خالقها(٣) إنتهىٰ.

والحراسة بكسر الحاء قيل: اسم من حرسه.

قال الشهاب الفيومي في المصباح: حرسه يحرسه -من باب قتل-: حفظه، والاسم الحراسة (٤).

وقيل: مصدر.

قال في القاموس: حرس حرساً وحراسةً فهو حارس(٥).

وفي الصحاح: حرسه حراسةً: أي حفظه (٦).

وفي شرح جامع الأُصول لمصنّفه: الحراسة فعل الحارس، وهو من يحرسك وأنت نائم(٧).

و«في» من قوله: «في حراستي»: إمّا ظرفيّة مجازيّة أو سببيّة، أي: لأجل حراستي.

وقتر علىٰ نفسه وعياله قتراً وقتوراً -من بابي ضرب وقعد-: ضيّق في النفقة، وأقتر

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٣) لا توجد لدينا هذه الحاشيه.

(٤) المصباح المنير: ص١٧٨.

(٥) القاموس المحيط: ج٢، ص٢٠٦.

(٦) الصحاح: ج٣، ص٩١٦.

(٧) شرح جامع الاصول:

....

إقتاراً وقتّر تقتيراً: مثله، ففيه ثلاث لغات، كما أنّ في وسع ثلاث لغات أيضاً، يقال: وسع الله عليه رزقه يوسع بالتصحيح وسعاً -من باب نفع- أي: بسطه وكثّره، وأوسعه إيساعاً ووسّعه توسيعاً وتوسعةً: مثله.

وهيهات: اسم فعل بمعنىٰ بعُد.

قال الواحدي: هواسم سمّي به الفعل ومعناه بعُد، وليس له اشتقاق؛ لأنّه بمنزلة الأصوات، وفيه زيادة معنىٰ ليست في بُعد، وهو أنّ المتكلّم بهيهات يخبر عن اعتقاده استبعاد ذلك الذي يخبر عن بُعده، فكأنّه بمنزلة قوله بعُد جدّاً وما أبعده، لاعلىٰ ان يعلم المخاطب مكان ذلك الشيء في البُعد، ففي هيهات زيادة علىٰ بعُد، وإن كان يفسّر ببعد (١)، انتهى.

وقال الرضي: كلّ ما هو بمعنىٰ الخبر من أسماء الأفعال ففيه معنىٰ التعجّب، فمعنىٰ هيهات أي: ما أبعده، وشتّان أي: ما أشدّ الافتراق، وسرعان وبطآن اي: ما أسرعه وماأبطأه (٢).

وفي تاء هيهات الحركات الثلاث، فالفتح نظراً إلى أصله حين كان مفعولاً مطلقاً، لأنّ أصله المصدر، والكسر لالتقاء الساكنين؛ لأنّ أصل البناء السكون، والضمّ للتنبيه بقوّة الحركة علىٰ قوّة معنىٰ البُعد فيه؛ إذ معناه ما أبعده كما ذكرنا، كذا يستفاد من كلام الرضي(٣)، والمستعمل من هذه اللغات استعمالاً غالباً الفتح بلا تنوين، وفيها لغات أُخرىٰ أوصلها في القاموس الىٰ احدى وخمسين لغة (٤).

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الثاني من القسم الثاني ص ١٨٥.

(٢) و(٣) شرح الكافية في النحو: ج ٢، ص ٧٣- ٧٤.

(٤) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٩٦.

....

وفاعل هيهات في عبارة الدعاء ضمير مستتر عائد إلىٰ الوفاء بحقّ الوالدين، الذي أفهمه قوله بعده: «مايستوفيان منّي حقّهما»، كما قيل في قوله تعالىٰ: «هيهاتَ هيهاتَ لما تُوعَدُون»(١): إنّ فاعله ضمير عائد إلىٰ التصديق أو الصحّة أو الوقوع أو الإخراج، المفهوم من قوله تعالىٰ قبله: «أيَعِدكم أنّكم إذا مُتم وكُنتُم تُراباً وعِظاماً أنّكم مُخرَجون»(٢).

فإنّ قلت: ما قيل في الآية لامحذور فيه، لأنّه كالإضمار بعد الذكر، وأمّا ما ذكرته في الدعاء فهو كالإضمار قبل الذكر، وهو محذور.

قلت: هو كقولهم في باب التنازع في نحو ضربني وأكرمت زيداً: إن فاعل ضربني مضمر قبل الذكر لأنّه قد جاء بعده ما يفسّره علىٰ الجملة، وإن لم يجئ لمحض التفسير، كما جاء في نحو: ربّه رجلاً، فلا استبعاد فيما ذكرناه، وقد قال المعربون بمثل ما قلناه في قوله تعالى: «ثمّ بَدَالَهم مِن بَعدِ مارَأوا الآيات ليَسْجُننّه»(٣): إنّ فاعل بدا إمّا مصدره، أو الرأي المفهوم من السياق، أو المصدر المدلول عليه بقوله ليسجننّه، والمعنىٰ بدالهم بداء، أو رأي، أو سجنه، فالاحتمال الثالث هو نظير ما قلناه: في الدعاء، ومن أجاز حذف الفاعل قال: هو محذوف وليسجننّه قائم مقامه، أي: وبدالهم سجنه، فحذف وأُقيمت الجملة مقامه.

وعلىٰ هذا، فلك في عبارة الدعاء دعوىٰ حذف فاعل هيهات وقيام الجملة بعده مقامه، وهو ظاهر.

ومن الغريب ماتوهمه بعض المترجمين من جواز كون «ما» من قوله: «ما يستوفيان» مصدريّة، وهي ومسبوكها فاعل هيهات، والتقدير: هيهات استيفاؤهما منّي حقّهما، مع أنّ قوله: «ولا أُدرك مايجب عليّ لهما» لايبقىٰ معه لهذا التوهّم

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٣٦. (٢) سورة المؤمنون: الآية ٣٥. (٣) سورة يوسف: الآية ٣٥.

....

مجال؛ لأنّ لا معيّنة لكون «ما» نافية؛ إذ لا تقترن واو العطف بلا إلّا إذا سبقت بنفي.

قوله عليه السّلام: «ولا أنا بقاضٍ وظيفة خدمتهما» الباء: زائدة، وزيادتها في الخبر غير الموجب مقيس، ولا تحتاج إلى متعلّق لزيادتها.

والوظيفة: ما يقدّر من عمل أو رزق أو طعام ونحو ذلك ووظّفت عليه العمل توظيفاً: قدرته. أي: لا أستطيع قضاء ما وظّفته عليّ من خدمتهما.

وتأتي الوظيفة بمعنى الشرط، كما نصّ عليه في القاموس (١).

وإرادة هذا المعنى أيضاً صحيحة، أي: ما شرطته عليّ من خدمتهما. والجملة اسمّية معطوفة على الفعليّة قبلها، ومن منع عطف الجملة الاسميّة على الفعليّة وبالعكس، فله أن يقول: هي معطوفة على شيء متوهّم؛ لأنّ معنى «ما يستوفيان منّي حقّهما ولا أُدرك ما يجب عليّ لهما»: ما هما بمستوفين منّي حقّهما ولا أنا بمدرك ما يجب عليّ لهما.

ونظير ذلك قول زهير:

تقيّ نقيّ لم يكثّر غنيمة ... بنهكة ذي قربى ولا بحقلد(٢)

قال ابن هشام: سألني أبو حيّان علامَ عطف بحقلد؟ فقلت: حتّى أعرف ما الحقلد، فنظرنا فإذا هو السّيئ الخلق، فقلت: هو معطوف على شيء متوهّم؛ إذ المعنى: ليس بمكثر غنيمة، فاستعظم ذلك(٣)، انتهى.

ومن يرى الجواز مطلقاً - وهو الصحيح - يجعل ما ذكرناه من المعنى المتوهّم في عبارة الدعاء رعايةً للتناسب، فاعرفه فإنّه نفيس.

والفاء من قوله عليه السّلام: «فصلّ على محمّدٍ وآله»: فصيحة، أي: إذا كان

---

(١) القاموس المحيط: ج ٣، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) و(٣) مغني اللبيب ص ٦٨٥.

....

الأمر على ما ذكر فصلّ علىٰ محمّدٍ وآله وأعنّي.

وحذف المستعان عليه والموفّق له إمّا لتعيّنهما، أو لإرادة التعميم مع الاختصار.

و«في» من قوله: «في أهل العقوق»: إمّا بمعنىٰ: أي معهم، كما قيل في قوله تعالىٰ: «فادخُلي في عِبادِي»(١) أي: مع عبادي، أو ظرفيّة أي: في زمرة أهل العقوق.

والأمهات: جمع أُمّ.

قيل: أصلها أُمهة؛ ولهذا جمعت أُمّهات، وأُجيب بزيادة الهاء وأنّ الأصل أمّات.

قال ابن جني: دعوىٰ الزيادة أسهل من دعوىٰ الحذف(٢).

وقيل: كلّ أُمّ وأُمّهة لغة برأسها، فالأُمّات جمع أُمّ، والأُمّهات جمع أُمّهة، ولاحاجة إلىٰ دعوىٰ زيادة ولاحذف، وكثر في الناس أُمّهات، وفي غير الناس أمّات للفرق.

قوله عليه السّلام: «يوم تجزىٰ كلّ نفس بما كسبت وهم لايظلمون» متعلّق بقوله: «لا تجعلني»، وهو اقتباس من قوله تعالىٰ في سورة الجاثية: «وخَلقَ اللهُ السّمٰواتِ والأرضَ بالحقّ ولتُجزى كلُّ نفسٍ بما كَسَبَتْ وهُم لايُظلَمون»(٣)، والتغيير اليسير لايضرّ في الاقتباس، كما تقدّم ذكره في الروضة الاولىٰ.

ويوم: منصوب علىٰ أنّه ظرف لتجعلني، والجملة في محلّ جرّ بإضافة يوم إليها.

وبما كسبت: متعلّق بتجزى، أي: بما كسبت من ثواب علىٰ طاعة أو عقاب علىٰ معصية.

وما: يجوز أن تكون موصولة أي: بالذي كسبته، وأن تكون مصدريّة أي:

---

(١) سورة الفجر: الآية ٢٩. (٢) المصباح المنير: ص ٣١. (٣) سورة الجاثية: الآية ٢٢.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَاخْصُصْ أَبَوَيَّ بِأَفْضَلِ ما خَصَصْتَ بِهِ آباءَ عِبادِكَ المُؤمِنينَ وَأُمَّهاتِهِم، يا أَرْحَمَ الراحِمينَ.

بكسبها.

وهم لايظلمون: في محلّ نصب علىٰ الحال من كلّ؛ لأنّها في معنى الجمع، وجمع الضمير لأنّه أنسب بحال الجزاء، كما أنّ الإفراد أنسب بحال الكسب، أي: لا يظلمون بنقص ما يستحقونه من الثواب، ولا بزيادة مايستحقّونه من العقاب.

وقد تقدّم الكلام علىٰ اقتباس هذه الآية في أوائل الروضة الأُولىٰ بأبسط من هذا، فليرجع إليه *.

عطف الذرّية علىٰ الآل من باب عطف الخاص على العام؛ لأنّ ذريّة الرجل نسله، وآله ذو و قرابته، فكلّ ذريّة آل دون العكس.

وأصل آل عند بعض: أول، تحرّكت الواو وانفتح ماقبلها فقلبت ألفاً، مثل قال(١)

وقيل: أصله أهل، لكن دخله الإبدال، واستدلّ عليه بعود الهاء في التصغير فيقال: أهيل (٢).

ومن الغريب ماحكاه البطليوسي في كتاب الاقتضاب: من أنّ الكسائي ذهب إلىٰ منع إضافة آل إلىٰ المضمر، فلا يقال: آله بل أهله، وهو أوّل من قال ذلك وتبعه النحّاس والزبيدي، وليس بصحيح؛ إذ لاقياس يعضده ولاسماع يؤيّده(٣).

وقد تقدّم الكلام علىٰ لفظ الذرّية والخلاف في وزنها واشتقاقها في الروضة الرابعة، فأغنى عن الإعادة(٤).

---

(١) و(٢) المصباح المنير: ص ٤٠.

(٣) المصباح المنير: ص ٤٠ نقلاً عنه.

(٤) ج ٢ ص ١١٩.

أَللّهُمَّ لا تُنْسِي ذِكْرِهُما في أدْبـارِ صَلَواتي، وَفي آناً مِنْ آنا ءِ لَيْلي، وَفي كُلِّ ساعَةٍ مِنْ ساعاتِ نَهاري.

وما: إمّا موصولة، أي: بأفضل الفضل أو الثواب الذي خصصت به آباء عبادك ، أو نكره موصوفة، أي: بأفضل شيءٍ خصصت به آباء عبادك .

والمؤمنين: يجوز كونه صفة للمضاف أعني الآباء، أو صفة للمضاف إليه أعني عبادك ، كما قالوه في قوله تعالى: «سَبِّح اسم رَبّكَ الأعلىٰ»(١): يجوز فيه كون الأعلىٰ صفة للاسم أو صفة للربّ. لكنّ قضيّة قولهم: إنّ الصفة دائماً للمضاف إلّا بدليل لأنّه هو المقصود، والمضاف إليه جيءبه لغرض التخصيص ولم يؤت به لذاته، أنّ المؤمنين صفة للآباء لاغير.

لايقال: الدليل هنا عطف الأُمّهات علىٰ الآباء من غير وصف، ولوكان المؤمنون صفة للآباء لقال: وأُمّهاتهم المؤمنات.

لأنانقول: المقصود بالذات آباء العباد الموصوفون بالإيمان، وإلّا فكم من عبد مؤمن أبوه غير مسلم، فضلاً عن أن يكون مؤمناً، وإنّما يصف الأُمّهات بالمؤمنات اكتفاءً بنيّة عن لفظه؛ لدلالة ماسبق عليه.

وأمّا جعل المؤمنين صفة للمتضائفين معاً، فلايجوز قطعاً، لأنّه يؤدّي إلىٰ تسليط عاملين مختلفي المعنىٰ والعمل علىٰ معمول واحد من جهة واحدة، بناءً علىٰ أنّ العامل في المنعوت هو العالم في النعت، وهو الصحيح، والله أعلم.

المراد بعدم إنسائه تعالىٰ ذكرهما: إمّا حسم أسباب النسيان، أو عدم سلب التوفيق لذكرهما، أو المراد: إلهامه ذِكرهما أي: الهمني ذكرهما في أدبار صلواتي.

والأدبار: جمع دبر بالضمّ وبضمّتين، وهو من كلّ شيءعقبه، أي: في أعقاب صلواتي.

---

(١) سورة الأعلىٰ:الآية ١.

....

وقد فسّر قوله تعالىٰ: «ومِن الليلِ فَسَبّحهُ وأدبارَ السُّجود»(١) بأعقاب الصلوات.

وتخصيصها بالذكر لأنّها من أوقات الإجابة، وقد روي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السّلام في تفسير قوله تعالى: «فإذا فرغت فانصب وإلىٰ ربّك فارغب» أي: إذا فرغت من الصلاة المكتوبة، فانصب إلىٰ ربّك في الدعاء وارغب إليه في المسألة يعطك (٢).

والنصب: التعب، أي: اجتهد في الدعاء.

وعن الصادق عليه السّلام: هو الدعاء في دبرالصلاة وأنت جالس. رواه أمين الإسلام في مجمع البيان (٣).

والانى بالكسر والقصر ويفتح مع المدّ: الساعة من الليل، وقد يقال فيه: انى علىٰ وزن ظنى، وانىٰ بالكسر علىٰ وزن نحىٰ، والجمع آناء.

وقال الجوهري: آناء الليل: ساعاته، قال الأخفش: واحدها أناً مثال معاً، وقال بعضهم: واحدها أنىٰ وأنو، يقال: مضىٰ إنيان من الليل وإنوان، وقال أبوعبيد(٤): واحدها إنىٰ مثال نحىٰ والجمع آناء(٥)، إنتهىٰ.

والساعة: جزءٌ ماغير مقدّر من أجزاء الليل والنهار، وتطلق على جزء من أربعة وعشرين جزء من يوم بليلته، وهو اصطلاح أهل الفلك، والعرب لا تعرف ذلك.

قال الشهاب الفيومي في المصباح المنير: الساعة. الوقت من ليل أو نهار، والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وإن قلّ، وعليه قوله تعالى: «لايستأخرون ساعة»، ومنه قوله عليه السّلام: من راح في الساعة الأُولىٰ الحديث. ليس المراد

---

(١) سورة ق: الآية ٤٠.

(٢) و(٣) مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٥٠٩.

(٤) «الف ـ ج» أبوعبيدة.

(٥) الصحاح: ج ٦ ص ٢٢٧٣.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاغْفِرْ لي بِدُعائي لَهُما، واغْفِرْ لَهُما بِبِرِّهِما بي مَغْفِرةً حَتْماً، وَارْضَ عَنْهُما بِشَفاعَتي لَهُما رِضىً عزماً، وَبَلِّغْهُما بِالكَرامَةِ مَواطِنَ السَّلامَةِ.

بالساعه التي ينقسم عليها النهار القسمة الزمانيّة، بل المراد مطلق الوقت وهو السبق، وإلّا لاقتضىٰ أن يستوي من جاء في أوّل الساعة الفلكيّة ومن جاء في آخرها، لأنّهما جاءا في ساعة واحدة، وليس كذلك، بل من جاء في أوّلها أفضل ممّن جاء في آخرها، والجمع ساعات وساع وهو منقوص وساع أيضاً،(١) إنتهىٰ.

والنكرة هنا ظاهرة في الاستغراق أي: في كلّ انى من آناء ليلي وفي كلّ ساعة من ساعات نهاري.

كما ورد في رواية أُخرىٰ بذكر «كلّ» مضافاً إلىٰ إنى، وينبغي علىٰ هذه الرواية عطف ساعة علىٰ إنى بدون «في»، أو تقدير «كل» مضافاً إلىٰ ساعة، والله أعلم.

الباء: للسببيّة، أي: بسبب دعائي لهما وبسبب برّهما: بي. وحتم الله الأمر حتماً: أوجبه جزماً، أي: مغفرة محتومة.

وعزماً: أي معزوماً، من عزم الله أي: أراد وقصد وقطع وفرض أن يكون ذلك ويحصل، ومنه قوله تعالىٰ: «إنّ ذٰلكَ مِن عَزمِ الأُمورِ» (٢).

قال الزمخشري في الكشاف: أي إنّ ذلك ممّا عزم الله من الأُمور، أي: قطعه قطع إيجاب وإلزام، ومنه الحديث: لاصيام لمن لايعزم الصيام من الليل، أي: لم يقطعه بالنيّة، الأ ترىٰ إلىٰ قوله: لمن يبت الصيام، ومنه، إنّ الله يحبّ أن يؤخد برُخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه، وقولهم: عزمة من عزمات ربّنا، ومنه: عزمات الملوك، وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده: عزمت عليك إلّا فعلت

---

(١) المصباح المنير: ص ٤٠١ ـ ٤٠٢.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٧.

أللّهُمَّ وَإنْ سَبَقت مَغفِرتُكَ لَهُما فَشَفِّعْهُما فِيَّ، وإنْ سَبَقْتَ مَغْفِرَتُكَ

كذا إذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بدّ من فعله ولا مندوحة في تركه، وحقيقته أنّه من تسمية المفعول بالمصدر، وأصله من معزومات الأمور أي: مقطوعاتها ومفروضاتها(١)، إنتهىٰ كلام الزمخشري.

قلت: ومن ذلك ماورد في الدعاء: أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك(٢)، أي: ما أوجبته من رحمتك وعزمت أن يكون ويحصل من مغفرتك. ويجوز أن يكون عزماً بمعنىٰ عازم، من عزم الأمر نفسه إذا عزم عليه، علىٰ ما قال الزمخشري في قوله تعالى: «مِن عَزمِ الأُمور»(٣): يجوز أن يكون مصدراً في معنىٰ الفاعل، أصله من عازمات الأمور من قوله تعالى: «فاذاعَزَمَ الأمْر»(٤)، كقولك: جدّ الأمر وصدق القتال(٥).

قال بعضهم: ولعلّ المغفرة التي ليست بحتم والرضا الذي ليس بعزم، هما المعلّقان بشرط أو صفة أو وقت أو بنوع من الذنب، إنتهىٰ.

ومن زعم أنّ انتصاب حتماً وعزماً على التميز فقد أبعد.

والباء من قوله: «بالكرامة»: للملابسة، أي: ملتبسين بالكرامة. والمواطن: بمعنىٰ الوطن، وهو المكان والمقرّ.

والمراد بمواطن السلامة: الجنّة؛ لسلامتها وسلامة أهلها.

فيها من المكاره والآفات؛ ولذلك سميّت دارالسلام، وجمعها باعتبار تعدّدها، أو باعتبار تعدّد أماكنها ومساكنها، والله أعلم ❊.

سبق يسبق سبقاً ـ من باب ضرب ـ: تقدّم، وهذا السبق يحتمل أن يكون أزلاً وتقديراً، كقوله تعالى: «إنّ الذين سَبَقَت لَهم منّا الحُسنىٰ»(٦)، وأن يكون زماناً

---

(١) تفسير الكشاف: ج٣، ص٤٩٦.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص١٥٣.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٧.

(٤) سورة محمّد: الآية ٢١.

(٥) تفسير الكشاف: ج ٣ ص٤٩٧.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ١٠١.

لي فَشَفِّعْني فيهما، حَتّىٰ نَجْتَمِعَ بِرَأْفَتِكَ في دارِ كَرامَتِكَ، وَمَحَلِّ مَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ، إنَّكَ ذُو الفَضْلِ العَظيمِ وَالمَنِّ القَديمِ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الراحِمينَ.

ووجوداً.

وشفّعه تشفيعاً: قبل شفاعته، وهي السؤال في التجاوز عن الآثام والمعاصي.

وحتّىٰ: بمعنىٰ كي التعليليّة، أي: كي نجتمع.

والرأفة: أشدّ الرحمة وأرقّها، ولا تكاد تقع في الكراهة، والرحمة قد تقع فيها للمصلحة.

والكرامة: التعظيم والإجلال.

عبّر عن الجنّة بدار الكرامة لإكرام الله سبحانه أهلها بأنواع الكرامة، وعبّر عنها بمحلّ المغفرة والرحمة تنبيهاً علىٰ أنّ المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله تعالىٰ فإنّه لايدخل الجنّة إلّا بمغفرة الله ورحمته.

وقوله: «إنّك ذوالفضل العظيم» تعليل لما قبله، وتحريك لسلسلة الإجابة، وإذعان بأنّ كلّ خير نال عباده في دينهم ودنياهم فإنّه من عنده ابتداء منه إليهم وتفضّلاً عليهم، من غير استحقاق منهم لذلك عليه، فهو ذو الفضل العظيم.

والمنّ القديم: أي الإنعام السابق علىٰ الاستحقاق قوله عليه السّلام: «وأنت أرحم الراحمين» جملة تذييليّة جاء بها في آخر الدعاء لبيان شدّة الرجاء من جهته؛ فإنّ الابتداء بالنعمة يوجب الإتمام، وسعة الرحمة تقتضي عمومها والزيادة فيها، فهي لاستدعاء الرحمة من جهته تعالىٰ، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الرابعة والعشرين من رياض السالكين، وقد وفّق الله سبحانه لإتمامها بإعانته ومحض عنايته، صبيحة يوم السبت لاثنتي عشرة خلون من شهر الله الأصم، أحد شهور سنة احدىٰ ومائة وألف بقلم مؤلّفها، ولله الحمد.

الروضة الخامسة والعشرون

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِوُلْدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

اَللّٰهُمَّ وَمُنَّ عَلَيَّ بِبَقَاءِ وُلْدِي وَبِإِصْلَاحِهِمْ لِي وَبِإِمْتَاعِي بِهِمْ
اِلٰهِي اُمْدُدْ لِي فِي اَعْمَارِهِمْ وَزِدْ لِي فِي آجَالِهِمْ وَرَبِّ لِي صَغِيرَهُمْ وَ
قَوِّ لِي ضَعِيفَهُمْ وَاَصِحَّ لِي اَبْدَانَهُمْ وَاَدْيَانَهُمْ وَاَخْلَاقَهُمْ وَعَافِهِمْ فِي
اَنْفُسِهِمْ وَفِي جَوَارِحِهِمْ وَفِي كُلِّ مَا عُنِيتُ بِهِ مِنْ اَمْرِهِمْ وَاَدْرِرْ لِي
وَعَلٰى يَدِي اَرْزَاقَهُمْ وَاجْعَلْهُمْ اَبْرَارًا اَتْقِيَاءَ بُصَرَاءَ سَامِعِينَ
مُطِيعِينَ لَكَ وَلِاَوْلِيَائِكَ مُحِبِّينَ مُنَاصِحِينَ وَلِجَمِيعِ اَعْدَائِكَ
مُعَانِدِينَ وَمُبْغِضِينَ آمِينَ اَللّٰهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدِي وَاَقِمْ بِهِمْ
اَوَدِي وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدِي وَزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَرِي وَاَحْيِ بِهِمْ ذِكْرِي وَاكْفِنِي
بِهِمْ فِي غَيْبَتِي وَاَعِنِّي بِهِمْ عَلٰى حَاجَتِي وَاجْعَلْهُمْ لِي مُحِبِّينَ وَعَلَيَّ حَدِبِينَ
مُقْبِلِينَ مُسْتَقِيمِينَ لِي مُطِيعِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا عَاقِّينَ وَلَا مُخَالِفِينَ وَلَا
خَاطِئِينَ وَاَعِنِّي عَلٰى تَرْبِيَتِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ وَبِرِّهِمْ وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
مَعَهُمْ اَوْلَادًا ذُكُورًا وَاجْعَلْ ذٰلِكَ خَيْرًا لِي وَاجْعَلْهُمْ لِي عَوْنًا عَلٰى
مَا سَاَلْتُكَ وَاَعِذْنِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَاِنَّكَ خَلَقْتَنَا وَ
اَمَرْتَنَا وَنَهَيْتَنَا وَرَغَّبْتَنَا فِي ثَوَابِ مَا اَمَرْتَنَا وَرَهَّبْتَنَا عِقَابَهُ وَ

جَعَلْتَ لَنَا عَدُوًّا يَكِيدُنَا سَلَّطْتَهُ مِنَّا عَلَى مَا لَمْ تُسَلِّطْنَا عَلَيْهِ مِنْهُ وَأَسْكَنْتَهُ صُدُورَنَا وَأَجْرَيْتَهُ مَجَارِيَ دِمَائِنَا لَا يَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنَا وَلَا يَنْسَى إِنْ نَسِينَا يُؤْمِنُنَا عِقَابَكَ وَيُخَوِّفُنَا بِغَيْرِكَ إِنْ هَمَمْنَا بِفَاحِشَةٍ شَجَّعَنَا عَلَيْهَا وَإِنْ هَمَمْنَا بِعَمَلٍ صَالِحٍ ثَبَّطَنَا عَنْهُ يَتَعَرَّضُ لَنَا بِالشَّهَوَاتِ وَيَنْصِبُ لَنَا بِالشُّبُهَاتِ إِنْ وَعَدَنَا كَذَبَنَا وَإِنْ مَنَّانَا أَخْلَفَنَا وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنَّا كَيْدَهُ يُضِلَّنَا وَإِلَّا تَقِنَا خَبَالَهُ يَسْتَزِلَّنَا اَللّٰهُمَّ فَاقْهَرْ سُلْطَانَهُ عَنَّا بِسُلْطَانِكَ حَتّٰى تَحْبِسَهُ عَنَّا بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ لَكَ فَنُصْبِحَ مِنْ كَيْدِهِ فِي الْمَعْصُومِينَ بِكَ اَللّٰهُمَّ أَعْطِنِي كُلَّ سُؤْلِي وَاقْضِ لِي حَوَائِجِي وَلَا تَمْنَعْنِي الْإِجَابَةَ وَقَدْ ضَمِنْتَهَا لِي وَلَا تَحْجُبْ دُعَائِي عَنْكَ وَقَدْ أَمَرْتَنِي بِهِ وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا يُصْلِحُنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ وَمَا نَسِيتُ أَوْ أَظْهَرْتُ أَوْ أَخْفَيْتُ أَوْ أَعْلَنْتُ أَوْ أَسْرَرْتُ وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذٰلِكَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بِسُؤَالِي إِيَّاكَ الْمُنْجِحِينَ بِالطَّلَبِ إِلَيْكَ غَيْرِ الْمَمْنُوعِينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ الْمُعَوَّدِينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ الرَّابِحِينَ فِي التِّجَارَةِ عَلَيْكَ الْمُجَارِينَ بِعِزِّكَ الْمُوَسَّعِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الْحَلَالُ مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ بِجُودِكَ

وكرمك المعزين من الذل بك والمجارين من الظلم بعدلك والمعافين

من البلاء برحمتك والمغنين من الفقر بغناك والمعصومين من الذنوب

والزلل والخطاء بتقواك والموفقين للخير والرشد والصواب بطاعتك

والمحال بينهم وبين الذنوب بقدرتك التاركين لكل معصيتك

الساكنين في جوارك اللهم اعطنا جميع ذلك بتوفيقك ورحمتك

واعذنا من عذاب السعير واعط جميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين

والمؤمنات مثل الذي سألتك لنفسي ولولدي في عاجل

الدنيا واجل الاخرة انك قريب مجيب سميع عليم

عفو غفور رؤف رحيم واتنا في الدنيا

حسنة وفي الاخرة حسنة

وقنا عذاب

النار

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين(١)

الحمد لله الذي لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً، عاطف قلوب الوالدين بمزيد الرأفة علىٰ ماولدا، والصّلاة علىٰ نبيّه أشرف الآباء والبنين، وعلىٰ عترته النجباء أئمّة المؤمنين.

وبعد فهذه الروضة الخامسة والعشرون من رياض السالكين، في شرح الدعاء الخامس والعشرين من صحيفة سيّد العابدين، إملاء الفقير إلىٰ ربّه الغنيّ عليّ صدرالدين الحسيني الحسنيّ، غفر الله له ولوالديه وولده، ووفّقه للعمل في يومه لغده قبل خروج الأمر من يده.

(١) (ج): و به ثقتي.

شرح الدعاء الخامس والعشرين

وكانَ مِن دُعائِهِ عَليه السّلامُ لِولدِهِ عليهمُ السّلامُ.

دعاء الوالدين للولد من برّهما به، ومحبّتهما له، وإعانتهما له على برّه بهما.

في الحديث عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: رحم الله والدين أعانا ولدهما على برّهما (١).

وعنه عليه السّلام قال: قال له رجل من الأنصار: من أبرّ؟ قال: والديك، قال: قد مضيا، قال: برّ ولدك (٢).

وعنه عليه السّلام قال: إنّ الله ليرحم العبد لشدّة حبّه لولده(٣).

ودعاء الوالد لولده من جملة الدعاء الذي لا يرّد ولا يحجب.فعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أربعة لا تردّ لهم دعوة حتّى تفتح لهم أبواب السماء وتصير إلى العرش: الوالد لولده، والمظلوم على من ظلمه، والمعتمر حتّى يرجع، والصائم حتّى يفطر (٤).

وعنه عليه السّلام قال: كان أبي يقول: خمس دعوات لا يحجبن عن الربّ تبارك وتعالى: دعوة الإمام المقسط، ودعوة المظلوم يقول الله عزّوجل: لانتقمن لك ولوبعد حين، ودعوة الولد الصالح لوالديه، ودعوة الوالد الصالح لولده، ودعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب فيقول: لك ذلك مثلاه(٥) *.

---

(١) بحارالأنوار: ج٧٤ ص٦٥ ح٣٢.

(٢) الكافي: ج٦ ص٤٩ ح٢.

(٣) مكارم الأخلاق: ص٢١٩.

(٤) الكافي: ج٢ ص٥١٠ ح٦.

(٥) الكافي: ج٢ ص٥٠٩ ح٢، وفيه: «ولك مثله».

قال: صلوات الله وسلامه عليه:

أَللّهُمَّ وَمُنَّ عَلَيَّ بِبَقاءِ وُلْدي، وَبِإِصْلاحِهِم لي، وَبِإِمْتاعي بِهِمْ.

منّ عليه بكذا منّاً -من باب قتل-: أنعم عليه به.

والبقاء: يطلق علىٰ استمرار الوجود ولايكون إلا لله سبحانه، ومنه: سبحان من توحّد بالبقاء(١)، وعلىٰ طول الوجود، وهو المراد هنا.

ومعنىٰ إصلاحهم له: إصلاحهم لبرّه وطاعته، وفيه تلميح إلىٰ قوله تعالىٰ: «وأصلِحْ لي في ذُرّيتي»(٢).

قيل: هو دعاء بإصلاح ذرّيته لبرّه وطاعته؛ لقوله: لي.

وقيل: إنّه دعاء بإصلاحهم لطاعة الله عزّوجلّ.

قال أمين الإسلام: وهو الأشبه؛ لأنّ طاعتهم لله من برّه(٣).

وعن الزجّاج: أي اجعل ذرّيتي صالحين (٤).

وقال سهل بن عبدالله: معناه اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حقّ (٥)

وهذه المعاني كلّها محتملة في عبارة الدعاء.

وقال الزمخشري: فإن قلت: ما معنىٰ «في» في قوله تعالىٰ: «وأصلح لي في ذريتي»؟ قلت: معناه أن يجعل ذرّيته موقعاً للصلاح ومظنّة له، كأنّه قال: هب لي الصلاح في ذرّيتي وأوقعه فيهم(٦)، إنتهىٰ.

وقيل: هو علىٰ تضمين أصلح معنىٰ بارك.

وأمتعه الله بكذا إمتاعاً ومتّعه به تمتيعاً: أبقاه له ليستمتع به أي: لينتفع به.

يقال: استمتع بالشيء وتمتّع به أي: انتفع، وهو من المتاع، وهو في اللغة كلّ ما ينتفع به.

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٣) مجمع البيان: ج ٩- ١٠ ص ٨٦.

(٤) و(٥) مجمع البيان: ج ٩- ١٠ ص ٨٦.

(٦) الكشاف: ج ٤ ص ٤٠٢.

إلهي امْدُدْ لي في أعْمارِهِمْ، وَزِدْ لي في آجالِهِمْ، وَرَبِّ لي صَغيرَهُمْ، وقوِّ لي ضَعيفَهُمْ، وَأصِحَّ لي أبْدانَهُمْ وَ أدْيانَهُمْ وَأخْلاقَهُمْ، وَعافِهِمْ في

قال الفارابي في ديوان الأدب: مدّ الله في عمره أي: أمهل له وطوّل له(١) انتهى.

والأعمار: جمع عمر بالضمّ وبضمّتين و بالفتح والسكون، وهو الحياة.

وقيل: مدّة بقاء الحياة.

والآجال: جمع أجل بالتحريك وهو مدّة العمر، ويطلق على الوقت الذي ينقرض فيه.

قال بعضهم: يحتمل أن يكون الفقرة الثانية تأكيداً للأولى؛ لحرصه عليه السّلام على بقائهم.

ويحتمل أن يراد بالأعمار رفاهيّة العيش وحسن الحال؛ فإنّ العرب كانت تسمّي من عاش في رفاهيّة طويل العمر وإن قصر عمره، ومن ليس كذلك قصير العمر وإن طال عمره.

ولهذا قال بعضهم: فهل رأيتم شيخاً بلاعمر؟ وكانوا يعدّون أيّام السرور ويقولون عاش فلان كذا يوماً وكذا سنة، وإن كان عمره أكثر، إنتهى.

قلت: إذا أُريد جعل الفقرة الثانية تأسيساً لا تأكيداً، فالأُولى أن يراد بالمدّ في الأعمار البركة فيها، بانّ يبارك فيها بالتوفيق لأعمال الطاعات وعمارة أوقاتهم بالخيرات.

وقد فسرّ قوله عليه السّلام: صلة الرحم منساة في الأجل، أي: تأخير في مدّة العمر وسبب لزيادته و إنّ معنى الزيادة في العمر زيادته بالبركة فيه، بتوفيقه إلى أعمال الطاعة وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة؛ فإنّ هذا المعنى أجدر أن يكون منظوراً له عليه السّلام من رفاهيّة العيش، والله أعلم بمقاصد أوليائه.

وربّاه يربّيه تربية: أوصله كما له تدريجاً.

(١) ديوان الأدب: ج ٣ ص ١٢٠.

أَنْفُسِهِمْ، وَفي جَوارِحِهِمْ، وَفي كُلِّ ما عُنيتُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، وأَدْرِرْ لي وَعَلىٰ يَدي أَرْزاقَهُمْ، وَاجْعَلْهُمْ أَبْراراً أَتْقِياءَ بُصَراءَ، سامِعينَ مُطيعينَ

والقوّة: تطلق علىٰ كمال القدرة، وعلىٰ شدّة الممانعة والدفع، ويقابلها الضعف بالمعنيين، وكلّ من المعنيين في المتقابلين محتمل هنا، ولايجوز إرادة كلا المعنيين فيهما معاً، فإنّ استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين ممالامساغ له عند المحقّقين، بل يمكن أن يراد بالتقوية معنىٰ مجازي عام، يكون كلا المعنيين -من تكميل القدرة، وتشديد الممانعة والدفع- فرداً حقيقيّاً له وهو إصلاح حالهم؛ فإنّ كلّاً من المعنيين المذكورين فرد حقيقيّ له، وكذلك يراد بالضعف سوء الحال، فيكون نقص القدرة وقلّة الممانعة والدفع فرداً حقيقيّاً له،فافهم ذلك فإنّه قلّ من تنبّه له.

والصّحة في الأصل: للبدن، وهي حالة طبيعيّة له تجري أفعاله معها على المجرى الطبيعي، ثمّ استعيرت للأفعال والمعاني، فقيل: صحّت الصلاة إذا أسقطت القضاء، وصحّ العقد إذا ترتّب أثره عليه، وصحّ مذهبه إذا وافق الحقّ.

فإنّ قلت: يلزم علىٰ هذا الجمع بين الحقيقية والمجاز في عبارة الدعاء،لأنّ الصحّة في الأبدان حقيقة، وفي الأديان والأخلاق مجاز، وقد صرّحوا بأنّ إرادة المتكلّم بعبارة واحدة حقيقةً ومجازاً غيرصحيحة.

قلت: المسألة ذات خلاف مشهور، فمن جوّز إجتماع الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة، واحتّج بقولهم: القلم أحد اللسانين، فله أن يختار استعمالها فيهما، ومن لايرىٰ صحّة فينبغي أن يراد بالصحّة معنىٰ مجازي عام، يكون كلّ واحد من المعاني المقصودة للصحّة فرداً حقيقيّاً له،كما قلناه آنفاً في المشترك ، أي: وأصلح لي أحوالهم، وذلك في أبدانهم بالصحّة التي هي الحالة الطبيعيّة، وفي أديانهم بالصحّة التي هي موافقة الحقّ، وفي أخلاقهم بالصحّة التي هي الكرم والحسن، وقس على ذلك .

قوله عليه السّلام: «وعافهم في أنفسهم وجوارحهم وفي كلّ ما عنيت به من

لَكَ وَلِأَوْلِيائِكَ مُحِبّينَ مُناصِحينَ، وَلِجَميعِ أَعْدائِكَ مُعانِدينَ وَمُبْغِضينَ آمينَ.

أمرهم» إذا أردت التفادي من لزوم الجمع بين الحقيقة والمجاز، بناءً على أنّ العافية في الأصل بمعنى الصحّة البدنيّة ثمّ استعيرت لمعان أُخر، والأظهرأنّها لمعنى عام متناول لدفع جميع المكروهات في النفس والبدن وفي الدين والدنيا والآخرة، فلاحاجة إلى ذلك.

وعنيت بأمر فلان بالبناء للمفعول: شغلت به واهتممت به فأنا معنيّ به، وربّما قيل: عنيت بأمره بالبناء للفاعل فأنا عانٍ، والأوّل أكثر، وبه وردت رواية الدعاء لاغير.

ودرّ اللبن وغيره -من باب ضرب وقتل- درّاً: كثر وزاد، وأدرّ الله الرزق إدراراً: كثّره ووسّعه.

وقال شيخنا البهائي في المفتاح: المراد بالرزق الدارّ: الذي يتجدّد شيئاً فشيئاً من قولهم: درّ اللبن إذا زاد وكثر جريانه من الضرع (١).

قال بعضهم: وفي تقييده السؤال بقوله عليه السّلام «لي» في جميع الفقرات، مايدلّ على أن الدعاء له ولهم، وعلى تمام الحنو والشفقة، وعلى أنّ الدعاء له عليه السّلام أبلغ في الدعاء وأقرب إلى الإجابة، وعلى أنّ كلّ واحد ممّا سأل يكون على الوجه الكامل، إنتهى.

وقوله عليه السّلام: «وعلى يديّ» أي: بواسطتي.

والمراد جعله واسطة في وصول أرزاقهم إليهم، يقال: جرى الأمرعلى يد فلان إذا وقع بوساطته، كأنّه أخذه واعطاه بيده.

ومنه الحديث: خلقت الخير وأجريته على يدي من أُحبّه، فطوبى لمن أجريته على يديه (٢).

---

(١) مفتاح الفلاح: ص٤٥.

(٢) المحاسن للبرقي: ص٢٨٣، وبحارالأنوار: ج٥ ص١٦٠ ح١٨.

....

وفائدة هذا السؤال أمران:

أحدهما: أن يزدادوا طاعة له ومحبّة وبرّاً؛ فإنّ من عرف أنّ الله تعالىٰ أجرىٰ رزقه على يد شخص ،فلا شكّ أنّه يحبّه ويعظّمه ويطيعه.

الثاني: إجراء الخير علىٰ يده عليه السلام، كما تضمّنه الحديث المذكور.

والأبرار: جمع بارّ أو برّ، كأصحاب جمع صاحب وأرباب جمع ربّ. يقال: الرجل برّ يبَرّ برّاً مثل علم يعلم علماً فهو برّ بالفتح و بارّ. وهو خلاف الفاجر.

وقيل: هو الصادق.

وقيل: هو الكثير البرّ، أي: الخير، والاتّساع في الإحسان.

وقال الطبرسي: هوالذي برّ الله بطاعته إيّاه حتّىٰ أرضاه(١).

والظاهر أنّ المراد به البارّ لوالديه؛ بقرينة قوله عليه السّلام:أتقياء؛تلميحاً إلىٰ قوله تعالىٰ: «وكانَ تَقِيّاً * و بَرّاً بِوالدِيه»(٢).

والأتقياء: جمع تقيّ، وهوالمطيع المتجنّب عن المعاصي.

وقال الشهاب الفيومي: رجل تقيّ: أي زكيّ، وقوم أتقياء، وتقي يتقى -من باب تعب- تقاةً واتّقاه اتقاءً، والاسم التقوىٰ، وأصل التاء واو، لكنّهم قلبوا(٣)، إنتهىٰ.

والبصراء: جمع بصير بمعنىٰ العالم، من بصر بالشيء بالضمّ بصراً بفتحتين بمعنىٰ علم فهو بصير به.

وسامعين أي: مصغين إصغاء الطاعة.

يقال: فلان سامع مطيع أي: سامع لما يؤمر به كائناً ماكان سمع طاعة وقبول، ومنه قوله تعالىٰ: «واتّقوااللهَ واسْمَعوا»(٤).

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ٥٥٥.

(٢) سورة مريم: الآية ١٣و١٤.

(٣) المصباح المنير: ص ١٠٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٨.

أَللّهُمَّ أَشْدُد بِهِمْ عَضُدي، واَقِم بِهِمْ أَوَدي، وَكَثّر بِهِمْ عَدَدي، وَزَيّنْ بِهِمْ مَحضَري، وَأَحْيِ بِهِمْ ذِكْري، وَاكْفِني بِهِمْ في غَيْبَتي، وَأَعِنّي بِهِمْ عَلىٰ حاجَتي، وَاجْعَلْهُمْ لي مُحِبّينَ، وَعَلَيَّ حَدِبينَ مُقْبِلينَ، مُسْتَقيمينَ لي مُطيعينَ غَيْرَ عاصينَ وَلا عاقّينَ وَلا مُخالِفينَ وَلا

ومطيعين أي: مذعنين منقادين لحكمك.

وقوله عليه السّلام: «ولأوليائك محبّين مناصحين» عطف علىٰ ثاني مفعولي واجعل، أي: واجعلهم محبّين مناصحين لأوليائك، وإنّمافصل بين العاطف والمعطوف لأنّ الفصل بالظرف كلا فصل. وقس عليه قوله: «ولجميع أعدائك معاندين ومبغضين».

وآمين: بالقصر في لغة الحجاز، والمدّ إشباع بدليل أنّه لايوجد في العربية كلمة على فاعيل، ومعناه: استجب،وقد سبق الكلام عليه مبسوطاً، فليرجع إليه*.

الشدّ: التقوية، شدّ يشدّه شدّاً ـ من باب قتل.

والعضد: مابين المرفق إلىٰ الكتف، وفيها خمس لغات أشهرها وزن رجل، وبضمّتين في لغة الحجاز، ومثل كبد في لغة بني أسد، وكفلس في لغة تميم وبكر، والخامسة مثال قفل(١).

وحكىٰ تغلب العضد بفتح العين والضاد،(٢) فتكون لغاتها ستة.

قال أبوزيد: أهل تهامة يؤنّثون العضد، وبنوتميم يذكّرون (٣).

وقال اللحياني: العضد مؤنّثة لاغير (٤).

قال الفارابي في ديوان الأدب: شدّ عضده أي: قوّاه (٥).

---

(١) المصباح المنير: ص٥٦٧.

(٢) لسان العرب: ج٣ ص٢٩٢.

(٣) المصباح المنير: ص٥٦٧.

(٤) لسان العرب: ج٣ ص٢٩٢.

(٥) ديوان الأدب: ج٣ ص١٢٠.

خاطِئِينَ، وَأعِنّي عَلىٰ تَرْبِيَتِهِمْ وَتَأديبهِمْ وَبِرِّهِمْ، وَهَبْ لي مِنْ لَدنْكَ مَعَهُمْ أوْلاداً ذُكُوراً، وَاجْعَلْ ذٰلِكَ خَيْراً لي، وَاجْعَلْهُمْ لي عَوْناً عَلىٰ ماسَألْتُكَ.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: «سنشدّ عضدك بأخيك»: العضد: قوام اليد وبشدّتها تشتدّ اليد، قال طرفة:

أبني لبيني لستم بيد الّا يداً ليست لها عضد

ويقال في دعاء الخير: شدّ الله عضدك، وفي ضدّه فتّ الله في عضدك، ومعنىٰ سنشدّ عضدك بأخيك: سنقوّيك به ونعينك، فإمّا أن يكون ذلك لأنّ اليد تشتدّ بشدّة العضد، والجملة تقوىٰ بشدّة اليد علىٰ مزاولة الأمور، وإمّا لأنّ الرجل شبّه باليد في اشتدادها باشتداد العضد، فجعل كأنّه مشتدّ بعضد شديدة(١)، إنتهىٰ.

فعلى الأوّل: هو كناية تلويحيّة عن تقويته.

وعلىٰ الثاني: استعارة تمثيليّة، شبّه حاله في تقويته بأخيه بحال اليد في تقويتها بعضد شديدة.

وفي قوله: في اشتدادها باشتداد العضد، إشارة إلىٰ تركّب التشبيه.

وأقام أوده: أي أزال اعوجاجه، والأوَد بفتحتين: العوج، وهو هنا مستعارة لاختلال الحال وخروجها عن حدّ الاستقامة، أي: وأصلح بهم اختلال حالي، والظاهر أنّ طلبه لذلك عليه السّلام إنّما هو علىٰ تقدير وقوعه، فكأنّه قال: إن وقع في شيءٍ من أحوالي أود واعوجاج فاقه بهم، وقد علمت أنّه لايلزم من صدق الشرطيّة صدق كلّ واحد من جزءيها، فلا يلزم من صدق كلامه عليه السّلام وقوع الاعوجاج حتّىٰ يحتاج إلىٰ إقامته بهم.

---

(١) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ٤١٠.

....

والرواية في أكثر النسخ: «وأقم به أودي» بإفراد الضمير، وهو باعتبار إرجاعه إلىٰ الشدّ المفهوم من قوله عليه السّلام: اشدّد، نحو قوله تعالىٰ: «أعدِلوا هُو أقرَبُ»(١).

وقيل: أو إلىٰ العضد ولو علىٰ وجه الإستخدام.

والعدد: الكميّة المتألفة من الوحدان، أو المراد به هنا كميّة جماعته من أهله وعترته؛ لما في كثرتهم من عزّة الجانب وحماية الحوزة.

قال الأعشىٰ:

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزّة للكاثر(٢)

أراد بالحصىٰ هنا العدد.

قال الجوهري: أحصيت الشيء: عددته، وقولهم: نحن أكثر منهم حصىٰ أي: عدداً(٣)، إنتهىٰ.

والمحضر: مكان الحضور، وتزيّن محضره بهم كناية عن تحليتهم بالفضائل والكمالات التي من حلّي بها كانت زينة للمحاضر والمشاهد إذا حضرها.

وأحياه: جعله حيّاً.

والمراد بالذكر هنا: الصيت والذكر الجميل في الناس.

قال في الأساس: ومن المجاز: له ذِكر في الناس أي: صيت وشرف (٤).

أي: أبق بهم ذِكري وأظهره بين الناس.

شبّه الإبقاء والإظهار بالإحياء في الإيجاد، ثمّ استعار لفظ الإحياء لذلك الإبقاء، وهي استعارة تبعيّة، والقرينة جعل مفعوله الذِكر، وهو لا يحيى حقيقةً؛

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨.

(٢) الصحاح: ج٦ ص٢٣١٥.

(٣) الصحاح: ج٦ ص٢٣١٥.

(٤) أساس البلاغة: ص٢٠٥.

....

لأنّ الإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة، وهي صفة تقتضي الحسّ والحركة الإرادية، وتفتقر إلى البدن والروح.

ويحتمل أن يكون استعارة بالكناية، بأن يكون شبّه ذِكره الذي ينقطع بعد موته بالإنسان الميّت، وأثبت له الاحياء الذي هو من لوازم المشبّه به. وحياة الذكر من مشهورات الاستعارات، قال الشاعر:

هو الموت فاختر ما حلالك ذكره فلم يمتِ الإنسان ما حيِيَ الذِكر(١)

وهذه الفقرة تتضمّن الدعاء بأمرين:

أحدهما: إبقاؤهم بعده ليذكر بهم بعد موته.

والثاني: جعلهم فضلاء كاملين، بحيث ينتشر صيته بهم في الناس.

وكفاه الأمر: قام مقامه فيه، أي: اجعلهم قائمين مقامي في غيبتي. وأعانه علىٰ أمره: ساعده عليه.

وحدب عليه حدباً -من باب تعب-: تعطّف عليه، فهو حدب علىٰ وزن كتف.

والإقبال: هنا كناية عن الإعتناء والإكرام؛ لأنّ من اعتنىٰ بأحد وأكرمه التفت إليه وأقبل عليه بوجهه.

ومستقيمين: أي مستوين لا اعوجاج فيهم، وذلك بالتحلّي بالأخلاق الفاضلة المعتدلة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين، أو ثابتين علىٰ الطاعة والبرّ دائمين علىٰ الانقياد لي،

ومنه حديث: استقيموا لقريش ما استقاموا لكم(٢).

---

(١) أنوار الربيع: ج ٣ ص ٩٨.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ١٢٥.

....

أي: دوموا لهم في الطاعة واثبتوا عليها ماداموا علىٰ الدين وثبتوا علىٰ الإسلام.

قوله عليه السّلام: «غير عاصين» إمّا نعت مؤكّد لمعنىٰ قوله: «مضعين»، أو حال مؤكّدة من الضمير في مطيعين. و«لا»: مزيدة لتأكيدما أفاده «غير» من معنىٰ النفي، كأنّه قيل: لاعاصين ولاعاقّين. ولا خاطئين: أي متعمّدين للذنب.

قال الأموي: المخطئ: من أراد شيئاً فصار إلىٰ غيره، والخاطئ: من تعمّد ما لاينبغي (١).

وقال الفيومي: قال أبوعبيدة: خطئ خطأ ـ من باب علم ـ وأخطأ: بمعنىٰ واحد لمن يذنب علىٰ غير عمد. وقال غيره: خطئ في الدين، وأخطأ في كلّ شيْ عامداً أو غير عامد.

وقيل: خطئ إذا تعمّد ما نهي عنه فهو خاطئ، وأخطأ إذا أراد الصواب فصار إلىٰ غيره، فإن أراد غير الصواب وفعله قيل: قصده وتعمّده(٢)، إنتهىٰ.

وفي الأساس: أخطأ في المسألة وفي الرأي، وخطئ خطأً عظيماً: إذا تعمّد الذنب (٣).

قوله عليه السّلام: «وهب لي من لدنك معهم» كلا الجارّين والظرف متعلّق بهب، فاللام صلة له، ومن: لابتداء الغاية مجازاً، ومع: لزمان الاجتماع، ويجوز أن يكون «من» متعلّقة بمحذوف وهو حال من المفعول، أي: كائنين من لدنك، كما يجوز أن يكون الظرف من قوله: «معهم كذلك» أي: حال كونهم معهم.

و«من» في قوله: «من لدنك»: تنبيه علىٰ أنّ هذا المقصود لايكون ولايحصل إلّا من عنده تعالى.

---

(١) لسان العرب: ج ١ ص ٦٧ مادة خطأ.

(٢) المصباح المنير: ص ٢٣٩ـ ٢٤٠.

(٣) أساس البلاغة: ص ١٦٧.

....

والذكر بالتحريك: خلاف الأُنثىٰ، والجمع ذكور وذكران، ولا يجوز جمعه بالواو والنون؛ لأنّ ذلك مختصّ بالعلم العاقل، والوصف الذي يجمع مؤنّثة بالألف والتاء، وماشذّ عن ذلك فمسموع لاقياس عليه.

وقوله عليه السّلام: «واجعل ذلك خيراً لي» فيه احتراز علىٰ وجه التلميح إلىٰ قوله تعالى: «أيَحسَبونَ أنّما نَمدُّهم بِهِ مِن مالٍ وبنينَ نُسارِعُ لَهم في الخَيراتِ بل لايَشعُرون»(١) أي: أيحسبون أنّ الذي نمدّهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم؟ كلاّ لانفعل ذلك، بل هم لايشعرون بأنّ ذلك الإمداد استدراج لهم واستجرار لهم إلىٰ زيادة الإثم، فهو شرّ لهم.

فسأل عليه السّلام: أن تكون هبة ما سأله من الأولاد خير له: حتّىٰ لايكون داخلاً في مضمون هذه الآية ونحوها.

وقوله عليه السّلام «واجعلهم لي علىٰ ماسألتك» أي: علىٰ النحوالذي سألتك إيّاه في الأولاد الذينَ وهبتهم لي سابقاً، من المنّة عليّ ببقائهم وإصلاحهم إلىٰ قوله: «وأعنّي علىٰ تربيتهم وتأديبهم وبرّهم».

وفي نسخة: «واجعلهم عوناً لي علىٰ ماسألتك»، فيجوز تعلّق «علىٰ» بقوله: «عوناً» فيكون ما سأله عليه السّلام: سؤالاً تقدّم منه لاذكر له هنا، ويجوز أن يكون متعلّقاً بمحذوف هو صفة لقوله «عوناً»، أي: كائناً علىٰ النحو الذي سألتك في الأولاد الموجودين، من شدّ عضدي وإقامة أودي بهم، إلى غير ذلك ممّا سبق سؤاله.

وقول بعض المترجمين: ليس في أكثر النسخ المصحّحة قوله: «عوناً»، لكنّه مراد؛ لأنّ اللام للنفع و«علىٰ» للضرر، لامعنىٰ له، بل المعنىٰ علىٰ عدم قوله:

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥٥.

وأعِذْني وَذُرِّيتي مِنَ الشَيْطانِ الرَجيمِ، فَإنّكَ خَلَقْتَنا، وَأمَرْتَنا وَنَهيْتَنا، وَرَغَّبْتَنا في ثَوابِ ما أمَرْتَنا، وَرَهَّبْتَنا عِقابَهُ، وَجَعَلْتَ لَنا عَدُوّاً يَكيدُنا، سَلَّطْتَهُ مِنّا عَلىٰ مالَم تُسَلِّطْنا عَلَيْهِ مِنْهُ أسْكَنْتَهُ صُدُورَنا، وَأجْرَيْتَهُ مَجاريَ دِمائِنَا، لايَغْفَلُ إنْ غَفَلْنا، وَلا يَنْسىٰ إنْ نَسينا، يُؤمِنُنا عِقابَكَ وَيَخَوِّفُنا بِغَيْرِكَ، إنْ هَمَمْنا بِفاحِشَةٍ شَجَّعَنا عَلَيْها، وَإنْ هَمَمْنا بِعَمَلٍ صالِحٍ ثَبَّطَنا عَنْهُ، يَتَعَرَّضُ لَنا بِالشَّهَواتِ، وَيَنْصِبُ لَنا بِالشُّبُهاتِ، إنْ وَعَدَنا كَذَبَنا، وإنْ مَنّانا أخْلَفَنا، وَإلّا تَصْرِفْ عَنّا كَيْدَهُ يُضِلَّنا، وَإلّا تَقِنا خَبالَهُ يَسْتَزِلَّنا، اَللّهُمَّ فَاقْهَر، سُلْطانَهُ عَنّا بِسُلطانِكَ، حتّىٰ تَحْبِسَهُ عَنّا بِكَثْرَةِ الدُعاءِ لَكَ، فَنُصْبِحَ مِنْ كَيْدِهِ فِي المَعْصُومينَ بكَ.

«عوناً» أوضح، والله أعلم.

أعذني: أي أجرني بحفظك.

وذرّيتي: عطف على الضمير.

والرجيم: أي المطرود، وأصل الرجم الرمي بالحجارة.

والفاء: لتعليل طلب الإعادة، فهي للدلالة علىٰ سببيّة مابعدها لما قبلها.

وعائد الموصول من قوله: «ما أمرتنا» محذوف، أي: ما أمرتنا به، كقوله تعالىٰ: «فاصْدَعْ بِما تُؤمر»(١) أي: تؤمر به.

والضمير من «عقابه» إمّا عائد إلىٰ قوله: «ما أمرتنا» باعتبار مخالفته، أو إلىٰ مادلّ عليه سياق الكلام، أي: عقاب ما نهيتنا عنه.

وجعلت: إمّا بمعنىٰ خلقت، فيكون متعدّياً إلىٰ واحد، والجارّ والمجرور متعلّق به، أو بمحذوف وقع حالاً ممّا بعده لكونه نكرة.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩٤.

....

وإمّا بمعنىٰ صيّرت، فيكون متعدّياً إلىٰ مفعولين، أوّلهما: عدوّاً، وثانيهما: الظرف المتقدّم، قدّم علىٰ الأوّل مسارعة إلىٰ بيان العداوة، وهو متعلّق بمحذوف أي: عدوّاً كائناً لنا؛ فإنّ خبر «صار» في الحقيقة هو الكون المقدّر العامل في الظرف.

وجملة «يكيدنا» في محلّ نصب صفة لعدوّ.

تنبيه

اختلفوا في سبب عداوة إبليس لآدم عليه السّلام وذرّيته، فقال بعضهم: إنّه الحسد، وذلك أن إبليس لـمّا رأىٰ ما أكرم(١) الله به آدم، من إسجاد الملائكة له وتعليمه مالم يُطلع عليه الملائكة، حسَده وعاداه وذرّيته.

وقال آخرون: إنّ السبب هوتباين أصليهما، ولمنافرة الأصلين أثر قويّ في منافرة الفرعين، قالوا: وتباين أصليهما هو منشأ القياس الفاسد من إبليس حين أمر بالسجود، وذلك قوله: «أنا خَيرٌ مِنه خَلَقتَني مِن نارٍ وَخَلقتَه مِن طِينٍ»(٢)، فكأنّه في خطابه يقول: إنّ آدم جسماني كثيف وأنا روحاني لطيف، والجسماني أدون حالاً من الروحاني، والأدون كيف يليق أن يكون مسجوداً للأعلىٰ؟ وأيضاً فإنّ أصل آدم من صلصال من حمأٍ مسنون، والصلصال في غاية الدناءة، وأصلي من أشرف العناصر، وإذا كان أصلي خيراً من أصله وجب أن أكون خيراً منه وأشرف، والأشرف يقبح أن يأمر بالسجود للأدون. قالوا: فكان ذلك قياساً، فأوّل من قاس هو إبليس، فأجابه الله جواباً على سبيل التنبيه دون التصريح: «أُخرُج مِنها مَذءُوماً مَدحُوراً»(٣)

قال بعض الفضلاء: وتقريره أنّ الذي قاله تعالىٰ نصّ بحكم الحكمة الإلهيّة والقدرة الربّانيّة، والذي قاله إبليس قياس، ومن عارض النصّ بالقياس كان

---

(١) (ج) كرّم. (٢) سورة الأعراف: الآية ١٢. (٣) سورة الأعراف: الآية ١٨.

....

مرجوماً ملعوناً، وإنّما نَسب حصول عداوة إبليس لنا إلىٰ الله تعالىٰ في قوله: «وجعلت لنا عدوّاً»؛ لكونه سبحانه السبب الأوّل في وجوده، وإن لم يكن تعالى هو الداعي إلى العداوة، كما يقال: أضلّه الله، من حيث إنّه تعالى هو السبب الأول في وجوده و وجوده سببه المضلّ، وإن لم يكن(١) هو الداعي إلىٰ الضلال.

وسلّطه على الشيء تسليطاً: مكّنه منه، كأنّما جعل له عليه سلطاناً.

والجملة إمّا استئناف نحوي لانقطاعها عمّا قبلها لفظاً، وإمّا صفة ثانية لعدوّ، ولا يمنع منه عدم حرف العطف بين الجملتين كما توهّمه بعضهم، فإنّ الصفة تتعدّ بغير عاطف وإن كانت جملة، كما في الخبر نحو: «الرحمٰنُ * عَلَّمَ القُرآنَ * خَلَقَ الإنسانَ * عَلَّمَه البيان»(٢).

نصّ عليه ابن هشام في المغني.

وقوله:(٣) «منا» إمّا ظرف لغو متعلّق بسلّطته، أو مستقرّ حال من النكرة الموصوفه، وهي «ما» من قوله. «على مالم تسلّطنا».

والتقدير: سلّطته علىٰ شيء حال كونه منّا مالم تسلّطنا حال كونه منه.

فمن علىٰ الأوّل ابتدائيّة، وعلىٰ الثاني بيانيّة.

وجملة قوله: «أسكنته صدرونا» مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنّه سئل كيف سلّطته منكم علىٰ مالم أُسلّطكم عليه منه؟ فقال: أسكنته صدورنا وقول بعضهم: إنّها صفة ثالثة، ليس بشيء.

وفيه إشارة إلى قوله تعالى: «الّذي يُوَسوِسُ في صُدورِ الناسِ»(٤).

وعن ابن عبّاس: «أنّ الله تعالىٰ جعل صدور بني آدم مسكناً للشيطان»(٥).

---

(١) (ج) لم يكن تعالى.

(٢) سورة الرحمن الآية ١ ـ ٤.

(٣) (ج): عليه السّلام.

(٤) سورة الناس: ٥.

(٥) مرآة العقول: ج ٩ ص ٣٩٣.

....

قيل: المراد بالصدورهنا القلوب، تسميةً للحال باسم محلّه مجازاً.

كما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: إنّ الشيطان واضع خطمه علىٰ قلب ابن آدم، فإذا ذكرالله خنس، وإن نسي التقم قلبه(١).

والخطم من كلّ طائر: منقاره، ومن كلّ دابّة: مقدّم أنفه وفمه.

وعنه صلّى الله عليه وآله: أنّ الشيطان ليخطم علىٰ قلب بني آدم، له خرطوم كخرطوم الكلب، إذا ذكر العبدُ الله عزّوجلّ خنس ـ أي: رجع علىٰ عقبيه ـ وإذا غفل عن ذكرالله تعالىٰ وسوس (٢).

ولا خفاء في أنّه لادلالة في الحديثين على كون المراد بالصدور القلوب.

وقال بعض المفسّرين: إنّما قال سبحانه: «الّذي يُوَسوِسُ في صُدورِ النّاسِ»(٣)، ولم يقل: في قلوبهم؛ لأنّ الشيطان لا تسلّط له علىٰ قلب المؤمن الذي هو بين اصبعين من أصابع الرحمن.

قال المحقّقون: ليس للشيطان علىٰ القلب سبيل، وإنّما الشيطان يجيءُ إلىٰ الصدر الذي هو حصن القلب، فيبث فيه هموم الدنيا والحرص علىٰ الزخارف، فيضيق القلب حينئذٍ، ولا يجد للطاعة لذّة ولا للإيمان حلاوة ولا علىٰ الإسلام طلاوة، فإذا طرد العدوّ بذكرالله والإعراض عمّا لايعنيه، حصل الأمن وانشرح القلب وتيسّر له القيام بأداء العبوديّة.

والحقّ أنّه يجوز أن يراد بالصدر محلّ القلب، باعتبار كونه موضع تعلّق النفس الناطقة بالحيوانيّة؛ ولذا ينسب إليه الشرح والضيق.

---

(١) الدّرالمنثور: ج ٦ ص ٤٢٠، والجامع: الصغير: ج ١ ص ٨١ ، ومرآة العقول: ج ٩ ص ٣٩٢.

(٢) مرآةالعقول: ج ٩ ص ٣٩٣: وفيه: «إن الشيطان ليجثم»، وتفسير القرطبي: ج ٢٠ ص ٢٦٢ مع اختلاف يسير في الفاظ الحديث.

(٣) سورة الناس: الآية ٥.

....

ويجوز أن يراد به القلب الذي هو المضغة الصنوبريّة المودعة في التجويف الأيسر من الصدر، باعتبار أنّه محلّ اللطيفة الإنسانيّة؛ ولذا ينسب إليه الصلاح والفساد.

وقول المحقّقين: ليس للشيطان على القلب سبيل، فالمراد بالقلب اللطيفة الربّانيّة النورانيّة العالمة، التي هي مهبط الأنوار الالهيّة وبها يكون الإنسان إنساناً، فهي حقيقة الإنسان وبها يستعدّ لامتثال الأحكام، وبها صلاح البدن وفساده، ويعبّر عنها بالنفس الناطقة تارةً «ونفسٍ وماسوّيٰها»(١)، وبالروح أخرىٰ «قُل الرُوحُ مِن أمرِرَبّي»(٢)، وقد يعبّر عنها بالعقل باعتبار تجرّدها ونسبتها إلى عالم القدس؛ إذهي بهذا الإعتبار تعقل نفسها وتحبسها عمّا يقتضيه تعلّقها بالبدن، من الشرور والمفاسد المانعة لها من الرجوع إلى عالمها القدسي، وهي جوهر مجرّد عن المادّة في ذاتها دون فعلها في الأبدان بالتصرّف والتدبير.

قال بعضهم: إنّما عظمّ الشارع أمر القلب، لصدور الأفعال الاختياريّة عنه وعمّا يقوم به من العلوم، ورتب الأمر فيه على المضغة، والمراد بها العقل الذي هوالنفس الناطقة المتعلّقة بها، فذلك من إطلاق اسم المحلّ علىٰ الحال، إنتهىٰ.

وممّا يدلّ علىٰ ما قاله المحقّقون من عدم تسلّط الشيطان علىٰ قلب المؤمن، مارواه ثقة الإسلام في الكافي عن الصادق عليه السّلام:

أنّ الله تعالىٰ يبتلي المؤمن بكلّ بليّة ويميته بكلّ ميتة، ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترىٰ أيّوب كيف سُلّط إبليس علىٰ ماله وولده وعلىٰ أهله وعلىٰ كلّ شيءٍمنه، ولم يسلّط علىٰ عقله، ترك له يوحّد الله به(٣).

وفي هذا المعنىٰ أحاديث آخر من طريق أهل البيت عليهم السّلام.

قوله عليه السّلام: «أجريته مجاري دمائنا» المجاري: جمع مجرىٰ، وهو إمّا مصدر

(١) سورة الشمس الآية ٧. (٢) سورة الأسراء: الآية ٨٥. (٣) الكافي: ج٢ ص٢٥٦ ح٢٢.

....

ميمي فيكون نصبها علىٰ المصدرية، أو اسم مكان فيكون نصبهٰ علىٰ الظرفيّة.

وفي الحديث من طرق العامّة: أنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم(١).

وعن أبن عبّاس: أنّ الله تعالىٰ جعل الشيطان يجري من بني آدم مجرىٰ الدم(٢).

قال الطيبي في شرح المشكاة: وجريانه إمّا حقيقية فإنّه لطيف من نار لايمتنع سريانه كالدم، أو مجازيّة وعلاجه سدّ المجاري بالجوع (٣).

وقال الكرماني في شرح البخاري: جريانه يحتمل الحقيقة، بأن جعل له قدرة على الجري في باطن الإنسان، والاستعارة لكثرة وسوسته (٤)

وقيل: إنّه يلقي الوسوسة في مسام لطيفة فتصل إلىٰ القلب.

وقال الأزهري: معنىٰ جريانه مجرىٰ الدم أنّه لايفارق ابن آدم مادام حيّاً، كما لايفارقه دمه. قال: وهذا علىٰ ضرب المثل(٥).

والجمهور حملوه على ظاهره وقالوا: إنّ الشيطان جعل له هذا القدر من التطرّق إلىٰ باطن الآدمي بلطافة هيئته، فيجري في العروق التي هي مجاري الدم إلىٰ أن يصل إلىٰ قلبه، فيوسوسه علىٰ حسب ضعف إيمان العبد وقلّة ذكره وكثرة غفلته، ويبعد عنه ويقلّ تسلّطه وسلوكه إلىٰ باطنه بمقدار قوّته ويقظته ودوام ذكره واخلاص توحيده(٦)، إنتهىٰ.

---

(١) نهج الفصاحة: ص ١٢٨. ح ٦٤٠، صحيح البخاري: ج ٩ ص ٨٧ باب ٢٠.

(٢) مرآة العقول: ج ٩ ص ٣٩٣.

(٣) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٤) شرح البخاري للكرماني: ج ١٣ ص ٢٠٢ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٥) تهذيب اللغة ج ١١ ص ٣١٢ نقلاً بالمعنى.

(٦) مرآة العقول: ج ٩ ص ٣٩٣- وج ١١ ص ٣١٢.

....

وعن ثابت البناني: بلغنا أنّ إبليس قال: يا ربّ إنّك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلّطني عليه، فقال سبحانه: جعلت صدورهم مساكن لك، فقال: ربّ زدني، فقال: لايولد ولد لآدم إلّا ولد لك عشرة، فقال: ربّ زدني، فقال: تجري منهم مجرىٰ الدم، قال: ربّ زدني، قال: إجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد. قال: فشكىٰ آدم إلىٰ ربّه، فقال: يا ربّ إنّك خلقت إبليس، وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء، وسلّطته عليّ وأنا لاأُطيقه إلّا بك، فقال الله تعالى:لايولدلك ولداً إلّا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء، قال: ربّ زدني، قال: الحسنة بعشر أمثالها، قال: ربّ زدني، قال: لا أحجب عن أحد من ولدك التوبة مالم يغرغروا(١). والغرغره: تزدّد الروح في الحلق.

وقريب من هذا المعنىٰ مارواه ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن أو صحيح، عن أبي عبدالله أو أبي جعفر عليهما السلام، قال: إنّ آدم عليه السّلام قال: يا ربّ سلّطت عليّ الشيطان وأجريته منّي مجرىٰ الدم، فاجعل لي شيئاً، فقال: يا آدم جعلت لك أنّ من همّ من ولدك بسيّئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت له سيّئة، ومن همّ منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة، فإن هو عملها كتبت له عشراً، قال: يا ربّ زدني، قال: جعلت لك أنّ من عمل منهم سيّئة ثمّ استغفر غفرت له، قال: يا ربّ زدني، قال: جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتّىٰ تبلغ النفس هذه، قال: يا ربّ حسبي (٢).

قوله عليه السّلام: «لا يغفل إن غفلنا ولا ينسى إن نسينا» الغفلة: عبارة عن عدم التفطّن للشيء وعدم عقليّته بالفعل، سواء بقيت صورته أو معناه في الخيال أو الذكر أو انمحت عن أحدهما، وهي أعمّ من النسيان؛ لأنّه عبارة عن الغفلة عن

---

(١) الدرالمنثور: ج ٤ ص ١٩٢.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٤٠. ح ١.

....

الشيء مع انمحاء صورته أو معناه عن الخيال أو الذكر بالكليّة؛ ولذلك يحتاج الناسي إلىٰ تجشّم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانياً.

ومعنىٰ لايغفل ولاينسى: إمّا أنّه لايكون منه غفلة ولانسيان، فيكون المراد سلبهما عنه مطلقاً؛ لأنّهما من لواحق القوىٰ الإنسانيّة وعوارض هذا البدن، فيكونان مسلوبين عن الشياطين، وإمّا أنّه لايغفل عنّا إن غفلنا عنه ولا ينسانا إن نسيناه، فيكون حذف متعلّق الفعل لمجرّد الاختصار مع قيام القرينة.

قوله عليه السّلام: «يؤمننا عقابك ويخوّفنا بغيرك» من عداوة الشيطان للإنسان أنّه يعده الأمان من عذاب الله وعقابه، وذلك منه علىٰ وجوه:

فمنهم من يعده أنّه لاقيامة ولاحساب، ولاجزاء ولاعقاب.

ومنهم من يحمله علىٰ اعتقاد أنّ الوعيد علىٰ ألسن الرسل من باب مجرّد التخويف، ولاعقاب في الآخرة.

ومنهم من يحمله علىٰ فعل المعاصي ويقول: إنّ الله غفور رحيم، فيمنيّه المغفرة حتّىٰ يخرج من الدنيا ولاحسنة له، ويسوّل له أنّ ذلك من حسن الظنّ بالله، وكذب لأنّه لوأحسن الظنّ به لأحسن العمل له.

ومن عداوته أن يخوّف بغيرالله، فمنهم من يخوّفه قهر الأوثان وغضبها في ترك عبادتها، ويأمرهم بالإخلاص فيها.

ومنهم من يخوّفه بأس الأعداء، فيثبّطه عن الجهاد في سبيل الله.

ومنهم من يخوّفه الفقر، فيمنعه من الصدقات وإيتاء الزكاة، إلى غير ذلك.

وقال بعضهم: إنّ قيل: كيف يؤمننا ويخوّفنا ونحن لانشاهده ولانسمع كلامه؟ قلنا: ذلك عبارة عن وسوسته بالأمان والخوف، كما تقول: نفسي تخوّفني بكذا، وهو ظاهر.

قوله عليه السّلام: «إن هممنا بفاحشة شجّعنا عليها، وإن هممنا بعمل صالح

....

ثبّطنا عنه» هممت بالشيء همّاً -من باب قتل-: إذا أردته ولم تفعله. والفاحشة: ما يشتدّ قبحه من الذنوب.

وشجّعه على الأمر تشجيعاً: جرّأه وأقدمه عليه، وأصله في الحرب، يقال: شجّع بالضمّ شجاعة: إذا قوى قلبه واستهان بالحروب جرأةً وإقداماً.

وثبّطه تثبيطاً: قعد به عن الأمر وشغله عنه، أي: منعه تخذيلاً ونحوه، وهذا التشجيع والتثبيط، بإلقاء الخواطر الفاسدة منه.

قوله عليه السّلام: «يتعرّض لنا بالشهوات وينصب لنا بالشبهات» تعرّضه وتعرّض له يتعدّى بنفسه و بالحرف: إذا تصدّى له وطلبه.

والشهوة: اشتياق النفس الى الملائم، وقد تفسّر بالميل إلى المعاصي وزهرات الدنيا، وهو المراد هنا.

والباء: إمّا للملابسة على حذف مضاف، أي: ملتبساً بتهيّج الشهوات، أو للاستعانة نحو: كتبت بالقلم وقطعت بالسكّين.

وقوله: «وينصب لنا» إمّا من نصبت الشيء-من باب ضرب-: إذا أقمته، فتكون الباء في المفعول زائدة، وهي كثيراً ماتزاد فيه وإن لم يكن مقيساً مع كثرته، ومنه: «فليَمدُد بِسببٍ إلى السّماءِ»(١)، «وهُزّي إليكِ بِجذعِ النَخلةِ»(٢)، «ومن يرِد فيهِ بإلحادٍ»(٣). وإمّا من نصبت له رأياً: إذا أشرت عليه به.

قال الزمخشري في الأساس: نصبت له رأياً إذا أشرت عليه برأي لايعدل عنه (٤).

فتكون الباء صلة لينصب بتضمينه معنى يشير، أي: يشير علينا بالشبهات.

---

(١) سورة الحج: الآية ١٥.
(٢) سورة مريم: الآية ٢٥.
(٣) سورة الحج: الآية ٢٥.
(٤) أساس البلاغة: ص٦٣٥.

....

ويمكن أن يقال: إن المراد وينصب لنا الإغواء والإضلال بالشبهات، فحذف المفعول به، والباء للآلة، كما قيل في قوله تعالى: «ولا تُلقُوا بِأيدِيكُم إلى التَّهلُكةِ»(١) إنّ المراد لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بأيديكم، فحذف المفعول، كما يقال: لا تفسد أمرك برأيك.

ويحتمل أن يكون «ينصب» لازماً، من نصب له بمعنى عاداه.

قال في الأساس: نصبت لفلان: عاديته نصباً. قال جرير:

وإذا بنو أسدٍ عليَّ تحزبوا نصبت بنو أسدٍ لمن راماني

ومنه الناصبيّة والنواصب وأهل النصب الذين ينصبون لعليّ كرّم الله وجهه»(٢) إنتهى.

فتكون الباء من قوله: «بالشبهات» للملابسة، أي: يعادينا ملتبساً بإيقاع الشبهات، وهي كلّ باطل أخذه الوهم بصورة الحقّ وشبّهه به؛ ولذلك سمّي شبهة.

قوله عليه السّلام: «إن وعدنا كذبنا، وإن منّانا أخلفنا».

والوعد: هو الأخبار بما يكون من جهة الخير مترتباً على شيء من زمان.

وكذبنا بالتخفيف من قولهم: كذب أخاه إذا لم يصدق في قوله له، وفي التنزيل «وقعَدَ الّذينَ كَذَّبُوا اللهَ ورَسولَه»(٣)، وقد يتعدّى إلى مفعولين فيقال: كذبتك الحديث، أي: لم أصدقك، ومثله صدق ومنه: «لَقَد صَدَقَ اللهُ رَسولَه الرُّؤيا بالحقّ»(٤). فإن حملت عبارة الدعاء على هذا فالمفعول محذوف لتعيّنه، أي: كذبنا وعده.

وأخلف الوعد: لم يفعله.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

(٢) أساس البلاغة ٦٣٥.

(٣) سورة التوبة: الآية ٩٠.

(٤) سورة الفتح: الآية ٢٧.

....

قال الفارابي: في ديوان الأدب: أخلف ماوعده وهو أن يقول شيئاً ولايفعله علىٰ الاستقبال(١)، إنتهىٰ.

وهو يتعدّىٰ إلىٰ مفعولين فيقال: أخلفه موعده، والمفعول الثاني هنا محذوف، أي: أخلفنا ما منّانا، ومفعولا وعدنا ومنّانا محذوفان، أي: المواعيد الباطلة والأماني الفارغة، أوهما من باب فلان يعطي ويمنع، أي: يفعل لنا الوعد والتمنية، وهما إما بالوسوسة وإلقاء الخواطر الفاسدة، أو بألسنة أوليائه. وفي هاتين الفقرتين تلميح إلى قوله تعالىٰ: «يَعِدُهم ويُمنّيهِم ومايَعِدُهم الشيطانُ إلّا غُروراً»(٢)، وإنّما جيء بالجمل الخمس المذكورة غير متعاطفة تنبيهاً علىٰ استقلال كلّ منها، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «وإلّا تصرف عنّا كيده يضلّنا، وإلّا تقنا خباله يستزلّنا» أي: وإن لم تصرف، وإن لم تقنا.

قال ابن هشام في المغني: قد تقترن إن الشرطيّة بلا النافية، فيظنّ من لامعرفة له أنّها إلّا الاستثنائيّة، نحو: وإلّا تصرّف عنّي كيدهنّ اصب إليهن»، ولقد بلغني أنّ بعض من يدّعي الفضل سأل في «إلّا تفعلوه»، فقال: ماهذا الاستثناء، أمتّصل هو أم منقطع؟(٣)، إنتهىٰ.

وصرف الله عنه السوء- من باب ضرب- كفّه عنه.

ووقاه يقيه: حفظه.

والخبال بالفتح: الفساد.

وفي القاموس: وكسحاب: النقصان والهلاك والعناء. والكلّ(٤).

واستزلّه: طلب منه الزلّة ودعاه إليها.

---

(١) ديوان الأدب: ج٢، ص٣١٤.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٠.

(٣) مغني اللبيب: ص٣٣.

(٤) القاموس المحيط: ج٣ ص٣٦٥.

....

يقال: زلّ في منطقه وفعله يزلّ -من باب ضرب- زلّةً: إذا أخطأ.

والمعنىٰ: إن لم تصرف عنّا كيد الشيطان وتكفّه عنّا وتحفظنا من فساده، يحملنا على الضلال ويدعونا إلىٰ الزلل، فنتّبعه ونطيعه علىٰ مقتضىٰ النفس الأمّارة وحكم القوّة الشهويّة.

وهذا فزع منه عليه السّلام إلى ألطاف الله تعالىٰ، جرياً علىٰ سنن الأنبياء والأوصياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة من الشرور والمكاره علىٰ جناب الله عزّوجلّ، وسلب القوىٰ والقُدَر عن أنفسهم، ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيده ووقاية فساده، بإظهار أن لاطاقة له بالمدافعة، كقول المستغيث: أدركني وإلّا هلكت.

تنبيه

الرواية المشهورة في قوله عليه السّلام: «يضلّنا ويستزلّنا» بفتح اللام المشدّدة، وأصلها يضللنا ويستزللنا بالجزم علىٰ أنّهما جوابان للشرط، فأُدغمت اللام الأُولىٰ في الثانية كراهيّة إجتماع المثلين، وحرّكت الثانية لالتقاء الساكنين، وأوثر الفتح طلباً للخفّة مع ثقل التضعيف. وثبت في بعض النسخ «يضلّنا ويستزلّنا» بضمّ اللام المشدّدة، وهو كقوله تعالىٰ: «وإن تَصبِروا وتَتقُوا لا يَضرّكُم كَيدُهم شَيئاً»(١) بضمّ الراء المشدّدة في القراءة المشهورة. واختلفوا في تخريجه، فقيل: هو علىٰ حذف الفاء، أي: فلا يضرّكم.

وقيل: علىٰ حذف الجواب: وجعل الفعل المرفوع دليلاً عليه منويّاً تقديمه علىٰ الشرط، والتقدير: لايضرّكم كيدهم إن تصبروا.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٠.

....

وردّ المحقّقون كلا القولين: بأنّ حذف الفاء مختصّ بالشعر، والجواب لايحذف في السعة إلّا إذا كان فعل الشرط ماضياً، وأمّا إذا كان مضارعاً فحذفه ضرورة لايجوز إلّا في الشعر، وتخريج القراءة المتواترة علىٰ شيء لايجوز إلّا في الشعر غير صواب.

وقال بعضهم: هو مجزوم والضمّة إتباع، كالضّمة في قولك: لم يسدّ ولم يردّ، واستصوبه ابن هشام.

وقال قوم: إنّه مجزوم، لكنّه لمّا اضطرّ إلىٰ تحريكه حرّك بحركته الإعرابيّة المستحقّ لها في الأصل.

إذا عرفت ذلك، فتخريج الرواية المذكورة في عبارة الدعاء علىٰ الوجهين الأوّلين غير صواب؛ لأنّه عليه السّلام أفصح الخلق في زمانه، وتخريج كلامه علىٰ شيء مختصّ بالضرورة لاوجه له.

وأمّا الوجه الثالث: فلايتمشّىٰ هنا، فتعيّن حملها على الوجه الرابع.

وقد وقع في بعض التعاليق على الصحيفة الشريفة أن الجواب محذوف، وقوله(١): «يضلّنا ويستزلّنا» جملتان مفسّرتان له، والحذف ليذهب الوهم كلّ مذهب، والتقدير: وإلّا تصرف عنّا كيده تصيبنا داهية كبيرة، وهو أنّه يضلّنا علىٰ كلّ حال، ولا نجد عنه محيصاً قال: وهذه القاعدة ـ أعني حذف الجواب لدلالة الكلام عليه ـ طريقة مسلوكة للبلاغة في التنزيل الكريم، منها: «وَلَولا رِجالٌ مؤمنونَ ونساءٌ مؤمنات»(٢) الآية، ومنها: «فلَولا إنْ كُنتُم غَيرَمَدينين * تَرجِعونَها إن كُنتُم صادِقِينَ»(٣)، إنتهىٰ.

---

(١) (ج): عليه السّلام:
(٢) سورة الفتح: الآية ٢٥.
(٣) سورة الواقعة: الآية: ٨٦ و٨٧.

....

وهو كلام عجيب يدلّ على قصور قائله في علم العربية جدّاً. أمّا أوّلاً: فدعوىٰ الحذف في مثل ذلك مردودة، بنصّ سيبويه وغيره من أئمّة العربيّة أنّه لا يحذف جواب الشرط الجازم إلّا وفعل الشرط ماض كما تقدّم، فكيف يجعل ذلك داخلاً في قاعدة حذف الجواب التي هي طريقة مسلوكة للبلاغة؟.

وأمّا ثانياً: فإنّ هذا التقدير الذي قدّره جواباً لا يدلّ عليه دليل ولا قرينة، إذ لا يستدعيه الكلام أصلاً، بل الجواب هو قوله: «يضلّنا ويستزّلنا» قطعاً؛ لتوقّف مضمونها على حصول الشرط، ومن ارتكب دعوىٰ الحذف فإنّما ارتكبها من حيث الصناعة النحويّة ليعطي القواعد حقّها، وإن لم يكن المعنىٰ متوقّفاً عليه، وقد علمت ما فيه.

وأمّا ثالثاً: فقد صرّحوا بأنّ شرط الدليل اللفظي أن يكون طبق المحذوف لفظاً ومعنى، نحو: زيداً اضربه، أو معنىً إن تعدّد اللفظ، نحو: زيداً مررت به أي: جاوزت، وما قدّره من الجواب أعمّ ممّا زعم أنّه دليل لفظي عليه، فكيف يكون مدلولاً له؟ «والله يقولُ الحَقَّ وهو يَهدي السَّبيل»(١).

قوله عليه السّلام: «اللّهم فاقهر سلطانه عنّا بسلطانك» إلىٰ آخره الفاء: لترتّب الدعاء علىٰ ماذكر، وتصدير الجملة بالنداء مبالغة في التضرّع.

وقهر يقهره قهراً -من باب منع-: غلبه، وعدّاه بـ«عن» لتضمينه معنى الدفع.

والسلطان: التسلّط، وقدرة الملك، ومن كلّ شيء شدّته. وحتّى: بمعنى كي التعليليّة.

وحبسه حبساً -من باب ضرب-: منعه.

والباء من قوله: «بكثرة الدعاء»: للسببيّة أو الاستعانة.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤.

أَللّهُمَّ أعطِني كُلَّ سُؤْلي، واقْضِ لي حَوائِجِي، وَلا تَمْنَعْني الإجابَةَ وَقَدْ ضَمِنْتَها لي، وَلا تَحْجُبْ دَعائي عَنْكَ وَقَدْ أمَرْتَني بِهِ وَامْنُنْ عَلَيَّ بكُلِّ ما يُصْلِحُني في دُنْيايَ وَآخِرَتي، ماذَكَرْتُ مِنْهُ وما نَسيتُ، أوْ أظْهَرْتُ أوْ أخْفَيْتُ، أوْ أعْلَنْتُ أوْ أسْرَرْتُ واجعلني في جميع ذَلِكَ مِنَ

وقوله عليه السّلام «فنصبح» بالنصب عطف علىٰ قوله: «تحبسه» والفاء: للسببيّة والتعقيب؛ لأنّ السبب التام يستعقب مسبّبه من غير تراخ.

ونصبح: بمعنىٰ نصير، كقوله تعالىٰ: «فأصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إخواناً»(١).

وقوله عليه السّلام: «في المعصومين بك» أي: كائنين في جملة الممنوعين المحفوظين بسببك أو باستعانتك، أو في جملة أرباب العصمة، وهي فيض إلهي يقوىٰ به العبد علىٰ تحرّي الخير وتجنّب الشرّ.

وقال الحكماء: هي ملكة تمنع الفجور، ويحصل بها العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات.

وقيل: هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكّن منها، والله أعلم *

السؤل بالضمّ والهمز: المطلوب الذي يسأل.

قال الزمخشري: في الأساس: أصبت منه سؤلي: طلبتي،فعل بمعنىٰ مفعول كعرف ونكر(٢) إنتهىٰ.

وفي الحديث: كلّ نبيّ سئل سؤلاً (٣). وقد تترك منه الهمزة للتخفيف.

وقضىٰ حاجته: أنجزها له وبلّغه إيّاها.

وفي قوله عليه السّلام: «حوائجي» شاهد علىٰ أنّ حاجة جمع حوائج، خلافاً لمن أنكر ذلك، وقد تقدّم الكلام على ذلك مستوفى في الروضة الثالثة عشرة(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) أساس البلاغة: ص٢٨١.

(٣) سنن الترمذي: ج ٤ ص ٤٣١.

(٤) ج ٢ ص.

الْمُضْلِحِينَ بِسُؤَالِي إيّاكَ ، الْمُنْجِحِينَ بِالطَّلَبِ إلَيْكَ ، غَيْرِ الْمَمْنُوعِينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، الْمُعَوَّدِينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ ، الرابِحِينَ فِي التِجارَةِ عَلَيْكَ ، الْمُجارِينَ بِعِزِّكَ ، الْمُوَسَّعِ عَلَيْهِمْ الرِزْقُ الْحَلالُ مِنْ فَضْلِكَ الواسِعِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ ، الْمُعَزِّينَ مِنَ الذُلِّ بِكَ ، وَالْمُجارِينَ مِنَ الظُلْمِ بِعَدْلِكَ ، وَالْمُعافَيْنَ مِنَ البَلاءِ بِرَحْمَتِكَ ، وَالْمُغْنَيْنَ مِنَ الفَقْرِ بِغناك ، وَالْمَعْصُومِينَ مِنَ الذُنُوبِ وَالزَلَلِ وَالخَطَأ بِتَقْواكَ ، وَالْمُوَفَّقِينَ لِلْخَيْرِ وَالرُشْدِ وَالصَوابِ بِطاعَتِكَ ، وَالْمُحالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُنُوبِ بِقُدْرَتِكَ ، التارِكِينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ ، الساكِنِينَ في جَوارِكَ .

ومنعه الأمر ومنه منعاً: ضدّ أعطاه واجاب.

وأجاب الله دعاءه إجابةً: قبله، واستجاب له: كذلك.

وقال تاج القرّاء: الإجابة عامّة والاستجابة خاصّة بإعطاء المسؤول(١).

وضمنتها لي: أي كفلت لي بها والتزمتها.

والواو من قوله: «وقد» في الموضعين: للحال.

وحجبه حجباً ـ من باب قتل ـ: منعه من الدخول، وحجب الدعاء عنه تعالىٰ تمثيل لعدم قبوله؛ لأنّه لايؤذن علىٰ الملوك إلّا للمقبولين عندهم المكرمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلّا المردودون المهانون لديهم.

وفي الفقرتين إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في سورة المؤمن: «وقالَ رَبُّكم ادعُوني أستَجِب لَكم»(٢)؛ فانّ الأمر بالدعاء فيه صريح، ورتّب الاستجابة علىٰ الدعاء فكأنّه ضمّنها وتكفّل بها، وهو يؤيّد أنّ المراد بالدعاء والاستجابة في الآية ظاهرهما،

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) سورة غافر: الآية ٦٠.

....

وأكثر المفسّرين علىٰ أنّ المراد بالدعاء العبادة، وبالاستجابة الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب؛ لقوله سبحانه بعده: «إنّ الّذينَ يَستكبِرونَ عن عِبادَتي سَيدخُلونَ جَهنّمَ داخِرينَ»(١).

وفيه: أنّه حمل اللفظ علىٰ خلاف ظاهره في موضعين، فالحمل على الظاهر أولىٰ، وأمّا تتمّة الآية فليس فيه إلّا التعبير عن الدعاء بالعبادة وهو من أعظم أبوابها، فالتعبير بها عنه ظاهر، وهو المروي عن أهل البيت عليهم السّلام.

روىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن أو صحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: إنّ الله عزّوجلّ يقول «إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين» هوالدعاء وأفضل العبادة الدعاء(٢).

وعنه عليه السّلام: الدعاء هوالعبادة التي قال الله عزّوجلّ: «إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي» الآية(٣).

والمراد بقوله عليه السّلام: «ولا تمنعني» إلىٰ آخره، لاتجعل دعائي بسلب التوفيق علىٰ غير جهة الدعاء الذي ضمنت إجابته وأمرت به، وإلّا فلايتصوّر منعه سبحانه للإجابة مع تكلّفه بها، ولاحجبه للدعاء مع أمره به.

يدلّ على ذلك مارواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن عثمان بن عيسىٰ عمّن حدّثه عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: قلت: آيتان في كتاب الله عزّوجلّ أطلبهما فلا أجدهما، قال: وماهما؟ قلت: قول الله عزّوجل: «ادعوني أستجب لكم» فندعوه ولانرىٰ إجابة، قال: أفترىٰ الله عزّوجلّ أخلف وعده؟ قلت: لا، قال: فمّم ذلك؟ قلت: لاأدري، قال: لكنّي أُخبرك، من أطاع الله عزّوجلّ فيما أمره من

(١) سورة غافر: الآية ٦٠
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٦ ح ١.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٧ ح ٧.

....

دعائه من جهة الدعاء أجابه، قلت: وما جهة الدعاء؟ قال: تبدأ فتحمدالله وتذكر نعمه عندك، ثمّ تشكره، ثمّ تصلي على النبيّ صلّى الله عليه وآله، ثمّ تذكر ذنوبك فتقرّ بها، ثمّ تستعيذ منها، فهذا جهة الدعاء، ثمّ قال: وما الآية الآخرىٰ؟ قلت: قول الله عزّوجلّ: و«ما أنفقتم من شيءٍ فهو يخلفه وهو خير الرازقين»، فإنّي أنفق ولا أرىٰ خلفاً، قال: أفترىٰ الله عزّوجلّ أخلف وعده؟ قلت: لا، قال: فمّم ذلك؟ قلت: لا أدري، قال: لو أنّ أحدكم اكتسب المال من حلّه وأنفقه في حلّه، لم ينفق درهماً إلّا أخلف عليه (١).

قوله عليه السّلام: «وأمنن عليّ بكلّ مايصلحني» أي: أنعم عَليَّ بكلّ خير يكون به صلاحي، وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة. وإسناد الإصلاح إليه مجاز عقلي من باب الإسناد إلى السبب، والمصلح حقيقة إنّما هو الله تعالىٰ، كما قال سبحانة «سَيهديهِم ويُصلِح بالَهم»(٢) أي: حالهم.

وقوله(٣): «في الدنيا والآخرة» إمّا متعلّق بامنن أو بيصلحني.

فإن قلت: هل بين المتعلّقين فرق في المعنىٰ؟

قلت: نعم، فإنّك إذا جعلته متعلّقاً بامنن كانت المنّة في الدنيا معجّلة وفي الآخرة مؤجّلة، وإذا جعلته متعلّقاً بيصلحني كان المتبادر طلب المنّة عاجلاً بما يكون سبباً لصلاحه في الدنيا والآخرة.

وقوله: «ما ذكرت منه ومانسيت» بدلان من «ما» المضاف إليها كلّ بدل الاشتمال، ومنه: في موضع الحال من الضمير المحذوف من ذكرت، أي: ما ذكرته حال كونه منه.

وقوله: «أو أظهرت أو أخفيت» أي: ما أظهرته على لساني وتفوّهت به، أو ما

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٨٦ ح ٨. (٢) سورة محمّد: الآية ٥. (٣)(ج): عليه السّلام.

....

أخفيته مخطراً ببالي من غير أن أتفوّه به اصلاً، أو ما أعلنته وذكرته للناس علانية، أو أسررته إلىٰ غيري في خفاء. وأو في ذلك: للتنويع، ولايكاد اللغوي يفرّق بين الإظهار والإعلان والإخفاء والإسرار، إلّا أنّ قول المفسّرين في قوله تعالى: «يعلَمُ السِرّ وأخفىٰ»(١) أي: ما أسررته إلى غيرك، وشيئاً أخفىٰ من ذلك، وهو ما أخطرته ببالك من غير أن تتفوّه به أصلاً، يرشد إلىٰ ما ذكرناه، لاقتضاء العطف المغايرة، وكون التأسيس خيراً من التأكيد.

قوله عليه السّلام: «واجعلني في جميع ذلك من المصلحين بسؤالي إيّاك» في: ظرفيّة مجازيّة، بتشبيه ملابسته لجميع ذلك في الاجتماع معه بملابسة المظروف للظرف، فهو من باب الاستعارة التبعيّة، ومتعلّقها محذوف وهو حال من مفعول اجعلني، والتقدير: واجعلني كائناً في جميع ذلك من المصلحين.

ويجوز تعلّقها بالمصلحين، فيكون التقدير: واجعلني من المصلحين في جميع ذلك. والتقديم للاعتناء بالمقدّم كما مرّ بيانه مراداً. وتأكيد العموم بجميع لقصد كون كلّ فرد من أفراد ذلك له مدخل في الإصلاح. وذلك: إشارة إلى المذكور من المسؤولات، ومافيه من معنىٰ البعد مع قرب العهد بالمشار إليه، للإيذان بعلوّ شأنه وفضله.

وقوله(٢): «من المصلحين» في محلّ النصب علىٰ أنّه المفعول الثاني لاجعلني، أي: من المصلحين لنيّاتهم وأعمالهم، أو لما فسد من أحوالهم، أو من المتّصفين بالإصلاح من باب «هَل يَستوي الّذينَ يَعلمون والّذينَ لايَعلمُون»(٣).

والباء من قوله: «بسؤالي إيّاك» للسببيّة.

والمنجحين: جمع منجح، اسم فاعل من أنجح الرجل: إذا أصاب طلبته وقضيت

---

(١) سورة طٰه: الآية ٧. (٢) (ج) عليه السّلام. (٣) سورة الزمر: الآية ٩.

....

له حاجته.

وفي القاموس: النجاح بالفتح والنجح بالضمّ: الظفر بالشيء نجحت الحاجة كمنع وانجحت وأنجحها الله، وأنجح زيد: صار ذا نجح وهو منجح(١).

وطلب إليه طلباً: رغب إليه أي: سأله.

والتقدير: من المنجحين بطلبتي إليك وبطلبهم إليك، ويرجّح الأوّل موافقته لقوله في الفقرة الأُولىٰ: «بسؤالي إليك» وقس عليه مابعده.

قوله عليه السّلام: «غير الممنوعين بالتوكّل عليك» غير بالكسر: صفة للمنجحين، وإنّما وقعت صفة لمعرفة - والأصل فيها أن تكون صفة لنكرة - لتوغلها في الإبهام بحيث لا تتعرّف بإضافتها إلىٰ المعرفة، نحو: «نَعمَلُ صالحاً غَيرَ الّذي كُنّا نَعمل»(٢)؛ لأنّ المراد بالمنجحين طائفة لا بأعيانهم فيكون بمعنىٰ النكرة، إذ اللام فيه للجنس، والمعرّف الجنسي في المعنىٰ كالنكرة وإن كان في اللفظ كالمعرفة، وذلك أنّ المقصود به الحقيقة من حيث الوجود في ضمن الأفراد، وتدلّ القرينة علىٰ أنّ المراد به البعض، نحو: ادخل السوق واشترِ اللحم، فيصير في المعنىٰ كالنكرة، فيجوز حينئذٍ أن يعامل معاملة النكرة فيوصف بالنكرة، ومنه قوله تعالىٰ: «لايَستَوي القاعِدون مِن المؤمنينَ غيرِ أُولي الضَرر»(٣) برفع «غير» علىٰ أنّه صفة للقاعدين لأنّهم جنس، وردّه بعضهم بأنّه على خلاف أصلهم من أنّ المعرفة لا توصف إلّا بالمعرفة، والمراعىٰ في ذلك اللفظ لا المعنىٰ.

وعلىٰ هذا، فإمّا أن يوجّه بما ذهب إليه بعضهم، من أنّ «غير» إذا وقعت بين متضادّين وكانا معرفتين تعرّفت بالإضافة، نحو: عليك بالحركة غير السكون؛ فإنّ المراد بها حينئذٍ غير معيّن، وكذلك الأمر هنا؛ لأنّ المنجحين والممنوعين متضادّان،

---

(١) القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٥١. (٢) سورة فاطر: الآية ٣٧. (٣) سورة النساء: الآية ٩٥.

....

وإمّا أن يقال: إن غير الممنوعين بدل من المنجحين لا نعت له.

ووقع في نسخة ابن ادريس رواية «غير» بالنصب، فهو إمّا علىٰ الحال، أو علىٰ القطع بتقدير أعني.

والباء: من قوله: «بالتوكّل»: للسببيّة، أي: بسبب توكّلي عليك، أو بسبب توكّل غير الممنوعين عليك.

والتوكّل على الله تعالىٰ عبارة عن اعتماد القلب عليه والانقطاع إليه، بالثقة بما عنده واليأس عمّا في أيدي الناس.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من انقطع إلى الله كفاه كلّ مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلىٰ الدنيا وكله الله إليها(١).

وقد تقدّم الكلام علىٰ حقيقة التوكّل وصورته في الرياض السابقة، فأغنى عن الإعادة.

قوله عليه السّلام: «المعوذين بالتعوّذ بك» أكثر النسخ بإهمال الدال من المعودين، وهو اسم مفعول من عوّدته كذا أي: صيّرته له عادة، ونسخة ابن ادريس بالذال المعجمة، من عوّذه: إذا عصمه من كلّ سوء، ومنه المعوّذتان علىٰ اسم الفاعل «قل أعوذُ بِربّ الفَلَق»(٢) و«قل أعوذُ بِربّ الناسِ»(٣)؛ لأنّهما عوّذتا صاحبهما أي: عصمتاه من كلّ سوء، وما اشتهر على ألسنة بعض الطلبة من فتح الواو علىٰ أنّها اسم مفعول، غلط واضح.

والتعوّذ بالذال المعجمة مصدر تعوّذ به أي: اعتصم، يقال: عذت بالله عوذاً ومعاذاً وعياذاً، واستعذت به استعاذةً، وتعوّذت به تعوّذاً، كلّ ذلك بمعنىٰ.

والباء علىٰ الرواية الأُولىٰ: للتعدية، وعلىٰ الثانية: للملابسة أو للاستعانة.

---

(١) نهج الفصاحة ص٥٧٧ ح٢٧٩٦. (٢) سورة الفلق: الآية ١. (٣) سورة الناس: الآية ١.

....

قوله عليه السلام: «الرابحين في التجارة عليك» ربح فلان في تجارته ربحاً وربحاً من باب علم وتعب ـ: أصاب الربح، وهو الفضل والزيادة علىٰ رأس المال.

والتجارة: صناعة التاجر، وهي التصدّي للبيع والشراء لتحصيل الربح، وقد يراد بها مايتاجر فيه من الأمتعة ونحوها، علىٰ تسمية المفعول باسم المصدر.

قال بعضهم: في مثل هذا المقام استعار لفظ التجارة لأعمالهم الصالحة وامتثال أوامرالله تعالى، ووجه الشبه كونهم متعوّضين بمتاع الدنيا وبحركاتهم في العبادة متاع الآخرة، ورشّح بلفظ الرابحين لأفضليّة متاع الآخرة وزيادته في النفاسة علىٰ ماتركوه من متاع الدنيا، إنتهىٰ.

والأحسن والأبلغ أن يقال: إنّ الترشيح الذي هو لفظ الرابحين استعارة تمثيليّة، بأنّ شبّه حال المؤمنين العاملين لله في نيلهم المنافع المترتّبة علىٰ أعمالهم بحال التاجر الرابح في تجارته، ولاينافي ذلك كون التجارة في نفسها استعارة لمعاملتهم وثباتهم علىٰ ما هم عليه من إيثارهم متاع الدنيا علىٰ متاع الآخرة وتمرّنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة؛ إذ ليس من ضروريّات الترشيح أن يكون باقياً علىٰ الحقيقة تابعاً للاستعارة لايقصد به إلّا تقويتها، كما في قولك: رأيت أسداً واقي(١) البراثن؛ فإنّك لا تريد به إلّا زيادة تصوير الشجاع وأنّه أسد كامل، من غير أنّ تريد بلفظ البراثن معنىٰ آخر، بل قد يكون مستعاراً من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له، ومع ذلك يكون ترشيحاً لأصل الاستعارة، كما في قوله:

ولمّا رأيت النسر عزّ ابن دأيَةٍ ... وعشش في وكريه جاش له صدري

فإنّ لفظ وكرين مع كونه مستعار من معناه الحقيقي، الذي هو موضع يتّخذه

---

(١) «الف»: دافي.

....

الطائر للتفريخ، للرأس واللحية أو للفودين أعني جانبي الرأس، ترشيح باعتبار معناه الأصلي؛ لاستعارة لفظ النسر للشيب، ولفظ ابن دأية وهوالغراب للشعر الأسود. وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعاراً للحلول والنزول المستمرّ، ترشيح لذينك الاستعارتين. هكذا ينبغي أن تقرّر الاستعارة في هذا المقام، كما نصّ عليه سماسرة البلاغة من علماء البيان.

والظرف من قوله «عليك»: لغو متعلّق بالرابحين.

يقال: ربح عليه في البيع: إذا استفاد منه الربح وأخذه منه.

وفي الحديث عن الصادق عليه السّلام: ربح المؤمن على المؤمن ربا، إلّا أن يشتري بأكثر من مائة درهم فاربح عليه قوت يومك، أو يشتريه للتجارة فاربحوا عليهم وارفقوا بهم (١).

والمعنىٰ: اجعلني من المستفيدين الربح منك في تجارته أو تجارتهم.

وأمّا ما وقع لبعض المترجمين من أنّ التعدية بعلىٰ لتضمين معنىٰ الاعتماد، والمعنىٰ: الرابحين في التجارة في حال الاعتماد عليك، بأنّ من قصد جنابك للتجارة بشيء حصل له الربح قطعاً ولم يرجع خاسراً ولا خائباً، فهو من عدم الاطّلاع علىٰ مصطلحات العرب في محاوراتهم، أو الجهل بمتداولات ألفاظهم ومتاورات أقوالهم.

ويحتمل أن تكون«علىٰ» هنا بمعنىٰ «من» أي: الرابحين منك في التجارة، كقوله تعالىٰ: «إذا ٱكتالُوا علىٰ الناسِ يَستَوفُون»(٢) أي: من الناس.

قال الزمخشري: لمّا كان اكتيالهم من الناس اكتيالاً يضرّهم ويتحامل فيه عليهم، أبدل «علىٰ» مكان «من»؛ للدلالة علىٰ ذلك(٣)، إنتهىٰ.

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٥٤ ح ٢٢.

(٢) سورة المطففين: الآية ٢.

(٣) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٧١٩.

....

وهذا المعنىٰ بعينه موجود في الربح إذا كان فيه نوع ضرر علىٰ المأخوذ منه؛ ولذلك كان ربح المؤمن علىٰ المؤمن حراماً كما وقع في الحديث السابق، فلا جرم أُبدل «على» مكان «من» كما وقع في الآية.

فإن قلت: ضرر الربح لايتصوّر في حقّه تعالى، فكيف أُبدل «على» بـ «من» في خطابه سبحانه؟.

قلت: هو في أصل المعنىٰ كذلك وإن لم يكن مقصوداً فيما نحن فيه، يدلكّ علىٰ ذلك قول الرضي: «ومن» للاستعلاء مجازاً علىٰ قضاء الصلاة وعليه القصاص؛ لأنّ الحقوق كأنّها راكبة لمن تلزمه، وكذا قوله تعالى: «كان علىٰ رَبّكَ حَتماً مَقضيّاً» تعالى الله عن استعلاء شيء عليه، ولكنّه إذا صار الشيء مشهوراً في الاستعمال في شيء لم يراع اصل معناه، نحوّ: ما اعظم الله، ومنه: توكّلت علىٰ فلان، كأنّك تحمل ثقلك عليه، ومنه توكّلت على الله(١)، انتهىٰ.

وهو صريح فيما ذكرناه، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «المجارين بعزتك» أي: المحفظوين بقوّتك وغلبتك.

يقال: استجرت زيداً فأجارني، أي: طلبت منه أن يحفظني فحفظني.

والعزّ والعزّة: الرفعة والامتناع والشدّة والغلبة.

قوله عليه السّلام: «الموسع عليهم الرزق الحلال» إلى آخر يروىٰ بتشديد السين وتخفيفها وكلاهما بمعنىٰ يقال: أوسع الله عليه رزقه ووسّعه بالألف والتشديد، أي: بسطه وكثّره، أي: الذين وسّع عليهم الرزق، وهو لغةً ماينتفع به فيشمل الحلال والحرام؛ ولذلك قيّده بالحلال، ومن ذهب إلىٰ أنّه ماصحّ الانتفاع به وليس لأحد منعه منه، فلا يكون الحرام رزقاً، فوصفه بالحلال عنده للتأكيد كأمس الدابر، أو

---

(١) شرح الكافية: في النحو: ج ٢ ص ٣٤٢.

....

للإيضاح والتبيين. وقد تقدّم الكلام علىٰ هذه المسألة مستوفىٰ في أوائل الروضة الأُولىٰ فليرجع إليه.

والحلال: مالا يعاقب علىٰ استعماله.

قيل: والرزق الحلال شامل للحلال في ظاهر الشريعة، والحلال في نفس الأمر وهو قوت النبيين.

كما روي أنّ أبا جعفر عليه السّلام نظر إلىٰ رجل وهو يقول: اللّهم ارزقني من رزقك الحلال، فقال: أبو جعفر عليه السّلام: سألت قوت النبيّين، قل: اللّهم إنّي أسألك رزقاً واسعاً طيّباً من رزقك (١).

قال بعض أصحابنا: الحلال والطيّب وان كانا متقاربين بل متساويين في اللغة، إلّا أنّ المستفاد من هذا الحديث أنّ بينهما فرقاً في عرف الأئمّة عليهم السّلام، وكأنّ الفرق هو أنّ الطيّب ما هو طيّب في ظاهر الشرع سواء كان طيّباً في الواقع أم لا، والحلال ما هو حلال وطيّب في الواقع، لم تعرضه النجاسة والخباثة قطعاً، ولم تتناوله أيدي المتغلّبة أصلاً في وقت من الأوقات، ولا ريب في أنّه قوت الأنبياء وأنّه نادر جداً، وطريقه ضيّق، والطالب له طالب لضيق معيشته، وأمّا ما وقع في بعض الأدعية من طلبه فالمراد به ما هو بمعنىٰ الطيّب(٢) إنتهىٰ.

و«من» في قوله عليه السّلام: «من فضلك الواسع»: لابتداء الغاية مجازاً، وهي إمّا متعلّقة بالموسّع فيكون الظرف لغواً، أو بمحذوف وقع حالاً من الرزق الحلال فيكون ظرفاً مستقرّاً.

والمعنىٰ إمّا من محض فضلك الواسع من غير وسط معتاد، أو من غير استحقاق لأنّي لست بأهل له، بناءً علىٰ أنّ الواسع نعت مؤكّد أو مادح، وإمّا من فضلك

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٥٢ ح ٨.

(٢) مرآة العقول: ج ١٢ ص ٣٩٢- ٣٩٣.

....

المتّصف بالسعة لامطلقاً؛ فإن من فضله ماتقتضي الحكمة أن يكون واسعاً، والغرض المبالغة في طلب التوسعة.

والجود: إفادة ماينبغي لا لعوض.

والكرم: إيثار الغير بالخير.

قوله عليه السلام: «المعزّين من الذلّ بك» أعزّه إعزازاً: أكرمه.

قال صاحب المحكم: عزّ عليّ يعزّ عزّاً وعزّةً وعزازةً: كرم، وأعززته: أكرمته وأحببته(١).

ومن: بمعنىٰ عن؛ لما في الإعزاز من معنى التنزيه عمّا ينافيه، ويحتمل أن تكون للبدل أي: بدل الذلّ.

والباء: في «بك»: للاستعانة.

قوله عليه السّلام: «المجارين من الظلم بعدلك» يروىٰ بكسر الراء المهملة، جمع مجار اسم مفعول من أجاره إجارة بمعنىٰ: أعاذه وحفظه، وهو المشهور.

وفي نسخة ابن ادريس: «المجازين» بفتح الزاء المعجمة، جمع مجازي اسم مفعول من جازاه بمعنىٰ: كافأه.

وعن الشهيد قدّس سرّه: المجازين بالمعجمة علىٰ صيغتي المفعول والفاعل معاً، أي: الذين يجازيهم علىٰ ما أصابهم من الظلم وينتصف لهم من ظالميهم عدلك، أو الذين لايجازون من اعتدىٰ عليهم وظلمهم إلّا بعدلك(٢)، إنتهىٰ.

وفي هذا المعنىٰ قول أميرالمؤمنين عليه السّلام في صفة المؤمن: إن بغي عليه صبر حتّىٰ يكون الله الذي ينتصر له (٣).

---

(١) المحكم لابن سيده: ج ١ ص ٣٢.

(٢) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٣) نهج البلاغة: ص ٣٠٦، خطب ١٩٣.

....

أي: إن ظلم لم ينتقم هو لنفسه من ظالمه، بل يكل أمره إلىٰ عدل الله سبحانه لينتصر له منه.

قوله عليه السّلام: «المعافين من البلاء برحمتك» عافاه الله يعافيه معافاةً: سلّمه من الآفات.

والبلاء بالفتح والمدّ: ما يمتحن به ويختبر من خير أو شرّ، وأكثر ما يأتي مطلقاً في الشرّ كما وقع هنا، وإذا أُريد به الخير يأتي مقيّداً كما قال تعالى: «بلاءً حسناً»(١). والله تعالى يبلو عبده بما يحبّ ليمتحن شكره، وبما يكره ليمتحن صبره.

فسأل عليه السّلام أن يجعله من الذين عافاهم من البلاء بالمكروه بسبب رحمته.

وفي الحديث: إنّ لله تعالىٰ ضنائن من خلقه يحييهم في عافية ويميتهم في عافية.(٢) وهو مروي عن طريق العامّة والخاصّة.

قال ابن الأثير في النهاية الضنائن: الخصائص، واحدهم ضنينة فعيلة بمعنىٰ مفعولة من الضنّ، وهو ما تختصّه وتضن به أي: تبخل لمكانه منك وموقعه عندك، ومنه قولهم: فلان ضنّي من بين اخواني وضنيني: أي اختصّ به واضنّ بمودّته(٣).

ورواه الجوهري: إنّ لله ضِناً من خلقه يحييهم في عافية ويميتهم في عافية(٤).

وفي القاموس: هو ضنّي بالكسر أي: خاصّ بي، وضنائن الله: خواصّ خلقه (٥)

وروىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: إنّ لله

---

(١) سورة الانفال: الآية ١٧.

(٢) النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ١٠٤.

(٣) النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ١٠٤ وفيه: ضنّتي.

(٤) الصحاح: ج ٦ ص ٢١٥٦. مادّه: ضنن.

(٥) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٤٤.

....

عزّوجلّ ضنائن يضن بهم عن البلاء فيحييهم في عافية: ويرزقهم في عافية، ويميتهم في عافية، ويبعثهم في عافية، ويسكنهم الجنّة في عافية (١).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: أنّ الله خلق خلقاً ضنّ بهم عن البلاء، خلقهم في عافية، وأحياهم في عافية، وأماتهم في عافية، وأدخلهم الجنّة في عافية(٢).

وعنه صلوات الله عليه: أنّ للّه عزّوجل ضنائن من خلقه، يغذوهم بنعمته، ويحييهم في عافية، ويدخلهم الجنّة برحمته، تمرّبهم البلايا والفتن لا تضرّهم شيئاً (٣).

قال بعض أصحابنا في معنىٰ هذه الأخبار: لمّا كان كلّ فعله تعالىٰ منوطاً بالحكمة، كان من مقتضىٰ حكمته أنّه إذا علم أنّ من عباده من لايحتاج في إصلاحهم إلى البلاء رزقهم العافية، وقد يبلو بعضهم لزيادة الأجر ورفع المنزلة، وإذا علم أنّ بعضهم يحتاج إلىٰ البلاء ابتلاهم به(٤).

وقال بعضهم: معنىٰ الضنّ بهم عن البلاء: إعدادهم لعدم التأذّي بالبلاء؛ وذلك لفرط محبّتهم له سبحانه، بحيث يلتذّون ببلائه كما يلتذّون بنعمائه فيعدّونه عافية، كما يشير إلى ذلك آخر الحديث الثالث، وهو قوله عليه السّلام: تمرّبهم البلايا والفتن لا تضرّهم شيئاً (٥)، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «والمغنين من الفقر بغناك» قال بعض أصحابنا: اعلم أنّ الغنىٰ المطلوب لمثله عليه السّلام هو مادفع ضرورة حاجته بحسب الاقتصاد

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ٤٦٢، باب المعافين من البلاء: ح ١.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٦٢ ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٢ ح ٣، وفيه: «ويحبوهم بعافيته»

(٤) شرح الكافي للمولىٰ محمد صالح المازندراني: ج ١٠ ص ١٩٦.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٢ ح ٣.

....

والقناعة، لا المفهوم المتعارف بين أرباب الدنيا من جمع المال وادّخاره والا تساع به فوق الحاجة، وطلب الغنىٰ علىٰ ذلك محمود، وعلىٰ الوجه الثاني هو المذموم، والفقر هوما احتاج معه إلى سؤال الخلق، إنتهىٰ.

والظاهر أنّ المراد بالفقر هناك التمسّك بما سواه تعالىٰ والاستعانة به؛ لقوله عليه السّلام: «بغناك»؛ فإنّ المغنيّ بغناه جلّ شأنه هوالذي صرفته العناية عن الالتفات إلىٰ ماسواه سبحانه من الوسائل والأسباب، وإلّا فكلّ مغنيّ يؤول غناه إليه تعالىٰ.

قوله عليه السّلام: «والمعصومين من الذنوب» إلىٰ آخره عصمه الله يعصمه -من باب ضرب-: حفظه من مواقعة الآثام والمعاصي، وذلك بفيض وإعداد منه تعالى يقوىٰ به العبد علىٰ اجتناب الشرّ، حتّىٰ يصير كمانع له من باطنه وإن لم يكن منعاً محسوساً.

والذنب: ما يحجبك عن الله تعالى، وجمعه باعتبار تنوّعه.

والزلل: أصله في المكان.

قال الزمخشري: هو نوع من انتقال الجسم عن مكان إلىٰ مكان(١)، إنتهىٰ.

يقال: زلّ عن مكانه زلاً -من باب ضرب-: تنحّىٰ عنه، وزلّ ذللاً -من باب تعب- لغة، والاسم الزلة بالكسر، والزلة بالفتح: المرّة، ثمّ استعير للزوال عن الحقّ والصواب.

قال في الأساس: ومن المجاز: زلّ في قوله ورأيه زلّة وزللاً، وأزله الشيطان عن الحقّ واستزلّه (٢).

---

(١) الفائق في غريب الحديث: ج ٢ ص ١١٩، وفيه: «الزليل».

(٢) أساس البلاغة: ص ٢٧٤.

....

والخطأ مهموز بفتحتين: ضدّ الصواب.

وقال في النهاية: هو ضدّ العمد، وهو أن يفعل شيئاً من غير قصده(١).

وقيل إنّه العدول عن الصواب، بأن يريد غير ما تحسن إرادته فيفعله وهو المأخوذ به، أو يريد ما يحسن فعله ولكن يقع له خلاف ما يريد، أو يريد مالا يحسن فعله ويتّفق منه خلافه، فهو مخطئ إرادة مصيب فعلاً، فهو مذموم بقصده غير محمود بفعله، وقد يطلق علىٰ المعصية وإن كان فاعلها متعمّداً؛ من حيث إنّها ضدّ الصواب.

وقوله عليه السّلام: «بتقواك»إضافة المصدر إلىٰ المفعول، أي: بتقواهم أيّاك ، والأصل وقوىٰ من وقيت، لكنّه أُبدلت الواو تاءً ولزمت في تصاريف الكلمة.

يقال: إتّقىٰ الله: إذا تورّع عن محارمه واجتنب عن كلّ ما يبعده عنه. وقد تقدّم الكلام على ذلك مستوفى، فليرجع إليه.

قوله عليه السّلام: «الموفّقين للخير والرشد والصواب» وفّقه الله للخير: جعل إرادته موافقة له، والخير: ما يصلح به حال الإنسان أو يرغب فيه الكلّ، والشرّ: بخلافه، وكلّ منهما إمّا مطلق لم يزل مرغوباً فيه أوعنه، أو مقيّد يكون بالنسة الىٰ أحد خيراً وإلى الآخر شرّاً كالمال.

والرشد بالضمّ والسكون وبفتحتين والرشاد: الهدىٰ والاستقامة.

وقال الواحدي: الرشد: إصابة، الخير، وهو نقيض الغيّ(٢).

وقال الراغب: الرشد:عناية إلهيّة تعين الإنسان عند توجّهه في أُموره، فتقوّيه علىٰ مافيه إصلاحه وتفتّره عمّا فيه فساده، وأكثر مايكون ذلك من الباطل، نحو

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٤٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص ١٢٢.

....

قوله تعالى: «ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين»، وكثيراً مايكون ذلك بتقوية العزم أو بفسخه، وإليه يتوجّه قوله تعالى: «واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه»(١).

والصواب: إصابة الحقّ، وهو ضدّ الخطأ.

قوله عليه السّلام: «المحال بينهم» اسم مفعول من أحال بمعنىٰ حال، يقال: حال النهر بيننا حيلولة أي: حجز ومنع الاتّصال، ومنه قوله تعالى: «وحِيل بينهم وبينَ مايَشتَهون»(٢).

وفي القاموس: وكلّ ما حجز بين شيئين فقد حال بينهما(٣).

وفي نسخة: ابن ادريس: «المحول بينهم»، وهو الموافق للمشهور.

الذي عليه التنزيل، قال تعالى: «واعلَموا أنّ اللهَ يَحولُ بينَ المرءِ وقَلبه»(٤)، وقال: «وحالَ بَينهما الموجُ فكانَ مِن المغرَقِين» (٥).

وأمّا أحال فلم ينصّ عليه أحد من أهل اللغة، إلّا أن الرواية المشهورة وردت هنا بلفظ المحال بينهم، ولامعنىٰ له الّا أن يكون بمعنىٰ المحول.

قوله عليه السّلام: «التاركين لكلّ معصيتك» ترك الشيء: طرحه وخلّاه.

وقال الشهاب الفيومي في المصباح: تركت المنزل تركاً: رحلت عنه، وتركت الرجل: فارقته، ثمّ استعير للإسقاط في المعاني، فقيل: ترك حقّه: إذا أسقطه، وترك ركعة من الصلاة: لم يأت بها؛ فإنّه إسقاط لما ثبت شرعاً، وتركت البحر ساكناً: لم أُغيّره عن حاله(٦)، إنتهىٰ.

وقيل: الترك: الكفّ عن الفعل المبتدأ في محلّ القدرة عليه.

---

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة: ٦٢.

(٢) سورة سبأ: الآية ٥٤.

(٣) القاموس المحيط: ج٣ ص٣٦٣.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٤.

(٥) سورة هود: الآية ٤٣.

(٦) المصباح المنير: ص١٠٢.

....

فقوله عليه السّلام: «التاركين لكلّ معصيتك »لايجوز أن يكون بمعنىٰ الكافّين عنها بعد ارتكابها والمفارقين لها بعد مواصلتها، كما يقتضيه معنى الترك ؛ إذ لا يتصوّر ارتكاب أحدٍ كلّ معصيةٍ، بل معناه غيرالفاعلين لشيءمن المعاصي، وهذا المعنىٰ للترك شائع في الاستعمال أيضاً.

قال أمين الدين الطبرسي: الترك : ضدّ الأخذ، ينافي الفعل المبتدأ في محلّ القدرة عليه، ويستعمل بمعنىٰ أن لايفعل، كقوله تعالى: «وتركهم في ظلمات» معناه لم يفعل الله لهم النور (١).

فإن قلت قد تقرّر في علم البيان أنّ كلّاً إذ وقعت خبر النفي كان النفي موجّها إلىٰ الشمول خاصّة، وأفاد بمفهومه الثبوت لبعض الافراد، كقولك : لم آخذ كلّ الدراهم، فيلزم علىٰ هذا أن يكون معنىٰ التاركين لكلّ معصيتك ، التاركين لمجموعها مع ارتكابهم لبعض أفرادها، كما أن قولك : لم آخذ كلّ الدراهم يفيد ثبوت الأخذ لبعضها، وهذا المعنىٰ غير مراد هنا قطعاً بل المراد ترك كلّ فردٍ من المعصية.

قلت: الحقّ أن هذا الحكم أكثري لا كلّي، كما نصّ عليه سعد التفتازاني في شرح التلخيص، قال: لأنّا نجده حيث لايصلح أن يتعلّق الفعل ببعض، كقوله تعالى: «والله لايُحبّ كلّ مختالٍ فخور»(٢)، «والله لايُحبُّ كلّ كفّارٍ أثيم»(٣)، «ولا تُطِع كُلّ حَلاّفٍ مَهين» (٤)و(٥)

وأجاب بعضهم: بأنّ دلالة المفهوم إنّما يعوّل عليها عند عدم المعارض، وهو هنا موجود؛ إذ دلّ الدليل على تحريم الاختيال و الفخروالكفروالحلف.

---

(١) راجع مجمع البيان: ج١-٢ ص٥٥ ذيل الآية ١٧ من سورة البقرة.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٦.

(٤) سورة القلم: الآية ١٠.

(٥) شرح التلخيص: ج١ ص١٠٩.

أَللّهُمَّ أعْطِنـا جَميعَ ذَلِكَ بِـتَوْفيقِكَ وَرَحْـمَتِكَ ، وَأعِذْنا مِـنْ عَذابِ السَّعِيرِ، وَأعْطِ جَميعَ المُسْلِمينَ وَالمُسْلِماتِ، وَالمُؤْمنينَ وَالمُؤْمِناتِ،

وهذا الجواب صالح هنا أيضاً؛ إذ الدليل أوجب ترك كلّ فرد من المعصية، فلا يعوّل على دلالة المفهوم.

قوله عليه السّلام «الساكنين في جوارك» سكن الدار وفي الدار سكناً ـ من باب طلب ـ: حلّ بها، والاسم السكنىٰ فأنا ساكن.

وجاوره مجاورةً وجواراً من باب قاتل، والاسم الجوار بالفتح والضمّ.

وقال الجوهري: جاورته مجاورةً وجواراً وجَواراً، والكسر أفصح (١).

وقال الفارابي في ديوان الأدب في باب فِعال بالكسر: هوالجوار، يقال: هو في جوارالله، وهو مصدر أيضاً في الأصل(٢)، وفي باب فُعال بالضمّ: الجُوار لغة في الجِوار، والكسر أفصح،(٣)، وفي باب فَعال بالفتح: هو الجوار (٤).

وبالحركات الثلاث وردت الرواية في الدعاء. والسكن في جوارالله تعالىٰ تمثيل للسلامة من كلّ آفة ونيل الكرامة بكلّ خير، مثّل صورة من وقاه الله سبحانه وسلّمه من كلّ مخوف وشمله بفضله وعنايته بصورة من سكن في جوار ملك عظيم وسيّد كريم، فهو يقيه ويحفظه من كلّ سوء وشرّ رعايةً لسكناه في جواره، ويغشاه بكلّ خير وبرّ كرامةً لحلوله في كنفه، والله أعلم *.

جاء بضمير الجماعة لإشراك ولده عليه وعليهم السّلام في الدعاء، كما يدّل عليه قوله فيما سيأتي: «مثل الذي سألتك لنفسي ولولدي» وجمع بين التوفيق والرحمة؛ لأنّ بعض المسؤول المشار إليه بذلك متسبّب عن التوفيق وبعضه عن محض الرحمة،

---

(١) الصحاح: ج ٢ ص ٦١٧.

(٢) ديوان الأدب: ج ٣ ص ٣٧٣.

(٣) ديوان الأدب: ج ٣ ص ٣٧١.

(٤) ديوان الأدب: لم نعثر عليه في باب فعال بل عثرنا عليه في باب فَعَل ج ٣ ص ٣٣٣.

مِثْلَ الَذي سَأَلْتُكَ لِنَفْسي وَلِوَلَدي، في عاجِلِ الدنيا وَآجِلِ الآخِرَةِ، إنَّكَ قريبٌ مُجيبٌ، سميعٌ عَليمٌ عَفُوٌّ غَفُورٌ، رَؤوفٌ رَحيمٌ، وَآتِنا في الدُنيا حَسَنَةً، وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنا عَذابَ النّارِ.

كما هو ظاهر.

والسعير: النار.

وقيل: لهبها؛ لقولهم: خبىٰ سعيرها.

وعن اللحياني: نار سعير بغير هاء أي: مسعورة (١).

يقال: سعر النار سعراً - من باب نفع -: وأسعرها إسعاراً وسعّرها تسعيراً: أي أوقدها.

وختم الدعاء عليه السّلام بالسؤال لعامة أهل التوحيد، من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، مثل ما سأل لنفسه ولولده في الدارين.

لما ورد في الخبر: أنّ من حقّ المسلم على المسلم أن يحبّ له ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه (٢).

وفي رواية: يحبّ المرء المسلم لأخيه مايحبّ لاعزّ أهله، ويكره المرء المسلم لأخيه مايكره لأعزّ أهله (٣).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلّا ردّ الله عزّوجل عليه مثل الذي دعالهم به، من كلّ مؤمن ومؤمنة مضىٰ من أوّل الدهر أو هو آتٍ إلىٰ يوم القيامة (٤).

وتقديم المسلمين والمسلمات علىٰ المؤمنين والمؤمنات رعاية لترتيب الوجود، إذ الإسلام قبل الإيمان، فلا يكون العبد مؤمناً حتىٰ يكون مسلماً. وقد تقدّم الكلام

---

(١) لسان العرب: ج ٤ ص ٣٦٥ مادة: سعر.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٦٩ ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٧٢ ح ٩.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٥٠٧ ح ٥.

....

علىٰ الإسلام والإيمان مستوفى، فليرجع إليه.

وقوله: «في عاجل الدنيا وآجل الآخرة» يحتمل أن يكون متعلّقاً بقوله: «واعط جميع المسلمين»، ويحتمل تعلّقه بقوله: «سألتك لنفسي».

والجملة عن قوله: «إنّك قريب مجيب» إلى آخره تعليل لاستدعاء الإجابة وتأكيدها؛ لغرض كمال قوّة يقينه عليه السّلام بمضمونها.

ووصفه تعالى بالقريب: تمثيل لكمال علمه بأفعال عباده وأقوالهم وإطّلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه.

والمجيب: هوالذي يقابل دعاء الداعين بالإجابة، وسؤال السائلين بالإسعاف، وضرورة المضطرّين بالكفاية، وفيه تلميح إلىٰ قوله تعالىٰ: «وإذا سَألَكَ عِبادِي عَنّي فإنّي قَريبٌ أُجيبُ دَعوةَ الدّاعِ إذا دَعانِ»(١).

والسميع: هوالعالم بالمسموعات.

وقيل: هو الذي لايعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي، يسمع حمد الحامدين فيثيبهم ودعاء الداعين فيجيبهم.

وقال أمين الإسلام الطبرسي: هو من كان علىٰ صفة يجب لأجلها أن يدرك المسموعات إذا وجدت، وهي ترجع إلىٰ كونه تعالىٰ حيّاً لا آفة به (٢).

والسامع: المدرك، ويوصف القديم تعالى في الأزل بأنه سميع، ولايوصف في الأزل بأنّه سامع، لأنّه إنّما يوصف به إذا وجدت المسموعات.

والعليم: العالم بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها دقيقها وجليلها علىٰ أتمّ ما يمكن، بحيث لايتصوّر مشاهدة وكشف أظهر منه، وفعيل من أبنية المبالغة فهو أبلغ من العالم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص ٢٧٨.

....

قال بعض العلماء: ليس سمعه وعلمه تعالى بجارحة، ولا بكيفيّة نفسانيّة انفعاليّة، ليلزم الاشتراك بينه وبين السامعين والعلماء، أو بينه وبين أسماعهم وعلومهم، بل حقيقة ذاته المقدّسة التي هي محض الوجود الذي لا أتمّ منه، تنكشف له المسموعات وتحضر لديه المعلومات، وليس معنىٰ السماع إلّا حضور صورة المسموع عند قوّة إدراكيّة تسمّىٰ بالسمع أوالسامعة، ولا العلم إلّا حضور صورة المعلوم عند قوّة علميّة تسمّىٰ بالعقل أو العاقلة، وليس من شرط السماع أن يكون بآلة ولا بحلول صورة في ذات السامع أو في آلة منه، بل معناه انكشاف المسموع وحضوره سواء كان بنفسه أو بصورته.

وكذا الكلام في العلم؛ فإنّ ذاته تعالىٰ سميع إذ ينكشف عنده المسموعات، و سمع إذ به يقع ذلك الانكشاف لا بأمر آخر ، وكذا قياس كونه عليماً و علماً، إنتهىٰ.

والعفوّ: فعول من العفو، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، يقال: عفت الرياح الأثر: إذ محته وطمسته.

والغفور: بمعنىٰ الغفّار، ولكنّه ينبئ عن نوع مبالغة لاينبئ عنه الغفار؛ فإنّ الغفّار، مبالغة في المغفرة بالإضافة إلىٰ مغفرة متكرّرة مرّة بعد أُخرىٰ، فالفعّال ينبئ عن كثرة الفعل، والفعول ينبئ عن جودته وكماله وشموله، فهو غفور بمعنىٰ، أنّه تام الغفران كاملها حتّىٰ يبلغ أقصىٰ درجات المغفرة.

قال الغزالي وغيره: وفي العفوّ مبالغة ليست في الغفور؛ فإنّ الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن المحو، وهو أبلغ من الستر؛ لأنّ ستر الشيء قد يحصل مع بقاء أصله، بخلاف المحو فإنّه إزالته جملةً ورأساً. وعلىٰ هذا، فتقديمه مع كون القياس تأخيره رعاية لأُسلوب الترقي إلىٰ الأعلىٰ، كما في قولهم: فلان عالم نحرير، وشجاع باسل، وجواد فيّاض، لأنّ ما يدلّ علىٰ إزالة أصل الذنب أولىٰ بالتقديم ممّا يدلّ

....

علىٰ ستره مع احتمال بقاء أصله (١).

والرؤوف: ذوالرأفة وهي شدّة الرحمة، فهو بمعنىٰ الرحيم مع المبالغة فيه، وتقديمه عليه مع كونه أبلغ منه: لأنّ تقديم ما يدلّ علىٰ عظيم النعمة أولىٰ من تقديم ما يدلّ علىٰ دقيقها.

وقيل: الرأفة أخصّ والرحمة أعمّ.

وقوله عليه السّلام: «وآتنا في الدنيا حسنة» إلى آخره مرّ شرحه في آخر الروضة العشرين، فليرجع إليه تمّ.

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّدٍ وآله أجمعين، و لله الحمد. تمّ ضحوة يوم الثلاثاء لعشر بقين من شعبان المكرّم سنة ١١٠١.

(١) المقصد الأسنى: ص ١٠٢.

الروضة السادسة والعشرون

دعاء ٢٦

وكان من دعائه عليه السلام لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَتَوَلَّنِيْ فِيْ جِيْرَانِيْ وَمَوَالِيَّ الْعَارِفِيْنَ
بِحَقِّنَا وَالْمُنَابِذِيْنَ لِأَعْدَآئِنَا بِأَفْضَلِ وَلَايَتِكَ وَوَفِّقْهُمْ لِإِقَامَةِ
سُنَّتِكَ وَالْأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ فِيْ إِرْفَاقِ ضَعِيْفِهِمْ وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ
وَعِيَادَةِ مَرِيْضِهِمْ وَهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيْرِهِمْ وَ
تَعَهُّدِ قَادِمِهِمْ وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ وَسَتْرِ عَوْرَاتِهِمْ وَنُصْرَةِ مَظْلُوْمِهِمْ
وَحُسْنِ مُوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُوْنِ وَالْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَةِ وَالْإِفْضَالِ
وَإِعْطَآءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ وَاجْعَلْنِي اللّٰهُمَّ أَجْزِيْ بِالْإِحْسَانِ
مُسِيْئَهُمْ وَأُعْرِضُ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِمِهِمْ وَأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ فِيْ كَافَّتِهِمْ
وَأَتَوَلّٰى بِالْبِرِّ عَامَّتَهُمْ وَأَغُضُّ بَصَرِيْ عَنْهُمْ عِفَّةً وَأُلِيْنُ جَانِبِيْ لَهُمْ
تَوَاضُعًا وَأَرِقُّ عَلٰى أَهْلِ الْبَلَآءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً وَأُسِرُّ لَهُمْ بِالْغَيْبِ مَوَدَّةً
وَأُحِبُّ بَقَآءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحًا وَأُوْجِبُ لَهُمْ مَا أُوْجِبُ لِحَامَّتِيْ وَأَرْعٰى لَهُمْ مَا أَرْعٰى
لِخَاصَّتِيْ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَارْزُقْنِيْ مِثْلَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ وَاجْعَلْ
لِيْ أَوْفَى الْحُظُوْظِ فِيْمَا عِنْدَهُمْ وَزِدْهُمْ بَصِيْرَةً فِيْ حَقِّيْ وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِيْ حَتّٰى
يَسْعَدُوْا بِيْ وَأَسْعَدَ بِهِمْ اٰمِيْنَ رَبَّ الْعَالَمِيْنَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ذاكر جيـرانه وأوليائه، والمفيض عليهم سجال نعمائه وآلائه، والصّلاة والسّلام علىٰ أشرف أنبيائه، وعلىٰ أهل بيته وعترته وأبنائه.

وبعد فـهذه الروضة السـادسة والعشـرون من رياض السالـكين، تتضمّن شرح الدعاء السادس والعشرين مـن صحيـفة سيّد الـعابدين، سلام الله عليـه وعلىٰ آبائه وأبـنائـه الطاهـرين، إملاء الـعبـد الفقير إلى ربّـه الغني عـليّ صدرالـدين الحسـينيّ الحسنيّ، كان الله له جاراً ووليّاً، ورفعه في الدارين مكاناً عليّاً.

شرح الدعاء السادس والعشرين

وكانَ مِنْ دُعائِهِ عليهِ السلامُ لجيرانِهِ وَأوليائِهِ إذا ذَكرهُم.

الجيران: جمع جار، وهو لغة المجاور في السكن.

حكىٰ تغلب عن ابن الأعرابي: الجار: الذي يجاورك بيت بيت (١).

وقال الفيومي: جاوره مجاورةً: إذا لاصقه في السكن (٢).

وشرعاً قيل: من يلي الدار إلى أربعين ذراعاً من كلّ جانب، وهو مذهب جماعة من أصحابنا منهم الشهيد الأوّل في كتاب اللمعة (٣).

وقيل: إلىٰ أربعين داراً من كلّ جانب، وهو مذهب طائفة من أصحابنا.

وقال الشهيد الثاني في شرح اللمعة: والأولىٰ والأقوىٰ الرجوع في الجيران إلىٰ العرف؛ لأنّ القول الأوّل وإن كان هو المشهور إلّا أنّ مستنده ضعيف، والقول الثاني مستند إلى رواية عامّية روتها عائشة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: الجار إلىٰ أربعين داراً (٤).

وكأنّه رحمه الله غفل عمّا رواه ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن بل صحيح عن أبي جعفر عليه السّلام، أنّه قال: حدّ الجوار أربعون داراً من كلّ جانب، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله (٥).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: كلّ

---

(١) المصباح المنير: ص١٥٨.

(٢) المصباح المنير: ص١٥٧.

(٣) اللمعة الدمشقيّة: ص١٧٧.

(٤) شرح اللمعة: ج ٥ ص٢٩.

(٥) الكافي: ج ٢، ص٦٦٩، ح ١.

قال صلوات الله وسلامه عليه.

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوَلَّني في جيراني وَمَوالِيَّ العارِفينَ بِحَقِّنا، وَالمُنابِذِينَ لِأَعدائِنا، بِأَفْضَلِ وَلايَتِكَ.

أربعين داراً جيران، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله (١).

فمستند القول الثاني هاتان الروايتان لا ماروته عائشة، فلا معدل عن القول به.

ويطلق الجار على الناصر والحليف وهو المعاهد، يقال منه: وتحالفا إذا تعاهدا علىٰ أن يكون أمرهما واحداً في النصرة والحماية؛ لأنّ كلاً منهما يحلف لصاحبه على التناصر، بينهما حلف وحلفة بالكسر: أي عهدا، وإرادة هذين المعنيين هنا واضحة.

والأولياء: جمع وليّ فعيل بمعنىٰ فاعل، ويطلق علىٰ معان كثيرة، والذي يقتضيه المقام منها هو المحبّ، والتابع، والمعين، والناصر، والصديق ذكراً كان أو أُنثىٰ، والعتيق، وكلّ من يتولّىٰ الإنسان وينضمّ إليه ويكون من جملة أتباعه والناصرين له فهو وليّه *.

تولاّه الله: كان له وليّاً، أي: معيناً وكافلاً لمصالحه وقائماً بأُموره، ومنه: تولاّك الله بحفظه.

قال ابن الأثير في النهاية: وكأنّ الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل (٢).

وفي: ظرفيّة مجازيّة، أي: اجعل ولايتك لي سارية في جيراني وموالِيّ راسخة فيهم، كقوله: «وأصلِحْ لي في ذُرّيتي» (٣).

والموالي جمع مولىٰ، والمراد به هنا: المحبّ والتابع والناصر وسائر ما تقدّم في معنى الوليّ.

وقوله (٤) «العارفين بحقّنا» صفة مفادها التوضيح وهو رفع الاحتمال، أو التبيين والتفسير، فتكون صفة كاشفة عن معنىٰ الجيران والموالي، الذين سأل عليه السّلام أن يتولاّه الله فيهم بأفضل ولايته.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٩ ح ٢.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٢٢٧.

(٣) سورة الاحقاف: الآية ١٥.

(٤) (ج): عليه السّلام.

....

ويحتمل أن يكون للمدح، ومعرفة حقّهم عليهم السّلام عبارة عن اعتقاد إمامتهم وافتراض طاعتهم و وجوب اتّباعهم والتسليم إليهم.

والمنابذة بالذال المعجمة: مفاعلة من النبذ، وهو طرح الشيء ورميه، يقال: نبذ الشيء من يده: إذا طرحه ورمىٰ به.

قال الزمخشري في الأساس: نبذ إلىٰ العدوّ: رمىٰ إليه بالعهد ونقضه، ونابذه منابذةً وتنابذوا(١).

وقال الفيومي في المصباح: نابذتهم: خالفتهم، ونابذتهم الحرب: كاشفتهم إيّاها وجاهرتهم بها (٢).

وفي شرح مسلم للنووي في حديث: وإن أبيتم نابذناكم علىٰ سواء، أي: كاشفناكم وقاتلناكم علىٰ طريق مستقيم مستو في العلم بالمنابذة منّا ومنكم، والنبذ يكون بالفعل والقول في الأجسام والمعاني، ومنه نبذ العهد: إذا نقضه وألقاه إلى من كان بينه وبينه(٣)، إنتهىٰ.

وفي شرح جامع الأُصول: فلا تنابذهم أي: تقاتلهم (٤).

وفي النعتين المذكورين إشارة إلىٰ أن موالاتهم عليه السّلام لا تكون إلّا بمعرفة حقّهم ومخالفة أعدائهم ومنابذتهم.

والباء من قوله: «بأفضل ولايتك»: إمّا للاستعانة فيكون الظرف لغواً متعلّقاً بتولّني، أو للملابسة فيكون مستقرّاً متعلّقاً بمحذوف، وهو حال من فاعل تولّني، أي: ملتبساً بأفضل ولايتك.

والولاية بالفتح والكسر: لغتان بمعنىٰ النصرة والإعانة، وبالكسر فقط: بمعنىٰ

---

(١) أساس البلاغة: ص٦١٣.

(٢) المصباح المنير: ص٨١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم (للنووي) لم أعثر عليه بعد فحص بليغ.

(٤) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

وَوَفِّقْهُمْ لإقامَةِ سُنَّتِكَ، وَالاخْذِ بِمَحاسِنِ اَدَبِكَ، في إرْفاقِ ضَعيفِهِمْ وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعيادَةِ مَريضِهِمْ، وَهِدايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَمُناصَحَةِ مُسْتَشيرِهِمْ، وَتَعَهُّدِ قادِمِهِمْ، وَكِتمانِ أسْرارِهِمْ، وَسَتْرِ

السلطان، حكاه الجوهري عن ابن السكيت (١).

وقال سيبويه: الولاية بالفتح: المصدر، وبالكسر: الاسم، مثل الامارة والنقابة، لأنّه لما تولّيته، فإذا أرادوا المصدر فتحوا (٢).

والرواية وردت في الدعاء بالوجهين، فتحتمل المصدريّة والاسميّة *.

قال بعضهم: لايخفىٰ أنّ المناسب للمقام أن يقال: ووفّقني، لكن اتّفقت النسخ علىٰ هذا النحو، ويمكن أن يكون قوله عليه السّلام: «في إرفاق ضعيفهم» متعلّقاً بولايتك أو بتولّني، وهو وإن كان بحسب الظاهر بعيداً لكنّه بحسب المعنىٰ أحسن، إنتهىٰ.

وقال بعض المترجمين: وفي رواية «ووفّقني» وهو أولىٰ، والعهدة عليه.

والذي أقول: إنّ المناسب لعنوان الدعاء هو ما عليه الرواية من لفظ، وفّقهم، فيكون الغرض الدعاء لهم بالتوفيق باستعمال هذه الاداب والأخذ بها في معاشرة بعضهم بعضاً.

والسُنّة بالضمّ: في الأصل الطريقة، وسنّة الله تعالىٰ: حكمه وماشرّعه من فرض أو ندب.

وإقامتها عبارة عن صيانتها وحفظها من أن يقع فيها شيء من الزيغ، أخذاً من أقام العود، إذا قوّمه وعدّله، أو عن المواظبة عليها، مأخوذ من قامت السوق، إذا نفقت، وأقمتها: إذا جعلتها نافقة؛ فإنّها إذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب

---

(١) الصحاح: ج٦، ص٢٥٣٠، من دون النسبة إلى ابن السكيت.

(٢) الصحاح: ج٦، ص٢٥٣٠ نقلاً عن سيبويه.

عُوْراتِهِمْ، وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنِ مُواساتِهِمْ بالماعُون، وَالعَوْدَ عَلَيْهِمْ بِالجِدَةِ وَالإِفْضالِ، وَإِعْطاءِ ما يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤالِ.

فيه، أو عبارة عن التشمير للعمل بها من غير فتور ولا توانٍ، من قولهم: قام بالأمر وأقامه: إذا جدّ فيه واجتهد.

والمحاسن: جمع الحسن الذي هو خلاف القبح، وهو كون الشيء ملائماً للطبع، أو موجباً للمدح في العاجل والثواب في الآجل.

قال الجوهري: هو على خلاف القياس، كأنّه جمع محسن (١).

والأدب: رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.

قال أبوزيد الأنصاري: الأدب يقع علىٰ كلّ رياضة محمودة يتحرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل (٢). وإضافته إليه تعالى لكونه أمر به أو ندب إليه.

والأخذ: في الأصل بمعنىٰ التناول والإمساك باليد.

يقال: أخذ الخطام وبالخطام علىٰ الزيادة أي: أمسكه، ثمّ استعمل بمعنىٰ السيرة، يقال: أخذ أخذهم وبأخذهم بفتح الهمزة وكسرها أي: سار بسيرتهم.

ومنه الحديث: لا تقوم الساعة حتّىٰ تأخذ أُمّتي بأخذ القرون (٣).

أي: تسير بسيرتهم، وهذا المعنىٰ هو المراد هنا، أي: وفّقهم للسيرة بمحاسن أدبك.

والظرف من قوله «في إرفاق ضعيفهم»: متعلّق به أو بأدبك. ويحتمل أن تكون «في» بمعنىٰ «من» البيانيّة، فيكون مابعدها بياناً لسنّته تعالىٰ ومحاسن أدبه.

والإرفاق: إفعال من الرفق بالكسر، وهو لين الجانب ولطافة الفعل.

يقال: رفق به -من باب قتل- رفقاً وأرفقه إرفاقاً أي: لطف به.

حكىٰ أبوزيد: رفقت به وأرفقته وترفّقت بمعنىٰ (٤).

---

(١) الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٩٩.

(٢) المصباح المنير: ص ١١.

(٣) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٢٦ ب ١٤.

(٤) الصحاح: ج ٤ ص ١٤٨٢.

....

وقال الفارابي في ديوان الأدب: يقال: أرفقه ورفق به بمعنىٰ (١).

وقال ابن الأثير في النهاية: ومنه الحديث في إرفاق ضعيفهم وسدّ خلّتهم أي: إيصال الرفق إليهم(٢).

ويأتي الإرفاق بمعنىٰ النفع، يقال: أرفقه أي: نفعه.

قال في الأساس: استرفقته فأرفقني بكذا: نفعني (٣).

والخَلّة بالفتح: الحاجة والفقر والخصاصة، وسدّها جبرها وإزالتها.

قال في النهاية: وفيه اللّهم سادّ الخَلّة، الخَلّة: الحاجة والفقر وسادّها أي: جابرها. ومنه حديث الدعاء للميّت: اللّهم اسدد خلّته وأصلها من التخلّل بين الشيئين، وهي الفرجة والثلمة التي تركها بعده من الخلل الذي أبقاه في أُموره(٤).

وعدتُ المريض عيادةً: زرته.

قال الطيّبي في شرح المشكاة: العيادة في المرض، والزيارة في الصحة(٥).

وقال ابن الأثير: كلّ من أتاك مرّة بعد أُخرىٰ فهو عائد، وإن اشتهر في عيادة المريض حتّىٰ صار كأنّه مختصّ به (٦).

والمسترشد: طالب الرشد أي: الهدىٰ وإصابة الصواب.

والمناصحة: النصح.

قال الفارابي في ديوان الأدب: ناصحة أي: نصح له(٧).

فهو من باب فاعل بمعنىٰ فعل، كسافر وضاعف.

واستشرته في كذا: بمعنىٰ شاورته أي: راجعته لأرىٰ رأيه فيه، فأشار عليّ

---

(١) ديوان الادب: ج ٢ ص ٣١٧.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣) أساس البلاغة: ص ٢٤٣.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٧٢-٧٣.

(٥) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٦) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٣١٧.

(٧) ديوان الأدب ج ٢ ص ٣٨٣.

....

بكذا: أراني ماعنده من المصلحة.

وتعهّدت الشيء: تفقّدته، وجددت العهد به أي: الالتقاء به، ومنه: عهدي به قريب أي: لقائي.

والقادم: الآتي من السفر، يقال: قدم الرجل البلد يقدمه قدوماً ـ من باب تعب ـ فهو قادم.

وكتم زيد الحديث كتماً ـ من باب قتل ـ وكتماناً بالكسر: لم يطلع عليه أحداً.

والأسرار: جمع سرّ بالكسر، وهو ما تخفيه وتكتمه من غيرك. ومنه: صدور الأحرار قبور الأسرار (١).

والعورات بسكون الواو للتخفيف والقياس الفتح وهو لغة هذيل: جمع عورة، وهي كلّ شيء يستره الإنسان أنفةً أو حياءً.

والنصرة بالضمّ: اسم من نصرته علىٰ عدوّه أي: أعنته وقوّيته.

والمواساة: مصدر آسيته بالهمز والمدّ أي: سوّيته بها، ويجوز إبدال الهمزة واواً في لغة اليمن فيقال: واسيته:

وفي النهاية: المواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق، وأصلها الهمزة وقد تقلب (٢)، انتهىٰ.

وقال الجوهري: آسيته بمالي مواساةً: جعلته اسوتي فيه، وواسيته لغة ضعيفة (٣).

وفي القاموس: آساه بماله مؤاساةً: أناله منه وجعله فيه أُسوة، ولا يكون ذلك إلّا من كفاف، فإن كان من فضلة فليس مواساة (٤)، إنتهىٰ.

---

(١) المحجة البيضاء: ج ٣ ص ٣٢٨.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٥٠، وفيه: «فقلبت واواً تخفيفاً».

(٣) الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٦٨.

(٤) القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٩٩، وفيه: «بمواساة».

....

واختلف في معنى الماعون وفي اشتقاقه ممّ هو، فقيل: هو المعروف كلّه.

وقيل: هو اسم جامع لما لايمنع في العادة، ويسأله الفقير والغني في أغلب الأحوال، ولاينسب سائله إلى لؤم، بل ينسب مانعه إلى اللؤم والبخل، كالفأس والقصعة والقدر والدلو والغربال والقدوم، ويدخل فيه الماء والملح والنار؛ لما روي: ثلاثة لايحلّ منعها: الماء والنار والملح(١).

ومن ذلك أنّ تلتمس من جارك الخبز في تنوره، أو أن تضع متاعك عنده يوماً أو بعض يوم.

قال العلماء: ومن الفضائل أن يستكثر الرجل في منزله ممّا يحتاج إليه الجيران فيعيرهم ذلك، ولايقتصر على قدر الضرورة، وقد يكون منع هذه الأشياء محظوراً في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار.

وقيل: هو كلّ ما انتفع به ومطلق المنفعة، ويؤيّده مارواه أبوبصير عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: هو القرض تقرضه، والمعروف تصنعه، ومتاع البيت تعيره، ومنه الزكاة، قال: فقلت له: إنّ لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه، أفعلينا جناح أن نمنعهم؟ فقال: لا، ليس عليك جناح أن تمنعهم إذا كانوا كذلك (٢).

وأمّا اشتقاقه فهو فاعول، فقيل: من المعن بمعنى: العطاء.

وقيل: من معن الوادي: إذا جرت مياهه قليلاً قليلاً، والمعن: القليل؛ لأنّ الماعون ماقلّت قيمته وكثرت منفعته.

وقيل: من المعن بمعنى: السهل اليسير؛ فإنّ الماعون بأي معنى فسّر كان سهلاً

---

(١) لم نعثر عليه، بل وجدناه في مستدرك وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٤٧٠ وج٣ ص ١٥٠ ما نصه: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: خمس لايحلّ منعهنّ: الماء والملح والكلاء والنار والعلم.

(٢) الكافي: ج ٣، ص ٤٩٩، ح ٩.

....

يسيراً.

قال صاحب المحكم: الماعون: المعروف لتيسّره وسهولته لدينا بافتراض الله تعالىٰ إيّاه علينا، والماعون: الزكاة، وهو من السهولة والقلّة؛ لأنّها جزء من كلّ، والماعون: أسقاط البيت كالدلو والقدر؛ لأنّه لا يكرث معطيه ولا يعنّي كاسبه، والماعون في الجاهليّة: المنفعة والعطيّة، وفي الإسلام: الطاعة والزكاة والصدقة، وكلّه من السهولة والتيسير(١)، إنتهىٰ.

وعاد بمعروفه يعود عوداً: عطف وتطوّل، والاسم العائد.

قال الزمخشري في الأساس: تقول: عاد فلان علينا بمعروفه، وما أكثر عائدة فلان علىٰ قومه، وإنّه لكثير العوائد عليهم (٢).

فقوله عليه السّلام: «والعود عليهم بالجدة» أي: التطوّل عليهم والإحسان إليهم.

والجدة: الثروة والغنى، من وجد في المال وجداً بالضمّ والكسر لغة وجدةً أي: استغنىٰ.

والإفضال: الزيادة والإكثار، ومنه حديث: منّ عليّ فأفضل(٣) أي: أنعم عليّ فأكثر.

وحديث: ألم أعطك فأفضل(٤) أي: فأكثر لك في العطاء.

وهذا المعنىٰ للإفضال هو المناسب لعطفه على الجدة، دون معنىٰ الإحسان فإنّه مستفاد من العود عليهم.

---

(١) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ١٤٤.

(٢) أساس البلاغة: ص ٤٣٨.

(٣) و(٤) لم نعثر عليها في اللسان والصحاح والمصباح والاساس ومجمع البحرين والنهاية.

....

وقوله عليه السّلام: «واعطاء ما يجب لهم قبل السؤال» إمّا عطف علىٰ العود أوعلى الإفضال، والتقدير: وإعطائهم مايجب لهم، فحذف المفعول الأوّل المضاف إليه لدلالة الكلام عليه، واضاف المصدر إلىٰ المفعول الثاني.

ومدار هذا الفصل من الدعاء علىٰ سؤاله عليه السّلام لجيرانه ومواليه أن يوفّقهم سبحانه لقيام بعضهم بحقوق بعض، والأخذ بما ينبغي أن يكون عليه الشيعة من الأخلاق الفاضلة والآداب الحميدة في معاشرة بعضهم لبعض.

كما رواه ثقة الإسلام في الكافي في باب حقّ المؤمن علىٰ أخيه وأداء حقّه، بسنده عن أبي اسماعيل قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: إنّ الشيعة عندنا كثير، فقال: هل يعطف الغني علىٰ الفقير ويتجاوز المحسن عن المسيء ويتواسون؟ فقلت: لا، فقال: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا(١).

وعن محمّد بن عجلان قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السّلام فدخل رجل فسلّم، فسأله كيف من خلّفت من إخوانك؟ قال: فأحسن الثناء وزكّىٰ وأطرى، فقال له: كيف عيادة أغنيائهم علىٰ فقرائهم؟ فقال: قليلة، فقال: كيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟ فقال: قليلة، فقال: فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ فقال: إنّك لتذكر أخلاقاً قلّما هي فيمن عندنا، قال: فقال: فكيف يزعم هؤلاء أنّهم شيعة؟(٢).

والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً.

إذا عرفت ذلك، فمعنىٰ قوله عليه السّلام: «في إرفاق ضعيفهم وسدّ خلّتهم» إلى آخره: في إرفاق قويّهم ضعيفهم، وسدّ غنيّهم خلّة فقيرهم، وعيادة صحيحهم مريضهم، وهداية مرشدهم مسترشدهم، ومناصحة مستشارهم مستشيرهم، وتعهّد

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٧٣، ح ١١.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٧٣، ح ١٠.

وَاجْعَلْنِي اللّهُمَّ أجْزِي بِالإحْسانِ مَسيئَهُمْ، وَأُعْرِضُ بِالتَّجاوُزِ عَنْ ظالِمِهِمْ، وَأسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ في كافَّتِهِمْ، وَأتَوَلّىٰ بِالبِرِّ عامَّتَهُمْ، وَأغُضُّ بَصَري عَنْهُمْ عِفَّةً، وَأُلينُ جانِبي لَهُمْ تَواضُعاً، وَأرِقُّ عَلىٰ أهْلِ البَلاءِ مِنهم رَحْمَةً، وأُسِرُّ لَهُمْ بِالغَيْبِ مَوَدَّةً، وَأُحِبُّ بَقاءَ النِعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحاً، وَأُوجِبُ لَهُمْ ما أُوجِبُ لِحامَّتي، وَأرْعىٰ لَهُمْ ما أرْعىٰ لِخاصَّتي.

حاضرهم قادمهم، وكتمان أسرارهم فيما بينهم وأسرار أنفسهم، وستر بعضهم عورات بعض، ونصرتهم مظلومهم، وحسن مواساة بعضهم بعضاً بالماعون، وعود أغنيائهم علىٰ فقرائهم بالجدة والإفضال، وإعطائهم ما يجب لمحتاجيهم قبل السؤال.

كما روي عن أبي عبدالله عليه السّلام في حقّ المؤمن: وإذا علمت أنّ له حاجة تبادره إلىٰ قضائها، ولا تلجئه أن يسألكها(١) ولكن تبادره مبادرة.

وإنّما استغنىٰ عن ذكر الفاعل في جميع ذلك لأنّه غير ملتبس، والله أعلم.

ولمّا بدأ عليه السّلام بالدعاء لجيرانه ومواليه بتوفيقهم للأخذ بمحاسن الأدب في معاشرة بعضهم بعضاً، شفع ذلك بالدعاء لنفسه بتوفيقه للأخذ بذلك في معاشرته لهم، فقال:(٢) *.

الجعل: بمعنىٰ التصيير، أحد مفعوليه ضمير المتكلّم، والثاني جملة أجزي. وتوسيط النداء لاظهار مزيد الضراعة والابتهال.

وجزيته علىٰ فعله: أجزيه جزاءً إذا فعلت معه ما يقابل فعله، وأكثر ما يستعمل في كون الفعلين من جنس واحد، كالإحسان بالإحسان والإساءة بمثلها، وعلىٰ ذلك قوله تعالى: «هَل جَزاءُ الإحسانِ إلّا الإحسان»(٣).

---

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٦٩، ح ٢.

(٢) أي الدعاء المذكور في صدر الصفحة.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

....

«وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها»(١)، وقد يستعمل في مقابلة السيّئة بالحسنة وبالعكس.

وعلىٰ الأوّل عبارة الدعاء، ومثله قول الشاعر:

يجزون عن ظلم أهلِ الظلم مغفرةً وعن إساءة أهل السّوء إحساناً

ومن الثاني قول الآخر:

جزانا بنوسعيدٍ بحسن فعالنا جزاءَ سنمّار وما كان ذا ذنبِ

وسنّمار اسم رجل رومي بنى الخورنق الذي بظهر الكوفة للنعمان بن امرئ القيس، فلمّا فرغ منه ألقاه من أعلاه فخرميّتاً، وإنما فعل ذلك لئلا يبني مثله لغيره، فضرب العرب به المثل لمن يجزي بالإساءة الإحسان. وأعرضت عن الشيء: أضربت ووليّت عنه قيل: أصله من الانصراف بالوجه إلى جهة العرض.

وقيل: حقيقته جعل الهمزة فيه للصيرورة أي: أخذت عرضاً بالضمّ أي: جانباً غير الجانب الذي هو فيه.

والمعنىٰ: واترك مقابلة الظالم منهم ومكافاته فيما يأتيه من الظلم.

والباء من قوله «بالتجاوز»: للملابسة، متعلّقة بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في أعرض، أي: حال كوني ملتبساً بالتجاوز عنه. يقال: تجاوز عنه تجاوزاً أي: عفىٰ وصفح، وقدمرّ الكلام عليه.

وقوله:«عن ظالمهم» متعلّق بالفعل والمصدر علىٰ طريق التنازع.

ثمّ ما اشتملت عليه هاتان الفقرتان، من جزاء المسيء بالإحسان والصفح عن الظالم بالتجاوز، من أشرف مكارم الأخلاق.

كما روي أنّ جبرئيل عليه السّلام نزل علىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله بقوله

(١) سورة الشورىٰ: الآية ٤٠.

....

تعالىٰ: «خذالعفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»، فقال: يا محمّد جئتك بأكرم أخلاق الأوّلين والآخرين، فصل من قطعك، واعط من حرمك، واعف عمّن ظلمك(١).

واستعمله: عمل به، أي: اعمل بحسن الظنّ في جملتهم أو جميعهم.

وكافّة قيل: هي في الأصل صفة من كفّ بمعنىٰ منع، استعملت بمعنىٰ الجملة بعلاقة أنّها مانعة للأجزاء عن التفرّق والتاء فيها للتأنيث.

وقيل: هي في الأصل اسم لجماعة تكفّ مخالفيها، ثمّ استعملت في معنىٰ جميع، والتاء فيها للنقل من الوصفيّة إلىٰ الاسميّة، كما في عامّة وخاصّة وقاطبة.

وقيل: للمبالغة كما في رواية وعلامة، وردّ بأنه خروج عن الأصل من غير ضرورة.

وأكثر النحويّين علىٰ أنّها -أعني كافّة- من الأسماء اللازمة النصب علىٰ الحاليّة، وأنّها مختصّة بمن يعقل.

قال الرضي: وتقع كافّة في كلام المتأخّرين ومن لا يوثق بعربيّته مضافة غير حال، وقد خطأوا فيها(٢)، إنتهىٰ.

وقال ابن هشام في المغني: تجويز الزمخشري الحاليّة من الفاعل ومن المفعول في قوله تعالىٰ: «ادخلوا في السلم كافّةً» وهمٌ؛ لأنّ كافّة مختصّة بمن يعقل، ووهمه في قوله تعالى: «وما أرسلناك إلّا كافّةً للناس»؛ إذ قدّر كافّة نعتاً لمصدر محذوف أي: رسالة كافّة أشدّ؛ لأنّه أضاف إلىٰ استعماله فيما لا يعقل إخراجه عمّا التزم فيه من الحاليّة، ووهمه في خطبة المفصّل؛ إذ قال: محيط بكافّة الأبواب، أشدّ وأشدّ

---

(١) تفسير البرهان: ج ٢، ص ٥٥، مع اختلافٍ يسير.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٢١٥.

....

لإخراجه إيّاه عن النصب البتّة (١)، إنتهى.

وتعقّبه بعض المحقّقين من المتأخّرين، بأنّه إن أراد باختصاص لفظة كافّة مطلقاً بمن يعقل وبكونها حالاً، فباطلٌ لقولهم: وتلحقها ما الكافة، وإن أراد اختصاصها بذلك حين استعمالها اسماً بمعنى الجملة أو الجميع، فالاعتراض الثاني ليس بشيء؛ لأنّه على تقدير كونها صفة لمصدر محذوف مستعملة بالمعنى الوصفي، وكذا الثالث لجواز أنّ معناه محيط بقواعد كافّة للأبواب عن التفرّق.

على أن الزمخشري لم ينفرد بذلك، بل ذهب الزجّاج إلى عدم اختصاصها بمن يعقل أيضاً، وهما الطودان العظيمان في اللغة، فلا بدّ في الردّ عليهما من شاهد قوي، ومجرّد شيوع استعمالها كذلك لايدلّ على الاختصاص (٢)، انتهى.

وقال السيّد عبدالله شارح اللباب: قد وقع كافّة مضافاً في كلام البلغاء والفصحاء، منه قول عمر: قد جعلت لآل بني كاكلة على كافّة بيت مال المسلمين، لكلّ عام مائتي مثقال ذهباً إبريزاً، كتبه عمر بن الخطاب، ختمه كفى بالموت واعظاً يا عمر، وهذا الخطّ موجود في آل بني كاكلة إلى الآن، فلا وجه للتخطئة (٣)، إنتهى.

قلت: وفي عبارة الدعاء من ضياء الحقّ ما يصدع ظلام الشك، فكفى بها شاهداً على وقوع كافّة مضافة في الفصيح؛ فإنّه عليه السّلام أفصح العرب في زمانه، فليتخطّ الزمخشري رقاب من خطّأه، وبحقّ ما قيل: إنّ عبارته كروايته، وما العجب إلّا من الرضي رضي الله عنه، حيث لم يقف على عبارة الصحيفة الشريفة مع مكانته في المذهب، وزعم أن وقوعها مضافة غير حال إنّما يقع في كلام

---

(١) مغني اللبيب: ص ٧٣٣.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

....

المتأخرين ومن لايوثق بعربيته، والله يقول الحقّ ويهدي السّبيل.

ومعنىٰ استعمال حسن الظنّ في كافّتهم: حمل أُمورهم جميعاً أقوالاً كانت أو أفعالاً علىٰ ما يضحّ ويحسن شرعاً وعرفاً ما أمكن الحمل عليه؛ عملاً بحسن الظنّ فيهم.

وقد بيّن أميرالمؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في كلام له، فقال: ضع أمر أخيك علىٰ أحسنه حتّىٰ يأتيك مايقلبك منه، ولا تظنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءً وأنت تجدها في الخير محملاً (١).

قال بعض علمائنا في شرحه لهذا الكلام: أي: احمل أمر أخيك قولاً كان أو فعلاً علىٰ أحسنه، وإن كان مرجوحاً وكان خلافه راجحاً مظنوناً من غير تجسّس، حتّىٰ يأتيك اليقين علىٰ خلافه؛ فإنّ الظنّ قد يغلط والتجسّس منهيّ عنه، كما قال الله تعالىٰ: «إنّ بعض الظنّ إثم»(٢)، وقال: «لا تجسّسوا»(٣).

ثمّ قال العلماء: أفعال المؤمنين محمولة علىٰ الصحّة، ثمّ نهىٰ - تأكيداً لما مرّ - عن حمل كلامه علىٰ الشرّ إن كان محتملاً للخير وإن كان بعيداً جدّاً، بقوله: ولا تظنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءً إلىٰ آخره، فإذا خرجت منه كلمة ذات وجهين وجب عليك أن تحملها علىٰ الوجه الخير، وإن كان معنىٰ مجازيّاً بدون قرينة أو كناية أو تورية أو نحوها، ومن هذا القبيل ماسمّاه علماء العربيّة اسلوب الحكيم.

كما قال الحجّاج للقبعثري متوعداً له: لأحملنّك علىٰ الأدهم، فقال القبعثري: مثل الأمير يحمل علىٰ الأدهم والأشهب، فأبرز وعيده في معرض الوعد، ثمّ قال الحجّاج، للتصريح بمقصوده: إنّه حديد، فقال القبعثري: لئن يكون حديداً خير من

---

(١) تفسير البرهان: ج ٤، ص ٢٠٩، ح ٣، والكافي: ج ٢، ص ٣٦٢، ح ٣.

(٢) و(٣) سورة الحجرات: الآية ١٢.

....

أن يكون بليداً (١).

وبالجملة: كما يحرم علىٰ المؤمن سوء القول في أخيه، كذلك يحرم عليه سوء الظنّ فيه، بأن يعقد القلب عليه ويحكم به من غير يقين، وأمّا الخاطر وحديث النفس فمعفوّ عنه، وما وقع في قلبه من غير يقين فهو من الشيطان يلقيه إليه ليغريه بالقبيح علىٰ أخيه، فوجب أن يكذّبه فإنّه أفسق الفاسقين، فلا يجوز تصديقه بل يجب حسن الظنّ به.

ومن ثمّ جاء في الشرع: من تكلّم بكلمة ظاهرها الارتداد ولها معنىً صحيح لا يحكم بارتداده، وأنّ من علمت في فيه رائحة الخمر لا يجوز أن يحكم عليه بشربها وأن يحدّ عليها؛ لاحتمال أن يكون تمضمض بها ومجّها، أو وجرت في حلقه جبراً، وذلك أمر ممكن (٢) إنتهىٰ.

وهذه الجملة كافية في بيان هذا المعنىٰ.

قوله عليه السّلام: «وأتولّىٰ بالبرّ عامتهم» البرّ: العطف والصلة والخير والاتّساع في الاحسان، أي: واجعلني امدّ وأعين جملتهم ملتبساً بالبرّ لهم والعطف عليهم والإحسان إليهم، أو أتولّىٰ أُمور عامتهم بالخير والصلة والشفقة والاتّساع في الإحسان إليهم.

وغضّ الرجل بصره ومن بصره ـ من باب قتل ـ: خفض.

والعفّة: الكفّ عمّا لا يحلّ ولا يحمل، عفّ عنه يعفّ ـ من باب ضرب ـ عفّةً بالكسر وعفافاً بالفتح.

أي: واجعلني أغضّ بصري عمّا لا يحلّ لي النظر إليه من عوراتهم أي: زلاّتهم

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ص١٤٨.

(٢) مرآة العقول: ج ١١ ص ١٥ ـ ١٧.

....

وعثراتهم.

كما رواه في الكافي بسنده عن حذيفة بن منصور، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: شيء يقوله الناس عورة المؤمن على المؤمن حرام فقال: ليس حيث يذهبون، إنّما عنى عورة المؤمن أن يزلّ زلّة أو يتكلّم بشيء يعاب عليه، فيحفظه عليه ليعيّره به يوماً ما (١).

وعن الشّحام عن أبي عبدالله عليه السّلام فيما جاء في الحديث: عورة المؤمن على المؤمن حرام، قال: ماهو أن ينكشف فيرىٰ منه شيئاً، وإنما هو أن يروي عليه أو يعيبه (٢).

وعلىٰ هذا فغضّ البصر عنهم كناية عن عدم تتبّع عثراتهم وزلاّتهم والإعراض عنها، ويحتمل أن يكون كناية عن احتمال المكروه منهم وعدم مؤاخذتهم به.

قال في القاموس: غضّ طرفه: خفضه واحتمل المكروه (٣).

فيكون بمعنىٰ الإغضاء عنهم، وهو استعمال الحلم والإمساك عن الانتقام.

وانتصاب عفّة يحتمل أن يكون على المصدرية أي: غضّ عفّة، أو علىٰ المفعول لأجله أي: للعفة، وقس عليه نظائره من المنصوبات الآتية.

والإنة الجانب لهم كناية عن الرفق والتلطّف بهم، ومنه قوله تعالى: «فبما رحمةٍ من الله لِنتَ لَهم» (٤) يقال: لان يلين ليناً وليانـاً بالفتح، ويتعدّىٰ بالهمزة والتضعيف فيقال: ألانه إلانةً وليّنه تليناً.

ووقع في النسخ المشهورة من الصحيفة: «وألّين جانبي» بفتح الهمزة، وفي

---

(١) لم نعثر عليه في الكافي بل عثرنا عليه في التهذيب: ج ١ ص ٣٧٥ ح ١٠.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٥٩، ح ٣.

(٣) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٣٣٨.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

....

نسخة: «واُلَيِّن جانبي» بضمّ الهمزة وهو الصواب.

وأمّا الرواية الأُولىٰ فالظاهر أنّها علىٰ إسقاط جانبي، وكأنّه علّق لفظ جانبي في الهامش علىٰ رواية اُليّن بالضمّ، فجمع النسّاخ بين الروايتين، وإلّا فلا يسمع «لأنه» متعدّياً.

والتواضع: التذلّل وخلاف الترفّع والتكبّر، أي: إلانة تواضع، أو لأجل التواضع.

ورقّ له يرِقّ من باب ضرب- رِقّةً بالكسر: عطف عليه وتحنّن عليه، وعدّاه بعلىٰ لتضمينه معنىٰ العطف والتحنّن.

وأهل البلاء: المبتلون بالمكروه.

والرحمة: رقّة القلب والتعطّف، فإن حمل نصبها على المصدريّة فالعامل قوله: «أرق» علىٰ حدّ قعدت جلوساً.

ومذهب سيبويه أنّه مقدّر، والتقدير: أرق وأرحم رحمة؛ لأنّه يذهب إلى أنّ المصدر إذا كان غير ملاق للفعل المذكور في الاشتقاق كان منصوباً بفعل مقدّر، فيقدّر في قعدت جلوساً: قعدت وجلست جلوساً(١).

وهو خروج عن الأصل - أعني عدم التقدير- بلا ضرورة.

وإن حمل نصبها علىٰ المفعول لأجله، فينبغي أن يراد بها غايتها من إيصال الخير ودفع الشرّ.

وأسرّ الحديث: أخفاه وأظهره ضدّ. قيل: والمراد به هنا الإظهار، أي: أظهر لهم في الغيب مودّة، ولا داعي إليه مع خلافه للظاهر، فالأولىٰ أن يراد به الإخفاء والكتمان.

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص١١٦.

....

والغيب: مصدر بمعنىٰ الغيبة. والباء: للملابسة، متعلّقة بمحذوف وقع حالاً من الفاعل، كما في قوله تعالى: «الّذينَ يَخشَونَ رَبّهم بالغَيبِ»(١)، وقوله تعالى: «إنّي لَم أخُنه بالغَيب»(٢)، أي: أُخفي وأكتم لهم المودّة ملتبساً بالغيب عنهم أي: غائباً عنهم، لا كالمنافق الذي إذا لقي أصحابه أظهرلهم المودّة، وإذا غاب عنهم لم يكن في سرّه شيءمنها.

ويحتمل أن يكون المراد بالغيب القلب لأنّه مستور، كما فسّر به بعضهم قوله تعالى: «يُؤمِنون بالغَيبِ»(٣) أي: يؤمنون بقلوبهم.

والمعنى: أُسرّ لهم بقلبي مودّة، لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

ويحتمل أن يكون اللام من قوله «لهم» بمعنىٰ إليهم، كقوله تعالىٰ: «بأنّ رَبّكَ أوحىٰ لها»(٤) أي: إليها.

وقوله «بالغيب» مفعولاً لأسرّ، والباء فيه زائدة للتأكيد، مثل أخذت الخطام وأخذت به، ومنه قوله تعالى: «تَسُرُّونَ إليهم بِالمودّةِ» (٥) علىٰ القول بأنّ المودّة مفعوله، ويكون معنىٰ الغيب ما غاب عنهم علمه من أحوالهم وأُمورهم الدينيّة والدنيويّة التي في إسرارد إليهم صلاحهم، ويكون انتصاب مودّة علىٰ المصدريّة أو المفعول لأجله، كما مرّ في نظائره، أي: إسرار مودّة أولأجل المودّة.

ويرجّح هذا الاحتمال كون الفقرات كلّها علىٰ نسق واحد في التركيب والنظم، وإن كان المعنيان الأوّلان أظهر بحسب دلالة الألفاظ، والله أعلم بمقاصد أوليائه.

وقد كان أميرالمؤمنين صلوات الله عليه والأئمّة من ولده عليهم السّلام، يسرّون

(١) سورة فاطر: الآية ١٨.

(٢) سورة يوسف: الآية ٥٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣.

(٤) سورة الزلزلة: الآية ٥.

(٥) سورة الممتحنة: الآية ١.

....

إلىٰ مواليهم وخواصّهم كثيراً من الأمور الغيبيّة، ومن المشهورين بذلك من خواصّ أميرالمؤمنين عليه السّلام جويرية بن مسهر العبدي، وميثم التمّار وعمرو بن الحمق، ورشيد الهجري، ومزرع صاحب علي عليه السّلام، ومالك بن ضمرة الروّاسي وغيرهم، فقد كان أميرالمؤمنين عليه السّلام أطلع كلاً منهم علىٰ علم كثير، وأسرار خفيّة من أسرار الوصيّة، فاستنبطوا منه علماً كثيراً من أخبار الملاحم والمغيّبات، كما يعرف ذلك من كتب السير، ولولا خشية الإطالة لذكرنا جملة مستحسنة من ذلك.

قوله عليه السّلام: «وأُحبّ بقاء النعمة عندهم» أي: واجعلني أودّ دوام النعمة وثباتها لديهم، حتّىٰ يكونوا دائماً بنعمة من الله.

والنصح: إخلاص العمل من شوائب الفساد، مأخوذ من نصحت العسل: إذا صفّيته من الشمع.

والمعنىٰ: واجعلني أُحبّ بقاء النعمة عندهم محبّة نصح لهم، أو لأجل النصح لهم في إرادة الخير لهم وإيثار نفعهم، من غير شائبة غرض آخر.

وأوجبت الشيء إيجاباً: جعلته واجباً أو اعتقدته واجباً أي: لازماً ثابتاً، من وجب البيع والحقّ يجب وجوباً: إذا لزم وثبت.

وحامّة الرجل: خاصّته من أهله وولده، ومنه قوله صلّى الله عليه وآله: هؤلاء أهل بيتي وحامّتي، أذهب عنهم الرجس (١).

واشتقاقها من حمّ الشيء يحمّ حمّاً -من باب ضرب-: قرب ودنا. ورعىٰ له حقّه وحرمته رعياً ورعايةً: حفظه.

وخاصّة الإنسان: مَن له به خصوصيّة من نسب أو مودّة. يقال: هذا خاصّتي

---

(١) مجمع البيان: ج ٧ - ٨، ص ٣٥٧.

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْني مِثْلَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ، وَاجْعَلْ لي أَوْفىٰ الحُظُوظِ فيما عِنْدَهُم، وَزِدْهُمْ بَصيرَةً في حَقّي، وَمَعْرِفَةً بِفَضْلي، حَتّىٰ يَسْعَدُوا بي وَأَسْعَدَ بِهِمْ، آمينَ رَبَّ العالَمينَ.

وهم خاصتي، والتاء فيها للمبالغة، وقيل: للنقل.

وقول بعض المترجمين: إنّ هذه الفقرة تأكيد لما قبلها لا تّحاد مضمونها، ليس بصحيح، بل هي تأسيس كما هو ظاهر، والله أعلم *.

أرزقني: أي اعطني من الرزق، بالمعنىٰ اللغوي وهو العطاء.

ومثل ذلك : أي: مثل ما سألتك أن تجعلني عليه في معاشرتهم ممّا تقدّم ذكره فيكونوا لي كما أكون لهم ويعاملوني بمثل ما أعاملهم به.

والحظوط: جمع حظّ بمعنىٰ النصيب، أي: أتمّ الحظوط، من وفىٰ الشيء يفي. إذا تمّ.

وفيما عندهم: أي من محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، وصدق الموالاة، وحسن الاعتقاد والطاعة والانقياد، إلىٰ غير ذلك ممّا يرغب فيه السيّد الرئيس من مواليه وأتباعه.

والبصيرة: اسم من بصرت بالشيء بالضمّ بصراً بفتحتين أي: علمت، فأنا بصير به وهو ذو بصر وبصيرة أي: علم وخبرة.

وقال الفارابي في ديوان الأدب: البصيرة: اسم لما اعتقدته في القلب من الدين وتحقيق الأمر(١)، إنتهىٰ.

وقد يراد بالبصيرة قوّة القلب المنوّر بنور القدس يرىٰ بها حقائق الأشياء وبواطنها، بمثابة البصر للنفس يرىٰ به صور الأشياء وظواهرها؛ وهي التي يسمّيها الحكماء العاقلة النظريّة والقوّة القدسيّة، وكلّ من هذه المعاني يصحّ إرادته هنا.

---

(١) ديوان الأدب: ج ١ ص ٤٢٨.

....

وقوله: «في حقّي» أي: في الواجب الثابت لي على جميع الخلق.

والحقّ في اللغة: هو الثابت الذي لايسوغ إنكاره.

والمراد بحقّه عليه السّلام: اعتقاد إمامته، وفرض طاعته، ووجوب موالاته، والاقتداء به، والردّ اليه، والتسليم له، والعلم بذلك قابل للزيادة والنقصان كما مرّ بيانه في الإيمان.

والمعرفة: إدراك الشيء علىٰ ما هو عليه.

والفضل والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الشرف والحسب والعلم.

وحتّىٰ بمعنىٰ كي التعليليّة، أي: كي تحصل لهم السعادة بسببي وتحصل لي السعادة بسببهم.

وهذا التعليل يتعلّق بجملة ماتقدّم سؤاله، لأنّهم إذا وفّقوا لإقامة سنّة الله تعالىٰ والأخذ بمحاسن أدبه بسبب دعائه عليه السّلام، وازدادوا بصيرة في حقّه ومعرفة بفضله، فقد استجمعوا الحسنات وفازوا برفيع الدرجات فكانوا من السعداء به عليه السّلام، وهو عليه السّلام إذا قضىٰ حقوقهم وعاملهم بأكرم الأخلاق المذكورة فقد استحقّ من الله تعالى جزيل الثواب، فكانت هذه السعادة من الله تعالىٰ حاصلة له عليه السّلام بسببهم.

وقال بعضهم: أمّا سعادتهم به عليه السّلام فظاهرة، وأمّا سعادته عليه السّلام بهم فهي إمّا سعادة دنيويّة، باعتبار أنّهم متىٰ اعتقدوا إمامته قاموا بخدمته ومنفعته في الدنيا، وإمّا سعادة أُخرويّة؛ وذلك لأنّه يهديهم ويدعولهم وينفعهم ويشفع لهم، وكلّ ذلك سبب لرفع الدرجات في الآخرة، إنتهىٰ.

فجعل التعليل متعلّقاً بزيادة البصيرة في حقّه والمعرفة بفضله دون ماتقدّم، وهو كما ترىٰ، والله أعلم بمقاصد أوليائه.

وآمين: اسم فاعل مبني على الفتح، ومعناه استجب لي أو كذلك فليكن. وقد

....

سبق الكلام عليه مبسوطاً في آخر الروضة الثانية عشرة والسابعة عشرة، فليرجع إليه، والله أعلم.

هذا آخر الروضة السادسة والعشرين من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، صلوات الله و سلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، وقد وفّق الله تعالىٰ لإنهائها صبيحة يوم الخميس آخر يوم من شعبان سنة أحدى ومائة وألف، ولله الحمد.

الروضة السابعة والعشرون

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَهْلِ الثُّغُورِ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ وَ
أَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ وَأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ اَللّٰهُمَّ صَلِّ
عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ وَاحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ وَامْنَعْ
حَوْمَتَهُمْ وَأَلِّفْ جَمْعَهُمْ وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ وَوَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ وَتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ
مُؤَنِهِمْ وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ وَأَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ وَالْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ
اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَعَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ وَعَلِّمْهُمْ مَا لَا
يَعْلَمُونَ وَبَصِّرْهُمْ مَا لَا يُبْصِرُونَ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَنْسِهِمْ
عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ
خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَلَوِّحْ مِنْهَا
لِأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ
وَالْحُورِ الْحِسَانِ وَالْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ وَالْأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ
بِصُنُوفِ الثَّمَرِ حَتّٰى لَا يَهُمَّ أَحَدٌ بِالْإِدْبَارِ وَلَا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ
بِفِرَارٍ اَللّٰهُمَّ افْلُلْ بِذٰلِكَ عَدُوَّهُمْ وَاقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ وَاخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ

وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ وَاقْطَعْ عَنْهُمُ الْمَدَدَ
وَانْقُصْ مِنْهُمُ الْعَدَدَ وَامْلَأْ اَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ وَاقْبِضْ اَيْدِيَهُمْ عَنِ
الْبَسْطِ وَاخْزِمْ اَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ وَنَكِّلْ
بِهِمْ مَنْ وَرَآءَهُمْ وَاقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ اَطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ اَللّٰهُمَّ عَقِّمْ اَرْحَامَ
نِسَآئِهِمْ وَيَبِّسْ اَصْلَابَ رِجَالِهِمْ وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَآبِّهِمْ وَاَنْعَامِهِمْ
لَاتَأْذَنْ لِسَمَآئِهِمْ فِي قَطْرٍ وَلَا لِاَرْضِهِمْ فِي نَبَاتٍ اَللّٰهُمَّ وَقَوِّ بِذٰلِكَ
مِحَالَ اَهْلِ الْاِسْلَامِ وَحَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ وَثَمِّرْ بِهِ اَمْوَالَهُمْ وَفَرِّغْهُمْ
عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ وَعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ حَتّٰى لَايُعْبَدَ
فِي بِقَاعِ الْاَرْضِ غَيْرُكَ وَلَا تُعَفَّرَ لِاَحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُوْنَكَ اَللّٰهُمَّ
اغْزُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ عَلٰى مَنْ بِاِزَآئِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَاَمْدِدْهُمْ
بِمَلَآئِكَةٍ مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفِيْنَ حَتّٰى يَكْشِفُوْهُمْ اِلٰى مُنْقَطَعِ التُّرَابِ قَتْلًا
فِي اَرْضِكَ وَاَسْرًا اَوْ يُقِرُّوْا بِاَنَّكَ اَنْتَ اللّٰهُ الَّذِيْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنْتَ وَحْدَكَ
لَاشَرِيْكَ لَكَ اَللّٰهُمَّ وَاعْمُمْ بِذٰلِكَ اَعْدَآءَكَ فِي اَقْطَارِ الْبِلَادِ مِنَ
الْهِنْدِ وَالرُّوْمِ وَالتُّرْكِ وَالْخَزَرِ وَالْحَبَشِ وَالنُّوْبَةِ وَالزَّنْجِ وَالسَّقَالِبَةِ
وَالدَّيَالِمَةِ وَسَآئِرِ اُمَمِ الشِّرْكِ الَّذِيْنَ تَخْفٰى اَسْمَآؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ وَقَدْ

أَحْصَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ وَأَشْرَفْتَ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِكَ اَللّٰهُمَّ اشْغَلِ الْمُشْرِكِينَ
بِالْمُشْرِكِينَ عَنْ تَنَاوُلِ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ وَخُذْهُمْ بِالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ وَ
ثَبِّطْهُمْ بِالْفُرْقَةِ عَنِ الْاِحْتِشَادِ عَلَيْهِمْ اَللّٰهُمَّ أَخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْأَمَنَةِ
وَأَبْدَانَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَأَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْاِحْتِيَالِ وَأَوْهِنْ أَرْكَانَهُمْ
عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجَالِ وَجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقَارَعَةِ الْأَبْطَالِ وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ
جُنْدًا مِنْ مَلَائِكَتِكَ بِبَأْسٍ مِنْ بَأْسِكَ كَفِعْلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ تَقْطَعُ بِهِ
دَابِرَهُمْ وَتَحْصُدُ بِهِ شَوْكَتَهُمْ وَتُفَرِّقُ بِهِ عَدَدَهُمْ اَللّٰهُمَّ وَامْزُجْ
مِيَاهَهُمْ بِالْوَبَاءِ وَأَطْعِمَتَهُمْ بِالْأَدْوَاءِ وَارْمِ بِلَادَهُمْ بِالْخُسُوفِ
وَأَلِحَّ عَلَيْهَا بِالْقُذُوفِ وَافْرَعْهَا بِالْمُحُولِ وَاجْعَلْ مِيَرَهُمْ فِي أَحَصِّ
أَرْضِكَ وَأَبْعَدِهَا عَنْهُمْ وَامْنَعْ حُصُونَهَا مِنْهُمْ أَصِبْهُمْ بِالْجُوعِ
الْمُقِيمِ وَالسُّقْمِ الْأَلِيمِ اَللّٰهُمَّ وَأَيُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ أَوْ
مُجَاهِدٍ جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الْأَعْلَى وَحِزْبُكَ
الْأَقْوَى وَحَظُّكَ الْأَوْفَى فَلَقِّهِ الْيُسْرَ وَهَيِّئْ لَهُ الْأَمْرَ وَتَوَلَّهُ
بِالنُّجْحِ وَتَخَيَّرْ لَهُ الْأَصْحَابَ وَاسْتَقْوِ لَهُ الظَّهْرَ وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ فِي
النَّفَقَةِ وَمَتِّعْهُ بِالنَّشَاطِ وَأَطْفِ عَنْهُ حَرَارَةَ الشَّوْقِ وَأَجِرْهُ مِنْ

غَمِّ الْوَحْشَةِ وَأَنْسِهِ ذِكْرَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَأْثُرْ لَهُ حُسْنَ النِّيَّةِ وَتَوَلَّهُ
بِالْعَافِيَةِ وَأَصْحِبْهُ السَّلَامَةَ وَأَعْفِهِ مِنَ الْجُبْنِ وَأَلْهِمْهُ الْجُرْأَةَ
وَارْزُقْهُ الشِّدَّةَ وَأَيِّدْهُ بِالنُّصْرَةِ وَعَلِّمْهُ السِّيَرَ وَالسُّنَنَ وَسَدِّدْهُ
فِي الْحُكْمِ وَاعْزِلْ عَنْهُ الرِّيَاءَ وَخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ وَاجْعَلْ فِكْرَهُ وَ
ذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ وَإِقَامَتَهُ فِيكَ وَلَكَ فَإِذَا صَافَّ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُ
فَقَلِّلْهُمْ فِي عَيْنِهِ وَصَغِّرْ شَأْنَهُمْ فِي قَلْبِهِ وَأَدِلْ لَهُ مِنْهُمْ وَلَا
تُدِلْهُمْ مِنْهُ فَإِنْ خَتَمْتَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ وَقَضَيْتَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَبَعْدَ
أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بِالْقَتْلِ وَبَعْدَ أَنْ يَجْهَدَ بِهِمُ الْأَسْرُ وَبَعْدَ أَنْ
تَأْمَنَ أَطْرَافُ الْمُسْلِمِينَ وَبَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ عَدُوُّكَ مُدْبِرِينَ اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا
مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِياً أَوْ مُرَابِطاً فِي دَارِهِ أَوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيهِ فِي غَيْبَتِهِ
أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ أَوْ أَمَدَّهُ بِعِتَادٍ أَوْ شَحَذَهُ عَلَى جِهَادٍ أَوْ
أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً أَوْ رَعَى لَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُرْمَةً فَأَجْرِ لَهُ مِثْلَ
أَجْرِهِ وَزْناً بِوَزْنٍ وَمِثْلاً بِمِثْلٍ وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حَاضِراً
يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ مَا قَدَّمَ وَسُرُورَ مَا أَتَى بِهِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الْوَقْتُ إِلَى مَا
أَجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ وَأَعْدَدْتَ مِنْ كَرَامَتِكَ اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ

اَهَمَّهُ اَمْرُ الْاِسْلَامِ وَاَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ اَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ فَنَوٰى غَزْوًا
اَوْهَمَّ بِجِهَادٍ فَقَعَدَ بِهٖ ضَعْفٌ اَوْاَبْطَأَتْ بِهٖ فَاقَةٌ اَوْاَخَّرَهُ عَنْهُ
حَادِثٌ اَوْعَرَضَ لَهُ دُوْنَ اِرَادَتِهٖ مَانِعٌ فَاكْتُبِ اسْمَهُ فِي الْعَابِدِيْنَ
وَاَوْجِبْ لَهُ ثَوَابَ الْمُجَاهِدِيْنَ وَاجْعَلْهُ فِيْ نِظَامِ الشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِيْنَ
اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُوْلِكَ وَاٰلِ مُحَمَّدٍ صَلٰوةً عَالِيَةً
عَلَى الصَّلَوَاتِ مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ صَلٰوةً لَايَنْتَهِيْ اَمَدُهَا وَلَا
يَنْقَطِعُ عَدَدُهَا كَاَتَمِّ مَا مَضٰى مِنْ صَلَوَاتِكَ عَلٰى
اَحَدٍ مِنْ اَوْلِيَآئِكَ اِنَّكَ الْمَنَّانُ الْحَمِيْدُ الْمُبْدِئُ
الْمُعِيْدُ الْفَعَّالُ لِمَا تُرِيْدُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي حصّن ثغورالـدين، وحمىٰ حوزة الإسلام بمحمّد أشرف المرسلين، وأهـل بيتـه الأوصياء الأعـلام، والصّلاة والسّلام علىٰ من أُلّف بـه جمع المسلمين، وفرّق(١) شمل المشركين، وعلىٰ آلـه الذين عضدهم بالنصـر على المعتدين، وأيّدبهم عباده المهتدين.

وبعـد فهذه الروضة السـابعـة والعشرون من رياض السـالكين، تـتضمّن شرح الدعاء السابع والعشرين من صحيفة سيّدالعابدين، صلّى الله عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه الطاهـرين، إمـلاء راجي فضل ربّـه السنـي علـيّ صدرالديـن الحسيـنيّ الحسنيّ، كتب الله اسمه في العابدين، وأوجب له ثواب المجاهدين.

---

(١) (ج): به.

شرح الدعاء السابع والعشرين

وكَانَ مِن دعائِهِ عليهِ السّلامُ لِأهلِ الثُّغور.

الثغور: جمع ثغر بفتح الثاء المثلّثة وإسكان الغين المعجمة، وهو الطرف الملاصق من بلدالمسلمين بلاد الكفّار.

وفي النهاية: هو موضع يكون حدّاً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفّار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد (١).

وقال الشهاب الفيومي في المصباح: الثغر من البلاد: الموضع الذي يخاف منه هجوم العدو، فهو كالثلمة في الحائط يخاف هجوم السارق منها(٢).

وفي القاموس: الثغر: مايلي دارالحرب وموضع المخافة من فروج البلدان(٣).

والمراد بأهل الثغور. المسلمون المرابطون بها، الملازمون لها لحفظها، ويدخل فيهم من كان الثغر بلده وكان ساكناً فيه، إذا وطّن نفسه علىٰ المحافظة.

قال الشهيد الثاني في شرح اللمعة: ولو وطّن ساكن الثغر نفسه علىٰ المحافظة، والإعلام بأحوال المشركين علىٰ تقدير هجومهم فهو مرابط(٤)، إنتهىٰ.

وتسمّىٰ الإقامة بالثغر رباطاً ومرابطةً كما سيأتي.

قال في اللمعة وشرحها: والرباط مستحبّ استحباباً مؤكّداً دائماً، مع حضور الإمام وغيبته، وأقلّه ثلاثة أيام، فلا يستحقّ ثوابه ولايدخل في النذر والوقف

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٢١٣.

(٢) المصباح المنير: ص١١٣.

(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٨٢.

(٤) شرح اللمعة: ج ٢ ص ٣٨٥.

قال صلوات الله وسلامه عليه:

أَللّهُمَ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ، وَأَيِّد

والوصيّة للمرابطين بإقامة دون ثلاثة، ولونذره وأطلق وجب ثلاثة بليلتين بينهما كالاعتكاف، وأكثره أربعون يوماً، فإن زاد أُلحق بالجهاد في الثواب، لأنّه يخرج عن وصف الرباط، ولو أعان بفرسه أو غلامه لينتفع بهما من يرابط أُثيب لإعانته علىٰ البرّ، ولو نذر المرابطة أو نذر صرف مال إلىٰ أهلها وجب الوفاء بالنذر وإن كان الإمام غائباً؛ لأنّها لا تتضمّن جهاداً فلا يشترط حضوره، وقيل: يجوز صرف المنذور للمرابطين في البرّحال الغيبة إن لم يخف الشنعة بتركه لعلم المخالف بالنذر، وهو ضعيف(١)، إنتهىٰ.

ورویٰ ثقة الإسلام في الكافي بسند قوي مقبول عن يونس عن أبي الحسن الرضا عليه السّلام، قال: قلت له: جعلت فداك إنّ رجلاً من مواليك بلغه أنّ رجلاً يعطي السيف والفرس في سبيل الله، فأتاه فأخذهما منه وهو جاهل بوجه السبيل، ثمّ لقيه أصحابه فأخبروه أنّ السبيل مع هؤلاء لا يجوز وأمروه بردّهما، فقال: فليفعل، قال: قد طلب الرجل فلم يجده وقيل له: قد شخص الرجل، قال: فليرابط ولا يقاتل، قال: ففي مثل قزوين والديلم وعسقلان وما أشبه هذه الثغور؟ فقال: نعم، فقال له: يجاهد؟، قال: لا، إلّا أن يخاف علىٰ ذراري المسلمين، أرايتك لو أنّ الروم دخلوا على المسلمين ألم ينبغ لهم أن يمنعوهم؟ قال: يرابط ولا يقاتل، وإن خاف علىٰ بيضة الإسلام والمسلمين قاتل، فيكون قتاله لنفسه ليس للسلطان، قال: قلت: وإن جاء العدوّ إلىٰ الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟ قال: يقاتل عن بيضة الإسلام؛ لأنّ في دروس الإسلام دروس دين محمّد صلّى الله عليه وآله(٢)*.

حصن المكان بالضمّ حصانةً بالفتح فهو حصين: أي منيع، ويتعدّىٰ بالهمزة

(١) شرح اللمعة: ج ٢ ص ٣٨٥.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٢١ ح ٢.

حُماتَها بِقُوَّتِكَ، وَأَسْبِغْ عَطاياهُمْ مِنْ جِدَتِكَ.

والتضعيف فيقال: أحصنته وحصّنته، ومنه الحصن للمكان الذي لايقدر عليه لارتفاعه وامتناعه.

والعزّة: الامتناع والشدّة والغلبة، ورجل عزيز: منيع لايغلب ولايقهر، ومنه قوله تعالىٰ: «وعَزّني في الخِطابِ»(١) أي: غلبني وقهرني.

وفي المثل: من عزّ بزّ، أي: من غلب سلب(٢).

وعازّني فعززته: أي: غالبني فغلبته.

وأيّده الله تأييداً: قوّاه، من آد يئيد أيداً أي: قوي واشتدّ، فهو أيّد مثل سيّد.

وحماة جمع حامي، من حميت المكان من الناس حمياً ـ من باب رمىٰ وحمية بالكسر أي: منعته عنهم، والاسم الحماية. ووزن حماة: فعلة بضمّ أوّله وفتح ثانيه، وهذا الجمع مُطّرد في وصف لعاقل مذكّر علىٰ زنة فاعل معتلّ اللام بالياء والواو، كرامٍ ورماة وغازٍ وغزاة، والأصل فيهن حمية ورمية وغزوة، قلبت الياء والواو ألفين لتحرّكهما وانفتاح ماقبلهما. وقيل: إنّه فعلة بفتح الفاء، وإنّ الفتحة حوّلت ضمّة للفرق بين معتلّ اللام وصحيحها.

والقوّة: تطلق علىٰ كمال القدرة، وعلىٰ شدّة الممانعة والدفع، ويقابلها الضعف.

وأسبغ الله النعمة: أفاضها وأتمّها، وأصله من سبغ الثوب سبوغاً ـ من باب قعد ـ: تمّ وكمل، ومنه الحديث: أسبغوا لليتيم في النفقة(٣)أي: أنفقوا عليه تمام مايحتاج إليه ووسّعوا عليه فيها(٤).

والعطايا: جمع عطيّة، وهي اسم لما تعطيه.

والجدة: الثروة والغنىٰ.

---

(١) سورة ص: الآية ٢٣.

(٢) مجمع الأمثال: ج ٢ ص ٣٠٧.

(٣)و(٤) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٣٣٨.

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ، وَاحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ، وَامْنَعْ حَوْمَتَهُمْ، وَأَلِّفْ جَمْعَهُمْ، وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ، وَواتِرْ

قال في النهاية: وجد يجِدِ جدِةً أي: استغنى غنًى لافقر بعده(١)، إنتهىٰ.

وهي من باب ماسقطت الواو من أوّله وعوّض منهاهاء في آخره، كعدة وصلة وصفة.

العدّة بالكسر: اسم كالعدد، وهو مقدار مايعدّ، وقد تجعل مصدراً كالعدّ، وتطلق علىٰ الجماعة قلّت أو كثرت، ومنه قولك: أنفذت عدّة كتب أي: جماعة كتب، وهذا المعنىٰ محتمل هنا، أي: كثّر عددهم أو جماعتهم.

وشحذالسكّين شحذاً ـمن باب منع ـ: أحدّها.

والأسلحة: جمع سلاح بالكسر، وهي مايقاتل به في الحرب ويدافع، كالسيوف والرماح والسّهام والقسي والدروع والمغافر والمجان وكأنّ المراد بهاهنا ماكان قابلاً للشحذ منها، من باب إطلاق العام علىٰ الخاص، أو السيوف خاصّة.

قال في النهاية: والسّيف وحده يسمّىٰ سلاحاً (٢)

فيكون تخصيصه بالذِكر دون سائر آلات الحرب لشرفه عليها، والاستغناء به عنهادون العكس.

كما قال أبو الطيّب:

ومن طلب الفتح المبين فإنّما مفاتحه البيض الرقاق الصوارم(٣).

ولعلّ هذا هوالسّر في تسمية السيف وحده سلاحاً؛ لأنّ كلّ الصيد في جوف الفرا، ثمّ المراد بشحذه تعالىٰ أسلحتهم: إمّا جعلها قاطعة ماضية بقدرته سبحانه، أو هوكناية عن تقويتهم علىٰ النكاية في أعدائهم والنيل منهم ضرباً وطعناً.

والحوزة: الجانب والناحية، قال ابن الأثير: ومنه الحديث: فحمىٰ حوزة

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٥٥.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٣٨٨.

(٣) ديوان أبو الطيّب المتنبي: ص ٢٩٢.

بَيْنَ مِيَرِهُمْ، وَتَوَحَّدْ بِكَفايَةِ مُؤَنِهِمْ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَأعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ، وَالطُفْ لَهُمْ فِي المَكْرِ.

الإسلام، أي: حدوده ونواحيه(١) وحومة القتال: معظمه.

قال في القاموس: حومة البحر والرمل والقتال وغيره: معظمه أو أشدّ موضع فيه(٢)، إنتهىٰ.

ومنه: خاض حومة القتال، ولم يزل خواضاً حومات الحروب.

والتأليف: إيقاع الأُلفة، والجمع: الجماعة.

وتدبير الأمر: فعله عن فكر وروية، مأخوذ من لفظ الدبر؛ لأنّه نظر في عواقب الأُمور وأدبارها، وإذا أُسند إلىٰ الله تعالىٰ فالمراد به إجراء الأمر على الوجه الذي يليق به، ومنه قوله تعالىٰ: «يُدبّر الأمرَ»(٣)، قال المفسّرون: أي: يقضي ويقدّر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة(٤).

والمواترة: المتابعة، يقال: تواترت الخيل: إذا جاء يتبع بعضها بعضاً.

وفي القاموس: واتر بين أخباره مواترةً ووتاراً: تابع(٥).

قال الجوهري: ولا تكون المواترة بين الأشياء إلّا إذا وقعت بينها فترة، وإلّا فهي مداركة ومواصلة، ومواترة الصوم: أن يصوم يوماً ويفطر يوماً أو يومين ويأتي به وتراً، ولا يراد به المواصلة؛ لأنّ أصله من الوتر، وكذلك واترت الكتب فتواترت أي: جاءت بعضها في إثر بعض وتراً وتراً من غير أن تنقطع(٦)، إنتهىٰ.

وكذلك قال الفارسي: المواترة: أن يتبع الخبر الخبر، والكتاب الكتاب، ولا يكون بينهما فصل كثير(٧).

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٦٠.
(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٠٢.
(٣) سورة الرعد: الآية ٢.
(٤) مجمع البيان: ج ٥ - ٦ ص ٢٧٤.
(٥) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٥٢.
(٦) الصحاح: ج ٢ ص ٨٤٣.
(٧) مجمع البيان: ج ٧ - ٨ ص ١٠٧.

....

وقال الأصمعي: واترت الخبر: أتبعت بعضه بعضاً وبين الخبرين هنيئة(١).

وقال بعضهم: المواترة: المتابعة الغير المنصرمة، يقال: تواترت الخيل أي: جاء بعضها في إثر بعضها وتراً وتراً من غير أن تنقطع، وأغرب من نسب هذه العبارة إلىٰ الجوهري في صحاحه(٢) .

والمير: جمع ميرة بالكسر، قال الجوهري: الميرة: الطعام يمتاره الإنسان، وقدمار أهله يميرهم ميراً(٣).

وفي المصباح: مارهم ميراً ـ من باب باع ـ: أتاهم بالميرة، وهي الطعام(٤).

وقال الطبرسي: الميرة: الطعام الذي يُحمل من بلد إلى بلد،(٥) .

وكذا قال بعض المفسّرين: مار أهله: إذا أتاهم بالطعام من بلد آخر (٦).

وفي القاموس: الميرة بالكسر: جلب الطعام (٧) .

وقال الفارابي في ديوان الأدب: الميرة: الاسم(٨)من مارهم يميرهم (٩) وعلىٰ هذا فتكون اسماً للطعام الممتار واسم مصدرٍ أيضاً.

والتوحّد: الانفراد، يقال: توحده الله بعصمته أي: عصمه ولم يكله إلىٰ غيره.

وكفاه الأمر كفايةً: قام به مقامه.

والمؤن: جمع مؤنة بالضمّ وسكون الهمزة، كغرف وغرفة، وهي لغة في المؤونة علىٰ وزن فعولة، وجمعها مؤونات علىٰ لفظها، ومعناها الثقل. وقد تقدّم الكلام على الاختلاف في اشتقاقها، وهل هي من المؤن أو الأون أو الأين.

---

(١) تاج العروس: ج ٣ ص ٥٩٦.

(٢) الصحاح: ج ٢ ص ٨٤٣.

(٣) الصحاح: ج ٢ ص ٨٢١.

(٤) المصباح المنير: ص ٨٠٧.

(٥) مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦ ص ٢٤٧.

(٦) المفردات: ص ٤٧٨، وروح المعاني: ج ١٣ ص ١٢.

(٧) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٣٧.

(٨) (الف) و(ج): اسم.

(٩) ديوان الأدب: ج ٣ ص ٣٢٨.

أللّـهُمَّ صَلِّ عَـلىٰ مُـحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَعَرِّفْهُمْ مايَـجْهَلُونَ، وَعَلِّـمْهُمْ مالا يَعْلَمُونَ، وَبَصِّرْهُمْ مالا يُبصِرُونَ.

وعضدت الرجل عضداً ـ من باب قتل ـ: أعنته فصرت له عضداً أي: معيناً وناصراً، وتعاضدالقوم: تعاونوا، ومنه: المؤمن معضود بتوفيق الله.

ونصره الله نصراً: أظهره علىٰ عدوّه.

والصبر ضربان: جسمي ونفسي، فالجسمي: هو تحمّل المشاقّ بقدر القوّة البدنيّة، وذلك في الفعل كالمشي وحمل الثقيل، وفي الانفعال كاحتمال الضرب والقطع. والنفسي: هو حبس النفس عن الجزع عند ورود المكروه، والمراد به هنا الصبر بنوعيه، وإن كان النوع الثاني هوالذي تتعلّق به الفضيلة، إلّا أنّ للنوع الأوّل مدخلاً تامّاً في هذا المقام كمالا يخفىٰ.

وقوله عليه السّلام: «والطف لهم في المكر» أي: أوقع اللطف لهم في مكرهم بعدوّهم، حتّىٰ لايفطن عدوّهم لمكرهم لدقّته ولطفه عن العقل والفهم، فيكون المراد باللطف: تدقيق النظر وجودة الاختيال، بانّ يُلهمهم سبحانه ذلك. ويحتمل أن يكون المعنى: وأوقع اللطف لهم في مكر عدوّهم بهم حتّىٰ لا يضرّهم مكره، فيكون المراد باللطف لهم: سلامتهم من المكر برفق.

والمكر: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لايشعر، وقد تقدّم الكلام عليه مشبعاً غير مرّة *.

عرّفه الأمر: أعلمه إيّاه، قيل: المعرفة: إدراك متعلّق بالمفرد، والعلم: إدراك متعلّق بالنسبة التامّة الخبريّة.

وقيل: المعرفة قد يقال فيما يدرك آثاره وإن لم تدرك ذاته، والعلم لايكاد يقال إلّا في ماأُدرك ذاته؛ ولهذا يقال: فلان يعرف الله ولايقال: يعلم الله؛ لما كانت معرفته تعالىٰ ليست إلّا بمعرفة آثاره دون معرفة ذاته.

وأيضاً فالمعرفة تقال فيمالايعرف إلّا كونه موجوداً فقط، والعلم أصله أن يقال فيما

....

يعرف وجوده وجنسه وعلّته وكيفيّته؛ ولهذا يقال: الله عالم بكذا ولايقال: عارف؛ لما كان العرفان يستعمل في العلم القاصر.

وأيضاً فالمعرفة تقال فيما يتوصّل إليه بتفكّر وتدبّر، والعلم قد يقال في ذلك وفي غيره. وفرّق بينهما بفروق أخرىٰ تقدّم بعضها، وأهل اللغة وبعض أهل الأُصول والميزان علىٰ أنّهما مترادفان.

وقوله عليه السّلام: «مايجهلون» أي: مايجهلونه فحذَف العائد، والمراد به ماكان الجهل به بسيطاً، وهوعدم العلم عمّا من شأنه أن يكون معلوماً، أو مركبّاً وهو الاعتقاد الجازم غير المطابق للواقع.

وبصّره الشيء تبصيراً: عرّفه وعلّمه إيّاه، وجعله ذا بصيرة به أي: ذا علمٍ وخبرةٍ به.

وقوله: «مالا يبصرون» من بصر القلب أيضاً أي: مالا يعلمون، خلافاً لمن خصّ الإبصار برؤية العين، فقال: أبصرته: برؤية العين. وبصرت به بالضمّ بصراً بفتحتين: برؤية القلب؛ فقد فسّر الزمخشري وغيره قوله تعالىٰ: «أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون» ببصر القلب، فقال: أي: تعلمون أنّها فاحشة لم تسبقوا إليها(١).

هذا ولمّا كان للمرابط والمجاهد مزيدافتقار إلى المعرفة بأنواع القتال، وأن يحيط علمه خبراً بالمكان الذي يرابط فيه، ويعرف المدارج المخوفة التي يرتادها المغتالون، وما يحيط بالثغر من سهل وجبل، وأن يكون ذا بصيرة بمكائد العدوّ ومكامنه ليحذر من بغتته، ألحق عليه السّلام في السؤال لهم بتعريفهم مايجهلون وتعليمهم مالا يعلمون وتبصيرهم مالا يبصرون والله أعلم * .

---

(١) تفسير الكشاف: ج٣ ص٣٧٤.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقائِهِمُ العَدُوَّ ذِكْرَ دُنْياهُمُ الخَدّاعَةِ الغَرُورِ، وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَراتِ المالِ الفَتُونِ، وَاجْعَلِ الجَنَّةَ نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَلَوِّحْ مِنْها لِأَبْصارِهِمْ ماأَعْدَدْتَ فيها مِنْ مَساكِنِ الخُلْدِ، وَمَنازِلِ الكَرامَةِ، وَالحُورِ الحِسانِ، وَالأَنْهارِ المُطَّرِدَةِ بِأَنْواعِ الأَشْرِبَةِ، وَالأَشْجارِ المُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ، حَتّىٰ لايَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالإِدْبارِ، وَلايُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرارٍ.

أنسهم: أي أغفل قلوبهم عن ذكر دنياهم؛ حتّى ينمحي تصوّرها عن أذهانهم، فلايرغبوا عن صدق الجهاد عند لقاء العدوّ؛ ميلاً إلىٰ زخارف الدنيا المحبوبة للنفوس الأمّارة.

وخدعه خدعاً: أراد به المكروه من حيث لايعلم، وكلّ فعل يقصد به فاعله في باطنه خلاف مايقتضيه ظاهره فهو خديعة.وغرّه غروراً: أطمعه بالباطل.

ووصف الدنيا بالخدّاعة لأنّها تخدع الناس ببهجة منظرها ورونق سرابها، إلىٰ أن يستأنس بها من كان بعقله نافراً عنها، ويطمئنّ إليها من كان بمقتضىٰ فكرته منكراً لها، حتّىٰ إذا ما انهمك في لذّاتها وانغمس في شهواتها، فعلت به فعل العدوّ الخدوع، وكذلك وصفها بالغرور لأنّها تغرّ الخلق بزخارفها الباطلة، فيتوهّمون بقاءها، ثمّ تنتقل عنهم وتتحوّل. وصدق عليها هذان الوصفان لكونها سبباً لغفلة الخلق عمّا خلقوا لأجله، بالاشتغال بها والانهماك في مشتهياتها ولذّاتها الفانية، وذلك جاذب للإنسان عن قصد الحقّ، وصادّ له عن سلوك سبيله وعن الترقي في الملكوت الأعلىٰ، إلىٰ حضيض الدرك الأسفل، وبذلك يكون الهلاك الأبدي والشقاء السرمدي.

ومحىٰ الشيء يمحوه محواً ـ من باب قتل ـ ومحاه يمحاه محياً بالياء ـ من باب نفع ـ لغة: أزاله، وامّحىٰ الشيء: ذهب أثره.

....

وخطرات المال: ما يخطر أي: يمرّ في القلب من تحصيله أو تدبيره.

قال الزمخشري في الأساس: له خطرات وخواطر، وهي مايتحرّك في القلب من رأي أو معنىٰ(١).

وقال الأزهري: الخاطر: ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر (٢).

والمال: مايملك من كلّ شيء وقيل: أصله مايملك من الذهب والفضّة، ثمّ أُطلق علىٰ كلّ مايقتنىٰ ويملك من الأعيان(٣).

وعن تغلب: أنّه مالم يبلغ حَدّ النصاب لايُسمّى مالاً(٤).

والفتون: الكثير الفتنة؛ لأنّ فعولاً من صيغ المبالغة، يقال: فتن المال الناس- من باب ضرب- فتوناً أي: استماهم وأضلّهم ولمّا كانت الفتنة بمعنىٰ الضلال عن الحقّ بمحبّة أمرٍ ما من الأُمور الباطلة، والاشتغال به عمّا هو الواجب من سلوك سبيل الله، وكان المال من أعظم الأسباب لضلال الخلق عن الحقّ بمحبّته، صدق عليه وصفه بالفتون.

قوله عليه السّلام: «واجعل الجنّة نصب أعينهم» أي: منصوبة حذاء أعينهم ليشاهدوها عياناً، والمروي في الدعاء بفتح النون من النصب، وفيه شاهد علىٰ أنّ الفتح لغة صحيحة فصيحة.

وفي القاموس: هذا نصب عيني بالضمّ والفتح، والفتح لحن(٥)، إنتهىٰ.

ولاح الشيء يلوح: بدا وظهر، ولوّحه تلويحاً: أبداه وأظهره.

وأعددت الشيء إعداداً: هيّأته، أي: أبد وأظهر لأبصارهم من الجنّة ماهيّأته فيها.

---

(١) أساس البلاغة: ص١٦٨.

(٢) تهذيب اللغة: ج٧ ص٢٢٧.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج٤ ص٣٧٣.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) القاموس المحيط: ج١ ص١٣٢.

....

والمساكن: جمع مسكن بفتح الكاف وكسرها، وهو البيت.

والخلد بالضمّ والخلود: البقاء والدوام من وقت مبتدأ؛ ولذلك لايقال لله تعالى: خالد، وقيل: هو في الأصل: الثبات دام أولم يدم؛ ولوكان وضعه للدوام لما قيّد في التأبيد في قوله عزّ قائلاً: «خالِدينَ فيها أبَداً»(١)، ولما استُعمل حيث لا دوام فيه فقالوا: حبسه حبساً مخلّداً.

وقال النظام النيسابوري: الخلد عند المعتزلة: الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لاينقطع؛ بدليل قوله تعالى: «وما جَعلنا لِبَشرٍ مِن قَبلِك الخُلد»(٢)، نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم «ومِنكُم مَن يُرَدُّ إلىٰ أرْذلِ العُمُر»(٣)، وعند الأشاعرة الخلد: هو الثبات الطويل دام أولم يدم، ولوكان التأبيد داخلاً في مفهومه كان قوله تعالىٰ: «خالدين فيها أبداً»(٤) تكرارا(٥)، إنتهىٰ.

ويتفرّع علىٰ هذا الخلاف دوام وعيدالمرتكب الكبيرة إذا مات بلا توبة، حيث وقع مقيّداً بالخلود، كما في قوله تعالىٰ: «ومَن يَقتُل مُؤمناً مُتعمّداً فَجَزاؤه جَهنّم خالِداً فيها»(٦).

وعلىٰ كلّ تقدير فالمراد بالخلد هنا: الدوام قطعاً؛ لما يشهد له من الآيات والسنن، أي: مساكن البقاء والدوام التي لايعتريها ولايعتري سكّانها فناء ولاتغيّر، فإضافة المساكن إلىٰ الخلد للمدح لا للتوضيح؛ إذ من المعلوم أنّ مساكن الجنّة لافناء فيها.

واعلم أنّ معظم اللذّات الحسّية لمّا كان مقصوراً على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء، وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات؛ إذ

(١) سورة الطلاق: الآية ١١.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.
(٣) سورة النحل: الآية ٧٠.
(٤) سورة الطلاق: الآية ١١.
(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص ٧٢.
(٦) سورة النساء: الآية ٩٣.

....

كلّ نعمة وإن جلّت إذا قارنها خوف الزوال كانت منغّصةً غير صافية من شوائب الألم، بشّر سبحانه عباده المؤمنين بها، وأزال عنهم خوف الفوات بوعدالخلود؛ ليدلّ علىٰ كمالهم في التنعّم والسرور.

ومنازل الكرامة أي: منازل العزّ والشرف، وقال بعض العلماء: الكرامة تعود إلىٰ الكمالات النفسانيّة الباقية والالتذاذ بها.

والحور: جمع حوراء وهي المرأة البيضاء، من الحور بالتحريك: وهو شدّة البياض.

وقال أبوعبيدة: الحوراء: الشديدة بياض العين، الشديدة سوادها(١).

من حورت العين حوراً -من باب تعب-: إذا اشتدّ بياض بياضها وسواد سوادها.

وفي مختصر العين: ولايقال للمرأة: حوراء إلّا البيضاء مع حورها(٢).

وقال الزمخشري في الفائق: الحور: هو أن يصفو بياض العين ويشتدّ خلوصه فيصفو سوادها(٣).

وفي الدعاء دليل علىٰ أنّ الحور غير نساء الدنيا؛ خلافاً لما روي عن الحسن في قوله تعالى: «وزوجناهُم بِحورٍ عِين»:(٤) هنّ عجائزكم ينشئهنّ الله خلقاً آخر(٥).

والحِسان: جمع حسنة أي: جميلة الصورة بهيّة المنظر.

والأنهار: جمع نهر بالتحريك مثل سبب وأسباب، فإذا سكّن جمع علىٰ نهر بضمّتين وأنهر.

والنهر: الماء الجاري المتّسع، واطّردت الأنهار: جرت، ومنه: اطّراد الأمر أي:

---

(١) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠، ص ٦٨.

(٢) المصباح: المنير: ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٣) الفائق غريب الحديث: ج ١ ص ٣٣٠.

(٤) سورة الدخان: الآية ٥٤.

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢٧ ص ٢٥٣.

....

تبع بعضه بعضاً فجرىٰ مجرىٰ واحد كجري الأنهار. وما وقع لبعض المترجمين أنّ قوله: «المطّردة» من اطّرد الماء أي: جرىٰ، لا من اطّرد الأمر أي: تبع بعضه بعضاً؛ إذ لا شيء من الأنهار يتبع نهراً آخر، جهل صريح.

وأنواع الأشربة أي: أصنافها، وفي ذلك إشارة إلىٰ قوله تعالى: «مَثَلُ الجَنّةِ التي وُعِد المتّقونَ فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيّر طعمه وأنهارٌ من خمرٍ لذّة للشاربين وأنهارٌ من عسلٍ مُصفّىً»(١).

والأشجار المتدلّية أي: المسترسلة أغصانها بصنوف الثمر.

والتدلّي: الاسترسال مع تعلّق، وقال العلاّمة الطبرسي: التدلّي: الامتداد إلىٰ جهة السّفل(٢).

والظاهر أنّ وصف الأشجار بالتدلّي إنّما هو باعتبار أغصانها وفروعها التي هي مناط الثمر، وفيه إشعار بكثرة الثمر؛ لأنّ فروع الشجر لا تتدلّىٰ ولا تسترسل إلّا إذا كثر ثمرها.

وقول بعض المترجمين: إنّ المتدلّية وصف للأشجار بحال متعلّقها وهو الثمر، والمعنىٰ: الأشجار المتدلّية أي: المتعلّقة بها صنوف الثمر، وهمٌ أوقعه فيه ما رآه في كتب اللغة من قولهم: تدلّت الثمرة من الشجر، فتوّهم أن التدليّ لا يكون وصفاً إلّا للثمر دون الشجر، ولم يفطن لكون عبارة الدعاء ليست من باب الوصف بحال المتعلّق، بل من باب الوصف بحال الموصوف.

نعم لو قال: الأشجار المتدلّية صنوف ثمرها، كان من باب الوصف بحال متعلّقه.

فإن قلت: جعلُك المتدليّة وصفاً للأشجار باعتبار الأغصان والفروع، وصفٌ

---

(١) سورة محمّد: الآية ١٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ - ص ١٧٠.

....

بحال المتعلّق أيضاً؛ لأنّ التدلّي حينئذٍ حال قائمة بالأغصان التي هي متعلّق الأشجار لابالأشجار، فلايكون وصفاً بحال الموصوف.

قلت: المراد بحال الموصوف وحال المتعلّق ماجعل حالاً للموصوف ولو تجوّزاً في الأوّل، وماجعل حالاً لغير الموصوف بحسب دلالة التركيب وإن كان قائماً به في الثاني، فنحو: مررت بزيدٍ الحسن، والأشجار المتدلية بصنوف الثمر، من قبيل الوصف بحال الموصوف، وإن كان ليس المراد بالحسن إلّا وجه زيدٍ، وبالمتدليّة إلّا أغصان الأشجار وفروعها، ونحو: رأيت زيداً الحسن نفسه أو ذاته، من قبيل الوصف بحال المتعلّق، وإن كان الحسن قائماً بزيد، فاعلم ذلك فقد نبّهنا عليه في شرح الصمديّة(١) أيضاً.

وفي قوله عليه السّلام: «بصنوف الثمر» إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: «ولَهم فيها مِن كُلّ الثَمرات»(٢).

قال المفسّرون: أي: لهم فيها صنف من كلّ الثمرات (٣).

وحتّىٰ: بمعنىٰ كي التعليليّة، أي: كيلايهمّ أحد منهم بالإدبار، يقال: همّ بالشيءهمّاً- من باب قتل- إذا أراده ولم يفعله.

وأدبر إدباراً: ولّىٰ.

وحديث النفس: مايخطر بالبال، وحدّث نفسه بكذا:

أخطره بباله، وقد يقال: حدّثته نفسه بكذا أي: وسوست إليه به، أي: ولايخطر بباله فراراً عن قِرنه.

والقِرن بالكسر: نظير الانسان في الشجاعة.

---

(١) الحدائق الندية: ص٣٧٩.

(٢) سورة محمّد: الآية ١٥.

(٣) روح المعاني: ٢٦ ص٤٩.

....

قال الفارابي: يقال: فلان قِرن فلان: إذا كان مثله في الشجاعة (١).

وفي الأساس: القرن بالفتح: مثلك في السنّ، وبالكسر: مثلك في الشجاعة(٢).

وقال الفيومي في المصباح: القرن: من يقاومك في علم أو قتال أو مال أو غير ذلك، والجمع أقران مثل حمل وأحمال(٣). فجعله مطلقاً ولم يخصّه بالشجاعة.

وفي القاموس: القِرن بالكسر: كفؤك في الشجاعة أو عام.

وفرّ من عدوّه يفرّ من باب ضرب ـ فراراً بالكسر: هرب(٤).

تنبيه

المتبادر تعلّق قوله عليه السّلام: «عن قرنه» بقوله: «بفرار»، ويأباه إطلاق منعهم من تقدّم معمول المصدر عليه، قالوا: لأنّه مع معموله كموصول مع صلته، والصلة لا تتقدّم علىٰ الموصول؛ ولذلك قال الزمخشري في قوله تعالى: «فلمّا بَلغَ مَعه السّعيَ»(٥): لايتعلّق «مع» ببلغ؛ لاقتضائه أنّهما بلغا معاً، ولا بالسعي؛ لأنّ صلة المصدر لا تتقدّم عليه، وإنّما هي متعلّقة بمحذوف علىٰ أنّ يكون بياناً، كأنّه قيل: فلمّا بلغ الحدّ الذي يقدر فيه علىٰ السعي، فقيل: مع مَن؟ فقيل: مع أعطف الناس عليه وهو أبوه، أي: أنّه لم تستحكم قوّته بحيث يسعىٰ مع غير مشفق(٦)، إنتهىٰ.

وعلىٰ هذا، فقوله: «عن قرنه» متعلّق بمحذوفٍ أيضاً، يكون بياناً علىٰ قياس ماذكره الزمخشري في الآية.

لكن قال الرضي: وأنا لا أرىٰ منعاً من تقدّم معمول المصدر عليه إذا كان

(١) ديوان الأدب: ج ١ ص ١٩٥.

(٢) أساس البلاغة: ص ٥٠٤.

(٣) المصباح المنير: ص ٦٨٧.

(٤) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٥٨.

(٥) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

(٦) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٥٣.

أَللّٰهُمَّ افْلُلْ بِذٰلِكَ عَدُوَّهُمْ، وَاقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفارَهُمْ، وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ، وَاخْلَعْ وَثائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ، وَباعِدْ بينهم و بيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ، وَحَيِّرْهُمْ في سُبُلِهِمْ، وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، وَاقْطَعْ عَنْهُمُ المَدَدَ، وَانْقُصْ مِنْهُمْ العَدَد، وَامْلأْ أَفْئِدَتَهُمْ الرُّعْبَ، وَاقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ البَسْطِ، وَاخْزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ، وَنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَراءَهُمْ، وَاقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ أَطْماعَ مَنْ بَعْدَهُمْ.

ظرفاً أو شبهه، نحو قولك: اللّهم ارزقني من عدوّك البراءة وإليك الفرار، قال تعالى: «ولا تأخذكم بهما رأفة»، وقال: «بلغ معه السعي»، وفي نهج البلاغة: قلت عنكم نبوته، ومثله في كلامهم كثير، وتقدير الفعل في مثله تكلّف (١).

وسبقه إلىٰ ذلك السهيلي، قال ابن هشام: أجاز السهيلي تقديم الجارّ والمجرور، واستدلّ بقوله تعالى: «لايَبغونَ عَنها حِوَلاً»(٢)، وقولهم: اللّهم اجعل لنا فرجاً ومخرجاً(٣)، إنتهىٰ.

وعلىٰ هذا، فقوله: «عن قرنه» متعلّق بفرار، وهوالظاهر، والله أعلم.

فللت الجيش فلّاً -من باب قتل- فانفلّ: كسرته فانكسر. وفي القاموس: فلّ القوم: هزمهم(٤).

والمرادبالعدوّهنا الجمع: أي: اعداءهم؛ لإعادة ضمير الجمع إليه، قال في مختصر العين: يقع العدوّ بلفظ واحد علىٰ الواحد المذكّر والمؤنّث والمجموع(٥).

وقلمت الظفر قلماً -من باب ضرب-: قطعت ما طال منه، وقلّمت بالتشديد: مبالغة، وقلمُ الأظفار هنا: كناية عن إضعافهم.

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ١٩٥.
(٢) سورة الكهف: الآية: ١٠٨.
(٣) لم نعثرعليه.
(٤) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٢.
(٥) المصباح المنير: ص ٥٤٤.

....

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: فلان مقلوم الظفر: ضعيف، قال النابغة:

وبنو قُعينٍ لامحالة أنّهم آتوك غير مقلّمي الأظفار

أي: غير ضعفاء ولا عزّل(١).

وفي الصحاح: يقال للضعيف: مقلوم الظفر، وكليل الظفر(٢)

والوجه في ذلك أنّ الظفر إذا لم يقلم كان قوي العمل في الخدش والحك واللقط ونحوه، فإذا قُلم ضعُف عمله.

وفرّق بينهم وبين أسلحتهم أي: أغفلهم عن استصحابها حتّى لايتمكّنوا من القتال، ويتمكّن المسلمون من قتلهم، أو ألهمهم بأن يلقوها ويضعوها؛ لينال المسلمون منهم غرّة وينتهزوا فرصة فيوقعوا بهم.

والخلع: النزع، خلعه يخلعه من باب نفع.

والوثائق: جمع وثيقة بمعنى الثقة، من وثق به ثقةً أي: اعتمد عليه.

قال الفارابي في ديوان الأدب: الوثيقة واحدة الوثائق، يقال: أخذ في أمره بالوثيقة(٣).

وقال الجوهري: أخذ بالوثيقة في أمره أي: بالثقة(٤).

والمعنى: انزع ما وثقت به أفئدتهم واعتمدت عليه، من البأس والنجدة والشجاعة التي يرونها في أنفسهم.

ويحتمل أن يكون من وثق الشيء بالضمّ وثاقةً أي: قوي وثبت، فهو وثيق أي: ثابت محكم فيكون المعنى: انزع قوّة قلوبهم وثباتها.

---

(١) أساس البلاغة: ص ٥٢١.

(٢) الصحاح: ج ٥ ص ٢٠١٤.

(٣) ديوان الأدب: ج ٣ ص ٢٤٠.

(٤) الصحاح: ج ٤ ص ١٥٦٣.

....

أو تكون الوثائق جمع وثاق بالفتح والكسر: وهو مايشدّ به من حبلٍ ونحوه، فقد جاء جمع فعال بالفتح والكسر علىٰ فعائل، كشمال بالفتح بمعنىٰ: الخلق، وشمال بالكسر بمعنىٰ: ضدّ اليمين؛ فإنّ كلاً منهما جُمع علىٰ شمائل، فيكون المراد بالوثائق العروق المتّصلة بالأفئدة التي نيطت بها إلىٰ الوتين، ويسمّىٰ واحدها نياطاً كما يقال: قطع الله نياط قلبه.

قال أرباب التشريح: على القلب غشاء غليظ يحتوي عليه، وهو مربوط برباطات وثيقة.

وقال ابن الأثير في النهاية: وفي الحديث: فرأىٰ رجلال موثقاً، أي: مأسوراً مشدوداً في الوثاق، ومنه حديث الدعاء: واخلع وثائق أفئدتهم، جمع وثاق أو وثيقه(١)، إنتهىٰ.

فيكون الغرض إضعاف قلوبهم وإزعاجها من شدّة الخوف والجبن، كما ورد في الحديث: من شرّ ما أُعطي الرجل شحّ هالع، وجبن خالع(٢).

قال ابن الأثير: أي: شديد كأنّه يخلع فؤاده من شدّة خوفه، وهو مجاز في الخلع، والمراد به مايعرض من نوازع الأفكار وضعف القلب عند الخوف(٣)، إنتهىٰ.

والأفئدة: جمع فؤاد بالضمّ مهموزالعين، وهو القلب.

وفي القاموس: الفؤاد: للقلب مذكّراً، وهو ما يتعلّق بالمرء من كبد ورئة وقلب (٤).

وباعد بين الشيئين: جعل كلّ منهما بعيداً عن الآخر.

والأزودة: جمع زاد علىٰ غيرالقياس، وهو طعام المسافر الذي يتّخذ لسفره،

---

(١) النهاية: لابن الأثير: ج ٥ ص ١٥١.

(٢) سنن أبي داود: ج ٣ ص ١٢ ح ٢٥١١.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٦٥.

(٤) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٢١.

....

وقياس جمعه أزواد.

وفي الحديث: أمعكم من أزودتكم شيء؟ فقالوا: نعم(١)، أي: اجعل بينهم وبين أزودتهم حائلاً وأمداً ومسافةً بعيدةً؛ حتّى لا يتّصلوا بها، ولا يتمكّنوا من تناولها عندالحاجة إليها فيضعفوا عن القتال.

وحار في أمره يحار حيراً ـ من باب تعب وحيرةً: لم يدرِ وجه الصواب فيه، فهو حيران وهي حيرىٰ، والجمع حيارىٰ، وحيّرته بالتضعيف فتحيّر.

قال الأزهري: وأصله أن ينظر الإنسان إلىٰ شيء يغشاه ضوء فيصرف بصره عنه(٢).

وفي القاموس: حار يحار حيرةً وحيراً: نظر إلىٰ الشيء فغشىٰ، ولم يهتد لسبيله(٣).

والسبل بالضمّ وبضمّتين: جمع سبيل، وهو الطريق. أي: اجعلهم لا يهتدون إلىٰ وجه الصواب في طرقهم التي يقصدون بسلوكها الوصول إلىٰ المسلمين وبلادهم أو مطلقاً.

وضلّ الرجل الطريق وضلّ عنه يضلّ ـ من باب ضرب ـ ضلالاً وضلالةً: زلّ عنه فلم يهتد إليه وذهب في غيره فهو ضال، وأضلّه غيره إضلالاً وضلّله تضليلاً: للمبالغة، ومنه: رجل مُضلّل: ضالّ جدّاً.

وفي القاموس: ضلّله تضليلاً وتضلالاً: صيّره إلىٰ الضلال(٤).

والوجه: كلّ مكان استقبلته، وتحذف الواو فيقال: جهة مثل عدة، ومنه: «فثَمَّ وَجهُ الله»(٥) أي: جهته التي أمركم بالتوجّه إليها، وفي الحديث: أن أُصيبت في وجهه،(٦) أي: الجهة التي يريد أن يتوجّه إليها، والمعنىٰ: اجعلهم ضالّين عن

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٣١٧.

(٢) تهذيب اللغة: ج ٥ ص ٢٣١ نقلاً بالمعنى.

(٣) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٦.

(٤) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٥.

(٥) سورة البقرة: الآية ١١٥.

(٦) لم نعثر عليه.

....

الجهة التي يريدون أن يتوجّهوا اليها لقصد المسلمين أو مطلقاً.

واقطع عنهم المدد أي: احبسه عنهم، من قطعت الماء عن الحوض: إذا حبسته عنه فلم يصل إليه، أو امنعه عنهم، من قطعته عن حقّه أي: منعته.

ومدد الشيء: مايمدّ به أي: يكثر ويزاد، وخصّ بالجماعة الذين يعان ويقوىٰ بهم الجيش في القتال، يقال: أمدّهم بمدّد: إذا أعانهم بجماعة يقاتلون معهم، ومنه قوله تعالى: «يَمدد كم رَبُّكم بِخمسةِ آلافٍ من الملائكة»(١).

ونقصت الشيء نقصاً: أذهبت منه شيئاً فنقُص هو، كلاهما من باب قتل متعدّياً ولازماً.

والعدد: مقدار مايُعدّ، أي: انقص كمّيتهم حتّىٰ يقلّوا ويعجزوا عن القتال ومقاومة المسلمين.

وملأ الإناء ملأً: من باب نفع.

والرعب بالضمّ وتضمّ العين للإتباع: الخوف والفزع، ومنه: «سنُلقي في قُلوبِ الّذينَ كفروا الرُّعبَ»(٢).

واقبض أيديهم عن البسط أي: كفّها وامنعها أن تُمدّ إلىٰ المسلمين.

قال الزمخشري في قوله تعالى: «أُذكروا نعمةَ الله عَليكم إذهَمَّ قومٌ أن يبسطوا إليكم ايديَهم فكَفّ أيدِيهم عَنكم»(٣): يقال: بسط إليه لسانه: إذا شتمه، وبسط إليه يده: إذا بطش «ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء»، ومعنىٰ بسط اليد إليه: مدّها إلى المبطوش به؛ ألا ترىٰ إلىٰ قولهم: فلان بسيط الباع، ومديد الباع، بمعنى وقوله: «فكفّ أيديهم عنكم» أي: فمنعها أنّ تُمدّ إليكم(٤)، إنتهىٰ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥١.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١.

(٤) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٦١٤.

....

ويحتمل أن يكون قبض أيديهم عن البسط مجازاً عن سلب القدرة عنهم على التصرّف مطلقاً، من قولهم: فلان مبسوط اليد أي: قادر علىٰ التصرّف كيفما يشاء، أودعاءً عليهم بالبخل المذموم، من بسط اليد الذي هو مجاز عن محض الجود من غير نظر.

وقصد في هذين الاحتمالين إلىٰ إثبات يدٍ وبسط، ومنه قوله تعالى: «بَل يَداهُ مَبسوطتان يُنفِقُ كيفَ يَشاء»(١)، ويكون المراد به الدعاء عليهم بما هو مسبّب عن البخل، من لصوق العارهم، وسوء الأُحدوثة التي تخزيهم وتمزّق أعراضهم، ونُفرة القلوب عن إعانتهم ومظاهرتهم.

واخزم ألسنتهم عن النطق أي: اشددها وأوثقها، من خزمت الشراك خزماً -من باب ضرب-: إذا ثقبته وشددته.

قال الزمخشري في الأساس: خزمت شراك نعلي: ثقبته وشددته(٢).

وقول بعض المترجمين: اخزم بمعنى: اقطع، لم يذكره أهل اللغة.

والغرض منع ألسنتهم عن النطق بما يسوء المسلمين، وبما يدبّرون به أمرهم، ويتشاورون به فيما بينهم من الكلام لقصد المسلمين.

وقوله عليه السّلام: «وشرّد بهم من خلفهم» اقتباس من قوله تعالى في سورة الأنفال: «فإمّا تَثقَفنّهم في الحَربِ فَشَرِّدْبِهم مَن خَلفَهم لَعلّهم يَذّكّرون»(٣).

التشريد: الطرد والتفريق.

قال الزجاج: معناه: إفعل بهم فعلاً من القتل تفرّق به من خلفهم(٤).

وقال الزمخشري: أي: فرق بقتلهم شرّ قتلة والنكاية فيهم، من وراءهم من

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٢) أساس البلاغة: ص ١٦١.

(٣) سوة الأنفال: الآية ٥٧.

(٤) مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٥٥٣.

....

الكفرة؛ حتّىٰ لايجسر عليلٌ بعدهم أحد، اعتباراً بهم واتّعاظاً بحالهم(١).

وقال عطاء: معناه: أكثر فيهم القتل؛ حتّىٰ يخافك غيرُهم(٢).

وقال العلاّمة الطبرسي: وقيل: إنّ معنى «شرّدبهم»: سمّع بهم بلغة قريش، قال الشاعر:

أطوف في البواطح كُلّ يومٍ مخافة أن يشرّد بي حكيم(٣) إنتهىٰ.

وفي القاموس: شرّد به: سمّع الناس بعيوبه(٤).

والمعنىٰ علىٰ هذا: إفعل بهم من النكاية والتعذيب فعلاً يسمع به مَن خلفهم من الأعداء، فلايقدم أحد منهم على القتال.

وقوله عليه السلام: «ونكّل بهم من وراء هم» كالتفسير لما قبله، يقال: نكلّ عن الحرب نكولاً -من باب قعد-: أي جبُن وتأخّر وامتنع، ونكّل به تنكيلاً: فعل به ماينكل غيره عن مثل فعله.

قال في الأساس: نكّلت به: جعلت غيره ينكل أن يفعل مثل فعله وهو النكال(٥) إنتهىٰ.

وقال ابن الأثير في النهاية: نكّل به تنكيلاً: إذا جعله عبرةً لغيره، والنكال: العقوبة التي ينكل الناس عن فعل ماجعلت له جزاء(٦)، إنتهىٰ.

والمعنىٰ: إفعل بهم من القتل والنكاية والتعذيب مايوجب نكول من وراء ظهورهم من الكفّار، ويكون عبرة لهم، بأن ينظروا فيهم فيعتبروا بهم، فلايقدموا علىٰ مثل فعلهم من قصد المسلمين.

وقوله عليه السّلام: «واقطع بخزيهم أطماع من بعدهم» الخزي بالكسر: الذلّ

---

(١) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٢٣٠.

(٢) التفسير الكبير للفخرالرازي: ج ١٥ ص ١٨٣.

(٣) مجمع البيان: ج ٣-٤ ص ٥٥٣.

(٤) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٠٥.

(٥) أساس البلاغة: ص ٦٥٥.

(٦) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١١٦.

أَللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحامَ نِسائِهِمْ، وَيَبِّسْ أَصْلابَ رِجالِهِمْ، وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوابِهِمْ وَأَنْعامِهِمْ، لا تَأْذَنْ لِسَمائِهِمْ في قَطْرٍ، وَلا لِأَرْضِهِمْ في نَباتٍ.

والهوان المقارن للفضيحة والندامة.

خزي خزياً ـ من باب علم ـ: ذلّ وهان مع فضيحة وندم، وأخزاه الله: أذلّه وأهانه وفضحه.

والأطماع: جمع طمع، كأمل وآمال لفظاً ومعنى. أي: إفعل بهم من الخزي مالا يبقىٰ معه لمن بعدهم من الكفرة طمع في قصد المسلمين؛ مخافة أن يقع بهم من الخزي ما وقع بهؤلاء، والله أعلم *.

عقمت الرحم عقماً ـ من باب تعب ـ: إذا لم تقبل الولد، ويتعدّى بالحركة والهمزة، فيقال: عقمها الله عقماً ـ من باب ضرب ـ وأعقمها إعقاماً، وعقّمها تعقيماً بالتضعيف: للمبالغة، والاسم: العقم بالضمّ مثل قفل.

وقال الجوهري: أعقم الله رحمها فعُقِمَت ـ علىٰ مالم يُسمّ فاعله ـ: إذا لم تقبل الولد(١).

وقال الكسائي: رحم معقومة أي: مشدودة لا تلد (٢).

ومصدره العقم والعقم بالفتح والضمّ.

والأرحام: جمع رحم علىٰ وزن كتف؛ موضع تكوين الولد، وتخفّف بسكون الحاء مع فتح الراء ومع كسرها أيضاً في لغة بني كلاب، وفي لغة لهم بكسر الحاء إتباعاً لكسرة الراء.

قال أرباب التشريح: هو عضو مؤلّف من ليفات عصبيّة علىٰ طبقتين، وهو كالقضيب المقلوب، ومحلّه من جوف المرأة وراء المثانة وقدّام المعاء المستقيم، تتصل فوهات العروق لدفع فضلة الطمث وتغذية الجنين، وعلىٰ فمه غشاء رقيق ينهتك عند

---

(١) و(٢) الصحاح: ج٥ ص١٩٨٨.

....

فضّ البكارة، وله مجرىٰ محاذٍ لفم الفرج يخرج منه دم الطمث والجنين، ويصل منه منيّ الرجل إلىٰ قرارالرحم فيستقرّ فيه ويتولّد الجنين.

والنساء: اسم لجماعة الإناث الأناسي، لاواحدله من لفظه، وإنّما الواحد امرأة من غير لفظ الجمع.

ويبس الشيء ييبس -من باب تعب-: إذا جفّ فهو يابس، ويتعدّىٰ بالهمزة والتضعيف، فيقال: أيبسه ويبّسه تيبيساً.

والأصلاب: جمع صلب بالضمّ، وتضم اللام للإتباع، وهو سلسلة فقرات الظهر، والمراد بتيبيس أصلابهم: بتخفيف منيّهم لينقطع نسلهم مجازاً للمجاورة، كما يقال: جفّ النهر أي: جفّ ماؤه.

وقد اشتهر كون المنّي من الصلب والظهر؛ ولذلك ينسب الولد إلىٰ صلب أبيه وظهره، ونطق بذلك القرآن المجيد، قال تعالىٰ: «وحلائلُ أبناءِكُم الّذين مِن أصلابِكُم»(١)، وقال تعالى: «وإذْ أخذَ رُبّكَ مِن بني آدمَ مِن ظُهورِهِم ذُرّيتَهم»(٢)، والوجه في ذلك علىٰ ماذهب إليه جمّ غفير: أنّ مبدأ ماء الرجل من الصلب؛ لأنّ مادّته من النخاع الآتي من الدماغ، وينحدر في فقرات الظهر إلىٰ العصعص؛ ولذلك قال سبحانه:«فلينظُرِ الإنسانُ مِمَّ خلق * خُلق مِن ماءٍ دافقٍ * يخرجُ مِنْ بينِ الصلبِ والترائبِ» (٣) أي: صلب الرجل وترائب المرأة، وهي عظام الصدر حيث يكون موضع القلادة؛ لأنّ ماء المرأة يخرج من ترائبها.

وطعنت الملحدة خذلهم الله تعالى في ذلك، بأنّ المنّي، إنّما يتولّد من فضلة الهضم الرابع، وينفصل من جميع أجزاء البدن، فيأخذ من كلّ عضوٍ طبيعته

(١) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٣) سورة الطارق: الآية ٥ و٦ و٧.

....

وخاصّيته مستعداً لأنّ يتولّد منه مثل تلك الأعضاء، فتخصيص الصلب والترائب لاوجه له، فإن كان المراد أنّ معظم أجزاء المنّي يتولّد هناك فهو ضعيف؛ لأنّ معظمه يتولّد من الدماغ؛ ولذلك يشبهه ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه.

وأُجيب: بأنّه كلام مبنيّ على محض الوهم والظنّ الضعيف، والخالق أعلم بما خلق. علىٰ أنّه لوصحّ فوجه تخصيص الصلب والترائب بالذكر، كون الدماغ أعظم الأعضاء معونةً في توليد المنّي، ومنه النخاع في الصلب وشعب كثيرة نازلة إلىٰ الترائب، وهما أقرب إلىٰ أوعية المنّي: فلذلك خصّا بالذكر. وعلىٰ هذا، فلا تختصّ الترائب بالمرأة.

والنسل: الولد.

والدوابّ: جمع دابّة، وهي في الأصل مادبّ أي: سار من الحيوان، وغلب علىٰ مايركب، وهو المراد هنا، وتطلق على الذكر والأُنثى.

والأنعام: جمع نعم بالتحريك، وقد يسكّن.

وقال النووي في تحريره: النعم: الإبل والبقر والغنم، وهو اسم جنس، وجمعه أنعام(١).

ونقل الواحدي إجماع أهل اللغة علىٰ هذا كلّه(٢).

وقد بسطنا الكلام عليه في الروضة الأُولىٰ.

وأذنت له في الشيء-من باب علم-: أطلقت له فعله، وإذنه تعالىٰ قيل: عبارة عن أمره، وقيل: عن إرادته، وقيل: عن إيجابه وإيجاده لشيءبتوسّط فاعله المباشرله، كما في قوله تعالىٰ لعيسىٰ عليه السّلام: «وتُبرئ الأكمَهَ والأبرصَ بإذني،وإذتُخرجُ

---

(١) تاج العروس: ج٩ ص٧٩ نقلاً عن كتابه.

(٢) تاج العروس: ج٩ ص٧٩.

....

الموتىٰ بإذني»(١). وكلّ من هذه المعاني صحيح هنا، أي: لا تأمر سماءهم بقطر ولا أرضهم بنبات، أو لا تُرد قطر سمائهم ولانبات أرضهم أو لا تُوجد لهم قطراً بتوسّط سمائهم، ولانباتاً بتوسّط أرضهم.

وقال بعضهم: المراد بإذنه تعالى في أفعاله: أمره لها بالوجود بقوله: كُن، وفي أفعال خلقه: عدم إحداث المانع لهم عمّا أُقدروا عليه وأُعدّوا له من الفعل، كسلب الاعداد والقدرة وإبطال الآلة وإيجاد الضدّ، وإعدام الفاعل ونحو ذلك.

وعلىٰ هذا، فيكون المعنىٰ: أحدث لسمائهم مانعاً عن القطر، ولأرضهم مانعاً عن النبات.

والمراد بسمائهم: الجهة المحاذية لهم من السماء، بناءً علىٰ أنّ المطر يبتدئ منها إلى السحاب ومنه إلى الأرض، علىٰ مادلّت عليه روايات كثيرة، أو السحاب المتكوّن في جوّ بلادهم؛ فإنّ كلّ عالٍ مظلّ سحاب.

والقطر: المطر، الواحدة: قطرة، مثل تمر وتمرة.

والنبات: كلّ ما نبت من الأرض من نجم أو شجر.

ويحتمل أن يكون القطر والنبات مصدرين، أي: لا تأذن لسمائهم بأن تقطر، ولا لأرضهم بأن تنبت.

يقال: نبتت الأرض وأنبتت بمعنىٰ، نصّ عليه في القاموس(٢).

فإن قلت: كيف فصل جملة قوله: «لا تأذن» عمّا قبلها من الجمل المتعاطفة، مع وجود الجامع بين الكلّ من معنىٰ الدعاء عليهم، وتناسبها في الإنشاء لفظاً ومعنًى؟

قلت: تعيّن الفصل لكمال الاتّصال؛ لعدم المغايرة المفتقرة إلىٰ الربط

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٥٨.

أَللّهُمَّ وَقَوِّ بِذٰلِكَ مِحالَ أهلِ الإسْلامِ، وَحَصِّنْ بِهِ دِيارهُم، وَثَمِّر بِهِ أموالَهُمْ، وفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحارَبَتِهِمْ لِعِبادَتِكَ، وَعَنْ مُنابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ، حَتّىٰ لايُعْبَدَ في بِقاعِ الأرْضِ غَيْرُكَ، وَلا تَعَفَّرَ لِأحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ.

بالعاطف؛ إذ كانت هذه الجملة توكيداً وتقريراً لماقبلها، من الدعاء عليهم بالاستئصال بقطع نسلهم ونسل دوابّهم ومواشيهم، أو بدلاً منه؛ لأنّها أوفىٰ بتأدية المراد؛ إذ كان في منع القطر والنبات عنهم هلاكهم وهلاك ذرّيتهم، وانقطاع نسلهم ونسل دوابّهم وأنعامهم وهلاكها، فهي أوفىٰ بتمام المراد في عدم البُقيا عليهم وقطع دابرهم، والله أعلم.

توسيط النداء بين المتعاطفين لمزيد الضراعة، والإشارة بذلك إلى ماذكر من قطع حرثهم ونسلهم ومادّة حياتهم.

والمحال علىٰ وزن كتاب: الكيد، والتدبير، والمكر، وطلب الأمر بالحيلة، والقدرة، والقوّة، والشدّة، والجدال، والمعاداة، والأخذ بالعقاب، والنقمة، والعذاب، ومنه قوله تعالى: «وهُو شَديدُ المِحالِ» (١).

واختلفت عبارات المفسّرين في تفسيره.

فقال عليّ عليه السّلام: شديد الأخذ(٢)، وقتادة ومجاهد: شديد القوّة (٣)، والحسن: شديد النقمة (٤)،والزجّاج: شديد القدرة والعذاب(٥)، والجبائي: شديد الكيدللكفار(٦)والزمخشري: شديد الكيد والمكر لأعدائه، يأتيهم بالهلكة من حيث لايحتسبون (٧) وكلّ هذه المعاني يصحّ حمل لفظ الدعاء عليه كما لايخفىٰ.

وتكون المحال جمع محالة أيضاً وهي الفقرة، من فقر ظهر البعير.

قال في الكشاف: ويجوز أن يكون المعنى: شديدالفقار، ويكون مثلاً في القوّة

---

(١) سورة الرعد: الآية ١٣.

(٢) و(٣) و(٤) و(٥) و(٦) مجمع البيان: ج ٥ - ٦ ص ٢٨٣.

(٧) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٥٢٠.

....

والقدرة، كما جاء: فساعدالله أَسَدُّ وموساه أحدّ؛ لأنّ الحيون إذا اشتدّ محاله كان منعوتاً بشدّة القوّة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره، ألا ترى إلى قولهم: فقرته الفواقر؟، وذلك أنّ الفقار عمود الظهر(١)، إنتهى.

وجواز إرادة هذا المعنى ظاهرة في عبارة الدعاء أيضاً.

وفي نسخة ابن إدريس: «وقوّ بذلك محالّ أهل الإسلام» بفتح الميم وتشديد اللام على أنّه جمع محلّة، وهي المكان ينزله ويحلّه القوم، من حلّ البلد وبه حلولاً ـ من باب قعد ـ: إذا نزل به.

وحصّنه: جعله حصيناً أي: منيعاً.

والديار: جمع دار، وهي الموضع يجمع البناء، وتطلق على البلد أيضاً.

وثمرّ الله ماله تثميراً: أنماه وكثّره.

وفرّغهم عن محاربتهم لعبادتك أي: خلّصهم عن الشغل بمحاربتهم للتجرّد لعبادتك، التي لايشغل أسرارهم وقلوبهم عن مراقبتك والتوجّه إليك بالكلية فيها شاغل.

والجهاد وإن كان عبادة إلّا أنّه ليس كالصلاة التي هي أُمّ العبادات، وعمود الدين، ومعراج المؤمن، ومناجاة ربّ العالمين مثلاً، فإنّها فضّلت على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود، وشغل القلب واللسان بذكره تعالى، وحركات سائر الجوارح فيها جُعلت دالّة على ما في القلب واللسان، فهي ذاكرة له أيضاً، وليس كذلك الجهاد؛ فإنّه إنّما جعل ذريعة لإقامة الشريعة وغيره من عبادات الله تعالى، كما قال عزّ قائلاً: «وقاتِلوهُم حتّى لا تَكونَ فِتنةٌ ويكونَ الدّينُ كُلُّه لِله»(٢).

---

(١) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٥٢٠.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٩.

....

والمنابذة: المخالفة والمكاشفة بالحرب.

قال الشهاب الفيومي: نابذتهم: كاشفتهم، ونابذتهم الحرب: كاشفتهم إيّاها وجاهرتهم بها(١).

وفي الأساس: نبذ إلىٰ العدوّ: رمىٰ إليه العهد ونقضه، ونابذه منابذةً وتنابذوا(٢).

وخلا به يخلو خلوةً: تفرّد به.

قال أرباب القلوب: الخلوة بالله: محادثة السرّ مع الحقّ حيث لاأحد ولاملك(٣).

وقال بعض المحقّقين: الخلوة: عبارة عن تفرّد العبد في موضع يخلو فيه عن جميع الشواغل بما سوىٰ الله من المحسوسات الظاهرة والباطنة، ويصرف فيه همّته ونيّته إلى الإقبال على الله والتبتّل إليه بكلّيته، فيحصل له الأُنس به والوحشة من غيره (٤).

قيل لبعضهم: إلىٰ أيّ شيءٍ أفضىٰ بكم الزهد والخلوة؟ فقال: إلى الأُنس بالله (٥).

وقال بعضهم: لا بدّ لمن آثرالله علىٰ من سواه من العزلة في ابتدائه توحّشاً من غيرالله، ومن الخلوة في انتهائه أُنساً بالله (٦).

وكان الفضيل يقول: إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت به وقلت: أخلو بربّي، وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهيّة لقاء من يشغلني عن ربّي (٧).

وقيل لبعضهم: أما تستوحش في هذه الدار وحيداً؟ فقال: ماكنت أظنّ أحداً

---

(١) المصباح المنير: ص٨١٠.

(٢) أساس البلاغة: ص٦١٣

(٣) لم نتحققه.

(٤) لم نعثرعليه.

(٥) المحجة البيضاء: ج ٤ ص١٢، وآداب النفس: ج ١ ص٥١.

(٦) آداب النفس: ج ١ ص٤١.

(٧) المحجة البيضاء: ج ٤ ص١٢ - ١٣، وآداب النفس: ج ١ ص٥١.

....

يستوحش مع الله(١).

وقيل لبعض العبّاد: ما أصبرك علىٰ الوحدة، فقال: ما أنا وحدي، أنا جليس الله عزّوجلّ، إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه، وإذا شئت أن أُناجيه صلّيت(٢).

وقال ذوالنون: لم أرَ شيئاً أبعث لطلب الخلاص من الخلوة؛ لأنّه إذا خلالم يرَ غيرالله، فإذا لم يَرغيره لم يحرّكه إلّا حكمه، ومن أحبّ الخلوة فقد تعلّق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن شديد من أركان النجاة(٣).

قوله عليه السلام: «حتّىٰ لايعبد في بقاع الأرض غيرك» أي: كيلا يعبد.

والبقاع: جمع بقعة بالضمّ والفتح، وهي القطعة من الأرض.

وقال صاحب المحكم: البقعة بالفتح والبقعة بالضمّ: أعلىٰ قطعة من الأرض علىٰ غير هيئة التي إلىٰ جنبها، والجمع بقع وبقاع، فبقع جمع بقعة كظلمة وظلَم، وبقاع جمع بقعة كقصعة وقصاع، وقد يكون بقاع جمع بقعة بالضمّ كجفرة وجفار(٤)، إنتهىٰ.

ولمّا كان فعل العبادة لايجوز شرعاً وعقلاً إلّا للّه تعالىٰ؛ لأنّ العبادة أعلىٰ مراتب الخضوع والتذلّل، ولايستحقّ ذلك إلّا من كان مولياً لأعلىٰ النعم وأعظمها من الوجود والحياة وتوابعهما، وهوالله سبحانه لاغير، جعل عليه السّلام غاية دعائه بإضعاف أهل الشرك وتقوية أهل الإسلام، تخصيصه تعالىٰ بالعبادة التي لايستحقّها غيره.

وعفره عفراً ـ من باب ضرب ـ وعفّره تعفيراً للمبالغة: ألزقه بالعفر محرّكاً وقد يسكّن، وهو وجه الأرض.

وقال صاحب المحكم: العَفَر والعَفْر: ظاهر التراب، والجمع أعفار، وعفره في

---

(١) آداب النفس: ج ١ ص ٤٢.

(٢) المحجة البيضاء: ج ٤ ص ١٢، آداب النفس: ج ١ ص ٥٠.

(٣) آداب النفس: ج ١ ص ٥٦.

(٤) المحكم في اللغة: ج ١ ص ١٤٨.

أَللّٰهُمَّ اغْزُ بِكُلِّ ناحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمينَ عَلىٰ مَنْ بإزائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكيْنَ، وَأَمْدِدْهُمْ بِمَلائِكَةٍ مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفينَ، حَتّىٰ يَكْشِفُوهُمْ إلىٰ مُنْقَطَعِ التُرابِ، قَتْلاً في أَرْضِكَ وَأسْراً، أوْ يُقِرُّوا بِأَنَّك أَنْتَ اللهُ الَّذي لاإلٰهَ إلّا أَنْتَ وَحْدَكَ لاشَريكَ لَكَ.

التراب يعفره عفراً وعفّره فانعفر وتعفر: مرّغه فيه أو دسّه(١)، إنتهى.

والجبهة من الإنسان قال الخليل: هي مستوىٰ فيما بين الحاجبين(٢)، وقال الأصمعي: هي موضع السجود(٣).

والمراد بتعفير الجبهة: السجود علىٰ التراب، أي: وحتىٰ لايسجد لأحد منهم دونك؛ إذ كان السجود يحرم لغيرالله؛ لأنّ وضع أشرف الأعضاء علىٰ أهون الأشياء -وهو التراب- غاية الخضوع، وقد علمت أنّ غاية الخضوع وأعلىٰ مراتبه لايجوز إلّا لله عزّوجلّ.

والضمير في «منهم»: عائد علىٰ المعبودين، دون الله سبحانه المدلول عليه بقوله: «حتّىٰ لا يعبد في بقاع الأرض غيرك».

ودونك: أي سواك أو متجاوزاً إياك، وقد مرّ تحقيق ذلك *.

غزا العدوّ غزواً: سار إلىٰ قتالهم وانتهابهم.

قال الفيومي: وإنّما يكون غزو العدوّ في بلادهم(٤).

وغزا يتعدىٰ بنفسه، وإنّما عدّاه هنا بعلىٰ لتضمينه معنىٰ الإغارة، وهي مباغتة العدوّ للنهب أو القتل والأسر، أي: اغز، بكل ناحية من المسلمين مغيراً على مَن بإزائهم من المشركين والباء من قوله «بكلّ ناحية»: للتعدية، وهي المعاقبة للهمزة في تعدية الفعل القاصر، كما تقول في ذهب زيد، وذهبت بزيد،

---

(١) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ٨٢.

(٢) و(٣) المصباح المنير: ص ١٢٥ نقلاً عنهما.

(٤) المصباح المنير: ص ٦١٢.

....

وأذهبته، أي: اغز كلّ ناحية أي: ابعثها للغزو، يقال: أغزىٰ الأميرُ الجيشَ: إذا بعثه للغزو.

وفي إيثاره تعدية غزا بالباء دون الهمزة نكتة لطيفة، وهي ملاحظة ما في الباء من معنىٰ المصاحبة، المقصود بها هنا كمال الحفظ والتوفيق والإمداد والنصرة، كما كان المقصود بالمعيّة ذلك في قوله تعالىٰ: «إذ يُوحي ربُّكَ إلىٰ الملائكةِ أنّي معكُم فثبّتوا الّذينَ آمنوا»(١)، وقوله تعالىٰ لموسىٰ وهارون عليهما السّلام: «لا تخافا إنّني مَعكُما أسمعُ وأرىٰ»(٢)، ومن ثمّ ذهب المبرد(٣) والسهيلي(٤) والزمخشري إلىٰ أنّ بين أذهبه وذهب به فرقاً، فمعنىٰ أذهبه: أزاله وجعله ذاهباً، ومعنى ذهب به: استصحبه ومضىٰ به(٥).

وقال صاحب المثل السائر: كلّ من ذهب بشيء فقد أذهبه، وليس كلّ من أذهب شيئاً فقد ذهب به؛ إذ يفهم منه أنّه استصحبه وأمسكه عن الرجوع إلىٰ الحالة الأُولىٰ، ولا كذلك أذهبه فهماً، وإن اشتركا في معنىٰ التعدية، فلا يبعد أن ينظر صاحب المعاني إلىٰ معنيي الهمزة والباء الأصليّين، أعني الإزالة والمصاحبة والإلصاق(٦)، إنتهىٰ.

هو صريح فيما ذكرناه.

والناحية: الجانب، فاعلة بمعنىٰ مفعولة؛ لأنّها تُنحىٰ أي: تُقصد، من النحو بمعنىٰ: القصد.

والمعنىٰ علىٰ تقدير مضاف محذوف، أي: اغزُ بأهل كلّ ناحية، فهو من مجاز الحذف.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٢) سورة طه: الآية ٤٦.

(٣) مغني اللبيب: ص١٣٨.

(٤) تاج العروس: ج١ ص٢٥٧.

(٥) أساس البلاغة: ص٢١٠.

(٦) لم نعثر عليه.

....

وفي شرح جامع الأُصول لمؤلّفه: وفي الحديث: فخيف علىٰ ناحيتها، هي المكان المنفرد، وناحية الإنسان: مكانه، وقد يُعبّر بها عن ذاته، خفت علىٰ ناحيته أي: عليه(١)، إنتهىٰ.

وعلىٰ هذا، فهي مجاز مرسل من باب تسمية الشيء باسم محلّه، نحو: «فليدعُ نادِيَه»(٢) أي: مجلسه، أراد به أهله مجازاً؛ لحصولهم فيه. وفي نسخة ابن إدريس: «أعِزّ» بقطع الهمزة و كسر العين المهملة وتشديد الزاي من الإعزاز، ولا يظهر له معنىٰ إلّا علىٰ دعوىٰ زيادة الباء في المفعول، نحو: «وهُزّي إليكِ بِجذعِ النَخلَة»(٣)، وزيادتها فيه كثيرة، لكنّها مع ذلك غير مقيسة، كما نصّ عليه المرادي في الجنى الداني(٤).

ويمكن أن يخرّج علىٰ ماخرّج عليه الزمخشري الآية المذكورة، حيث قال: الباء في «بجذع النخلة»: صلة للتأكيد، كقوله: «ولا تلقوا بأيديكم»، أو علىٰ معنىٰ افعلي الهزّ به، كقوله: يجرح في عراقيبها نصلي(٥)، إنتهىٰ.

يعني بالوجه الثاني أنّه نزّل «هزّي» مع كونها متعدّياً منزلة اللازم للمبالغة، نحو: فلان يعطي ويمنع، ثمّ عُدّي كما يعدى اللازم، كقوله: يجرح في عراقيبها، أي: يفعل الجرح في عراقيبها.

وكذا القول في اعزّ بكلّ ناحية، أي: افعل العزّ بهم، وتعديته بعلىٰ إلىٰ المفعول الثاني لما فيه من معنىٰ الرفعة والشرف.

والإزاء بالكسر والمدّ: الحذاء، يقال: جلس إزائه و بإزائه أي: بحذائه.

وفي النهاية: الإزاء: المحاذاة والمقابلة(٦).

---

(١) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٢) سورة العلق: الآية ١٧.

(٣) سورة مريم: الآية ٢٥.

(٤) لم نتحققه.

(٥) الكشاف: ج ٣ ص ١٣.

(٦) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٧.

....

وفي المصباح: هو بإزائه: أي محاذيه(١).

والمعنىٰ: علىٰ من يحاذيهم ويقابلهم من المشركين.

وأمددت الجيش بألف رجل: أعنته وقوّيته بهم. والأصل في الإمداد: إعطاء الشيء حالاً بعد حال.

وفي القاموس: الإمداد: أن تنصر الاجناد بجماعة غيرك والاعطاء والإغاثة(٢).

وقال المفضّل: ماكان منه بطريق التقوية والإعانة يقال فيه: أمدّه يمدّه إمداداً، وماكان بطريق الزيادة يقال فيه: مدّه يمدّه مدّاً(٣). ومنه: «والبحرُ يَمُدّه من بعده سبعةُ أبحرٍ»(٤).

وقيل: المدّ في الشرّ، كما في قوله تعالى: «ويَمُدّهم في طغيانِهم يَعمهون»(٥)، وقوله تعالى: «ونَمُدّ لَه مِن العذابِ مَدّاً»(٦)، والإمداد في الخير، كما في قوله تعالى: «وأمدَدناكُم بأموالٍ وبنينَ»(٧).

وقيل: المدّ: إعانة الرجل القومَ بنفسه، والإمداد: إعانته إيّاهم بغيره، يقال: مدّ زيد القومَ مدّاً أي: صار لهم مدداً، وأمدّهم: أعانهم بمدد، وإلىٰ هذا القول جنح صاحب القاموس، كما يظهر من تضاعيف كلامه(٨).

و«من» في قوله: «من عندك»: لابتداء الغاية مجازاً، متعلّقة بأمدد فيكون الظرف لغواً، أو بمحذوف هو صفة لملائكة فيكون مستقرّاً. وأيّاً ماكان، فالتقييد به لتشريف الملائكة والدلالة علىٰ فضلهم.

---

(١) المصباح المنير: ص١٨.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص٣٣٧.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) سورة لقمان: الآية ٢٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٥.

(٦) سورة مريم: الآية ٧٩.

(٧) سورة الأسراء الآية ٦.

(٨) القاموس المحيط: ج ١ ص٣٣٧.

....

ومردفين بكسر الدال: أي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفاً لأنفسهم، فيكون المراد بهم رؤساءهم المستتبعين لغيرهم، أو جاعلين أنفسهم رديفاً للمسلمين أو لملائكة آخرين، أو جاعلين بعضهم رديفاً لبعض المسلمين أو بعضهم لبعض.

كلّ ذلك من أردفته أيّاه إردافاً أي: أتبعته أيّاه وجعلته له رديفاً، فردفه هو.

أو معناه تابعين ملائكة آخرين، أو تابعين المسلمين، أو تابعاً بعضهم بعضاً، من أردفته بمعنىٰ: ردفته بالكسر أي: تبعته وجئت بعده.

وفي نسخة: «مردفين» بفتح الدال، فإن حمل علىٰ الإرداف بالمعنىٰ الأوّل، فمعناه: مجعولين إردافاً للمسلمين وتابعين لهم، فيكونون علىٰ ساقة المسلمين ليكونوا علىٰ أعينهم وحفظهم.

وإن حمل علىٰ الإرداف بالمعنىٰ الثاني، فمعناه، مردوفين أي: متبوعين للمسلمين، فيكونون علىٰ مقدّمة الجيش فيتبعهم المسلمون.

ويجوز أن يكون علىٰ الأوّل بمعنىٰ مردفين ملائكة آخرين، وعلىٰ الثاني بمعنىٰ متبوعين لملائكة آخرين، وفيه تلميح إلىٰ قوله تعالى: «إذ تستغيثونَ ربَّكُمْ فاستجابَ لَكُمْ أنّي مُمِدّكُم بألفٍ من الملائكةِ مُردِفين»(١).

قرأ أبوجعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وأبوعون عن قنبل بفتح الدال من مردفين، والباقون بكسرها (٢).

قال الزجّاج: معناه: يأتون فرقة بعد فرقة(٣).

وعن ابن عبّاس وقتادة والسدي: معناه: مترادفين، وكانوا ألفاً بعضهم في أثر بعض(٤).

وعن الجبائي: معناه: متبعين ألفاً آخر من الملائكة؛ لأنّ مع كلّ واحد منهم

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٩.

(٢) راجع روح المعاني: ج ٩ ص ١٧٣.

(٣) مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٥٢٤.

(٤) مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٥٢٥.

....

ردفاً له(١)، وعن أبي حاتم: معناه بألف من الملائكة جاؤوا علىٰ آثارالمسلمين (٢)

وكشفت القوم كِشفاً ـ من باب ضرب ـ هزمتهم فانكشفوا، ومنه حديث: فلمّا كان يوم أُحد انكشف المسلمون(٣).

قال الكرماني في شرح البخاري: أي: انهزمو (٤)، ومنه: فلمّا حملنا عليهم انكشفوا، أي: انهزموا، وأصله من الكشف بمعنى: رفع شيء عمّا يواريه ويغطّيه، يقال: كشف الغطاء: إذا رفعه عمّا تحته، ولمّا كان هزم القوم يستلزم رفعهم وإزالتهم عن مواقفهم التي واروها وغطّوها بحصولهم ووقوفهم فيها سمي الهزم كشفاً، وهو إمّا استعارة بالكناية أو تبعيّة أو تمثيليّة، وقد تقدّم بيان ذلك في نظيره.

وقول بعض المترجمين: يكشفوهم أي: يفضحوهم، جهل بمواقع ألفاظ العرب.

والظرف من قوله: «إلىٰ منقطع التراب»: متعلّق بمحذوف وقع حالاً من فاعل يكشفوهم، وهو الضمير العائد فيه إلىٰ المسلمين، أي: حتّىٰ يكشفوهم مبلغين وموصلين لهم إلىٰ منقطع التراب، أو بيكشفوهم مضمّناً معنىٰ الإيصال أو الإنهاء.

ومنقطع الشيء بصيغة البناء للمفعول: حيث ينتهي إليه طرفه، نحو: منقطع الوادي والرمل والطريق.

والتراب: معروف، قال الفرّاء وجماعة: هو جنس لا يثنّىٰ ولا يجمع(٥).

ونقل أبوعمرو الزاهد في شرح الفصيح عن المبرّد أنّه قال: هو جمع واحدته ترابة(٦)

---

(١)و(٢) مجمع البيان: ج ٣ـ٤ ص ٥٢٥.

(٣) صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢٣.

(٤) شرح البخاري للكرماني: ج ١٢ ص ١٠٨.

(٥) تاج العروس: ج ٢ ص ١٥٧.

(٦) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص ٤٠ نقلاً عن أبي عمرو.

....

وقال الجوهري: جمع التراب أتربة وتربان(١).

والمراد بمنقطع التراب: منتهىٰ العمارة من الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، حيث لاتقع العين بعده علىٰ تراب.

وقوله عليه السّلام: «قتلاً في أرضك وأسراً» أي: حال كونهم يقتلونهم في أرضك قتلاً ويأسرونهم أسراً، فيكون نصبها علىٰ المصدريّة، أي: قاتلين لهم وآسرين، فيكون علىٰ الحاليّة وهو مذهب الجمهور، وذهب بعضهم إلىٰ أنّ نحو ذلك علىٰ حذف مضاف، والتقدير: يكشفونهم كشف قتل وأسر، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه. قال ابن هشام: وهذا تقدير حسن سهل(٢).

والظرف من قوله: «في أرضك»: متعلّق بمحذوف وقع وصفاً للقتل إن جُعل مصدراً، وبالقتل نفسه إن جُعل حالاً، فهو علىٰ الأوّل مستقرّ وعلى الثاني لغو، وفائدته التعميم، أي: قتلاً عامّاً في كلّ قطر من أقطار أرضك، وفي كلّ مكان منها يكونون فيه، من حيث إنّ هذا القيد نسبته إلىٰ القتل في كلّ موضع من الأرض على السواء، فتأمّله فإنّه نفيس.

وإضافة الأرض إليه تعالىٰ لبيان استحقاقهم للقتل والأسر؛ لأنّ المشرك بالله حقّه أن لا يترك ويخلّىٰ في أرض الله، بل يستحقّ القتل والأسر فيها.

وقوله عليه السّلام: «أو يقرّوا» عطف علىٰ قوله: «يكشفوهم». وأقرّ بالشيء إقراراً: اعترف به.

وأنت: ضمير موضوع للمخاطب، ومذهب البصريّين أنّ الضمير: أنْ، والتاء حرفيّة مبنيّة للمخاطب(٣)، ومذهب الفرّاء: أنّ «أنت» بكماله الضمير، والتاء من نفس الكلمة، وقيل: الضمير هو التّاء ادغمت بأن لتستقلّ لفظاً(٤).

---

(١) الصحاح: ج ١ ص ٩٠.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) و(٤) شرح الكافية في النّحو: ج ٢ ص ١٠.

....

وهو هنا ضمير فصل فائدته التوكيد والاختصاص، ولا محلّ له من الإعراب، قيل: لأنّه حرف، وقيل: لشدّة شبهه بالحرف في أنّه لم يؤت به إلّا لمعنىٰ في غيره. وقيل: بل له محلّ، فقال الفرّاء: محلّه مشارك لما قبله(١)، وقال الكسائي: مشارك لما بعده(٢)، وقيل: هو تأكيد للكاف كما في قولك: مررت بك أنت، وقيل: هو مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر أن.

وقوله: «لا إله» مبني مع «لا» في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف أي: لهم، أو في الوجود، أو مستحقّ للعبادة، أو ممكن، والضمير بعد «إلّا» في محلّ رفع على البدل من محلّ لا إله، ولا يجوز أن يكون في محلّ نصب علىٰ الاستثناء؛ لأنّه لوكان كذلك لكان: إلّا إيّاه.

وجملة «لا إله إلّا أنت» في محلّ رفع علىٰ أنّها خبر ثان لاسم «أنّ»، أو صفة للخبر وهو اسم الجلالة.

ووحدك: عند البصريّين منصوب علىٰ المصدريّة أو الحال، وعند الكوفيّين علىٰ الظرف، وقد استوفينا الكلام عليه فيما سبق.

وقوله: «لا شريك لك» خبر ثالث لاسم «أنّ»، أو صفة أُخرىٰ للخبر.

وكلّ هذه الجمل الثلاث مقرّرة للوحدانيّة، ومؤكّدة لما قبلها من حيث المعنىٰ، ويمكن تخصيص كلّ منها بمعنى، فتكون الأُولىٰ لنفي الشريك في الأُلوهيّة، ومزيحة(٣) لما عسىٰ أن يتوهم أنّ في الوجود إلهاً لكن لا يستحقّ العبادة، والثانية للإشارة إلىٰ أنّه واحد في ذاته لا تركيب فيه، والثالثة للإشارة إلىٰ أنّه لا شريك له في صفات الأُلوهيّة وصفات الكمال، والله أعلم.

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) «ج»: مزيته.

أَللّٰهُمَّ وَاعْمُمْ بِذٰلِكَ أَعْداءَكَ في أَقْطارِ البِلادِ، مِنَ الهِندِ وَالرُّومِ وَالتُّرْكِ وَالخَزَرِ وَالحَبَشِ وَالنُّوبَةِ وَالزَّنْجِ وَالسَّقالِبَةِ وَالدَّيالِمَةِ، وَسائِرِ أُمَمِ الشِّرْكِ الَّذينَ تُخْفىٰ أَسْماؤُهُمْ وَصِفاتُهُمْ، وَقَدْ أَحْصَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ، وَأَشْرَفْتَ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِكَ.

عمّ الشيء عموماً -من باب قعد-: شمل الجميع، يقال: عمّهم بالإحسان أي: أحسن إلىٰ جميعهم.

والإشارة بذلك إلىٰ ماتقدّم من الدعاء على المشركين.

والمراد بأعدائه تعالى: الخارجون عن طاعته عناداً، والمخالفون لأمره مكابرةً؛ لأنّ العدوّ لايكاد ينقاد لأمر عدوّه ولا يوافقه.

والمراد بهم: أعداء أوليائه وخواصّه ومقرّبيه، أضافهم إليه تعالى تفخيماً لشأنهم، وإيذاناً بأنّ عداوتهم عداوته(١)؛ إذ العداوة على الحقيقة لا تصحّ إلّا في البشر؛ لأنّ العدوّ الذي يريد إنزال المضارّ بمن عاداه، وهذا يستحيل في حقه تعالىٰ.

والأقطار: جمع قطر بالضمّ مثل قفل وأقفال، وهو الجانب والناحية.

والبلاد: جمع بلدة مثل قلعة قلاع، وهي بمعني البلد وهو المصر الجامع.

قال العلاّمة الطبرسي: البلد والمصر والمدينة نظائر(٢).

وفي القاموس: البلد والبلدة: كلّ قطعة من الأرض مستحيزة عامرة أو غامرة (٣)

وقال الشهاب الفيومي: ويطلق البلد والبلدة علىٰ كلّ موضع عامراً كان أو خلاءً(٤).

ومن: بيانيّة.

---

(١) «ج»: تعالى.

(٢) مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٠٥.

(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٧٨.

(٤) المصباح المنير: ص ٨٤.

....

والهند: جيل وأُمّة من الناس معروفة، أكثر الناس اختلافاً في الآراء والعقائد، منهم من يقول بالخالق دون النبيّ وهم البراهمة، ومنهم من يعبد الشمس، ومنهم من يعبد القمَر، ومنهم من يعبد الأنهار الكبار، ومنهم من يعبد الأشجار العظام، إلىٰ غير ذلك. ويطلق لفظ الهند علىٰ بلادهم أيضاً، وهي من الإقليم الأوّل، أحد حدّيها الصين والآخر السند، أكثر أرض الله جبالاً وأنهاراً، خصّت بكريم النبات وعجيب الحيوان.

قال بعضهم: الهند بحرها درّ، وجبلها ياقوت، وشجرها عود، وورقها عطر، وحشيشها دواء، وشتاؤها صيف، وصيفها ربيع.

ووصفها ابن القرية فقال: هي أرض شاسعة نائية، وبلاد كفرة طاغية.

والروم: قال الواحدي: جيل من ولد آدم بن عيص بن إسحاق، غلب اسم أبيهم عليهم فصار كالاسم للقبيلة (١).

وقال النووي في التهذيب: والروم: هم الذين تسمّيهم أهل هذه البلاد الإفرنج(٢)، إنتهىٰ.

وأكثرهم نصارىٰ، وبلادهم بالإقليم السادس، وهي بلاد واسعة، أنزه النواحي وأخصبها، وأكثرها خيراً، وأعذبها ماءً، وأصحّها هواءً، وأطيبها تربةً، وهي في غاية البرودة؛ ولذلك يرىٰ الغالب علىٰ ألوانهم البياض وعلىٰ شعورهم الشُقرة، والإبل لا تتولّد بها، ومدينة رئاستهم تسمّىٰ روميّة، قيل: دور سورها أربعة وعشرون ميلاً.

وفي القاموس: روميّة: بلد بالروم، سوق الدجاج به فرسخ، وسوق البرّ ثلاثة فراسخ، وتقف المراكب فيه علىٰ دكاكين التجّار في خليج معمول من النحاس،

---

(١) و(٢) التهذيب للنووي: القسم الثاني: ج ١ ص ١٣٠.

....

ارتفاع سوره ثمانون ذراعاً عرض عشرين، فيما ذكرابن خرداذبه، فإن يكُ كاذباً فعليه كذبه(١)، إنتهىٰ.

والترك: جيل من أولاد يافث بن نوح عليه السّلام، يمتازون عن جميع الأمم بكثرة العدد ووفور الشجاعة، عراض الوجوه، فطس الأنوف، عبل السواعد، ضيق الأخلاق والأعين، يغلب عليهم الغضب والظلم والقهر، أقسىٰ خلق الله قلوباً، وأشدّهم بطشاً، وأقلّهم رأفةً، وأصبرهم علىٰ تحمّل المشاقّ والمحن، وبلادهم بالإقليم الثالث، أوّلها من وراء نهر جيحون، وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبين خراسان، ويسمّىٰ نهر خوارزم ونهر بلخ؛ لأنّ كلاً منهما في طرف منه، وتمتدّ بلادهم إلىٰ أقاصي المشرق من حدود الصين.

وفي ربيع الأبرار عن ابن مسعود قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ليلة أُسري بي إلىٰ السماء رأيت في السماء الرابعة قصراً مز خرفا، حواليه قناديل من نور، فقلت: يا جبرئيل ماهذا القصر؟ قال: يا محمّد هذا رباط ستفتحه أُمّتك بأرض خراسان حول جيحون، قلت: وما جيحون؟ قال: نهر يكون بأرض خراسان، من مات حول ذلك النهر علىٰ فراشه قام يوم القيامة شهيداً من قبره قلت: يا جبرئيل ولم ذاك؟ قال: يكون عدوّ لهم يقال لهم: الترك، شديد كلبهم، قليل سلبهم، من وقع في قلبه فزعة منهم قام يوم القيامة شهيداً من قبره مع الشهداء(٢)، إنتهىٰ.

والخزر بفتحتين: قال في القاموس: اسم جيل خزرالعيون(٣).

وقال الزمخشري في الأساس: رجل أخزر: ينظر بمؤخّرعينه وقيل: هوالذي ضاقت عينه وصغرت، وامرأة خزراء، وقوم خزر، وبعينه خزر، و به سمّي الخزر جيل من الترك (٤)، إنتهىٰ.

---

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص١٢٣.

(٢) ربيع الأبرار مخطوط: ص ٢٠.

(٣) القاموس المحيط: ج ٢ ص١٩.

(٤) أساس البلاغة: ص١٦٠.

....

وقال بعضهم: بلاد الخزر حوالي بحر جيلان، ويقال لبحر جيلان: بحرالخزر.

وفي نسخة ابن إدريس: «الخزر» بالضمّ والسكون، وهو لغة في الخزر محرّكة.

قال في زبدة شرح الشفاء لعياض عند قوله: «وقتال الروم والخزر» وهو بضمّ المعجمة وسكون الزاي وفتحها فراء: جنس من الأمم (١).

والحبش بفتحتين: جنس من السودان جلّهم نصارىٰ، ويقال لبلادهم: الحبشة، وهي أرض واسعة تمتدّ من طرف بحراليمن إلىٰ الخليج البربري.

والنوبة بالضمّ: جنس من السودان أيضاً، وملّتهم النصرانيّة، وأرضهم واسعة، وهي شرقي النيل.

وفي القاموس: النوبة بالضمّ: بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد، منها بلال الحبشي(٢).

وقال صاحب عجائب البلدان: بلاد النوبة في جنوبي مصر وشرقي النيل وغربيّه، وهي بلاد واسعة، وأهلها أُمّة عظيمة، وهم علىٰ دين النصرانيّة(٣).

قال صلّى الله عليه وآله: خير سبيكم النوبة(٤).

والزنج بالفتح والكسر: صنف منهم أيضاً، وأرضهم مسيرة شهرين، شمالها اليمن، وجنوبها الفيافي، وشرقها النوبة، وغربها الحبشة.

قال القزويني: وجميع السودان من ولد كوش بن كنعان بن حام(٥).

وبلاد الزنج شديد الحرّ جدّاً، وسبب سوادهم احتراقهم بالشمس، وقيل: إنّ نوحاً عليه السّلام دعا علىٰ ابنه حام فاسودّ لونه. وبلادهم قليل المياه والأشجار، سقوف بيوتهم من عظام الحوت، زعم الحكماء أنّهم شرارالناس؛ ولهذا يقال لهم:

---

(١) لم نتحققه.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ١٣٥.

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

(٤) معجم البلدان: ج ٤ ص ٨٢٠.

(٥) لم نتحققه.

....

سباع الإنس.

قال جالينوس: الزنج خُصّصوا بأُمور عشرة: سواد اللون، وفلفلة الشعر، وفطس الأنف، وغلظ الشفة، وتشقّق اليد والعقب، ونتن الرائحة، وكثرة الطرب، وقلّة العقل، وأكل بعضهم بعضاً، فإنّهم في حروبهم يأكلون لحم العدوّ، ومَن ظفر بعدوٍّ له أكله، وأكثرهم عراة لا لباس لهم، ولا يُرى زنجيّ مغموماً، بل الطرب يشملهم كلّهم (١).

قال بعض الحكماء: سبب ذلك اعتدال دم القلب منهم.

وقال آخرون: بل سببه طلوع كوكب سُهيل عليهم كلّ ليلة؛ فإنّه يوجب الفرح.

والسقالبة وتبدّل السين صاداً فيقال: صقالبة، وهو المذكور في القاموس(٢).

قال الخليل رحمه الله: كلّ سين وصاد تجيء قبل القاف فللعرب فيه لغتان، فمنهم من يجعلها سيناً، ومنهم من يجعلها صاداً، لا يبالون أمتّصلة كانت بالقاف أو منفصلة بعد أن يكونا في كلمة واحدة(٣)، إنتهى.

قال في القاموس: الصقالبة: جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينيّة(٤).

وقال ابن الكلبي: روم وصقلب وأرمن وفرنج كانوا اخوة، وهم بنو النبطي بن كسلو أجيم بن يونان بن يافث بن نوح عليه السّلام، سكن كلّ واحد منهم بقعة من

---

(١) مروج الذهب: ج ١ ص ٩٨ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ٩٣.

(٣) لسان العرب: ج ٨ ص ١٥٩.

(٤) القاموس المحيط: ج ١ ص ٩٣، وفيه «بلغر».

....

الأرض فسمّيت باسمه(١).

والصقالبة: قوم كثيرون، صهب الثغور، حمرالألوان، أولوصولةٍ شديدة.

قال المسعودي: الصقالبة أقوام مختلفة، بينهم حروب، لولا اختلاف كلمتهم، ماقاومتهم أُمّة في الشدّة والجرأة، ولكلّ فرقة منهم ملك لاينقاد لغيره، فمنهم علىٰ دين النصرانيّة اليعقوبيّة، ومنهم علىٰ دين النسطوريّة، ومنهم من لادين له ويكون معطّلاً ، ومنهم عبدة النيران(٢).

والديالمة: جيل من الناس مشهورون بالظلم والجور، حتّىٰ قيل: هم أجور من الترك والديلم.

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: فلان من الديلم(٣) .

وهو ديلمي من الديالمة أي عدوّمن الأعداء؛ لشهرة هذا الجيل بالشرارة والعداوة.

وبلادهم أرض الجبال بقرب قزوين، وهي ثغر أرض الديلم.

واعلم أنّ الصقالبة والديالمة جمعان لسقلبي وديلمي ، والتاء فيهما للدلالة علىٰ أنّ واحدهما منسوب.

قال الرضي: تدخل التاء علىٰ الجمع الأقصىٰ دلالةً علىٰ أنّ واحدها منسوب، كالأشاعثه والمشاهدة في جمع أشعثي ومشهدي، وذلك لمّا ارادوا أن يجمعوا المنسوب جمع تكسير وجب حذف ياء النسب؛ لأنّ ياء النسب والجمع لايجتمعان، فلايقال في النسبة إلىٰ رجال: رجاليّ بل رجليّ، فحذفت ياء النسبة، ثمّ جمع بالتاء؛ لتكون التاء كالعوض من الياء، كما عوّضت من الياء في نحو

(١) معجم البلدان للحموي: ج ٣ ص ٤٠٥.

(٢) مروج الذهب: ج ٢ ص ٣و ٤ ملخّصاً.

(٣) أساس البلاغة: ص ١٩٤.

اَللّهُمَّ أَشْغِلِ الْمُشْرِكينَ بِالْمُشْرِكينَ عَنْ تَناوُلِ أطرافِ الْمُسْلِمينَ، وَخُذْهُمْ بِالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ، وَثَبِّطْهُمْ بِالفُرْقَةِ عَنِ الاحْتِشادِ عَلَيْهِمْ.

جحاجحة جمع جحجاح؛ لأنّ أصل جمعه جحاجيح، فحذفت الياء وعوّضت عنها التاء؛ ولذلك لايثبتان معاً ولايسقطان معاً (١).

قوله عليه السّلام: «وسائر أُمم الشرك» إلىٰ آخره، أي: باقيهم، والأُمم: جمع أُمّة، والمراد بهاهنا: الصنف من الناس، أي: سائر أصناف الخلق المشركين.

والشرك بالكسر: من أشرك بالله أي: كفر، وهو مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود والنصارىٰ؛ فإنّ الشرع قد نصّ علىٰ شرك أهل الكتاب قاطبة.

والمراد بأسمائهم: مادلّ علىٰ ذواتهم، وبصفاتهم: ما دلّ علىٰ شيء من أحوالهم.

والواو من قوله: «وقد أحصيتهم»: للحال، أي: والحال أنّك قد أحصيتهم أي: علمتهم.

قال الفيومي: أحصيت الشيء بالألف: علمته (٢).

وفي النهاية: في أسمائه تعالىٰ المحصي: هوالذي أحصىٰ كلّ شيء بعلمه وأحاط به، فلا يفوته دقيق منه ولا جليل، والإحصاء: العدّ والحفظ(٣)، إنتهىٰ.

والمراد بمعرفته تعالى: علمه، وهو يؤيّد قول أهل اللغة وبعض أرباب الأُصول والميزان من أنّهما مترادفان.

وأشرف علىٰ الشيء إشرافاً: اطّلع عليه، وهو علىٰ التمثيل؛ لأنّ أصله النظر من شرف، وهو المكان العالي؛ إذ النظر منه إلىٰ الشيء أبلغ في الإحاطة به، والله أعلم.

شغله شغلاً من باب نفع، والاسم: الشغل بالضمّ، وتُضمّ الغين وتسكّن للتخفيف، وهو ضدّ الفراغ.

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ١٦٣.

(٢) المصباح المنير: ص ١٩٢.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٣٩٧.

....

واختلف هل يتناول لفظ المشركين الكفّارَ من أهل الكتاب أم لا؟ قال الأكثرون: نعم؛ لقوله تعالىٰ: «وقالتِ اليهودُ عُزيرٌ ابنُ الله وقالتِ النصارىٰ المسيحُ ابنُ الله ذلكَ قولُهم بأفواهِهم يضاهئون قولَ الذين كفروا مِنْ قبلُ قاتلَهُمْ اللهُ أنّىٰ يؤفكون * اتّخذوا أحبارَهُم ورُهبانَهُم أرباباً من دونِ الله والمسيحَ ابنَ مريم وما أُمِروا إلّا لِيعبُدوا إلهاً واحداً لا إله إلّا هو سبحانَه عمّا يُشرِكُون»(١)؛ ولقوله تعالىٰ: «إنّ الله لَايغفِرُ أن يُشرَكَ بِهِ ويَغفِرُ مادون ذلك»(٢)، فلوكان كفراليهودوالنصارىٰ غير الشرك لاحتمل أن يغفرالله لهم، وذلك باطل بالاتّفاق، وأيضاً النصارىٰ قائلون بالتثليث، وهو شرك محض.

وقال الأصمّ: كلّ من جحد رسالة محمّد صلّى الله عليه وآله فهو مشرك: من حيث إنّ تلك المعجزات التي ظهرت علىٰ يديه كانت خارجة عن قدرة غير الله تعالى، وهم أنكروها وأضافوها إلى الجنّ والشياطين، فقد أثبتوا شريكاً لله سبحانه في خلق هذه الأشياء الخارجة عن قدرة البشر(٣).

واعترض عليه: بأنّ اليهودي مثلاً حيث لايسلّم أنّ ما ظهر علىٰ يد محمّد صلّى الله عليه وآله هو من جنس مالايقدر العباد عليه، لم يلزم أن يكون مشركاً بسبب إضافة ذلك إلىٰ غيرالله تعالىٰ.

وأُجيب: بأنّه لااعتبار بإقراره، وإنّما الاعتبار بالدليل، فإذا ثبت بالدليل أنّ ذلك المعجزخارج عن قدرة العباد، فن أضاف ذلك إلىٰ غيرالله كان مشركاً، كما لوأسندخلق الحيوان والنبات إلى الأفلاك والكواكب.

احتجّ المخالفون: بأنّه تعالىٰ فصل بين المشركين وأهل الكتاب في الذِكر، حيث قال: «مايَودُّ الذينَ كفروا مِن أهلِ الكتابِ ولا المُشركينَ»(٤)، «لم يكنِ الذين

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٠- ٣١.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٨.

(٣) لم نعثرعليه.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٥.

....

كفروا مِن أهلِ الكتابِ والمشركين»(١)، والعطف يقتضي المغايرة.

وأُجيب: بأنّ كفـر الوثني أغـلظ، وهذا القدر يكفي في العطف، أو لعلّه خصّ أوّلاً ثمّ عمّـم، وقد تـواتر النـقل عـن النبـيّ صلّـى الله عليه وآله: أنَّ كـلّ من كان كافراً يُسمّى مشركاً(٢)، فظـهر أنّ وقوع اسم المشرك عليهم إن لم يـكن بحسب اللغة كان بحسب الشرع، وإذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج كلّ كافر تحت هذا الاسم.

والمراد بشغله تعالىٰ المشركين بالمشركين: أن يخطر ببال كـلّ أُمّة منهم مايوجب الوحشة والنفـرة عن الأُخرىٰ، إمّا بسبـب أهوائهم المختلفة في الدين، أو بسبب تنازع في أُمور الدنـيا، فتهيج الـعداوة والقـتال بينهم، فـيشتغـل بعضهم بـبعض عن تـناول أطراف المسلمين.

والتناول في الأصل: أن يمدّ الإنسان يده إلىٰ شيء فيأخذه، يقال: ناولته الشيء فـتناوله، ثمّ استـعمل في مطلق الأخذ والإقدار على الشـيء وفي الاستيلاء عليه وفي الوصول إليه؛ إذ كان كلّ ذلك من لوازم معناه الأصلي.

والأطراف: جمع طرف بـفـتحتين، وهو يكـون بمعنىٰ الجانـب والناحية، ومـنه: «أَوَلَم يَروا أَنّا نأتي الأرضَ نَنقصُها مِن أطرافِها»(٣).

أي نواحيها وجوانبها، بأن نـفـتحـهـا علىٰ المسـلمين شيـئاً فشيئاً ونـلحـقـها بدارالإسلام، ونذهب منها أهلها بالقتل والأسر والإجلاء.

ويكون بـمعنىٰ الطائفة من الشيء ومنه: «ليقطعَ طرَفاً مِن الذينَ كفروا»(٤) أي: طائفة منهم بقتل وأسر. وكلّ من المعنيين محتمل في عبارة الدعاء.

فـإن حمل على المـعنى الأوّل فـهـو عـلـىٰ حـذف مضـاف؛ أي: أطـراف أرض

---

(١) سورة البيّنة: الآية ١.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) سورة الرعد: الآية ٤١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٢٧.

....

المسلمين، ويكون المراد بتناولها الاستيلاء عليها أو بلوغها والوصول إليها، يقال: تناولت بنا الركاب مكان كذا أي: بلغت ووصلت بنا إليه، قال ذوالرّمة:

إذا لم نزرها من قريب تناولت بنا دار صيداء القلاص الطلائح(١)

وقال:

تصابيتُ واستعبرت حتّىٰ تناولت لحى القوم أطراف الدموع الذوارف

أي: بلغت أطراف الدموع لحىٰ القوم لانهما لها وانصبابها (٢).

وإن حمل علىٰ المعنىٰ الثاني فالمراد بتناولها أخذها وإصابتها بقتل وأسر.

وإنّما خصّ الأطراف بالذِكر؛ لأنّه لايوصل إلىٰ الوسط إلّا بتناول الطرف؛ ولأنّ الطرف أقرب إليهم من غيرهم، كما قال تعالى: «قاتِلوا الذينَ يَلُونكم مِن الكفّار»(٣).

قوله عليه السلام: «وخذهم بالنقص عن تنقّصهم» أخذه الله: أهلكه، وأخذه بذنبه: عاقبه عليه، وتعدية خذ بعن لتضمينه معنىٰ الكفّ والمنع، أي: خذهم وأصبهم بالنقص مانعاً لهم عن تنقّصهم المسلمين.

والنقص: أخذ شيء من الجملة، يقال: نقّصته فنقص، يتعدّىٰ ولايتعدىٰ، أي: أذهبت منه شيئاً فذهب منه شيء.

والمراد بأخذهم بالنقص: إهلاكهم بنقصهم شيئاً فشيئاً حتّى يأتي علىٰ جميعهم، وهذا هو معنىٰ التنقّص أيضاً.

قال العلاّمة الطبرسي: التنقّص: هو أن يؤخذ الأوّل فالأوّل حتّىٰ لا يبقىٰ أحد(٤). وحمْلُ بعضهم التنقّص علىٰ معنىٰ الثلب والوقيعة، بمعزل عن المقام.

وقوله عليه السّلام: «وثبّطهم بالفرقة من الاحتشاد عليهم» ثبّطه عن الأمر

---

(١) ديوان ذي الرمّة: ج ٢ ص ٨٧٧ رقم ٢٦.

(٢) ديوان ذي الرّمة: ج ٣ ص ١٦٢٤ رقم ٤.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٣.

(٤) لم نعثر عليه.

أَللّهُمَّ أخلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَمَنَةِ، وَأَبْدانَهُمْ مِنَ القُوَّةِ، وَأَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الإحْتِيالِ، وَأَوْهِنْ أَرْكانَهُمْ عَنْ مُنازَلَةِ الرِجال، وَجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقارَعَةِ الأَبْطالِ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ جُنْداً مِنْ مَلائِكَتِكَ بِبأْسٍ مِنْ بَأْسِكَ، كَفِعْلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، تَقْطَعُ بِهِ دابِرَهُمْ، وَتحْصُدُ بِهِ شَوْكَتَهُمْ، وَتُفَرِّقُ بِهِ عَدَدَهُم.

تثبيطاً: شغله وقعد به عنه.

والفرقة بالضمّ: اسم من افترق القوم افتراقاً: خلاف اجتمعوا. والاحتشاد: الاجتماع، وفي القاموس: حشد القوم: خفوا في التعاون، أو دعوا فأجابوا مسرعين، أو اجتمعوا لأمر واحد، كأحشدوا واحتشدوا وتحاشدوا(١)، إنتهى.

وكلّ من هذه المعاني صحيح هنا.

أخليت الإناء إخلاءً: جعلته خالياً.

والأمنة محرّكة: الأمن، وهو عدم توقّع مكروه، وفي نسخة ابن إدريس: «من الأمنة» بسكون الميم، كأنها مرّة من الأمن.

والقوّة: تمكّن الحيوان من الأفعال الشاقّة.

وذهل عن الشيء يذهل -من باب منع- ذهولاً: غفل عنه أو نسيه لشغل، والأكثر أن يعدّى بالألف فيقال: أذهلني فلان عن الشيء، وعليه مشهور النسخ من الصحيفة في ضبط أذهل بقطع الهمزة وكسر الهاء، وقد يتعدّى بنفسه فيقال: ذهلته، وعليه نسخة ابن إدريس في ضبطه بوصل الهمزة وفتح الهاء.

والاحتيال: طلب الحيلة، وهي الحذق في التدبير، وهو تقليب الفكر وإعماله حتّى يهتدي إلى المقصود.

والوهن: الضعف، وهن يهن -من باب وعد- أي: ضعُف، والأجود أن يعدّى بالهمزة فيقال: أوهنه، كما وقع في الدعاء، وربّما عدّي بنفسه فقيل: وهنته فهو

---

(١) القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٨٨.

....

موهون.

والأركان: جمع ركن، وهو لغة: الجانب القوي من الشيء وهو الذي يُستند إليه ويقوم به، والمراد بها هنا: الجوارح، ومنه حديث الحساب: ويقال لأركانه انطقي(١)، أي: جوارحه.

والمقارعة: مفاعلة من القرع وهوالضرب، قرعه قرعاً ـ من باب نفع ـ: ضربه.

قال صاحب المحكم: والمقارعة: مضاربة القوم في الحرب(٢).

وفي القاموس: المقارعة: أن يقرع الأبطال بعضهم بعضاً(٣).

والأبطال: جمع بطل بفتحتين أي: شجاع، قال الفيومي: سمّي بذلك لبطلان الحياة عند ملاقاته، أو لبطلان العظائم به(٤).

وقال صاحب القاموس: رجل بطل ـ محرّكة ـ: شجاع تبطل جراحته فلايعبأ بها، أو تبطل عنده دماء الأقران(٥).

والبعث: الإرسال، بعثه يبعثه بعثاً ـ من باب منع ـ: أرسله.

قال الفيومي: كلّ شيء ينبعث من نفسه فإنّ الفعل يتعدّى إليه نفسه فيقال: بعثته، وكلّ شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية فإنّ الفعل يتعدّى إليه بالباء فيقال: بعثت به(٦)، إنتهى.

وقال صاحب المحكم: بعثه: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره(٧).

والجند بالضمّ: العسكر والأنصار والأعوان وكلّ جماعة تصلح للحرب.

و«من» في قوله: «من ملائكتك»: ابتدائيّة متعلّقة بمحذوف وقع صفة لـ «جنداً»

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٢٦٠.

(٢) المحكم في اللغة: ج ١ ص ١١٥.

(٣) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٦٨.

(٤) المصباح المنير: ص ٧٢.

(٥) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٣٥.

(٦) المصباح المنير: ص ٧٣.

(٧) المحكم في اللغة ج ٢ ص ٧٠.

....

أي: كائناً من ملائكتك، وإضافة الملائكة إليه تعالى للتشريف والتنويه.

والباء من قوله: «ببأس»: للملابسة، متعلّقة بمحذوف وقع حالاً من «جنداً» لتخصّصه بالصفة، أي: ملتبساً ببأس من بأسك، كقوله تعالى: «إهبط بسلام» فالظرف مستقرّ. ويحتمل أن تكون صلة الفعل من قوله: «وابعث»، كقولك: بعثت بهديّتي أو كتابي زيداً، فيكون الظرف لغواً.

والبأس: الشدّة والقوّة، وبأس الله: شدّة عذابه، ومنه: «فجاءَها بأسُنا بياتاً أوْهُم قائلونَ»(١)، وهو المراد هنا.

وقوله عليه السّلام: «كفعلك» نعت لمصدر مؤكّد محذوف، أي: بعثاً مشبهاً بفعلك يوم بدر، وهو اليوم الذي أعزّ الله فيه الإسلام وأهله وقمع فيه الشرك محلّه.

وبدر: اسم ماء. يذكّر ولا يؤنّث، وهو على ثمانية وعشرين فرسخاً من المدينة في طريق مكة، كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فنُسب إليه، ثمّ غلب اسمه. وقيل: هي بئر حفرها رجل من غفار اسمه بدر بن قريش بن النضر بن كنانة فسميّت باسمه.

وحكى الواقدي إنكار ذلك عن غير واحد من شيوخ بني غفار، قالوا: إنّما هو من منازلنا ومياهنا وما ملكها أحد قط(٢) يقال له: بدر، وإنّما هو علم عليها كغيرها من البلاد. وقيل: سمّيت البئر به لصفائها واستدارتها، فكأنّ البدر يرى فيها.

وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنين من الهجرة، التقى رسول الله صلّى الله عليه وآله والمشركون من قريش، وقد أقبلوا من مكّة بخيلهم وخيلائهم يحادّون الله ورسوله، وهم ألف رجل، في سوابغ الحديد والعدّة الكاملة والخيول المسوّمة، وفيهم أبوجهل رئيس المشركين، ورسول الله صلّى الله عليه وآله في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه، عدد أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر يوم جالوت، وكان معهم فرسان، وقيل: ما كان معهم إلّا فرس واحد، فنصر

(١) سورة الأعراف: الآية ٤.

(٢) المصباح المنير: ص ٥٣٤.

....

اللهُ رسوله وأصحابه، وهزم الشرك وأحزابه؛ ولذلك قال الله تعالىٰ ممتناً على المسلمين: «ولقد نصرَكُم اللهُ بِبدرٍ وأنتم أذِلّةٌ»(١)، واتّفق أهل السِير والتفسير أنّه تعالىٰ أمدّ نبيّه صلّى الله عليه وآله والمسلمين بالملائكة يوم بدر، وأنّهم قاتلوا الكفّار (٢).

وعن ابن عبّاس: أنّه لم يقاتل الملائكة سوىٰ يوم بدر، وفيما سواه كانوا عدداً ومدداً، لايقاتلون ولا يضربون(٣).

ولعلّ هذا هوالسّر في تخصيصه عليه السّلام يوم بدر بالذِكر في الدعاء، مع كونه أعظم غزوات الاسلام، وبه كان بدء إذلال المشركين وإعزاز المسلمين.

وأمّا علىٰ القول بأنّ الإمداد بالملائكة لم يكن في سائر الحروب وإنّما كان في يوم بدر، فتخصيصه بالذِكر ظاهر.

واختلفوا في عدد المدد من الملائكة يوم بدر فقيل: كانوا ألفاً؛ لقوله تعالىٰ في سورة الأنفال: «فاستجابَ لَكم أنّي مُمِدّكُم بألفٍ مِن الملائكةِمُردِفين» (٤) وقيل: ثلاثة آلاف؛ لقوله تعالىٰ في سورة آل عمران: «إذ تقولُ للمؤمنينَ ألن يَكفِيَكم أن يُمِدّكم ربُّكم بثلاثةِ الافٍ مِن الملائكةِ مُنزَلينَ» (٥).

وقيل: كانوا خمسة آلاف؛ لقوله تعالى بعد الآية المذكورة: «بلىٰ إنْ تَصبروا وتتقوا ويأتوكُم من فوْرهم هذا يُمدِدْكم ربُّكم بخمسةِ آلافٍ مِن الملائكةِ مُسوِّمينَ»(٦)، وذلك أنّهم أُمدّوا أوّلاً بألف، ثمّ زِيد الفان فصاروا ثلاثة، ثمّ زيد

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

(٢) تفسير عليّ بن ابراهيم: ج١ ص٢٦٦، والتفسير الكبير: للفخرالرازي: ج٨ ص٢١٣.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٨ ص٢١٣.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٩.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٢٤.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٢٥.

....

ألفان فصاروا خمسة. وقيل: كانوا ثمانية آلاف، أُمدّوا أوّلاً بثلاثة، ثمّ أُمدّوا بخمسة فصاروا ثمانية. وقيل: كانوا تسعة آلاف باعتبار الألف الأوّل.

وقيل: إنّ الملائكة لم تقاتل في بدر ولا في غيره، وإنّما كانوا يُكثرون السواد، ويثبّتون المسلمين بإشعارهم بأنّ النصر لهم، ويُلقون الرعب في قلوب المشركين؛ وإلّا فلو قاتل واحد من الملائكة جميع البشر لم يثبتوا، ولاستأصلهم بأجمعهم ببعض قوّته؛ فإنّ جبرئيل رفع مدائن قوم لوط ـ كما جاء في الخبر على خافقة من جناحه حتّىٰ بلغ بها إلىٰ السماء، ثمّ قلبها فجعل عاليها سافلها(١)، فما عسى أن يبلغ قوّة ألف رجل من قريش، ليحتاج في مقاومتها وحربها إلى ألف من ملائكة السماء أو أكثر؟ مضافين إلىٰ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من بني آدم.

وأمّا قوله تعالىٰ: «فاضرِبوا فوقَ الأعناقِ واضرِبوا منهُم كُلَّ بَنانٍ»(٢) فأمر للمسلمين لا للملائكة.

ولقائل أن يقول: قد كان الله عزّوجلّ قادراً علىٰ تكثير سواد المسلمين في أعين المشركين، وأن يثبّت قلوبهم، ويلقي الرعب في قلوب المشركين، من غير حاجة إلى إنزال الملائكة. فإن قيل: لعلّ في إنزالهم لطفاً للمكلّفين، قلنا: ولعلّ في قتالهم ومحاربتهم لطفاً لهم أيضاً، فلاوجه لإنكار قتالهم.

وزاد أبوبكر الأصمّ علىٰ هذا القول، فأنكر إمداد الملائكة مطلقاً (٣) مع أنّ نصّ القرآن المجيد ناطق به، وأورد في ذلك شُبهاً لايليق بنا ذكرها، وهي ممّا وسوس بها الشيطان الرجيم في صدره، ونفث بها علىٰ لسانه، نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٢.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٨ ص ٢١٣.

....

هذا، وقد ورد في الأخبار ما يقرب من التواتر في إنزال الملائكة وقتالهم يوم بدر.

روىٰ عليّ بن ابراهيم في تفسيره: أنّ قريشاً لمّا أقبلت يوم بدر، رفع رسول الله صلّى الله عليه وآله يده إلىٰ السماء، فقال: يا ربّ إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، وإن شئت لا تعبد لا تعبد، ثمّ أصابه الغشي فسرىٰ عنه وهو يسلت العرق عن وجهه، وهو يقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألفٍ من الملائكة مردفين، فنظروا فإذا بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت علىٰ عسكر رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقائل يقول: أقدم حيزوم، أقدم حيزوم، وسمعوا قعقعة السلاح من الجوّ (١).

وروىٰ ثقة الإسلام بسنده عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: كانت علىٰ الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر (٢).

وحكىٰ الواقدي قال: كان أبو أُسيد الساعدي يحدّث عن رجل من بني غفار حدّثه، قال: أقبلت أنا وابن عمّ لي يوم بدر حتّىٰ صعدنا على جبل، ونحن يومئذٍ على الشرك ، ننظر الوقعة علىٰ من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب، إذ رأيت سحابة دنت منّا، فسمعت منها حمحمة الخيل وقعقعة الحديد، وسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم، فأمّا ابن عمّي فانكشف قناع قلبه فمات، وأمّا أنا فكدت أهلك ،فتماسكت واتبعت بصري حيث تذهب السحابة ، فجاءت إلىٰ النبيّ صلّى الله عليه وآله وأصحابه، ثمّ رجعت وليس فيها شيء ممّا كنت أسمع (٣).

قال الواقدي: وحدّثني عبدالرحمن بن الحارث عن أبيه عن جدّه عبيد بن أبي عبيد عن أبي رهم الغفاري عن ابن عمّه، قال: بينا أنا وابن عمّ لي علىٰ ماء، فلمّا

---

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٦٦.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ٤٦١ ح ٣ باب العمائم.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١٥٩.

....

رأينا قلّة من مع محمّد صلّى الله عليه وآله وكثرة قريش، قلنا: إذا التقت الفئتان عمدنا إلىٰ عسكر محمّد وأصحابه وانتهبنا، فانطلقنا نحو المجنبة اليسرىٰ من أصحاب محمّد ونحن نقول: هؤلاء ربع قريش، فبينا نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا، فرفعنا أبصارنا لها فسمعنا أصوات الرجال والسلاح، وسمعنا قائلاً يقول لفرسه: اقدم حيزوم، وسمعناهم يقولون: رويداً بتّام آخركم، فنزلوا علىٰ ميمنة رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ جاءت أُخرىٰ مثل تلك فكانت مع النبيّ صلّى الله عليه وآله، فنظرنا إلىٰ أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله وإذا هم علىٰ الضعف من قريش، فمات ابن عمّي، وأمّا أنا فتماسكت وأخبرت النبيّ صلّى الله عليه وآله بذلك وأسلمت (١).

وروىٰ عبيد بن عمير قال: لـمّا رجعت قريش من أُحد، جعلوا يتحدّثون في أنديتهم بما ظفروا، ويقولون: لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنّا نراهم يوم بدر (٢).

وروي عن سهيل بن عمرو قال: لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً علىٰ خيل بلق بين السماء والأرض معلّمين يقتلون ويأسرون (٣).

قال الواقدي: وكان أبو أُسيد الساعدي يحدّث بعد أن ذهب بصره، ويقول: لوكنت معكم الآن ببدر وكان معي بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجتْ منه الملائكة، لاأشكّ فيه ولا أمتري (٤).

وعن أبي رافع مولىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: كان أبو لهب قد تخلّف

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١٦٠.

(٢) تفسير روح المعاني: ج ٤ ص ٤٧

(٣) البداية والنهاية: ج ٣ ص ٢٨١.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١٥٩.

....

عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام، فلمّا قدم أبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطّلب، قال له أبولهب: هلّم إليّ يا ابن أخي فعندك الخبر، فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يابن أخي أخبرني كيف كان أمرالناس؟ فقال: لاشيء والله إن كنّا إلّا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلون ويأسرون، وأيم الله مع ذلك مالُمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً علىٰ خيل بلق بين السماء والأرض، ماتلبق شيئاً ولايقوم لها شيء قال أبورافع: فقلت: إنّ تلك الملائكة، فرفع أبولهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة (١).

وقال ابن الأنباري: كانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الآدميّين، فعلّمهم الله بقوله: «فاضرِبوا فوقَ الأعناقِ» أي: علىٰ الرؤوس، «واضربوا منهم كُلَّ بَنان»(٢).

قال ابن عطيّة: هو كلّ مفصل (٣).

قال السهيلي: جاء في التفسير: أنّه ما وقعت ضربة إلّا في رأس أو مفصل، وكانوا يعرفون قتلىٰ الملائكة من قتلاهم بآثار سود في الأعناق والبنان(٤).

وعن إمامة بن سهل بن حنيف قال: قال لي أبي: لقد رأيتنا يوم بدر، وإنّ أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف(٥).

وقال عكرمة: كان يومئذٍ يندر رأس الرجل لايُدرىٰ من ضربه (٦).

وروي: أنّ رجلاً من الأنصار اتّبع كافراً ليقتله، فقبل أن يصل إليه سمع صوتاً يقول: إقدم حيزوم، فرأىٰ الكافر الذي قدّامه وقع صريعاً، وقد شُقّ صدره وجُرح وجهه وانكسر أنفه، فجاء الأنصاري إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأخبره بمارآه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: صدقت فهو من مدد السماء (٧).

---

(١) مجمع البيان: ج ٣-٤: ص٥٢٨ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) و(٣) و(٤) تاريخ الخميس: ج ١ ص٣٨٣.

(٥) الدرالمنثور: ج ٣ ص ١٧١.

(٦) تاريخ الخميس: ج ١ ص٣٨٣.

(٧) تاريخ الخميس: ج ١ ص٣٨٣.

....

قال الواقدي: وكان عبدالرحمن بن عوف يقول: رأيت يوم بدر رجلين، أحدهما عن يمين النبيّ صلّى الله عليه وآله والآخر عن يساره، يقاتلان أشدّ القتال (١).

وروىٰ أبودبرة بن دينار قال: جئت يوم بدر بثلاثة أرؤس فوضعتها بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقلت يا رسول الله: أمّا اثنان فقتلتها، وأمّا الثالث فإنّي رأيت رجلاً طويلاً أبيض ضربه ضربة فتدهده أمامه فأخذت رأسه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ذاك فلان من الملائكة (٢)

قال الواقدي: وحدّثني موسىٰ بن محمّد عن أبيه قال: كان السائب بن أبي حبيش الأسدي يحدّث في زمن عمربن الخطّاب، فيقول: والله ماأسرني يوم بدر أحد من الناس، فيقال: فمَن؟ فيقول: لمّا انهزمت قريش انهزمت معها، فيدركني رجل أبيض طويل علىٰ فرس أبلق بين السماء والأرض فأوثقني رباطاً، وجاء عبدالرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً، وكان عبدالرحمن ينادي في العسكر: من أسر هذا؟ فليس أحديزعم أنّه أسرني، حتّىٰ انتهى بي إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال لي رسول الله: يابن أبي حبيش مَن أسرك ؟ قلت: لاأعرفه، وكرهت أن أُخبره بالذي رأيت، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله أسره ملك من الملائكة كريم، إذهب يابن عوف بأسيرك ، فذهب بي عبدالرحمن، قال السائب: ومازالت تلك الكلمة أحفظها، وتأخّرإسلامي، حتّىٰ كان منه ماكان (٣).

والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً، وإنكار كلّ ذلك ضعف في الدين ووهن في اليقين.

وجملة قوله عليه السّلام: «تقطع به دابرهم» في محلّ جرّعلىٰ أنّها صفة أُخرىٰ لـ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ١٦١.
(٢) البداية والنهاية: ج ٣ ص ٢٨١.
(٣) البداية والنهاية: ج ٣ ص ٢٨١.

....

«بأس»، ويجوز أن تكون في محلّ نصب علىٰ أنّها صفة أُخرىٰ لـ «جنداً» فالضمير في «به» علىٰ الأوّل راجع إلىٰ البأس، وعلىٰ الثاني عائد إلىٰ الجند. وقول بعضهم: إنّها في محلّ نصب علىٰ أنّها مفعول مطلق لـ «ابعث»، نائب مناب بعثاً الذي عادالضمير في «به» إليه، خبط صريح؛ فإن الجملة لا تقع مفعولاً مطلقاً إلّا في باب الحكاية بالقول أو مرادفه علىٰ رأي ابن الحاجب(١)، خلافاً للجمهور في نحو: «قال إنّي عبدالله» وقد تقدّم بيان ذلك في شرح السند.

ودابر القوم: آخرهم، قال الجوهري: قطع الله دابرهم أي: آخر من بقي منهم(٢).

وقال الأصمعي: الدابر: الأصل، يقال: قطع الله دابرهم أي: أصلهم (٣) .

وقال الزمخشري: الدابر: الآخر، فاعل من دبر: إذا أدبر، وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال بحيث لم يترك منهم أحد(٤).

وحصدت الزرع بالحاء والصاد المهملتين حصداً ـ من باب ضرب وقتل ـ: قطعته، فهو محصود وحصيد، وحصدهم بالسيف: استأصلهم، والشوكة: شدّة البأس والقوّة في السلاح، وقال الزّمخشري: الشوكة: الحِدّة، مستعارة من واحدة الشوك ، ويقال: شوك القناشباها (٥).

وهو حدّها، أي: تستأصل به حدّتهم وشدّة بأسهم وقوّتهم.

وفي نسخة: «تخضد به شوكتهم» بالخاء والضاد المعجمتين، من خضدت العود رطباً أو يابساً ـ من باب ضرب ـ أي: قطعته.

وفرّقت الشيء تفريقاً: بدّدته تبديداً.

والمراد بعددهم: مقدارما يعدّ منهم ومبلغه، والله أعلم.

---

(١) لم نعثرعليه.

(٢) الصحاح: ج٢ ص٦٥٣.

(٣) لسان العرب: ج ٤ ص٢٦٨.

(٤) و (٥) تفسير الكشاف: ج ٢ ص١٩٩.

أَللّـهُمَّ وَأَمْزُج مِياهَـهُمْ بالوَباءِ، وَأَطعِمَـتَهُمْ بِالأَدْواءِ، وَارْمِ بِلادَهُمْ بالخُسُوفِ، وَأَلِحَّ عَلَيْهاٰ بِالقُذُوفِ، وَافْرَعْهَا بِالمُحُولِ، وَاجْعَلْ مِيرَهُمْ في أَحَصِّ أَرْضِكَ وَأَبْعَدِها عَـنْهُمْ، وَامْنَعْ حُصُونَها مِنْهُمْ، أَصِبْهُمْ بِالجُوعِ المُقيمِ، والسقْمِ الأَليمِ.

مزجت الشيء بالشيء مزجا -من باب قتل-: خلطته، ومزاج الشراب: مايمزج به.

والمياه: جمع ماء؛ لأنّ أصله ماه، وقيل: مَوَه، تحرّكت الواو وانفتح ماقبلها فقلبت ألفاً، وقلبت الهاء همزة لاجتماعها مع الألف وهما حرفان حلقيّان، ووقوعها طرفاً، ولهذا يردّ إلىٰ أصله في الجمع والتصغير، فيقال: مياه ومويه، ويجمع علىٰ أمواه أيضاً مثل باب وأبواب، وربّما قالوا: مياء وأمواء بالهمز علىٰ لفظ الواحد(١)، كما وقع في نسخة ابن إدريس: «وامزج مياءهم».

والوباء بالهمزة يمدّ ويقصّر قيل: هو مرض عام، وقيل: موت ذريع، وقيل: هو الطاعون.

وقال الشيخ البصير في النزهة المبهجة: الوباء: حقيقته تغيّر الهواء بالطوارئ العلويّة كاجتماع كواكب ذات أشعّة، والسفليّة كالملاحم وانفتاح القبور وصعود أبخرة فاسدة، وأسبابه مع ماذكر تغيّر فصول الزمان والعناصر وانقلاب الكائنات، وعلاماته الحمّىٰ والجدري والنزلة والحكّة والأورام، ومنه الطاعون وهو قراح يقع غالباً في المراق السخيفة كخلف الأذن والإبط والمغابن(٢)، إنتهىٰ.

والأطعمة: جمع طعام، والمراد به هنا معناه العرفي، فإنّه في العرف اسم لما يؤكل، مثل الشراب اسم لما يُشرب، ويقع في اللغة علىٰ مايساغ حتّى الماء وذوق الشئ.

---

(١) وفي نسخة «الواو».

(٢) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

....

وفي التنزيل «ومَنْ لَمْ يَطعَمْهُ فإنَّهُ مِنّي»(١)، وقال عليه السّلام في زمزم: إنّها طعام طُعم(٢) بالضمّ أي: يشبع منه الإنسان.

والأدواء: جمع داء، وهو المرض.

قال الفيومي: وهو مصدر داء الرجل والعضو يداء من باب تعب(٣).

وخسف المكان خسفاً وخسوفاً -من باب ضرب-: غارفي الأرض، وخسَفه الله، يتعدّىٰ ولا يتعدّىٰ، قال تعالى: «فخَسَفْنا بِهِ وبِدارِهِ الأرْضَ»(٤).

ومعنىٰ رميها بالخسوف: أن يُخسف بها، كما يقال: رماه الله بالعلّة أي: أعلة، وأصله في الأعيان وفيما يكون ذا صلابة منها كالحجر والسهم والعصا، ثمّ استعمل في الأقوال والمعاني، فقيل: رماه بفاحشة، ورماه بداهية؛ إيذاناً بشدّة التأثير والإيلام، وهي استعارة تبعيّة. وخفي هذا المعنىٰ علىٰ بعض المترجمين، فظنّ أنّ الرمي لايستعمل إلّا في السهم، فقال: شبّه الخسوف بالسّهم فأثبت له الرمي، أي: ارم بلادهم بسهم الخسوف، وهو جهل منه بمصطلحات لغة العرب.

وألحّ الرجل علىٰ الشيء إلحاحاً: دام عليه ولزمه مواظباً.

والقذوف: جمع قذف، وهي الرمي بالحجارة.

وقال الطيّبي في شرح المشكاة في حديث: فإنّه يكون بها خسف في الأرض وقذف، أي: ريح شديد بارد، أو قذف الأرض الموتىٰ بعد الدفن، أو رمي بأمطار الأحجار(٥)، إنتهىٰ.

ومعنىٰ ألحّ عليها بالقذوف أي: اجعل القذوف عليها دائمة، مواظبة لها، لا تنقطع عنها.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

(٢) تهذيب الاسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١٣٩.

(٣) المصباح المنير: ص٢٧٨.

(٤) سورة القصص: الآية ٨١.

(٥) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

....

وفرعت رأسه بالسيف والعصا بالفاء والراء والعين المهملتين فرعاً ـ من باب نفع ـ: علوته ضرباً، والفرس باللجام: كبحته أي: جذبت لجامه ليقف.

والمحول: جمع محل، وهو الجدب وانقطاع المطر، والمراد بفرعها بالمحول: القضاء عليها بأنواع الجدب والقحط وانقطاع الأمطار.

وعبّر عن ذلك بالفرع علىٰ طريق الاستعارة التبعيّة، سواء أخذناه من فرع الرأس بالسيف، أو من فرع الفرس باللجام.

ووجه الشبه علىٰ الأوّل شدّة الإصابة؛ لأنّه أراد أن يلحق شدّة إصابة بلادهم بالمحول، بشدّة إصابة الرأس بالسيف والعصا، ويجعله مساوياً له ومحسوباً في عداده.

وعلىٰ الثاني: شدّة الكفّ والمنع، فيكون قد شبّه القضاء علىٰ بلادهم بمنعها عن الإنبات والخصب بالمحول، بقذع الفرس وكبحه عن المشي باللجام في شدّة الكفّ والمنع.

ولا يحسن جعل ذلك من باب الاستعارة المكنيّة؛ إذ لا يحسن ابتداء تشبيه البلاد بالرأس أو الفرس، ولا المحول بالسيف والعصا أو اللجام، نعم يلاحظ التشبيه في هذه الأُمور تبعاً لذلك التشبيه في مصدر الفعل، فيجب أن تكون الاستعارة هنا تبعيّة لا غير.

وفي نسخة ابن إدريس رحمه الله: «وأفرغها» علىٰ صيغة فعل الأمر، من الإفراغ بالغين المعجمة بمعنىٰ: الإخلاء، أي: اجعلها فارغة خالية من الزرع بسبب المحول.

والمير: جمع ميرة بالكسر، وهي الطعام الذي يجلب من بلد إلىٰ بلد.

والحصّ: في الأصل حلق الشعر، ومنه الحاصّة، وهو داء يتناثر منه شعر الرأس، ويقال: حصّت البيضة رأسه: إذا أذهبت شعره، وانحصّ شعره انحصاصاً أي: تناثر وذهب، ورجل أحصّ بين الحصص أي: قليل شعر الرأس، ثمّ استعير في الجدب وقلّة الخير وعدم النبات، وقيل: سنة حصّاء أي: جرداء مجدبة لا خير فيها، ومنه قوله

....

عليه السّلام: «في أحصّ أرضك» أي: أكثرها محصوصيّة علىٰ غير قياس، من حصّ الجدب الأرض: إذا أذهب نباتها، استعارة من حصّ الشعر كما ذكرنا.

واستعمال أفعل التفضيل في المفعول وإن كان غير قياس، إلّا أنّ المسموع منه كثير، نحو: أعذر وأشهر وألوم وأشغل، أي: أكثر معذوريّة ومشهوريّة وملوميّة ومشغوليّة، وقوعه في كلامه عليه السّلام لا يحتاج فيه إلىٰ السماع من غيره قطعاً؛ فإنّه عليه السّلام أفصح العرب في زمانه.

ويجوز أن يكون المعنى: أكثرها انحصاصاً، فيكون مبنيّاً للفاعل من انحصّ، علىٰ مانقل عن الأخفش والمبرّد، من جواز بناء أفعل التفضيل من جميع الثلاثي المزيد فيه كانفعل واستفعل ونحوهما قياساً، ويكون وقوعه في كلامه عليه السّلام حجة لهما.

وأبعد: أفعل التفضيل من بُعد الشيء بُعداً أي: شطّ ونأىٰ. والمعنىٰ اجعل ميرهم في أبعد أرضك منهم؛ حتّىٰ لايستميروها متىٰ شاؤوا ولا تتواتر عليهم.

وفي بعض النسخ: «وأبعدها» بفتح الهمزة وكسر العين وسكون الدال، علىٰ صيغة فعل الأمر من الإبعاد، فيكون الضمير فيه عائداً إلى ميرهم، أي: واجعل ميرهم بعيدة.

وأمنع: اسم تفضيل من مُنع الحصن مناعةً علىٰ وزن ضخُم ضخامةً. أي صار منيعاً.

والحصون: جمع حصن بالكسر، وهو كلّ موضع حصين لايوصل إلىٰ جوفه، أي: واجعل ميرهم في أشدّ حصون أرضك مناعةً، حتّىٰ لايقدروا علىٰ الوصول إليها.

وفي نسخة: «وامنع حصونها منهم» علىٰ صيغة فعل الأمر.

ومنع الحصون: من منعت الشيء: إذا حجرته عمّن يريده، ومنه: فلان يمنع

....

الجار أي: يحميه من أن يراد بسوء.

والضمير في «حصونها» علىٰ هذه النسخة عائد إلى الأرض، والمعنىٰ: وامنع حصون أرضك منهم كيلا يتحصّنوا بها، أو كيلا يقدروا علىٰ فتحها وأخذها.

وجملة قوله عليه السّلام: «أصبهم بالجوع المقيم» مؤكّدة لمعنىٰ ماقبلها؛ ولذلك جاء بها مفصولة من غير عاطف لكمال الاتّصال؛ إذ لا مغايرة تفتقر إلىٰ الربط بالعاطف.

والمراد بالجوع: الجدب والقحط مجازاً، من باب إطلاق المسبّب علىٰ السبب، أي: أصبهم بقحط يتسبّب عنه الجوع، ومنه قوله تعالىٰ: «لايَجِدُونَ نِكاحاً»(١) أي: مؤنة من مهر ونفقة ومالا بدّ للمتزوّج منه.

والمقيم: الدائم، من أقام بالمكان: دام، ومنه: «عذابٌ مُقيمٌ»(٢)، قال المفسّرون: أي: دائم ثابت لايزول ولا يحول.

والسقم بالضمّ والسكون وبفتحتين: المرض.

وقال الفيومي: سقم سقماً ـ من باب تعب ـ: طال مرضه، وسقم سقماً ـ من باب قرب ـ: مثله، فهو سقيم(٣).

والأليم قيل: فعيل بمعنىٰ مفعل بفتح العين لأنّه من ألم يؤلم إيلاماً فهو مؤلم، وألم هو ألماً ـ من باب تعب ـ فهو أليم، كما تقول: أوجعه يوجعه إيجاعاً فهو موجع، ووجع هو وجعاً فهو وجيع. وصف به السقم للمبالغة كما وصف الله به العذاب في قوله: «ولهُم عذابٌ أليم»(٤)، كما وصف الشاعر الضرب بالوجيع في قوله:

* تحية بينهم ضربٌ وجيعٌ *

---

(١) سورة النور: الآية ٣٣.
(٢) سورة المائدة: الآية ٣٧.
(٣) المصباح المنير: ص ٣٨١.
(٤) سورة النحل: الآية ٦٣.

أَلـلّٰـهُـمَّ وأَيُّـمـا غـازٍ غَـزاهُـمْ مِنْ أَهْـلِ مِلَّـتِكَ، أَوْ مُـجـاهِـدٍ جاهَـدَهُمْ مِنْ أَتباعِ سُنَّتِـكَ، لِيَكُونَ دينُـكَ الأَعْلـىٰ، وَحِزْبُكَ الاقْوىٰ، وَحَظُّـكَ الأَوفىٰ، فَلَقِّـهِ اليُسْرَ، وَهيِّ ءْ لَـهُ الأَمرَ، وَتَولَّـهُ بِالنجْحِ، وَتَـخَيَّرْ لَـهُ الأَصْحـابَ، واستَقْوِ لَهُ الظَـهْرِ، وَأَسْبِـغْ عَلَيْهِ فِـي الـنَفَـقَةِ، ومَـتِّعْهُ بـالنَشاطِ، وَأَطْفِ عَـنْـهُ حَرارَةَ الشَوْقِ، وَأَجِرْهُ مِـنْ غَـمِّ الوَحْشَةِ، وَأَنْسِهِ ذِكْرَ الأَهْلِ وَالولَـدِ، وَأْثُرْ لَـهُ حُسْـنَ النِّـيَّـةِ، وَتَولَّـهُ بِالعـافِيَـةِ، وَأَصْحِـبْهُ السَّـلامَةَ، وَأَعْـفِهِ مِـنَ الجُـبْـنِ، وَأَلهِـمْهُ الـجُرْأَةَ، وَارْزُقْـهُ الشِّدَّةَ، وَأَيِّدْهُ بِالنُصْرَةِ، وَعَلِّمْهُ السِيَرَ وَالسُنَنَ، وَسَدِّدهُ في الحُكْمِ، وَاعْزِلْ عَنْهُ الرِياءَ، وَخَلِّصْهُ مِنَ السُمْعَةِ، وَاجْعَلْ فِكرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ وَإِقامَتَهُ فيكَ وَلَك.

وهو علىٰ الإسناد المجازي نحو: جدّ جدّه؛ فإنّ الألم والوجع حقيقة للمولَم المضروب كما أنّ الجدّ للجادّ.

وقيل: هو فعيل بمعنىٰ مفعل بكسر العين، كالسميع بمعنىٰ المسمع والحريز بمعنىٰ المحرز وضعّف: بأنّ فعيلاً بمعنىٰ مفعلٍ لم يثبت في اللغة، وإن ورد فشاذّ لايقاس عليه، وسيأتي تمام الكلام علىٰ ذلك في الروضة السابعة والأربعين، في شرح دعائه عليه السّلام في يوم عرفة.

الواو: عاطفة للإشعار بأنّ مابعدها من تتمّة الدعاء الأوّل.

وأي: اسم شرط؛ بدليل الفاء الرابطة: في الجواب.

وما: مزيدة لتأكيد ابهام أي وشياعها، وقيل: نكرة؛ وغازٍ: بدل منها.

وارتفاع «أيّما» علىٰ الابتداء، واختلف في الخبر، فقيل: هو جملة الشرط؛ لعدم خلوّها من الضمير في حال، بخلاف جملة الجواب في نحو: أيّهم قام قمت، وكلمة الشرط إذا ارتفع علىٰ الابتداء فلا بدّ له من ضمير، فيتعيّن كون الخبر جملة الشرط دون جملة الجواب، وهو اختيار الأندلسي ومحقّقي المتأخّرين، وقيل: هو جملة الشرط

....

وجملة الجواب معاً؛ لصيرورتهما بسبب كلمة الشرطِ كالجملة الواحدة، وقيل: هو جملة الجواب فقط، وقيل: اسم الشرط مبتدأ لاخبرله.

وما وقع لبعض المبتدئين من أنّ «أيّ» من «أيّما» موصولة، وجملة «غزاهم» صلتها، والفاء في قوله: «فلقّه» رابطة؛ لشبه الشرط بشبه الجواب، غلط صريح؛ لأنّ «أيّما» الموصولة لا تضاف إلى نكرةٍ كما نصّ عليه الجمهور،وهي هنا مضافة إليها فتعيّن شرطيّتها.

وتجويز بعضهم إضافة الموصولة إلىٰ النكرة نحو: يعجبني أيّ رجل عندك، مردود بأنّها حينئذٍ نكرة، والموصولات معارف.

وقوله: «غزاهم وجاهدهم» أي: أراد غزوهم وجهادهم، من باب التعبير بالفعل عن إرادته مجازاً، نحو: «فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعِذ باللهِ»(١)، و«إذا قُمتُم إلى الصلاةِ فاغسِلوا وُجوهَكم»(٢)، وعلىٰ هذا فالمراد بالغازي والمجاهد مريد الغزو والجهاد مجازاً أيضاً، من باب تسمية الشيء باسم مايؤول إليه نحو«أراني أعصِرُ خَمراً»(٣).

والظرف من قوله: «من أهل ملّتك»: متعلّق بمحذوف وقع صفة لغازٍ، أي: كائن من أهل ملّتك.

والملّة بالكسر: ماشرع الله لعباده على ألسنة أنبيائه عليهم السّلام، وتستعمل في جملة الشرائع لافي آحادها، وقيل: الملّة والدّين يتّحدان بالذات ويختلفان بالاعتبار، فإنّ الشريعة من حيث يُجتمع عليها تسمّىٰ ملّة، ومن حيث إنّها يطاع بها تسمّىٰ ديناً.

وقوله: «أو مجاهد» معطوف علىٰ غازٍ، وإيثار «أو» الفارقة علىٰ الواو الجامعة؛

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٨. (٢) سورة المائدة: الآية ٦. (٣) سورة يوسف: الآية ٣٦.

....

للاحتراز عن توهّم اتّحاد الغازي والمجاهد؛ إذ كان المجاهد أعمّ من الغازي؛ لأنّ الغزو إنّما يكون في بلاد العدو والجهاد مطلق ، فكلّ غاز مجاهد دون العكس.

والجهاد لغة: قتال العدوّ، من جاهدته مجاهدةً وجهاداً: إذا حملت نفسك على المشقّة في قتاله، كذا قيل، والظاهر أنّ المفاعلة فيه على بابها؛ لأنّ كلّ واحد من الخصمين يجهد في الغلبة على صاحبه، وخُصّ في الشرع بقتال الكفّار ونحوهم في طاعة الله، وهو أقسام:

جهاد المشركين ابتداءً لدعائهم إلى الإسلام.

وجهاد من يدهم المسلمين من الكفّار، بحيث يخافون استيلاءهم على بلادهم وأخذ مالهم وماأشبهه، وإن قلّ.

وجهاد البغاة على الإمام. وجهاد من يريد قتل نفس محرّمة أو أخذ مال أوسبي حريم مطلقاً. والمراد به هنا القسمان الأوّلان.

والأتباع: جمع تبع بفتحتين.

قال الفيومي: المصلّي تبع لإمامه والناس تبع له، يكون واحداً وجمعاً، ويجوز جمعه على أتباع كسبب وأسباب(١)، إنتهى.

وهو في الأصل من تبع زيد عمرواً تبعاً ـ من باب تعب ـ: إذا مشى خلفه، ثمّ أُطلق على مطلق الائتمام بالشيء والاقتداء به فعلاً واعتقاداً، ومنه: تبع القرآن أي: ائتمّ به وعمل بمافيه، وهو المراد هنا.

وسنّة الله: طريقته التي أمر بسلوكها واتّباعها.

وقوله: «ليكون» ظرف لغو متعلّق بغزاهم وجاهدهم على سبيل التنازع.

والأعلى: اسم تفضيل من علا يعلو بمعنى: ارتفع.

---

(١) المصباح المنير: ص٩٩.

....

وقال الفارابي (١)والجوهري(٢): علا المكان يعلو علواً ـ من باب قعد ـ وعلا في الشرف يعلى عليًّ ـ من باب علم ـ والمراد به هنا: الارتفاع في الشرف والقدرة، أو هو من علا فلان فلاناً أي: غلبه وقهره، كقوله تعالى: «لاتَخَفْ إنّك أنتَ الأعلىٰ»(٣) أي: الغالب الظافر.

وتعريفه بلام الجنس لإفادة القصر، أي: ليكون التفضيل في العلوّ مقصوراً على دينك لايتجاوزه، وصورة التفضيل لمجرّد التأكيد؛ اذ لاعلوّ ولا فضل لغير دينه تعالى حقيقة.

والحزب بالكسر: الطائفة من الناس، وحزب الرجل: جنده وأصحابه الذين على رأيه، وحزب الله: أنصار دينه وعباده المتّقون. وهو اسم جمع لاواحد له من لفظه كالقوم والرهط، وإذا أُخبر عنه فقد يعتبر لفظه فيخبر عنه بالمفرد كعبارة الدعاء، وقد يعتبر معناه فيخبر عنه بالجمع كقوله تعالى: «فإنّ حزبَ اللهِ هُم الغالِبون»(٤).

والأقوىٰ: أفعل تفضيل من القوة، والمراد بها: كمال القدرة وشدّة الممانعة، ويقابلها الضعف.

والحظّ يطلق علىٰ معنيين: أحدهما: الجدّ بالفتح بمعنىٰ البخت والإقبال في الدنيا، وهو أحد الوجوه التي فسّر بها قوله تعالىٰ حكاية عن الجنّ: «وأنّهُ تعالىٰ جَدُّ ربِّنا»(٥).

قال الزمخشري: هو استعارة من الجدّ الذي هو الدولة والبخت؛ لأنّ الملوك والأغنياء هم المجدون (٦). والثاني: النصيب، وهو الحصّة، وكلّ من المعنيين يصحّ إرادته هنا. فالأوّل علىٰ الاستعارة كما علمت، والثاني علىٰ المجاز الذي

---

(١) لم نتحققه.
(٢) الصحاح للجوهري: ج٦، ص٢٤٣٤.
(٣) سورة طه: الآية ٦٨.
(٤) سورة المائدة: الآية ٥٦.
(٥) سورة الجن: الآية ٣.
(٦) تفسير الكشاف: ج ٤ ص٦٢٣.

....

يسمّى مجازاً مرسلاً، فيكون المراد: ما يختصّ به سبحانه من الأُمور الدينيّة؛ لكون النصيب لازماً لاختصاصه بصاحبه، ولاحاجة إلىٰ دعوىٰ الحذف والتقدير علىٰ أنّ المعنىٰ: وحظّ أوليائك، كما زعمه بعضهم.

والأوفىٰ: اسم تفضيل من وفىٰ الشيء يفي: إذ تمّ وكمل.

ولقّاه الشيء تلقية: أعطاه إيّاه، كأنّه جعله ملاقياً له.

وفي القاموس: لقّاه الشيء: ألقاه إليه (١).

ويسر الأمر يسراً ـ من باب قرب ـ: سهل فهو يسير، ويسّره الله فتيسّر أي: سهّل عليه أُموره، حتّىٰ لا يعسر ولا يشقّ عليه شيء منها.

وهيّأت الشيء: أعددته وأصلحته ورتّبته، وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء وهي صورته وشكله. والأمر: الحال، والمراد به: ما هو عليه من إرادة الغزو والجهاد، أو جميع أمره.

وتولّاه الله: كان له وليّاً أي: قائماً بأُموره.

والنجح: بالضمّ اسم من أنجح الله حاجته، إنجاحاً: قضاها، وأنجح الرجل أيضاً: قضيت له الحاجة، أي: كن له وليّاً بقضاء حاجاته.

وتخيّرت الشيء: اخترته وانتقيته، أي: قدّر له أن يصحب خير الأصحاب، وفي الحديث: تخيّروا لنطفكم. قال الزمخشري في الفائق: أي: تكلّفوا طلب ما هو خير المناكح وأزكاها، وأبعدها من الخبث والفجور(٢).

واستقويت الدابّة: طلبت أن تكون قويّة، كما يقال: استكرم الشيء أي: طلبه كريماً، وفلان يستفره الدوابّ: يطلبها(٣) فارهة أي: نشيطة خفيفة.

---

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص٣٨٦.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ج ١ ص٤٠٣.

(٣) «الف» يستقره... بطلبها.

....

والظهر: المركوب من الدوابّ، سميّ بذلك مجازاً، من باب تسمية الشيء باسم بعضه كالرقبة للإنسان، وخُصّ الظهر لأنّه موضع الركوب، وهو يطلق علىٰ الواحد من الدوابّ، ومنه حديث: دخل ابنه عبدالله وظهره في الدار(١)- أي: مركوبه- وهو يريد السفر للحجّ، وعلىٰ الجمع منها، ومنه حديث: أتأذن لنا في نحر ظهرنا(٢)، أي: ركابنا ورواحلنا.

والمعنىٰ: اطلب له الظهر القويّ أي: يسّر له راحلة قويّة، وماقيل: من أنّ معناه قوّ ظهره، أو كن له ظهيراً ومقوّياً، فيأباه الاستقواء.

وسبغت النعمة سبوغاً -من باب قعد-: اتّسعت، وأسبغها الله: وسّعها وأفاضها، أي: وسّع عليه في النفقة، ومنه حديث: أسبغوا لليتيم في النفقة(٣).

قال ابن الأثير: أي: انفقوا عليه جميع مايحتاج إليه، ووسّعوا عليه فيها(٤).

وفي: للظرفيّة المجازيّة، أي: أوقع الإسباغ في نفقته، كقوله تعالى: «وأَصْلِحْ لي في ذُرّيتي»(٥)، وقد سبق بيانه.

والنفقة بفتحتين: اسم من الإنفاق، وهو صرف الدراهم فيما يحتاج إليه.

ومتّعه الله بكذا تمتيعاً وأمتعه به إمتاعاً: أطال له الانتفاع به. ونشط في عمله ينشط -من باب تعب-: خفّ وأسرع، وهو نشيط.

وفي الأساس: رجل نشيط: طيّب النفس للعمل(٦).

وطفئت النار تطفأ بالهمزة -من باب تعب- طفوءً علىٰ فعول: خمدت، وأطفأتها إطفاءً: أخمدتها.

---

(١) صحيح البخاري: ج ٢ ص ١٩١ و١٩٢ باب ٧٦، مسند أحمدبن حنبل ج ٢ ص ٤.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص١٦٦.

(٣) و(٤) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص٣٣٨.

(٥) سورة الأحقاف: الآية ١٥. (٦) أساس البلاغة: ص٦٣٣.

....

والمروي في جميع نسخ الصحيفة الشريفة: «أطفِ» بدون همز، وهو علىٰ تخفيف الهمزة بإبدالها حرف علّة وإلحاق الكلمة بالمعتلّ؛ ولذلك حذفت الياء علامةً للجزم، وهي لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، وعليها قراءة أبي جعفر من العشرة: «يُريدونَ أَنْ يُطفؤا نورَالله بأفواهِهم»(١).

علىٰ وزن يعطوا، وأصله يطفئوا بهمزة مضمومة بعد الفاء ـ وهي قراءة ماعدا أبي جعفر ـ ، فأُبدلت الهمزة ياءً لمناسبتها كسرة ماقبلها، فاستثقلت الضمّة علىٰ الياء فحذفت، فالتقىٰ ساكنان: هي وواو الجمع، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين؛ الحاقاً لها بالمعتل الأصلي.

قال ابن النّحاس: إذا كان حرف العلّة بدلاً من همزة، جاز فيه وجهان: حذف حرف العلّة مع الجازم وبقاؤه، وهذان الوجهان مبنيّان علىٰ أنّ إبدال حرف العلّة، هل هو بدل قياسي أو غير قياسي؟ فإن قلنا: إنّه بدل قياسي ثبت حرف العلّة مع الجازم؛ لأنّه همزة كما كان قبل البدل، وإن قلنا: إنّه بدل غير قياسي صار حرف العلّة متمحّضاً وليس همزة، فيحذف كما يحذف حرف العلّة المحض في يغزو ويخشىٰ ويرمي(٢)، إنتهىٰ.

ولبعضهم تفصيل آخر في هذه المسألة، ذكرناه في شرح الصمدية فليرجع إليه(٣).

وما تكلّفه بعضهم من جعل «أطفِ» في عبارة الدعاء من طفا الشيء فوق الماء أي: لم يرسب فيه، أو من مرّ الظبي يطفو: إذا خفّ علىٰ الأرض واشتدّ عدْوه، أو من الطفاوة بمعنىٰ: الشيء اليسير، فهو من ضيق العطن والتعسّف الذي لايليق

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) الحدائق الندية: ص ٤٢٧.

....

بالمقام.

والشوق قيل: هو اهتياج القلب إلىٰ لقاء المحبوب، وقيل: وجدان لذّة المحبّة اللازم لفرط الإرادةً الممزوج بألم المفارقة.

والمراد بحرارته: إمّا كلفته وشدّته، استعارة من حرارة النار بجامع الإضرار المزعج، وإمّا الحرارة المنبعثة عن القلب بسببه؛ فإنّه موجب لحركة النفس المثيرة للحرارة الغريزيّة، فتنبعث منتشرةً لطلب الوصول إلىٰ المحبوب ولقائه، كما بيّن في محلّه.

والمراد بإطفائه تعالىٰ عنه حرارة الشوق: إلهامه الصبر علىٰ مفارقة من يحبّه ويشتاق إليه؛ لأنّ الشوق يحصل من أُمور ثلاثة: الشعور بكمال المطلوب، وعدم القدرة علىٰ الوصول إليه، وقلّة الصبر علىٰ المفارقة.

وأجاره: أمنه وحفظه.

والغمّ: مايلحق الإنسان بسبب مكروه نزل به، حتّىٰ كأنّه يغمىٰ عليه.

والوحشة: الخلوة والانفراد عمّن يأنس به.

وأنسِه ذِكر الأهل والولد أي: امح عن قلبه حضور أهله وولده بباله، حتّىٰ لاينكل عن الغزو والجهاد، أولا تفتر همّته عمّا نواه.

وأثرت الحديث أثراً ـ من باب قتل ـ: نقلته ورويته، ولمّا كان نقل الحديث وروايته يستلزم الإعلام به والإرشاد لمضمونه، عبّر عليه السّلام عن إرشاده إلىٰ حسن النيّة وإعلامه بها بنقلها وروايتها له.

ولاشكّ أنّ المراد برواية حسن النيّة: رواية فضائلها، وماورد فيها من التأكيد في إخلاصها والاعتناء بصدقها، فيكون قد شبّه الإعلام والإرشاد بالنقل والرواية في بيان تفاصيل فضلها، ثمّ أدخل الإعلام والإرشاد في جنس الأثر الذي هو بمعنىٰ الرواية بالتأويل المذكور، فاستعار له لفظ الأثر، ثم اشتقّ منه الفعل علىٰ طريق

....

الاستعارة التبعيّة.

والمعنىٰ: ألهمه وأرشده إلىٰ فضائل حسن النيّة، حتّى تحسن وتصدق نيّته في الغزو والجهاد وتخلص لله تعالىٰ.

وأمّا قول بعضهم: إنّ المعنىٰ: واخترله حسن النيّة، فلا يصحّ؛ لا تّفاق النسخ علىٰ ضبط «واثر» بوصل الهمزة وضمّ الثاء المثلّثة علىٰ وزن «اقتل»، ولوكان بمعنىٰ «إختر» لضُبط بقطع الهمزة ومدّها وكسر الثاء المثلّثة، علىٰ وزن «قاتِل» بصيغة الأمر، من أثره إيثاراً بمعنىٰ: اختاره.

وأصله «أأثر» بتحقيق الهمزتين من باب أكرم، فليّنت الهمزة الثانية استثقالاً لاجتماع الهمزتين، ولم يسمع أثره أثراً من باب قتل بمعنىٰ أأثره إيثاراً، فلا معدل عمّا ذكرناه.

وقوله: «بالعافية» أي: كن له وليّاً بإلباسه العافية، وهي دفاع الله عن العبد.

وأصحبته الشيء إصحاباً: جعلته له صاحباً، أي: واجعل السلامة، وهي الخلوص من الآفات، لازمة له لزوم الصاحب لصاحبه.

وأعفاه الله بمعنىٰ: عافاه.

قال الجوهري: عافاه الله وأعفاه بمعنىٰ والاسم العافية(١).

وفي القاموس: عافاه الله من المكروه معافاةً وعافيةً: وهب له العافية من العلل والبلايا كأعفاه(٢).

والجُبن بالضمّ وبضمّتين ـ: رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة، يقال: جبن جبناً ـ علىٰ وزن قرب قرباً ـ وجبانةً فهو جبان أي: ضعيف القلب.

وألهمه الله الخير: ألقاه في روعه.

---

(١) الصحاح: ج ٦ ص ٢٤٣٢.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٦٤.

....

والجرأة بالضمّ: الشجاعة، وهي صرامة القلب علىٰ الأهوال وربط الجأش في المخاوف، وهي فضيلة: بين التهوّر والجبن، فالتهوّر: هوالثبات المذموم في الأُمور المعطبة، والجبن: هوالفزع المذموم من الأُمور المعطبة.

وإنّما قدّم عليه السّلام سؤال عافيته من الجبن علىٰ سؤال إلهامه الجرأة؛ لأنّ التخلية مقدّمة على التحلية.

وارزقه الشدّة أي: اعطه القوّة في البدن والنفس؛ ليكون شديداً علىٰ الكفّار كما قال تعالى: «أشِدّاءُ علىٰ الكُفّارِ رُحماءُ بينَهم»(١).

وأيده الله تأييداً: قوّاه.

والنصرة بالضمّ: اسم من نصره علىٰ عدوّه نصراً ـ من باب قتل ـ: أعانه.

و في القاموس: النصرة: حسن المعونة(٢).

وعلّمه أي: وفّقه للتعليم بإعداده له بالفهم الثاقب، والسمع الواعي، والقلب المراعي، وتقييض للمعلم الناصح.

والتعليم حقيقة: عبارة عن فعل يترتّب عليه العلم غالباً؛ وتعليمه سبحانه لعباده يطلق علىٰ معنيين:

أحدهما: ما يكون بدون واسطة بشر، وذلك كحال الأنبياء، فإنّه يفيض عليهم العلوم والمعارف إمّا بواسطة ملك، أو بدونه بأن يلقي في روعهم، أو يخلق فيهم علماً ضروريّاً بما يريد تعليمهم إيّاه، ومنه: «وعلّم آدمَ الاسماءَ كلَّها»(٣)، و«ويُعلِّمهُ الكتابَ والحِكْمةَ»(٤)، و« عَلمّناه مِن لَدُنّا عِلْماً»(٥).

والثاني: مايكون بواسطة بشر، وذلك كحال سائرالناس، ومنه: «فاذكُروا اللهَ

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٢) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٤٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٨.

(٥) سورة الكهف: الآية ٦٥.

....

كَما عَلَّمَكُم مالم تَكُونوا تَعلَمُونَ»(١)، «ولا يأبَ كاتِبٌ أنْ يَكتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللهُ»(٢).

والسير: جمع سيرة، وهي في اللغة الطريقة، يقال: سار في الناس سيرة حسنة أو قبيحة.

والمراد بالسير هنا: أحكام الجهاد، ويستفاد منه أنّ تغليب اسم السير علىٰ أحكام الجهاد اصطلاح قديم وقع في الصدر الأوّل؛ فإنّ الفقهاء إذا أطلقوا السير أرادوا بها المغازي.

قال الفيومي: وغلب اسم السير في ألسنة الفقهاء علىٰ المغازي(٣)، إنتهىٰ.

ولذلك ترجم بعضهم كتاب الجهاد بكتاب السير(٤).

قال الرافعي: ترجموه بذلك لأنّ الأحكام المذكورة فيه متلقّاة من سير رسول الله صلّى الله عليه وآله في غزواته، ومقصودهم به الكلام في الجهاد وأحكامه(٥).

والسُنن: جمع سنة، والمراد بها: الطريقة المحمّدية فرضاً أو ندباً عملاً أو عقيدة، وقد تطلق السنن علىٰ المعلومات التي يتعلّق بها العمل.

قال الراغب: المعلوم العملي: مايجب أن يُعلم ثمّ يُعمل، ويسمّىٰ تارةً السُنن والسياسات، وتارةً الشرايع، وتارةً أحكام الشرع ومكارمه، وذلك حكم العبادات، وحكم المعاملات، وحكم المطاعم، وحكم المناكح، وحكم المزاجر(٦)، إنتهىٰ.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٣) المصباح المنير: ص٤٠٦.

(٤) تهذيب الاسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١٥٩.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١٥٩ نقلاً عن الرافعي.

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص١١١.

....

وسدّده أي: وفّقه للسداد، وهو الصواب في الحكم وهو القضاء.

وعزلت الشيء عن غيره عزلاً ـ من باب ضرب ـ: نحّيته عنه.

والرياء: مصدر راءاه مراءاة ورياء: إذا رأىٰ كلّ منهما الآخر، ثمّ غلب استعماله في القصد بالطاعة لأنْ يراه الناس، وذلك لأنّ المرائي لا يعمل إلا إذا رأىٰ الناس ورأوه، حتّىٰ إذا كان في موضع لا يرىٰ فيه أحداً ولا يراه أحد لم يعمل، فالمفاعلة في الرياء علىٰ بابها.

وقال الزمخشري: هي مفاعلة من الإرائة؛ لأنّ المرائي يُري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به(١)، إنتهىٰ.

وفيه نظر، فإنّ قولهم: وضع فاعَلَ لنسبة أصله - وهو مصدر فعله الثلاثي - إلى الفاعل متعلّقاً بغيره، مع أنّ الغير فعل مثل ذلك، وقولهم: إنّ فاعَلَ أصله فعل، زيدت بين الفاء والعين منه ألف، صريحٌ في أنّ المفاعلة لا تكون الّا من ثلاثي، فتأمّله، فإنّ أكثر المفسّرين تبعوا الزمخشري في ذلك، ولم يتنبّه أحد منهم لما ذكرناه.

وأمّا قول صاحب القاموس: رأيته مراءاةً ورئاءً: أريته علىٰ خلاف ما أنا عليه(٢)، فهو بيان لحاصل المعنىٰ لا بيان للمفاعلة.

فإن قلت: قد قالوا: عاطاه معاطاة أي أعطىٰ كلٌّ منهم الآخر، وهو رباعي، فكيف تصحّ دعوىٰ انحصار بناء المفاعلة من الثلاثي؟

قلت: ليس المعاطاة مفاعلة من أعطى، بل من عطى الثلاثي اللازم بمعنىٰ تناول، لكنّه لمّا نُقل إلىٰ فاعَلَ صار متعدّياً لأجل تعلّقه بالآخر، فهو مثل كارمنه من كرُم، وماشيته من مشىٰ.

قال العلاّمة الجاربردي في شرح الشافية: ولأجل تعلّق فاعَلَ بالأمر الآخر جاء

---

(١) الكشاف: ج ٤ ص ٨٠٥.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٣١.

....

غير المتعدّي إذا نقل إلىٰ فاعَلَ متعدّياً، نحو: كارمته؛ فإنّ أصله لازم وقد تعدّى هاهنا(١).

وخلّصت الشيء تخليصاً: ميّزته عن غيره.

والسمعة بالضمّ والفتح، يقال: فعل ذلك رياءً وسمعةً أي: ليراه الناس ويسمعوا به.

والمعنى: اصرف عنه وخلّصه من قصد الرياء والسمعة في عمله؛ ليكون خالصاً لله، فيستعدّ لتلقّي رحمته وقبول فضله، بالتوجّه إليه والانقطاع عمّا سواه.

وأمّا العامل للرياء والسمعة، أي: ليراه الناس ويسمعوا بحاله؛ كي يعود إليه منهم مايتوقّعه من مال أو جاه أو ثناء، ونحوه من الأغراض الباطلة والأعراض الزائلة، فهو محجوب عن قبول فضل الله تعالىٰ، مستوجب للخيبة والحرمان، من حيث التفات نفسه إلىٰ ماسواه تعالىٰ، وفي الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ أخوف ماأخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وماالشرك الأصغر يا رسول لله؟ قال: الرياء، يقول الله عزّوجلّ يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: إذهبوا إلىٰ الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم(٢)، وعنه صلّى الله عليه وآله قال: الرياء أخفىٰ من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء علىٰ المسح الأسود(٣)، وعن أميرالمؤمنين عليه السّلام: إعملوا في غير رياء ولا سمعة، فإنّ من عمل لغيرالله يكله الله إلىٰ من عمل له(٤).

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعملْ عملاً صالحاً ولايشرك بعبادةِ ربّه أحداً» قال: الرجل يعمل شيئاً من الثواب لايطلب به وجه الله، إنّما يطلب تزكية الناس، يشتهي أن يسمع به الناس،

---

(١) شرح الشافية: ص١٥ نقلا بالمعنى. (٣) تفسير الكشاف: ج ٤ ص٨٠٥.

(٢) الدرالمنثور: ج ٤ ص٢٥٦ ح. (٤) الكافي: ج ٢ ص٢٩٧ ح١٧ مع اختلاف يسيرفي العبارة.

فَإذا صافَّ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ في عَيْنِهِ، وَصَغِّرْشَأنَهُمْ في قلبِهِ، وَأدِلْ لَهُ مِنْهُمْ، وَلا تُدِلْهُمْ مِنْهُ، فَإنْ خَتَمْتَ لَهُ بِالسَّعادَةِ، وَقَضَيْتَ لَهُ

فهذا الذي أشرك بعبادة ربّه(١).

قال بعض العارفين: كنت لا أزال أجد من نفسي شوقاً زائداً ومنازعةً شديدةً إلىٰ الجهاد، وأن أُقتل في سبيل الله، فحمدت من نفسي ذلك، وقلت: إنّ الجهاد والقتل ليس من الأُمور التي يكون فيها حظّ للنفس، فأخذت في أُهبة الغزو، ثمّ اتّهمت نفسي وقلت: إنّها لا تدعوإلىٰ خيرأبداً،ولا بدّ لها في ذلك من دسيسة، فجعلت أتأمّل السبب الداعي لها إلىٰ ذلك، حتّىٰ وقفت علىٰ أنّها راغبة في أن يقال: قُتل فلان في سبيل الله ومات شهيداً، فخالفتها ورجعت عمّا نويت.

ومن هنا قال العلماء: اجتناب الرياء من أصعب الأُمور، إلّا علىٰ من راضَ نفسه وملّكها الإخلاص، ولا يحصل ذلك إلّا لمن أخذت يدالعناية بزمامه.

قوله عليه السّلام: «واجعل فكره وذِكره وظعنه وإقامته فيك ولك» الذِكر: حضور معنىٰ الشيءفي النفس، ثمّ يكون تارةً بالقلب وتارةً باللسان.

والفكر: تردّد القلب بالتدبّر لطلب المعاني، وقيل: هو ترتيب أُمور معلومة ليتوصّل بها إلىٰ أُمور مجهولة.

والظعن بفتحتين: اسم من ظعن ظعناً ـ من باب نفع ـ أي: ارتحل.

والإقامة: مصدر أقام بالمكان أي: مكث فيه.

وفيك ولك: أي كائناً في سبيلك ولأجل رضاك؛ حتّىٰ لايشوب شيئاً من أعماله غرض آخر، والله أعلم.

الفاء: للتفريع والترتيب.

وصافّ أي: قابل، مفاعلة من الصفّ، يقال: صافَفنا العدوّ في القتال أي:

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٩٣ ح ٤.

بالشَهادَةِ، فَبَعْدَ أنْ يَجْتاحَ عَدُوَّكَ بالقَتْلِ، وَبَعْدَ أنْ يَجْهَدَ بِهِمُ الأسْرُ، وَبَعْدَ أنْ تَأمَنَ أطْرافُ المُسْلِمينَ، وَبَعْدَ أنْ يُوَلِّيَ عَدُوُّكَ مُدْبرِينَ.

رتّبنا وقابلنا صفوفنا بصفوفهم، ومنه حديث: كان صلّى الله عليه وآله مصافّ العدوّ، أي: مقابلهم(١).

وعدوّك وعدوّه أي: المشركين، وصفهم أوّلا: بعداوة الله تعالىٰ لإثباتهم الشرك به وإبطال كلمته، وثانياً: بعداوة المسلم لإظهار عداوته وقصدهم لمحاربته وهلاكه، كما قال تعالى: «تُرهِبونَ به عَدوَّالله وعدُوَّكُم»(٢).

وتقليلهم في عينه: بأن يراهم قليلاً؛ ليقوىٰ قلبه علىٰ محاربتهم ولا يهابهم، وإنّما يُتصوّر ذلك بصدّ الله تعالىٰ العين عن رؤية بعض دون بعض مع التساوي في الشروط، لأنّ الرؤية وسائر الإدراكات بمحض خلق الله تعالىٰ لاتجب عند تحقّق ما يجعله الفلاسفة شرطاً، ولا تمتنع عند فقد بعضها، وقد فعل تعالىٰ ذلك يوم بدر، فقلّل المشركين في أعين المسلمين تثبيطاً لهم، حتّىٰ قال ابن مسعود لمن إلىٰ جنبه: أتراهم سبعين؟ فقال: أراهم مائة، قال: فأسرنا منهم رجلاً فقلنا له: كم كنتم؟ فقال: ألفاً(٣).

وقلّل المسلمين في أعين المشركين ليجترؤوا عليهم ولا يستعدّوا لهم، حتّىٰ قال أبوجهل: إنّ محمّداً وأصحابه أكلة جزور، وذلك حيث يقول عزّ من قائل في محكم كتابه: «وإذْ يُريكُموهم إذ التَقَيْتُم في أعْيُنِكُمْ قليلاً، ويُقلِّلُكم في أعيُنِهم ليَقْضِيَ الله أمراً كان مفْعولاً»(٤).

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: بأيّ طريق يبصرون الكثير قليلاً؟ قلت: بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر، أو يحدث في عيونهم ما يستقلّون له الكثير، كما أحدث في أعين الحول مايرون له الواحد اثنين.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٣٧-٣٨.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ج ٨ ص ٢٢.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٤٤.

....

قيل لبعضهم: إنّ الأحول يرىٰ الواحد اثنين، وكان بين يديه ديك واحد، فقال: مالي لا أرىٰ هذين الديكين أربعة؟(١) إنتهىٰ.

وصغّر شأنهم في قلبه أي: حقّره وأذهب مهابته، من الصغار بالفتح: وهو الحقارة والذلّ والمهانة، لا من الصغر كعنب: وهو خلاف العظم في الجرم.

وشأنهم بهمز العين: أي أمرهم وحالهم، وهو ما هم عليه من شدّة البأس وقوّة الشوكة وكثرة العدد والعُدد، حتّىٰ لا يصدّه الالتفات إلى شيء من ذلك عن الإقدام عليهم.

وأدل له منهم ولا تدلهم منه أي: اجعل الكرّة والنصر والغلبة له عليهم، ولا تجعل الكرّة والنصر والغلبة لهم عليه.

قال الزمخشري: أدال الله بني فلان من عدوّهم: جعل الكرّة لهم عليه(٢)، ومجازه: نزع الدولة من عدوّهم وآتاهم إيّاها.

وقال ابن الأثير: في الحديث: ثقيف ندال عليهم ويدالون علينا، الإدالة: الغلبة، يقال: أُديل لنا علىٰ أعدائنا أي: نصرنا عليهم، ومنه حديث أبي سفيان وهرقل: ندال عليه ويدال علينا، أي: نغلبه مرّة ويغلبنا أُخرىٰ (٣)

وإنّما عدّىٰ أدل في الأوّل باللام، مع أنّ أصله يتعدّىٰ بنفسه، كما وقع في قوله «ولا تدلهم»؛ لتضمينه معنىٰ الانتصار، أي: وانتصر له مديلاً منهم.

وفائدة ذلك تأكيد الإدالة للغازي والمجاهد؛ لأنّ فائدة التضمين أن يدلّ بكلمة واحدة علىٰ معنىٰ كلمتين؛ ولذلك لم يأت باللام في قوله: «ولا تدلهم منه»، بل جاء به علىٰ أصله.

يدلّك علىٰ هذا قول الزمخشري: الفرق بين سمعت فلاناً يتحدّث وسمعت إليه

---

(١) الكشاف: ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢) الأساس: ص ١٩٨.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ١٤١.

....

يتحدّث، أنّ المعدّى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدّى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك (١).

وأمّا قول بعضهم: إنّ اللام في «أدل له» لتقوية العامل، فلا يعوّل عليه؛ لأنّ لام التقوية إنّما تزاد لتقوية عامل ضعيف، إمّا بتأخره نحو: «إنْ كنتُم للرُّؤيا تَعْبُرونَ» (٢)، أو بكونه فرعاً في العمل نحو: «مُصَدِّقاً لِما مَعَهُم» (٣)، وأمّا العامل القوي فلا يؤتى بها معه إلّا شاذّاً نادراً، نحو:

* ولا الله يعطي للعصاة مناها *

وتخريج كلام المعصوم عليه السّلام على الشاذ النادر لاوجه له.

قول عليه السّلام: «فإن ختمت له بالسعادة» أي: ختمت له حياته بالسعادة، وإنّما حذف المفعول لتعيّنه، ولأنّ الغرض هو ذكر المختوم به. والمراد بالسعادة: الشهادة، كما يفسّره قوله بعده: «وقضيت له بالشهادة»، وسمّى الشهادة سعادة مجازاً من باب تسمية الشيء باسم سببه؛ لأنّ الشهادة سبب لحصول السعادة المطلقة التي هي حسن الحياة في الآخرة، وهو أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وعلم بلا جهل، وقدرة بلا عجز، وغنى بلا فقر، وإيّاها قصد تعالى بقوله: «وأمّا الذينَ سُعِدوا فِفي الجَنَّةِ خالدينَ فيها ما دامتِ السمٰواتُ والأرضُ إلّا ما شاءَ ربُّكَ عَطاءً غيرَ مَجْذوذ» (٤).

وقوله عليه السّلام: «ختمت» أي: أردت الختم؛ بقرينة جواب الشرط، وهو من باب إطلاق ما وضع للمسبب على السبب؛ لكون الختم مسبّباً عن إرادته.

قال السيّد الشريف: والتعبير بالفعل عن إرادته نوع كثير الموارد شائع

---

(١) الكشاف: ج ٤ ص ٣٦.

(٢) سورة يوسف: الآية ٤٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٩١.

(٤) سورة هود: الآية ١٠٨.

....

الاستعمال (١).

قال ابن هشام: وأكثر مايكون ذلك بعد أداة الشرط، نحو: «وإنْ حكمتَ فاحكُم بينَهم بالقِسطِ»، «وإنْ عاقبْتُم فعاقِبوا بمِثلِ ما عوقِبتُمْ بهِ» (٢)، وأمثلته كثيرة.

قوله عليه السّلام: «وقضيت له بالشهادة» أي: حكمت، أو أمضيت الحكم، أو أتممت وأكملت له عمره؛ فإنّ القضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى امضاء الحكم وبمعنى الاتمام والاكمال.

والشهادة: القتل في سبيل الله تعالى، سمّي شهادة لأنّ الله تعالى شهد لصاحبه بالجنّة أو لأنّ ملائكة الرحمة شهدت نقل روحه إلى الجنّة، أو لأنّه شُهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله، أو لأنّ عليه شاهداً يشهد بكونه شهيداً وهو الدم؛ فإنّه يُبعث يوم القيامة وأوداجه تشخب دماً، وقيل غيرذلك، وقد تقدّم في آخر الروضة الأُولى.

قوله عليه السّلام: «فبعد أن يجتاح عدوّك بالقتل» الفاء: رابطة لجواب الشرط، والظرف متعلّق بمحذوف أي: فليكن ذلك من الختم له بالسعادة والقضاء له بالشهادة بعد أن يجتاح عدوّك أي: يهلك عدوّك ويستأصله بالقتل.

قال ابن الأثير في النهاية: في الحديث: إنّ أبي يريد أن يجتاح مالي، أي: يستأصله ويأتي عليه أخذاً وإنفاقاً، وهو افتعال من الجائحة، وهي آفة تهلك الأموال والثمار، وكلّ مصيبة عظيمة، وفتنة مبيرةٍ جائحةٌ (٣).

وقال الزمخشري في الفائق: الجائحة: اسم فاعل من جاحته تجوحه: إذا استأصلته، وهي المصيبة العظيمة في المال التي تهلكه(٤).

وينبغي أن يؤوّل قوله عليه السّلام: «بعد أن يجتاح عدوّك»، إمّا بحمل الاجتياح على مشارفته، أي: بعد أن يشارف أن يجتاح عدوّك، والتعبير بالفعل

(١) لم نعثر عليه.

(٢) مغني اللبيب: ص٩٠٣.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٣١١.

(٤) الفائق في غريب الحديث ج ١ ص ٢٤٢.

....

عن مشارفته شائع الاستعمال، ومنه: «وليخش الذينَ لوتَركوا مِنْ خَلْفِهم»(١) أي: لوشارفوا أن يتركوا، وإمّا بحمل العدوّ علىٰ أكثرهم؛ ليكون منهم مَن قضيت الشهادة للغازي أو المجاهد علىٰ يديه، وإلّا إذا حمل علىٰ ظاهره من الاجتياح بمعنىٰ الاستئصال لجميعهم حقيقةً تعذّرت الشهادة؛ لأنّ المراد بها في هذا المصافّ، ولا يتصوّر ذلك مع استئصال العدوّ.

وإن فسّرنا الاجتياح بالإصابة بعظيم المكروه، كما قال أبوسليمان الخطابي: إجتاحهم الزمان: إذا أصابهم بمكروه عظيم(٢)، فلا حاجة إلىٰ التأويل؛ إذ هوأعمّ من الاستئصال.

قوله عليه السّلام: «وبعد أنّ يجهد بهم الأسر» قيل: الواو هنا بمعنىٰ أو، كما يدلّ عليه سياق الكلام. ولا حاجة إلىٰ ذلك؛ لأنّ الواو قد تَعطف الشيء علىٰ لاحقه، فيجوز أن يكون الأسر قبل القتل والقتل لاحق به، وقدّمه في الذكر للاعتناء والاهتمام بوقوعه.

وأمّا البعديّة فهي متعلّقة بالختم والقضاء كالأُولىٰ، لا بالاجتياح حتّىٰ يكون مفادها الترتيب.

وجهده الأمر والمرض جهداً -من باب نفع-: بلغ منه المشقّة.

والباء في قوله: «بهم»: إمّا زائدة في المفعول نحو: «فليَمْدُدْ بِسبَبٍ إلىٰ السماءِ»(٣)، وإمّا لتضمين الجهد معنىٰ الإضرار.

والأسر: الأخذ بالقهر، وأصله الشدّ يقال: أسره أسراً -من باب ضرب-: إذا شدّه بالإسار ككتاب، وهو القدّ الذي يشدّ ويوثق به الأسير.

وفي نسخة ابن إدريس: «وبعد أن يديخهم الأسر» وضُبط بسكون الياء المثنّاة

---

(١) سورة النساء: الآية ٩.

(٢) تهذيب الأسماء: الجزء الأوّل القسم الثاني ص٥٧ نقلاً عنه.

(٣) سورة الحج: الآية ١٥.

....

قبل الخاء المعجمة من باب الإفعال، وبتشديدها من باب التفعيل، وكلاهما بمعنى يذللّهم ويقرهم، من داخ أي: ذلّ وخضع.

قال ابن الأثير: في الحديث: أداخ العرب ودان له الناس: أي: أذلّهم. من داخ أي: ذلّ وأدخته أنا(١).

وفيه: فتح الكفرة وديّخها، أي: أذلّها وقهرها، يقال: ديّخ ودوّخ بمعنىٰ واحد، ومنه حديث الدعاء: بعد أن يديّخهم الأسر، وبعضهم يرويه بالذال المعجمة، وهي لغة شاذّة (٢)إنتهىٰ كلام ابن الأثير.

وفي القاموس: داخ: ذلّ، والبلاد: قهرها واستولىٰ علىٰ أهلها، كدوّخها وديّخها (٣).

قوله عليه السّلام: «وبعد أنّ تأمن أطراف المسلمين» الأطراف: جمع طرف بفتحتين، وهو هنا إمّا بمعنىٰ الطائفة أي: طوائف المسلمين، ومنه قوله تعالىٰ: «لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الذينَ كَفروا»(٤) أي: طائفة منهم، قيل: شبّه من قُتل منهم بطرفٍ يُقطع من البَدن، وفي الحديث: فمال طرف من المشركين علىٰ النبيّ صلّى الله عليه وآله، أي: قطعة عظيمة منهم (٥) .

وإمّا بمعنىٰ الناحية، فيكون على حذف مضاف أي: أطراف بلاد المسلمين.

قال في الأساس: تفرّقوا في أطراف الأرض أي: نواحيها (٦).

واسناد الأمن إليها حينئذٍ مجاز حكمي، والمعنىٰ: بعد أن يأمن أهل النواحي من بلاد المسلمين.

قوله عليه السّلام: «وبعد أن يولّي عدوّك مدبرين» ولىٰ وتولىٰ: انصرف

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص١٣٨، وفيه: أنا فداخ.

(٢) النهاية لابن الأثير ج ٢ ص١٤٧.

(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص٢٥٩.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٢٧.

(٥) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص١١٩.

(٦) أساس البلاغة: ص٣٨٨.

أَللّهُمَّ وَأَيُّما مُسْلِمٍ خَلَفَ غازِياً أَوْ مُرابِطاً في دارِهِ، أَوْ تَعَهَّدَ خالِفيهِ في غَيْبَتِهِ، أَوْ أَعانَهُ بِطائِفَةٍ مِنْ مالِهِ، أَوْ أَمَدَّهُ بِعَتادٍ، أَوْ شَحَذَهُ عَلىٰ جِهادٍ، أَوْ أَتْبَعَهُ في وَجْهِهِ دَعْوَةً، أَوْرَعىٰ لَهُ مِنْ وَرائِهِ حُرْمَةً، فَأَجْرْ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ وَزْناً بِوَزْنٍ، وَمِثْلاً بِمِثْلٍ، وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حاضِراً، يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ ما قَدَّمَ، وَسُرورَ ماأَتىٰ بِهِ، إِلىٰ أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الوَقْتُ إِلىٰ ما أَجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَعْدَدْتَ لَهُ مِنْ كَرامَتِكَ.

ذاهباً، وقيل: ذهب هارباً.

وأدبر بمعنى: ولّىٰ، واشتقاقه من الدبر بالضمّ وبضمّتين، وهو من كلّ شيء عقبه ومؤخّره؛ لأنّه إذا أدبر عن الشيء فقد جعله عقبه.

ومدبرين: حال مؤكّدة لعاملها معنًى؛ لأنّ الإدبار والتولية بمعنى، وإنّما يقال: ولّىٰ مدبراً: إذا انهزم ومنه قوله تعالى: «ولّىٰ مُدبراً»(١) أي: ذهب منهزماً؛ لأنّ تولية الدبر كناية عن الانهزام.

قال الفيومي: ولّاه دبره كناية عن الهزيمة(٢).

وقال بعضهم: ولايقال: ولّىٰ مدبراً إلّا إذا رجع إلىٰ ورائه، حتّىٰ لوانهزم يميناً أو شمالاً لايقال: إنّه ولّىٰ مدبراً. وهذا هو الصحيح الذي يقتضيه معنىٰ الإدبار، والله أعلم.

خلف فلان فلاناً ـ من باب قتل ـ خلافةً: إذا صار خليفته، يقال: خلفه في قومه: إذا أقام بعده فيهم وقام عنه بما يفعله، ومنه قوله تعالى: وقالَ مُوسىٰ لأخيهِ هارون اخلُفْني في قَومي» (٣) أي: كن خليفتي والقائم مقامي.

وفي نسخة ابن إدريس: «خلّف» بالتشديد، وكأنّه للمبالغة في المخفّف، كقتله

---

(١) سورة النمل: الآية ١٠. (٢) المصباح المنير: ص٢٥٦. (٣) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

....

قتلاً وقتّله تقتيلاً. وأمّا حمله علىٰ معنىٰ تركه بعده، فلا وجه له.

والمُرابط: اسم فاعل منْ رابط مرابطةً ورباطاً ـ من باب قاتل ـ: إذا لازم ثغر العدوّ، وأصله من الربط وهو الشدّ؛ لأنّ كلاً من الفريقين يربطون خيولهم في ثغرهم، وكلّ معدّ لصاحبه فسمّي ملازمة الثغر رباطاً ومرابطةً.

وتعهّدت الشيء: تردّدت إليه وأصلحته، وحقيقته تجديد العهد به، وتعهّدته: حفظته.

قال ابن فارس: ولايقال: تعاهدته؛ لأنّ التفاعل لايكون إلّا عن اثنين(١).

وقال صاحب المحكم: تعهّد الشيء وتعاهده واعتهده: تفقّده وأحدث العهد به(٢).

وقال الفارابي: تعهّدته أفصح من تعاهدته(٣).

وخالفيه: جمع خالف، من خلف عن أصحابه أي: تخلّف يريد من أقام بعده من أهله وتخلّف عنه.

وقد اتّفقت نسخ الصحيفة الشريفة علىٰ ضبط خالفيه بالياء المثنّاة من تحت، علىٰ أنّه جمع مذكّر سالم لخالف، حذفت النون للإضافة.

وفي نهاية ابن الأثير: أيّما مسلم خلف غازياً في خالفته(٤)، بالتاء المثنّاة من فوق، وهو بمعنىٰ الخالف المذكور أوّلاً، والتاء فيه للمبالغة مثلها في الخليفة.

وإنّما نبّهنا على ذلك؛ لئلاّ يتوهّم متوهّم أنّ إحدىٰ اللفظين تصحيف من الآخر.

والطائفة: القطعة من الشيء.

والعتاد بالفتح: ما أعدّه الرجل من السلاح والدوابّ أو آلة الحرب.

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ج ٤ ص ١٦٩.

(٢) المحكم في اللغة: ج ١ ص ٦٣.

(٣) ديوان الأدب: ج ٢ ص ٤٤٣.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٦٩.

....

وفي الأساس: هو عتاد لكذا أي: عُدّة(١).

وشحذته علىٰ كذا: حملته علىٰ ارتكابه وسقته إليه، وأصله من شحذت السكّين شحذاً ـ من باب نفع ـ أي: أحدَدتها.

وفي القاموس: الشحذ: السوق الشديد والإلحاح في السؤال (٢).

ومعنىٰ شحذه على الجهاد: إمضاء همّته وتأكيد عزيمته عليه، إمّا يقول كترغيبه له فيه بذكر ما فيه من عظيم الأجر والثواب، أو بفعل كقطع عوائقه والقيام له بما يحتاج إليه.

وأتبعته الشيء: جعلته له تابعاً، وألحقته به.

والوجه: الجهة وما يتوجّه إليه الإنسان من عمل وغيره، أي: في جهته وناحيته التي توجّه إليها واستقبلها، أو في مقصده الذي توجّه إليه.

والدعوة بالفتح: المرّة من الدعاء.

ورعيت أمره: حفظته.

والحرمة بالضمّ: ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه.

وفي القاموس: الحرمة: مالا يحلّ انتهاكه (٣).

ومن ورائِه: أي من خلفه.

وأجريت الشيء: جعلته جارياً.

وفي الأساس: ومن المجاز: أجرىٰ له ألف دينار، وأجرىٰ عليهم الرزق(٤).

وفي نسخة ابن إدريس: «وأجر» بوصل الهمزة وضمّ الجيم، من أجره الله أجراً من ـ باب قتل ـ أي: أثابه، ويقال: أجره يأجره بالكسر من باب ضرب أيضاً، وآجره بالمدّ يوجره لغة ثالثة.

---

(١) أساس البلاغة: ص٤٠٨.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٥٤.

(٣) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٩٤.

(٤) أساس البلاغة: ص ٩١.

....

وعدّاه باللام لتضمينه معنىٰ أوجب.

والأجر: الجزاء علىٰ العمل.

ووزن الشيء: مقداره في الخفّة والثقل، وانتصاب «وزناً» على الحال من المضاف والمضاف إليه من قوله: «مثل أجره»، وبوزن: بيان لوزن. قال سيبويه: كما كان لك في «سقياً لك» بياناً أيضاً، وهذا جارٍ في الأمثلة التي فيها المجرور(١)، إنتهىٰ.

قال ابن هشام: فيتعلّق بمحذوف استؤنف للتبيين(٢)، انتهىٰ.

والتقدير: هو بوزنٍ، فيكون ظرفاً مستقراً متعلّقاً بمحذوف، أي: هو كائن بوزنٍ؛ إذ لا يطلق الاستئناف إلّا في الجمل، وفيه معنىٰ المفاعلة أي: متساويين في الوزن، كقولهم: بعته يداً بيدٍ أي: متقابضين، وأخذته رأساً برأس أي: متماثلين.

قال بعض المحقّقين: وتحريره: أنّ الأصل في هذه الأمثلة أن يكون المنصوب منها مرفوعاً علىٰ الابتداء باعتبار مضاف، أي: ذو وزنٍ بذي وزنٍ، وذو يدٍ بذي يدٍ، أي: المقدار بالمقدار والنقد بالنقد، ثمّ لـمّا كان ذلك في معنىٰ متساويين ومتقابضين، انمحىٰ عنه معنىٰ الجملة لما فُهم منه معنىٰ المفرد، فلمّا قامت الجملة مقام المفرد في تأدية معناه، أُعرب ما قبل الإعراب منها وهو الجزء الأوّل إعراب المفرد الذي قامت مقامه، إنتهىٰ. وقس علىٰ ذلك.

قوله عليه السّلام «ومثلاً بمثل» وهو من عطف العام علىٰ الخاص؛ فإنّ المثل بمعنىٰ الشبيه، وهو أعمّ من أن يكون شبيهاً في الكمّ أو الكيف أو غير ذلك، والوزن خاصّ بالكمّ، وكلّ من هاتين الحالين مؤكدة لصاحبها في التماثل.

وعوّضت زيداً بالتشديد: أعطيته العوض، وهو البدل.

---

(١) كتاب سيبويه: ج ١ ص١٨٨.

(٢) مغني اللبيب: ص ٢٩٢.

....

و «من» في قوله: «من فعله»: بدليّة أي: بدل فعله.

وعوضاً: إمّا مصدر، أو اسم مصدر، أو اسم عين، وعلىٰ الأُولين يتعيّن نصبه علىٰ المفعوليّة المطلقة، وعلى الثالث يحتمل ذلك نحو: «واللهُ أنبتكُم منَ الأرضِ نباتاً»(١)، ويحتمل أن يكون مفعولاً ثانياً لعوّضه، كقوله: عوّض زيداً من درهمه ديناراً.

ويتعجّل به أي: يأخذه بسرعة، يقال: عجّلت إليه المال فتعجّله، أي: أسرعت إليه بحضوره فأخذه بسرعة، والجملة صفة ثانية لـ «عوضاً».

وفي نسخة ابن إدريس: «يتعجّل» بالجزم علىٰ أنه جواب شرط محذوف دلّ عليه الطلب، أي: إن تعوّضه يتعجّل.

ونفعه الشيء نفعاً: إذا حصل له التوصّل به إلىٰ المطلوب.

وقدّم زيد خيراً أي: عمل عملاً صالحاً يثاب عليه في الآخرة التي هي قدّامه، ومنه قوله تعالى: «وما تُقَدِّموا لأنْفُسِكُمْ منْ خَيرٍ تَجدوهُ عِندَالله»(٢).

وسرّه الشيء يسرّه بالضمّ سروراً: أفرحه.

وقال الراغب: السرور: انشراح الصدر بلذّة فيها طمأنينة النفس عاجلاً وآجلاً، والفرح: انشراح الصدر بلذّة عاجلة غير آجلة(٣).

وأتىٰ بالحسنة: جاء بها وعملها أي: نفع ما أسلفه من الإحسان وعمله من الخير مع الغازي.

وانتهىٰ به إلىٰ كذا: وصل به إليه ولم يتجاوزه كأنّه بلغ به النهاية، وهي أقصىٰ مايمكن أن يبلغه.

(١) سورة نوح: الآية ١٧.

(٢) سورة المزمّل: الآية ٢٠.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص١٧٦.

....

والوقت: مقدار من الزمان مفروض لأمرٍ ما، والمراد به هنا: مدّة حياته المفروضة لبقائه في الدنيا.

وأجريت له: جعلته جارياً أي: داراً متصلاً لاينقطع، وذلك غير حاصل في الحال، فالمراد: أنّه حكم له بحصوله وإجرائه، وحكم الله بالحصول كنفس الحصول.

وأعددت له أي: هيّأته له.

تنبيهان

الأوّل: يستفاد من قوله عليه السّلام: «وعوّضه من فعله عوضاً حاضراً» إلىٰ آخره، أنّ الأعمال الصالحة قد يُستحقّ بها الثواب في الدنيا والآخرة معاً، وهو ظاهر قوله تعالى: «فآتاهُم اللهُ ثوابَ الدُنيا وحُسْنَ ثوابِ الآخِرة»(١). ومن زعم أنّ الثواب لايكون إلّا في الآخرة، وأنّ المراد بثواب الدنيا في الآية: ما آتاهم تفضّلاً منه أو لطفاً بهم، وتسميته ثواباً على المجاز والتوسع، فقد تكلّف. علىٰ أنّ الأخبار عن الأئمّة الأطهار عليهم السّلام مستفيضة بأنّ من الأعمال ما يوجب الثواب في الدنيا والآخرة.

فمن ذلك ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السّلام، أنّه قال: صلة الأرحام تزكّي الأعمال، وتنمّي الأموال، وتدفع البلوىٰ، وتيسّر الحساب، وتنسي في الأجل(٢).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أعجل الخير ثواباً صلة الرحم(٣).

وبسند صحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال: من أغاث أخاه المؤمن

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٨. (٢) الكافي: ج ٢ ص ١٥٠ ح ٤. (٣) الكافي: ج ٢ ص ١٥٢ ح ١٥

أَللّهُمَّ وَأَيُّما مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرَ الإسْلامِ، وَأَحْزَنَهُ تُحَزُّبُ أَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ، فَنَوىٰ غَزْواً، أَوْ هَمَّ بِجِهادٍ، فَقَعَدَ بِهِ ضَعْفٌ، أَوْ أَبْطأَتْ بِهِ فاقَةٌ، أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ حادِثٌ، أَوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إرادَتِهِ مانِعٌ، فَاكْتُبِ اسْمَهُ فِي العابِدِينَ، وَأَوْجِبْ لَهُ ثَوابَ المُجاهِدِينَ، وَاجْعَلْهُ في نِظامِ الشُّهَداءِ وَالصالِحِينَ.

اللهفان اللهثان عند جهده، فنفّس كربته وأعانه علىٰ نجاح حاجته، كتب الله عزّوجلّ له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجّل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته، ويدّخر له إحدىٰ وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله (١).

والروايات في هذا المعنىٰ أكثر من أن تحصىٰ.

الثاني: قوله عليه السّلام: «إلىٰ أن ينتهي به الوقت إلىٰ ما أجريت له من فضلك» يدلّ بظاهره علىٰ أنّ الروح بعد فراق البدن تتصل بما أعدّ الله لها من الثواب قبل البعث والحشر، وذلك في مدّة البرزخ، فتتنعّم باللذّات التي أوجبها ثواب أعمالها، وهو الذي دلّت عليه الأخبار المنقولة عن أئمّة أهل البيت عليهم السّلام، وقد تقدّم الكلام علىٰ ذلك مبسوطاً في الروضة الأُولىٰ، فليرجع إليه *.

أهمّه الأمر: أقلقه، وهمّه همّاً -من باب قتل-: مثله.

وأحزنه: أحدث له حزناً، وهو حالة نفسانيّة تحصل لتوقّع مكروه، أو وقوعه، أو فوات محبوب في الماضي.

وفي نسخة: «حزنه» يقال: أحزنه إحزاناً وحزنه حزناً -من باب قتل- بمعنىٰ قال اليزيدي: أحزنه لغة تميم، وحزنه لغة قريش(٢)، وعليها بني مخزوم.

وتحزّب القوم: صاروا أحزاباً، أي: فرقاً وطوائف كلّ حزب من قبيلة يجتمعون

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٩٩ ح ١.

(٢) الصحاح: ج ٥ ص ٢٠٩٨.

....

لقتال ونحوه.

وقال الجوهري: تحزّبوا: تجمّعوا، والأحزاب: الطوائف التي تجمع علىٰ محاربة الأنبياء(١).

والضمير في «عليهم»: عائد إلىٰ المسلمين؛ لدلالة أمر الإسلام عليهم، ومن جوّز عوده إلىٰ أهل الشرك فقد أغرب.

والفاء من قوله: «فنوىٰ»: للعطف والترتيب والسببيّة، ونوىٰ الشيء ينويه: قصده.

وهمّ بالشيء همّاً -من باب قتل-: أراده.

والمراد بالجهاد هنا: جهاد من يريد الاستيلاء علىٰ بلاد المسلمين من المشركين، أو أخذ مالهم، أوسبي حريمهم، كما يدلّ عليه السياق.

وقعد به عن حاجته: شغل، وأقعده: منعه.

وقال ابن السكّيت: ما يقعد بي عن ذلك الأمر إلّا شغل، أي: ما يجلسني(٢).

والضعف: النقصان في القوّة.

وأبطأ عن الحضور: تأخّر مجيؤه ولم يسرع. قال الزجّاج: يقال: بطؤ الرجل بطوءً من باب قرب، وأبطأ إبطاءً (٣).

والفاقة: الفقر والحاجة.

والحادث: الأمر يحدث ويتجدّد وجوده بعد أن لم يكن.

وعرض له مانع -من باب ضرب- أي: اعترض له فمنعه من المضيّ.

ودون إرادته أي: قبل حصول مراده، من باب إطلاق المصدر علىٰ اسم

---

(١) الصحاح: ج ١ ص ١٠٩.

(٢) تاج العروس: ج ٢ ص ٤٧٣، نقلاً عن ابن السكيت، وفيه: ماحبسني.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني: ص ٢٨، نقلاً عن الزجاج.

....

المفعول.

فاكتب اسمه في العابدين: أي: مع أسماء العابدين، ففي بمعنى «مع» نحو «ادخلوا في أُمَمٍ»(١)، أو في جملة أسمائهم، فهي للظرفيّة مجازاً وإنّما قال: في العابدين لأنّ الجهاد أحد العبادات الخمس.

وفي نسخة: «في الغازين» وهو الأنسب، وكتابة اسمه مجاز عن الأمر بكتابته، بأن يظهر ذلك للملك ويأمره بإنفاذه وكتابته في كتاب المحو والإثبات، أو في ديوان العابدين وصحائف أعمالهم، أو عن تعلّق الحكم به وإيجابه نحو: «كتَبَ اللهُ لأغْلِبنَّ أنا ورُسُلي(٢)» أي حكم وقضىٰ وأثبت وأوجب وعبّر عن ذلك بالكتابة لأنّها أدوم وأثبت.

والثواب: هو النفع الخالص المستحقّ المقارن للتعظيم والتبجيل، وثواب المجاهدين هوالموعود به في القرآن من جنّات وعيون ورزق كريم.

والنظام العقد المنظوم من الجوهر ونحوه، ويطلق علىٰ السلك الذي ينظم به، وعلىٰ الصفّ من الجراد.

قال في الأساس: جاءنا نظم من جراد ونظام منه(٣).

وكلّ من هذه المعاني محتمل هنا علىٰ الاستعارة.

وعطف الصالحين علىٰ الشهداء من عطف العامّ علىٰ الخاصّ. ومدار هذا الفصل من الدعاء علىٰ طلب إثابة من نوىٰ غزواً أوجهاداً ولم يفعله لعذر، ثواب مَن عمله وباشره بجوارحه، وإثابة المؤمن بنيّته أمر متّفق عليه بين الأُمّة.

روىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسند صحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: إنّ العبد المؤمن الفقير ليقول: يا ربّ ارزقني حتّىٰ أفعلَ كذا وكذا من البّر ووجوه

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢١.

(٣) أساس البلاغة: ص٦٤١.

أللهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَآلِ مُحَمَّدٍ، صَلاةً عالِيَةً عَلىٰ الصَّلَواتِ، مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيّاتِ، صَلاةً لايَنْتَهي أمَدُها، وَلا يَنْقَطِعُ

الخير، فإذا علم الله عزّوجلّ ذلكَ منه بصدق نيّته كتب الله له من الأجر مثل مايكتب له لوعمله، إنَّ الله واسع كريم(١).

وروىٰ مسلم في صحيحه بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: من طلب الشهادة صادقاً أُعطيها ولولم تصبه،(٢) وبإسناد آخر عنه صلّى الله عليه وآله قال: من طلب الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات علىٰ فراشه (٣)

وفي نهج البلاغة: أنّ بعض أصحاب أميرالمؤمنين عليه السّلام، قال له لمّا أظفره الله سبحانه بأصحاب الجمل: وددت أنّ أخي فلاناً كان شاهدنا؛ ليرىٰ مانصرك الله به علىٰ أعدائك، فقال عليه السّلام: أهوىٰ أخيك معنا؟ قال: نعم، قال: فقد شهدنا، والله لقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان ويقوىٰ بهم الإيمان (٤).

قال بعض الشارحين لكلامه عليه السّلام: قوله: فقد شهدنا، حكم بالحضور بالقوّة، أو بحضور نفسه وهمّته علىٰ تقدير محبّته للحضور، وكم إنسان يحصل بحضور همّته -وإن لم يحضر ببدنه- كثير نفع، إمّا باستجلاب الرجال، أوبتأثير الهمّة في تفريق أعداء الله كما تفعله همم أولياء الله، بحيث لايحصل مثل ذلك النفع من أبدان كثيرة حاضرة وإن قويت وعظمت(٥)، إنتهىٰ *.

ختم الدعاء بالصلاة على محمّدٍ وآله صلى الله وسلّم عليهم؛ لما ورد في الصحيح: لايزال الدعاء محجوباً حتّىٰ يصلّى علىٰ محمّدٍ وآله(٦).

(١) الكافي: ج ٢ ص ٨٥ ح ٣.
(٢) و (٣) صحيح مسلم: ج ٣ ص ١٥١٧ ح ١٩٠٨/١٥٦ و ١٩٠٩/١٥٧.
(٤) نهج البلاغة: ص ٥٥ الخطب ١٢.
(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ١ ص ٢٨٨.
(٦) الكافي: ج ٢ ص ٤٩١ ح ١.

عَدَدُها، كَأتَمِّ ما مضىٰ مِنْ صَلَواتِكَ عَلىٰ أحَدٍ مِنْ أوليائكَ، إنَّكَ المَنانُ الحَميدُ، المُبْدِئُ المُعيدُ، الفَعّالُ لِما تُريدُ.

والمشهور أنّ الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين الدعاء.

قال بعض المحقّقين: والتحقيق أنّها تستعمل في قدر يشترك بينها وهو الإمداد؛ لأنّ المدد كما يصل من فوق بالإفاضة يصل من تحت بالاستفاضة (١)

وآل محمّد عندنا: عترته الطاهرة من أهل العصمة عليهم السّلام، ولا وجه لتخصيص الشهيد الثاني بأمير المؤمنين عليه السّلام وفاطمة والحسنين عليهم السّلام(٢).

وللعامّة اختلافات، فقيل: آله: أُمّته، وقيل: عشيرته، وقيل: من حرم عليه الزكاة من بني هاشم وعبدالمطّلب.

وقوله: «عالية على الصلوات» أي: مرتفعة عليها في الشرف والرتبة والقدر(٣).

ومشرفة أي: مرتفعة، من أشرف الموضع أي: ارتفع فهو مشرف.

والتحيّات: جمع تحيّة، وهي تفعلة من الحياة، يقال: حيّاك الله أي: أبقاك حيّاً، ثمّ استعملت التحيّة في مطلق الدعاء والسلام.

ومعنىٰ علوّها علىٰ الصلوات وإشرافها علىٰ التحيّات: اختصاصها بمزيد فضل منه تعالىٰ، يميّزها عن سائر الصلوات والتحيّات، كما اختصّ المدعوّ له بمزيد فضل ميّزه عن غيره من الأنبياء والمرسلين.

وانتهىٰ الأمر: بلغ النهاية، وهو أقصىٰ مايمكن أن يبلغه.

والأمد: الغاية، يقال: انتهىٰ أمده، أي: بلغ غايته.

وانقطع الكلام: وقف. وعددها أي: عدّها وإحصاؤها، أو مبلغها ومقدارها.

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) و(٣) راجع شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج ١٠ ص ٢٣١.

....

وطلب نفي انتهاء أمدها وانقطاع عددها من باب نفي الشيء بنفي لازمه، كما تقدّم بيانه في الروضة الأُولىٰ.

وقوله: «كأتمّ ما مضىٰ» ظرف مستقرّ متعلّق بمحذوف، إمّا صفة ثانية للصلاة، أو حال منها لتخصّصها بالصفة، أو نعت لمصدر مؤكّد محذوف، أي: صلاة كأتمّ مامضىٰ.

وما: نكرة أو موصولة، ومن: بيانيّة، أي: كأتمّ شيء مضىٰ من صلواتك، أو كأتمّ الذي مضىٰ من صلواتك، وقد تقدّم الكلام علىٰ نظير هذا التشبيه في آخر الروضة العشرين، فليرجع إليه.

قوله عليه السّلام: «إنّك المنّان الحميد» إلىٰ آخره، تذييل للكلام السابق، وتعليل لاستدعاء الإجابة، من حيث إنّ اتّصافه بالصفات المذكورة مستدعٍ لها.

وقصر الصفات عليه لإظهار اختصاص دعائه عليه السّلام به تعالىٰ، وانقطاع رجائه عمّا سواه بالكليّة.

والمنّان: صيغة مبالغة من المنّ، قال ابن الأثير: المنّان: هو المنعِم المعطي، من المنّ بمعنىٰ: العطاء، لا من المنّة (١).

وكثيراً مايراد المنّ في كلامهم بمعنىٰ الإحسان إلىٰ من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه.

قال البرهان الرشيدي: إنّ صفات الله تعالىٰ التي علىٰ صيغة المبالغة كلّها مجاز؛ لأنّها موضوعة للمبالغة، ولامبالغة فيها؛ فإنّ المبالغة تكون في صفات تقبّل الزيادة والنقصان، وصفات الله منزّهة عن ذلك(٢) واستحسنه الشيخ تقيّ الدين السبكي.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٦٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ج ٢ ص ٥٠٧.

....

وقال الزركشي في البرهان: التحقيق أنّ صيغ المبالغة قسمان: أحدهما: ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل، والثاني: بحسب تعدّد المفعولات. ولا شكّ أنّ تعدّدها لايوجب للفعل زيادة؛ إذ الفعل الواحد قد يقع علىٰ جماعة متعدّدين، وعلىٰ هذا تنزّل صفاته تعالىٰ ويرتفع الإشكال(١)، إنتهىٰ.

والحميد: المحمود علىٰ كلّ حال، فعيل بمعنىٰ مفعول.

والمبدئ المعيد معناهما: الموجد، لكنّ الإيجاد إذا لم يكن مسبوقاً بمثله سمّي إبداءً؛ لتعلّقه بالأشياء ابتداءً من غير سابق مثال، وإذا كان مسبوقاً بمثله سمّي إعادة، والله تعالىٰ بدأ الخلق ثمّ هوالذي يعيدهم، أي: يبعثهم يوم القيامة، قال الله تعالى: «كما بَدأنا أوّل خَلْقٍ نُعيدُهُ»(٢) «إنّه هو يُبدئُ ويُعيد»(٣).

والفعّال لما يريد: الذي لايتخلّف عن إرادته مراد ولايمنعه عنه مانع؛ إذ لاحكم لأحد عليه البتّة، والمبالغة لما مرّ من أنّها بحسب تعدّد المفعولات وكثرتها؛ إذ كان مايفعله ويريده في غاية الكثرة.

وقيل: معنىٰ المبالغة فيه أنّ مايريده فإنّه يفعله البتّة، لايصرفه عنه صارف، قال تعالى: «إنّ ربّكَ فَعّالٌ لِما يُريدُ»(٤)، والله أعلم.

هذا آخر الروضة السابعة والعشرين من رياض السالكين، وقد وفّق الله تعالىٰ للفراغ من تحريرها صبيحة يوم الأربعاء، لأربع خلون من ذي القعدة الحرام سنة إحدى ومائة وألف، ولله الحمد *.

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ج ٢ ص ٥٠٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

(٣) سورة البروج: الآية ١٣.

(٤) سورة هود: الآية ١٠٧.

الروضة الثامنة والعشرون

وكان من دعائه عليه السلام متفزعا الى الله جل وعز

اللهم اني اخلصت بانقطاعي اليك واقبلت بكلي عليك وصرفت
وجهي عمن يحتاج الى رفدك وقلبت مسئلتي عمن لم يستغن عن فضلك
ورأيت ان طلب المحتاج الى المحتاج سفه من رأيه وضلة من عقله فكم قد
رأيت يا الهي من اناس طلبوا العز بغيرك فذلوا وراموا الثروة من سواك فافتقروا
وحاولوا الارتفاع فاتضعوا فصح بمعاينة امثالهم حازم وفقه اعتباره
وارشده الى طريق صوابه اختياره فانت يا مولاي دون كل مسئول موضع
مسئلتي ودون كل مطلوب اليه ولي حاجتي انت المخصوص قبل كل مدعو بدعوتي
لا يشركك احد في رجائي ولا يتفق احد معك في دعائي ولا ينظمه
واياك ندائي لك يا الهي وحدانية العدد وملكة القدرة الصمد وفضيلة
الحول والقوة ودرجة العلو والرفعة ومن سواك مرحوم في عمره
مغلوب على امره مقهور على شانه مختلف الحالات متنقل في الصفات
فتعاليت عن الاشباه والاضداد وتكبرت عن الامثال والانداد فسبحانك
لا اله الا انت

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

الحمدلله الذي فاز بالأمان من تفزّع إليه، وحاز منتهى الأماني من أقبل بكلّه عليه، والصّلاة والسّلام علىٰ من نهج لنا به سبيل الرشاد، وعلىٰ أهل بيته الذين أُسّس بهم بنيان الحقّ والإرشاد.

أمّا بعد فهذه الروضة الثامنة والعشرون من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ عليّ صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ، جعله الله من الفائزين يوم الفزع الأكبر بأمانه، وهداه إلىٰ حقّ اليقين في معرفته وإيمانه، آمين.

شرح الدعاء الثامن والعشرين

وكانَ مِن دُعائِهِ عليهِ السّلامُ مُتفزِعاً إلىٰ اللهِ جَلَّ وعَزّ.

قال صلوات الله وسلامه عليه:

أللّهُمَّ إنّي أخْلَصْتُ بإنْقِطاعي إلَيْكَ، وأقْبَلْتُ بكُلّي عَلَيْكَ،

فزع إليه فزعاً -من باب فرح-: التجأ إليه واعتصم به، وهو مفزع أي: ملجأ، ومن كلام أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين صلوات الله عليه: فإذا اشتدّ الفزع فإلىٰ الله المفزع(١)، أي: إذا اشتدّ الخوف فإلىٰ الله الالتجاء والاستعانة، ومنه حديث الكسوف: فافزعوا إلىٰ الصلاة، أي: الجأوا إليها واستغيثوا بها في دفع الأمر الحادث (٢).

وتفزّع إلى الله: جهد في الفزع إليه، وكلّف نفسه إيّاه، فهو متفزّع، فالتفعّل فيه للتكلّف والمعافاة.

أخلص لله إخلاصاً: صفّىٰ قلبه عن شوب الالتفات إلىٰ غيره، وأصله من الخلوص، وهو صفاء الشيء عن كلّ مايشوبه، وقد تقدّم الكلام عليه مبسوطاً.

وانقطع إليه: لزمه وترك غيره. قال في الأساس: هو منقطع إلىٰ فلان (٣).

وتعديته بـ «إلىٰ» لتضمّنه معنىٰ التوجّه، كأنّه قطع عن غيره فانقطع عنه متوجّهاً إلىٰ من لزمه.

وأقبلت علىٰ الشيء: وجّهت وجهي نحوه.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤٦٨ ح٢.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٤٤٤.

(٣) أساس البلاغة: ص٥١٤.

وَصَرَفْتُ وَجْهي عَمَّنْ يَحْتاجُ إلىٰ رِفْدِكَ ، وَقَلَبْتُ مَسْأَلَتي عَمَّنْ لَمْ

و«كلّ» إذا أُضيفت إلى مفرد معرّف ـ كما وقعت هنا ـ افادت استغراق أجزائه، أي: أقبلت بجميع جوارحي وحواسّي الظاهرة والباطنة عليك.

ومعنى انقطاعه إليه تعالى وإقباله بكلّه عليه عزّوجلّ: إفراده سبحانه بالرجاء والسؤال، وعدم الالتفات إلى غيره من الوسائط والأسباب بوجه من الوجوه، وهو من باب الاستعارة التمثيليّة، شبّه حاله بحال من انقطع إلىٰ شخص فلزمه ولم يتردّد إلىٰ غيره وقد وجّه وجهه إليه، وعوّل في حصول مطلبه عليه.

وصرفت وجهي عن الشيء: حوّلته عنه، وهو هنا كناية عن قطع الرجاء والأمل عن غيرالله تعالىٰ، فإنّ من قطع أمله عن أحدٍ صرف وجهه عنه ولم يلتفت إليه.

وقوله: «عمّن يحتاج إلىٰ رفدك» أي: غيرك؛ فإنّ كلّ من سواه محتاج إلىٰ رفده سبحانه، أي: صلته وإعطائه؛ إذ ثبت أن كلّ ممكن وموجود فهو مفتقر ومحتاج إليه.

وقلبته قلباً ـ من باب ضرب ـ: حوّلته عن وجهه.

والمسألة: السؤال، يقال: سألت الله العافية أي: طلبتها، سؤالاً ومسألةً.

عن فضلك: أي خيرك وإحسانك، وكلّ من سواه غير مستغن عن فضله وإحسانه تعالىٰ، إذ ثبت أنّ كلّ الموجودات أسيرة في رقّ الإمكان والحاجة إليه تعالىٰ شأنه، وهو المفيض علىٰ كلّ قابل ما يستحقه ويستعدّ له من الخيرات والفضل.

ورأيت: أي اعتقدت، من الرأي بمعنىٰ الاعتقاد، أو بمعنىٰ العلم وهي الرؤية القلبيّة، والجملة سادّة مسدّ مفعولي رأيت.

وطلبت إلىٰ الله: رغبت إليه وسألته.

والسفه بفتحتين: النقص في العقل، وقيل: رذيلة تقابل الحلم، وتعود إلىٰ الطيش وقلّة الثبات، وقيل: هو القبيح الذي يقع من متمكّن من التحرّز عنه.

الرأي: البصيرة، وهي للقلب بمثابة البصر للنفس، يقال: رجل ذو رأي أي:

يَسْتَغْنِ عَنْ فَضْلِكَ، وَرَأَيْتُ أنَّ طَلَبَ الـمُحْتاجِ إلىٰ الـمُحْتاجِ سَفَهٌ مِنْ رَأْيِهِ، وَضَلَّةٌ مِنْ عَقْلِهِ.

بصيرة وعلم بالأُمور.

والضلّة بالفتح: المرّة من الضلال، وهو سلوك طريق لايوصل إلىٰ المطلوب، أو هي بمعنىٰ الحيرة أي: عدم الاهتداء إلى الصواب، كما نصّ عليه صاحب القاموس (١).

وقال الجوهري: يقال: فلان يلومني ضلّة: إذا لم يوفّق للرشاد في عذله(٢).

والعقل هنا: قوّة نفسانيّة بها يدرك الإنسان حقائق الأشياء، ويميّز بين الخير والشّر.

ومدار هذا الفصل من الدعاء علىٰ إظهار صدق توكّله عليه السّلام علىٰ ربّه عزّوجلّ، والتوسّل به إلى الله تعالىٰ. قال بعض أرباب القلوب: التوكّل هو صدق الانقطاع إلى الله، وصدق الانقطاع إلى الله هو أن لايكون لك حاجة إلى غير الله(٣).

وقال بعضهم: من التوكّل أن لا تطلب لنفسك ناصراً غير الله، ولا لرزقك قاسماً غير الله، ولا لعملك شاهداً غير الله (٤)

وقال آخر: الحمد لله الذي قطع العلائق من المنقطعين إليه، ووهب الحقائق للمتّصلين به والمتوكّلين عليه(٥).

وإنّما قال عليه السّلام: «ورأيت أنّ طلب المحتاج إلىٰ المحتاج سَفه من رأيه»؛ لأنّ العقل والرأي اللذين سلما من آفة النقص والضلال، قاضيان بأنّ تأميل العاجز عاجزاً مثله، وإناخة مطايا الطلب بساحة فقير مشبهه، لايكون إلّا عن سفه وضلال في الرأي والعقل *.

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٥، نقلاً بالمضمون.

(٢) الصحاح: ج ٥ ص١٧٤٨.

(٣) لم نتحققه.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) لم نعثر عليه.

فكَمْ قَدْ رأيْتُ يا إلهي مِنْ أُناسٍ طَلَبُوا العِزَّ بغَيْرِكَ فَذَلُّوا، وَرامُوا الثَرْوَةَ مِنْ سِواكَ فَافْتَقَرُوا، وَحاوَلُوا الإرْتِفاعَ فَاتَّضَعُوا، فَصَحَّ بِمُعايَنَةِ أمْثالِهِمْ حازِمٌ، وَفَّقَهُ اعْتِبارُهُ، وَأرْشَدَهُ إلىٰ طَريقِ صَوابِهِ اخْتِيارُهُ، فَأنْتَ يا مَوْلايَ دُونَ كُلِّ مَسْؤولٍ مَوْضِعُ مَسْألَتي، وَدُونَ كُلِّ مَطْلُوبٍ إلَيْهِ وَلِيُّ حاجَتي، أنْتَ المَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بدَعْوَتي، لا يَشْرَكُكَ أحَدٌ في رَجائي، وَلا يَتَّفِقُ أحَدٌ مَعَكَ في دُعائي وَلا يَنظِمُهُ وَإيّاكَ نِدائي.

الفاء: للسببيّة؛ لأنّ مابعدها، وهو كثرة رؤيته عليه السّلام لأُناس طلبوا العزّ بغيرالله سبحانه فذلّوا إلىٰ آخره، سبب لما قبلها، وهو اعتقاده أنّ طلب المحتاج إلىٰ المحتاج سفه من رأيه وضلّة من عقله، وأغرب من قال: إنّها للاستئناف.

وكم: خبريّة بمعنىٰ: كثير، وهي في موضع نصب بـ «رأيت»، ووجب تقديمها للزومها الصدر من حيث تضمّنها لـلمعنىٰ الإنشائي في التكثير، كما أنّ «رُبّ» تضمّنت المعنىٰ الإنشائي في التقليل، ووجب لها صدر الكلام.

و«من» في قوله: «من أُناس»: لبيان الجنس، وأُناس: تمييز لـ «كم»، وجيء بها لئلاّ يلتبس بمفعول رأيت.

قال الرضي رضي الله عنه: إذا فصل بين كم الخبريّة ومميّزها بفعل متعدّ وجب الإتيان بـ «من»، لئلاّ يلتبس التمييز بمفعول ذلك الفعل المتعدّي، نحو: «كَمْ تَرَكُوا مِن جَنّاتٍ»(١) «وكَمْ أهْلَكْنا مِنْ قَرْيةٍ»(٢)(٣).

وأُناس بضمّ الهمزة، اسم جمع للإنسان، وهو لغة في الناس.

وقال الزمخشري: يمكن أن يكون أصله الكسر علىٰ أبنية الجموع، ثمّ ضمّ للدلالة علىٰ زيادة قوّة كما في سكارىٰ(٤).

---

(١) سورة الدخان: الآية ٢٥.

(٢) سورة القصص: الآية ٥٨.

(٣) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٩٧.

(٤) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ١٦٩. مامضمونه.

....

وقيل: هو أصل للناس، حذفت همزته تخفيفاً وعوّض عنها حرف التعريف؛ ولذلك لايكاد يجمع بينهما، وأمّا قوله:

* إنَّ المنايا يطلعن على الأُناس الآمنينا *

فشاذّ.

وجملة قوله: «طلبوا العزّ» في محلّ جرّ صفة لأُناسٍ.

وطلبت الشيء ـ من باب قتل ـ طلباً بفتحتين: حاولت وجوده. والباء في قوله عليه السّلام: «بغيرك»: للاستعانة.

وذلّ ذلاً ـ من باب ضرب ـ: إذا ضعف وهان، والاسم الذلّ بالضمّ، وهو خلاف العزّ.

ورمت الشيء أرومه روماً ومراماً: طلبته.

والثروة: كثرة المال، وأثرىٰ إثراءً استغنىٰ، والاسم منه الثراء بالفتح والمدّ.

وافتقر: صار فقيراً.

وحاولت الشيء محاولةً: أردته.

والارتفاع والاتّضاع: إفتعال من الرفعة والضعة، وهما في الأجسام حقيقة في الحركة والانتقال، وفي المعاني محمولان علىٰ ما يقتضيه المقام، فالمراد بهما هنا في القدر والمنزلة.

والفاء في المواضع الثلاثة من قوله: «فذلوا» ونظيريه: للترتيب والتعقيب والسببيّة، نحو: «فتلقّىٰ آدمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ علَيهِ».

قال الرضي: إذا عطفت الفاء جملة علىٰ جملة، أفادت كون مضمون الجملة التي بعدها عقيب مضمون الجملة التي قبلها بلافصل، نحو: قام زيد فقعد عمرو (١).

(١) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٦٥.

....

وإنّما كان طلب العزّ وروم الثروة ومحاولة الارتفاع من غيرالله تعالىٰ سبباً للذلّ والافتقار والاتّضاع؛ لما ثبت أنّ الله تعالىٰ هوالمفيض لكلّ خير، والمعطي لكلّ طالب ما طلب بحسب استعداده، إمّا بسبب أو بدونه، فإذا توجّه الإنسان إلىٰ غيره، والتفت بقلبه وقالبه إليه، وعوّل في نجاح طلبته عليه، فقد ترك الاستعداد لحصول مطلوبه ونيل بغيته، بل استعدّ بذلك للحرمان وخيبة الرجاء؛ فإنّ من اعتقد جزماً أو ظنّاً بأنّ أحداً غيرالله تعالى، ممّن ينسب إليه التأثير والقدرة، هو المتمكّن من الفعل، وأنّه تام القدرة علىٰ تحصيل مراده والوفاء به، فإنّ ذلك أقوىٰ الأسباب المعدّة لأن يمنعه الله إفاضته، ويقطع عنه أسباب مواهبه، ومَنْ منع الله منه خيره، وقطع عنه سبب فضله، كان أذلّ من كلّ ذليل، وأفقر من كلّ فقير، وأوضع من كلّ وضيع، لاجرم كان طلب الإنسان إلىٰ غير الله سبحانه سبباً لحرمانه وحصول عكس مطلوبه؛ ولذلك ورد في الحديث القدسي: أنّ الله سبحانه وتعالىٰ يقول: وعزّتي وجلالي ومجدي،وارتفاعي لأقطعنّ أمل كلّ مؤمّل غيري باليأس، ولأكسونّه ثوب المذلّة عندالناس، ولأُنحينّه من قربي، ولأُبعدنّه من فضلي(١). وقد ذكرنا الحديث بتمامه في الروضة الثالثة عشرة(٢).

وفي معناه ماروواه أبوالقاسم النيسابوري في المجلس السادس والخمسين من كتاب خلق الإنسان، قال: روىٰ سيّدنا موسىٰ بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه محمّد، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: قال الله جلّ جلاله: مامن مخلوقٍ يعتصم بمخلوقٍ دوني إلّا قطعت أسباب السماوات والأرض دونه، فإن دعاني لم أُجبه، وإن سألني لم أُعطه، وما من مخلوقٍ يعتصم بي دون خلقي إلّا ضمنت

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٦ ح ٧. (٢) ج ٣ ص ٢١.

....

السماوات والأرض رزقه، فإن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته، وإن استغفرني غفرت له (١).

قوله عليه السّلام: «فصحّ بمعاينة أمثالهم حازم» إلىٰ آخره، الفاء: للسببيّة، أي: فبسببِ ذلك صحّ.

والباء من قوله: «بمعاينة أمثالهم»: للملابسة، أي: متلبّساً بها، أو للسببيّة تصريحاً بمدلول الفاء.

والصحّة: ذهاب المرض والبراءة من كلّ عيب، صحّ يصحّ -من باب ضرب- فهو صحيح.

وعاينت الشيء عياناً ومعاينةً: إذا رأيته بعينك.

والمراد بأمثالهم: ذواتهم، أي: بمعايتهم، وإنّما أقحم لفظ الأمثال للمبالغة، فهو نحو: مثل الأمير يحمل علىٰ الأدهم والأشهب(٢)، أي: الأمير يحمل.

قال السعد التفتازاني: لفظ المثل كناية عمّن أُضيف إليه؛ لأنّه إذا ثبت الفعل لمن يسدّ مسدّه، ومن هو علىٰ أخصّ أوصافه، وأُريد أنّ من كان علىٰ الصفة التي هو عليها كان من مقتضىٰ القياس وموجب العرف أن يفعل كذا، لزم الثبوت لذاته بالطريق الأولىٰ(٣)، إنتهىٰ.

وكذا الكلام هنا؛ فإنّه إذا صحّ الحازم بمعاينةِ من يسدّ مسدّهم ويكون علىٰ أخصّ أوصافهم، فصحّته بمعاينة ذواتهم أولىٰ، وقد كشف أبو الطيّب قناع الكناية بالمثل في قوله يخاطب عضدالدولة ويعزّيه بعمّته.

مثلك يثني الحزن عن صوبه ويستردّ الدمع من غربه
ولم أقل مثلك أعني به سواك يا فرداً بلا شبهِ(٤)

---

(١) لم نعثر عليه.
(٢) الكشكول: ص٢١٦.
(٣) لم نعثر عليه
(٤) الايضاح في علوم البلاغة: ص١٤٧-١٤٨.

....

وإسناد الصحّة إلى الحازم باعتبار براءته من عيب الطلب إلىٰ غيرالله، ويجوز أن يكون حذف مضاف، أي: صحّ حزم حازم، بمعنىٰ ثبت وتحقّق.

والحزم: إتقان الرأي وضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة.

والمراد بالحازم: نفسه عليه السّلام علىٰ سبيل التجريد، جرّد من نفسه الكريمة صفة الحزم، وجعلها شخصاً آخر متّصفاً بها؛ لقصد المبالغة في الحزم، كما جرّد الشاعر من نفسه صفة الكرم فقال:

فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم(١)

يعني بالكريم: نفسه، فكأنّه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه؛ ولذلك لم يقل: أو أموت، وقد مرّ تعريف التجريد في الروضة الثانية عشرة، فليرجع إليه.

والتوفيق: جعل إرادة العبد وفعله موافقاً لما يحبّه الله ويرضاه، وإسناده إلىٰ الاعتبار مجاز عقلي من باب إسناد الفعل إلىٰ مسبّبه، وإلّا فالموفّق حقيقةً هوالله سبحانه.

ويطلق الاعتبار علىٰ معنيين:

أحدهما: الاختبار والامتحان، مثل: اعتبرت الدراهم فوجدتها ألفاً.

الثاني: الاتّعاظ، ومنه قوله تعالى: «فأعتبروا يا أُولي الأبْصار»(٢)، والعبرة بالكسر: اسم منه.

قال الخليل: العبرة: الاعتبار بما مضىٰ (٣)،أي: الاتّعاظ والتذكّر (٤).

والفعل منه بالمعنىٰ الأوّل يعدّى بنفسه فيقال: اعتبرت الشيء أي: اختبرته، وبالمعنىٰ الثاني يعدّىٰ بالباء فيقال: اعتبرت بالشيء أي: اتّعظت به.

وأصله بالمعنيين من العبور، وهو النفوذ من أحد الجانبين إلىٰ الآخر؛ فإنّ المعتبر

(١) أنوار الربيع: ج ٦ ص ١٥٥.

(٢) سورة الحشر: الآية ٢.

(٣) كتاب العين: ج ٢ ص ١٢٩.

(٤) المصباح المنير: ص ٥٣٢.

....

للشيء الممتحن له يعبر من الجهل به إلى العلم به، والمعتبر بالشيء المتعظ به تارك جهله وواصل إلىٰ علمه بما اعتبر به.

إذ عرفت ذلك فحمل الاعتبار في الدعاء على كل من المعنيين صحيح فمعناه علىٰ الأوّل: وفّقه امتحانه للأُمور واختباره لها حتّى عرف خيرها من شرّها، وعلىٰ الثاني: وفّقه اتّعاظه بما رآه من حال من سأل غير الله ورغب إليه.

ويأتي الاعتبار بمعنىٰ: الاعتداد بالشيء في ترتيب الحكم، نحو: لا اعتبار بشهادة الواحد.

وإرادة هذا المعنىٰ هنا صحيحة أيضاً، فيكون المعنىٰ: وفّقه اعتداده بما رأىٰ من حال الطالبين إلى غير الله في صرف وجهه وقلب مسألة من غيره سبحانه.

وأرشده إلىٰ الطريق إرشاداً: هداه إليه، ودلّه عليه.

وطريق صوابه أي: الموصل إلىٰ مقصده من غير خطأ ولا ضلال.

والصواب: مصادفة المقصود.

واختباره بالباء الموحّدة بمعنىٰ: امتحانه للأُمور والنظر فيها ليصل إلىٰ المعرفة بها، كأنّه يصيب خبرها. ويروىٰ: «اختياره» بالياء المثّناة من تحت، أي: إرادته لما هو خير، يقال: خيّرته بين الشيئين فاختار أحدهما، والاختيار والإيثار بمعنىٰ واحد.

والمعنىٰ: هداه إلى طريق صوابه، وهو الانقطاع إلى الله تعالىٰ، اختياره أي: توصله إلىٰ معرفة سبيل الصواب من الخطأ، أو اختياره لما هو خير له، من لزوم الحقّ والانحراف عن الباطل.

قوله عليه السّلام: «فأنت يا مولاي دون كلّ مسؤول موضع مسألتي» الفاء: فصيحة، أي: إذا كان الأمر كذلك فأنت يا ربّي أو يا مالكي أو يا سيّدي أو يا منعماً علىٰ كلّ، فكلّ هذه المعاني ثابتة للمولىٰ دون كلّ مسؤول، أي: متجاوزاً

....

كلّ مسؤول.

فدون: ظرف مستقرّ متعلّق بمحذوف وقع حالاً من «أنت»، وقد تقدّم أنّ «دون» مما اتّسع فيه، فاستعمل في كلّ تجاوز حدٍّ إلى حدٍّ، وتخطّي أمرٍ إلىٰ أمرٍ.

والموضع: مكان الوضع، وأصله في الأجسام، يقال: وضعت الشيء في المكان أي: أثبتّه فيه، وذلك المكان موضع له، ثمّ استعمل في المعاني فقيل: وضعت عنده سرّي: إذا أسررته إليه، ومنه حديث: واضع العلم عند غير أهله كمقلّد الخنازير الجواهر(١)، أي: معلّم العلم غير أهله، فمعنىٰ موضع مسألتي: من أسأله وأوجّه إليه سؤالي.

ووليّ حاجتي أي: القائم بها ومتولّي قضائها، من وليه: إذا قام به، فهو فعيل بمعنىٰ فاعل، ويجوز أن يكون بمعنىٰ مفعول، أي: من أوليه حاجتي، من ولّاه الأمر أي: قلّده إيّاه، وهو الأنسب بسياق الكلام.

وخصصته بكذا أخصّه خصوصاً ـ من باب قعد ـ: جعلته له دون غيره.

وقبل كلّ مدعوّ أي: قبل أن أدعو غيرك من المدعوين.

والدعوة: اسم من دعوت الله أدعوه دعاءً: إذا ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير.

وجملة «أنت المخصوص» مؤكّدة لما قبلها؛ ولذلك لم يعطفها عليه؛ لكمال الاتّصال المستغنىٰ به عن الرابط.

وشركته في الأمر أشركه ـ من باب تعب ـ شركاً بكسر الأوّل وسكون الثاني: إذا صرت له شريكاً.

والجملة حاليّة أي: أنت المخصوص بدعوتي حال كونك لا يشركك أحد في

---

(١) أدب الدنيا والدين: ص ٨٩.

لَكَ يا إلهي وَحْدانِيَّةُ الـعَدَدِ، وَمَلَكَةُ القُدْرَةِ الصَمَدِ، وَفَضيلَةُ الحَوْلِ وَالقُوَّةِ، وَدَرَجَةُ العُلُوِّ وَالرِفْعَةِ، وَمَنْ سِواكَ مَرْحُومٌ في عُمْرِهِ، مَغْلُوبٌ عَلىٰ أَمْرِهِ، مَقْـهُورٌ عَلـىٰ شَـأنِـهِ، مُخْـتَلِفُ الحالاتِ، مُـتَـنِقّـلٌ في الصِـفاتِ، فَـتَعـالَيْـتَ عَنِ الأشـبَـاهِ وَالأَضْدادِ، وَتَـكَـبَّـرْتَ عَنِ الأمـثـالِ وَالأَنْدادِ، فَسُبْحانَـكَ لا إلَـهَ إلّا أَنْتَ.

رجائي، أو تأكيد لما قبلها، أو استئناف مؤكّد لماسبق.

والاتّفاق: المساواة في أمر من الأمور، يقال: اتّفقت مع زيدٍ في المذهب: إذا ساويته فيه، أي: لايساويك أحد في دعائي.

ونظمت اللؤلؤ نظماً ـ من باب ضرب ـ: جعلته في سلك، وهو يستلزم الجمع، فالمعنىٰ: لا يجمعه وإيّاك

ندائي: أي: دعائي، يقال: ناديته مناداةً ونداءً ـ من باب قاتل ـ: إذا دعوته، أي: طلبت إقباله.

ومفاد الجمل الثلاث كلّها: التأكيد في إفراده تعالىٰ بالرغبة إليه والإقبال عليه*.

تقديم المسند لإفادة قصر المسند إليه، أي: لك وحدانيّة العدد لا تتخطّاك إلى غيرك.

ووحدانيّة الشيء: كونه واحداً؛ لأنّه ياء النسب إذا لحقت آخر الاسم وبعدها هاء التأنيث أفادت معنىٰ المصدر كالألوهيّة والربوبيّة، والألف والنون مزيدتان للمبالغة.

والعدد: قيل: هو كثرة الآحاد، وهي صورة تقطيع في نفس العادّ من تكرار الآحاد، وعلىٰ هذا فالواحد ليس عدداً. وقيل: هو مايقع جواباً لـ «كم»، فيكون الواحد عدداً.

....

وقد اختلف أقوال الأصحاب في معنىٰ قوله عليه السّلام: «لك يا إلهي وحدانيّة العدد» لمنافاتها ظاهراً وجوب تنزيهه تعالىٰ عن الوحدة العدديّة نقلاً وعقلاً.

أمّا النقل فمستفيض من أخبارهم عليهم السّلام، ومنه قول أميرالمؤمنين عليه السّلام في خطبةٍ له: الواحد بلا تأويل عدد(١).

وقوله في خطبة أُخرىٰ: واحد لابعدد، ودائم لا بأمد(٢).

ومنه مارواه رئيس المحدّثين في كتاب التوحيد: إنّ أعرابيّاً قام يوم الجمل إلىٰ أميرالمؤمنين عليه السّلام فقال: يا أميرالمؤمنين، أتقول: إنّ الله واحد؟ فحمل الناس عليه، وقالوا: يا أعرابي أما ترىٰ ما فيه أميرالمؤمنين من تقسيم القلب؟ فقال أميرالمؤمنين عليه السّلام: دعوه، فإنّ الذي يريده الأعرابي هوالذي نريده من القوم، ثمّ قال: يا أعرابي، إنّ القول بأنّ الله واحد علىٰ أربعة أقسام، فوجهان منها لايجوزان علىٰ الله عزّوجلّ، ووجهان مثبتان فيه، فأمّا اللذان لايجوزان عليه فقول القائل: واحد، يقصد باب الأعداد، أما ترىٰ أنّه كفر من قال: ثالث ثلاثة، وقول القائل: هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا مالا يجوز لأنّه تشبيه، وجلّ ربّنا عن ذلك وتعالىٰ، وأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه، فقول القائل: هو واحد ليس له من الأشياء شبيه، كذلك ربّنا، وقول القائل: إنّه عزّوجلّ أحديّ المعنىٰ، يعني به أنّه لاينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربّنا جلّ وعزّ (٣).

وأمّا العقل، فلأنّ الوحدة العدديّة إنّما تتقوم بتكرّرها الكثرة العدديّة، ويصحّ بحسبها أن يقال: إنّ المتّصف بها أحد أعداد الوجود، أو أحد آحاد الموجودات، وعزّ جنابه سبحانه أن يكون كذلك، بل الوحدة العدديّة والكثرة العدديّة التي هي في

---

(١) نهج البلاغة: ص ١٢، الخطب ١٥٢.

(٢) نهج البلاغة: ص ٢٦٩ الخطب ١٨٥.

(٣) التوحيد: ص ٨٣ ح ٣.

....

مقابلتها، جميعاً من صنع وحدته المحضة الحقيقية التي هي نفس ذاته القيّومة، وهي وحدة حقّة صرفة وجوبيّة قائمة بالذات لامقابل لها، ومن لوازمها نفي الكثرة، كما أشار إليه أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه في الحديث المذكور آنفاً: أنّه أحدي المعنىٰ لاينقسم في وجود ولا عقل ولاوهم.

وإذا عرفت ذلك، ظهر لك أنّ قوله عليه السّلام: «لك يا إلهي وحدانيّة العدد» ليس مراداً به الوحدة العدديّة، بل لابدّ من معنىٰ آخر يصحّ تخصيصه به تعالىٰ وقصره عليه، كما يقتضيه تقديم المسند علىٰ المسند إليه. فقال بعضهم: المراد به: نفي الوحدة العدديّة عنه تعالىٰ لااثباتها له، وهو غير ظاهر.

وقيل: معناه: أنّ لك من جنس العدد صفة الوحدة، وهو كونك واحداً لاشريك لك ولا ثاني لك في الربوبيّة.

وقيل: معناه: إذا عددت الموجودات كنت أنت المتفرّد بالوحدانيّة من بينها.

وقيل: أراد به: أنّ لك وحدانيّة العدد بالخلق والإيجاد لها؛ فإنّ الوحدة العدديّة من صنعه وفيض وجوده. ولايخفىٰ أنّه بمعزل عن المقام.

وقال بعضهم: أراد بوحدانيّة العدد: جهة وحدة الكثرات وأحديّة جمعها، لاإثبات الوحدة العدديّة له تعالىٰ.

وقيل: معناه: أنّه لاكثرة فيك، أي: لاجزء لك ولاصفة لك يزيدان علىٰ ذاتك، وهو أنسب المعاني المذكورة بالمقام.

وتوضيح المرام: قوله عليه السلام: «لك يا إلهي وحدانيّة العدد» يفسّر قوله عليه السلام: «ومن سواك مختلف الحالات متنقّل في الصفات»، فإنّه عليه السّلام قابل كلّ فقرة من الفقرات الأربع المتضمّنة للصفات التي قصرها عليه سبحانه بفقرة متضمّنة لخلافها، فن سواه علىٰ طريق اللّف والنشر الذي يسميّه أرباب البديع معكوس الترتيب، وهو أن يذكر متعدّد تفصيلاً، ثمّ تذكر أشياء علىٰ عدد

....

ذلك، كلّ واحد يرجع إلىٰ واحد من المتقدّم من غير تعيين، ثقةً بأنّ السامع يردّ كلّ واحد إلىٰ مايليق به، ويكون الأوّل من النشر للآخر من اللفّ، والثاني لما قبله وهكذا علىٰ الترتيب، كعبارة الدعاء؛ فإنّ قوله عليه السّلام: «مختلف الحالات متنقّل في الصفات» راجع إلىٰ قوله: «لك يا إلهي وحدانيّة العدد»، وقوله: «مقهور علىٰ شأنه» راجع إلىٰ قوله: «وملكة القدرة الصمد»، وقوله: «مغلوب علىٰ أمره» راجع إلىٰ قوله: «وفضيلة الحول والقوّة»، وقوله: «مرحوم في عمره» راجع إلىٰ قوله: «درجة العلوّ والرفعة».

إذا علمت ذلك، ظهر لك أنّ المراد بوحدانيّة العدد له تعالىٰ معنىٰ يخالف معنىٰ اختلاف الحالات والتنقّل في الصفات لغيره سبحانه، فيكون المقصود إثبات وحدانيّة ما تعدّد من صفاته وتكثّر من جهاته، وأنّ عددها وكثرتها في الاعتبارات والمفهومات لايقتضي اختلافاً في الجهات والحيثيّات، وتركيباً من الأجزاء، بل جميع نعوته وصفاته المتعدّدة موجودة بوجود ذاته، وحيثيّة ذاته بعينها علمه وقدرته وسائر صفاته الإيجابيّة، فلاتعدّد ولا تكثّر فيها أصلاً، بل هي وحدانيّة العدد موجودة بوجود واحد بسيط من كلّ وجه؛ إذ كلّ منها عين ذاته، فلو تعدّدت لزم كون الذات الواحدة ذواتاً، تعالىٰ الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وهذا معنىٰ قولهم: واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات، فجميع صفاته الإيجابيّة عين ذاته من غير لزوم تكثّر.

فإن قلت: كيف تكون صفاته عين ذاته، ومفهوم الصفة غير مفهوم الذات؟ وأيضاً فإنّ مفهوم كلّ صفة غير مفهوم صفة أُخرىٰ، فكيف تتحّد بالذات؟

قلت: قد تكون المفهومات المتعدّدة موجودة بوجود واحد، فالصفات بحسب المفهوم وإن كانت غير الذات، وبعضها يغاير بعضها، إلاّ أنّها بحسب الوجود ليست أمراً وراء الذّات، أعني أنّ ذاته الأحديّة تعالىٰ شأنه هي بعينها صفاته الذاتيّة،

....

بمعنىٰ أنّ ذاته بذاته وجود وعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر، وهي أيضاً موجود عالم قادر حيّ سميع بصير، يترتّب عليها آثار جميع الكمالات، ويكون من حيث ذاته مبدأ لها، من غير افتقار إلىٰ معان أُخر قائمة به تسمّىٰ صفاتاً تكون مصدراً للآثار؛ لمنافاته الوحدة والغناء الذاتيّين والاختصاص بالقدم، فذاته صفاته وصفاته ذاته، لازائدة عليها كصفات غيره المخلوقين، فإنّ العلم مثلاً في غيره سبحانه صفة زائدة علىٰ ذاته مغايرة للسمع فيه، وفيه نفسه تعالىٰ وهو بعينه سمعه، وقس علىٰ ذلك سائر الصفات الثبوتيّة، فتبيّن أنّ المراد بقصر وحدانيّة العدد عليه تعالىٰ هذا المعنىٰ المخالف لصفات من سواه وحالاته، فإنّها كيفيّات نفسانيّة انفعاليّة وحالات متغيّرة ومعان مختلفة له؛ إذ كان يسمع بغيرما يبصر ويبصر بغيرما يسمع، إلى غيرذلك من صفاته المتعددة المتكثّرة التي توجب اختلاف الحالات والتنقّل في الصفات.

وبالجملة: فمعنىٰ قصر وحدانيّة العدد عليه سبحانه: نفي التعدّد والتكثّر والاختلاف عن الذات والصفات علىٰ الإطلاق، وهذا المعنىٰ مقصور عليه تعالىٰ لايتجاوزه إلىٰ غيره، والله أعلم بمقاصد أوليائه، وفي المقام كلام طويل طويناه علىٰ غرة.

قوله عليه السّلام: «وملكة القدرة الصمد» الملكة بفتحتين: القيام بالمماليك، ومايملك من ذات اليد، وفي الحديث: «حسن الملكة نماء وسوء الملكة شؤم»(١) أي: لك القيام بالقدرة الصمد، فتكون من باب الإضافة إلى المفعول، ويجوز أن يكون من باب الإضافة إلىٰ الفاعل علىٰ أنّ المعنى: بك قيام القدرة الصمد بكلّ شي.

وعرّفوا القدرة بأنّها الصفة التي يتمكّن معها الحيّ من الفعل وتركه بالإرادة والإختيار.

---

(١) هكذا في الأصل، ولكنّ الصحيح: «حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم»، راجع سنن أبي داود: ج ٤ ص ٣٤١ ح ٥١٦٣.

....

وقدرته تعالى تعود إلىٰ اعتبار كونه مصدراً لآثاره.

والصمد بالخفض: نعت للقدرة، كأنّه ممّا يستوي في الوصف به المذكّر والمؤنّث كعزب بفتحتين: وهو من الرجال من لازوج له ومن النساء أيضاً من لابعل لها، يقال: رجل عزب وامرأة عزب كذلك، قال الشاعر:

يا من يدلّ عزباً علىٰ عزب على ابنة الشيخ الحمارس الأزب(١)

ويجوز أن يكون وصف القدرة بالصمد من حيث إنّ قدرته تعالىٰ عين ذاته، وأن يكون المراد بالقدرة: القادر، بذكر المشتق منه مقام المشتق.

واختلفت أقوال العلماء في معنى الصمد، فقيل: هو فعل بمعنىٰ مفعول، من صمد إليه: اذاقصده، أي: المصمود إليه في الحوائج، قال الشاعر:

ألا بكّر الناعي بخير بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسيّد الصمد (٢)

وهذا المعنى مروي عن أبي جعفر عليه السّلام، أيضاً، روى ثقة الإسلام بسنده عن داود بن القاسم الجعفري، قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: جعلت فداك ما الصمد؟ قال: السيّد المصمود إليه في القليل والكثير(٣).

وعنه عليه السّلام أنّه قال: الصمد: السيّد المطاع الذي ليس فوقه آمر وناهي(٤).

وعنه عليه السّلام قال: حدّثني: أبي زين العابدين عن أبيه الحسين بن عليّ سيّد الشهداء أنّه قال: الصمد: الذي لاجوف له، والصمد: الذي انتهىٰ سؤدده، والصمد، الذي لايأكل ولايشرب، والصمد: الذي لاينام، والصمد: الدائم الذي لم يزل ولايزال. (٥)

---

(١) لسان العرب: ج ١ ص ٥٩٦.
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٣٢ ص ١٨١.
(٣) نور الثقلين: ج ٥ ص ٧١٠.
(٤) التوحيد: ص ٩٠ ح ٣.
(٥) التوحيد: ص ٩٠ ح ٣.

....

وعنه عليه السّلام قال: سئل عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السّلام عن الصمد، فقال: الصمد، الذي لاشريك له، ولا يؤده حفظ شيء، ولا يعزب عنه شيء (١).

وعنه عليه السّلام قال: كان محمّدبن الحنفيّة يقول: الصمد: القائم بنفسه الغنيّ عن غيره وقال غيره: الصمد: المتعالي عن الكون والفساد، والصمد: الذي لايوصف بالتغاير(٢).

وعن الصادق عليه السّلام: هوالذي يغلب ولايُغلب(٣).

وقال وهب بن وهب القرشي: قال زيدبن عليّ عليهما السّلام الصمد: الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، والصمد: الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً، وتفرّدبالوحدة بلاضدّ ولاشكل ولامثل ولاندّ (٤).

وعن زين العابدين عليه السّلام: الصمد: الذي لا من شيء ولا في شيءولا علىٰ شيء مبدع الأشياء وخالقها، ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشىٰ ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقىٰ ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمدالذي لم يلدولم يولد،عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال(٥).

وقيل: هوالذي يفعل مايشاء ويحكم مايريد (٦).

وعن الحسن: هوالذي صمدت إليه الأُمور، فلايقضي فيها غيره ولا تقتضي دونه (٧).

وروى رئيس المحدّثين في كتاب التوحيد بسند صحيح عن محمّدبن مسلم عن

---

(١) التوحيد: ص ٩٠ ح ٣.
(٢) التوحيد: ص ٩٠ ح ٣.
(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٣٢ ص ١٨٢.
(٤) التوحيد: ص ٩٠ ح ٤.
(٥) التوحيد: ص ٩٠ ح ٥.
(٦) التفسير الكبير للفخرالرازي:ج ٣٢ ص ١٨١.
(٧) لم نتحققه.

....

أبي عبدالله عليه السّلام، قال: قلت له: ماالصمد؟ قال: الذي ليس بمجوّف (١).

وبسنده أيضاً عن أبي الحسن قال: الصمد الذي لاجوف له (٢).

وأنكر ثقة الإسلام قدّس الله روحه وسرّه في كتاب الكافي هذا التأويل، قال: لأنّ ذلك لايكون إلّا من صفة الجسم، والله جلّ ذكره متعال عن ذلك (٣).

وتعقّبه بعض أصحابنا المتأخّرين فقال: بل هذا التأويل له معنىً صحيح ووجه ظاهر، إذ الجوف كما يطلق علىٰ فرجة في الباطن كذلك يطلق علىٰ الباطن وإن لم تكن له فرجة، كما إذا قيل: هذا في جوف ذاك أي: تحته، فالجوف من الصفات اللازمة للجسم، فنفيه كناية عن نفي الجسميّة عنه تعالىٰ، بل لا يبعد أن يكون هذا التأويل تنزيهاً له عن التشبيه علىٰ الإطلاق، وعن أن يكون له جزء ووجود وصفات زائدة وكمال بالقوّة؛ إذ كلّ ماكان له أحد هذه الأُمور كان له فرجة عقليّة وجوف معنوي، يستقرّ فيه وجه االتشبيه والأجزاء والصفات واستعداد الكمال، وبالجملة: فيه إشارة إلىٰ التوحيد المطلق، ونفي التشبيه بشيءمن مخاوقاته؛ إذ كلّ مخلوق فهوذو جوف وفرج، بماله من الماهيّة والأجزاء والوجود والاستعداد (٤)، إنتهىٰ.

وقال النظام النيسابوري: قيل: الصمد: هوالذي لاجوف له، ومنه قولهم لسدّاد القارورة: صمّاد، وشيءمصمد أي: صلب ليس فيه رخاوة، قال ابن قتيبة: يجوز على هذا التفسير أن تكون الدال بدل التاء من مصمت، وقال بعض المتأخّرين من أهل اللغة: الصمد: هوالملس من الحجر لايقبل الغبار ولايدخله شيء ولايخرج منه شيءولا يخفىٰ أنّ هذين المعنيين من صفات الأجسام حقيقة، إلّا أنّ وصف الله سبحانه به يمنع من حمله عليهما حقيقة؛ لأنّ كلّ جسم مركّب، فوجب

---

(١) التوحيد: ص٩٣ ح٨.
(٢) التوحيد: ص٩٣ ح٧.
(٣) الكافي: ج ١ ص ١٢٤.
(٤) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج ٤ ص ٨٢- ٨٣.

....

الحمل علىٰ المجاز، وهو أنّه لوجوب ذاته ممتنع التغيّر في وجوده وبقائه وسائر صفاته؛ ومن هنا اختلفت عبارات المفسّرين في تأويله(١)، إنتهىٰ.

قلت: والمعاني المذكورة للصمد كلّها يمكن حمل الصمد الموصوف به القدرة عليها، من حيث إنّ قدرته عزّوجلّ عين ذاته وذاته عين قدرته، إلّا أنّ الأنسب حمله علىٰ معنىٰ المصمت الذي لاجوف له، ويكون من باب التمثيل في استحكام القدرة وشدّتها، بحيث لايتطرّق إليها خلل أو ضعف؛ لأنّ الشيء إذا كان مصمتاً كان منعوتاً بشدّة القوّة والاستحكام والاضطلاع بما يضعف عنه غيره لصلابته وعدم رخاوته، ألا ترىٰ أنّهم إذا مدحوا الرمح قالوا: رمح أصمّ أي: صلب مصمت لارخاوة فيه ولايلحقه وهن واعوجاج، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «وفضيلة الحول والقوّة» الفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل، وهو ضدّ النقص.

وقال الجوهري: الفضل والفضيلة: ضدّ النقص والنقيصة(٢)

والحول: القدرة علىٰ التصرّف.

والقوّة: مبدأ الأفعال الشاقّة، وقوّته تعالىٰ تعود إلىٰ تمام قدرته تعالىٰ، فهو تعالىٰ قويّ بمعنىٰ: بالغ القدرة تامّها.

قوله عليه السّلام: «و درجة العلوّ والرفعة».

الدرجة في الأصل: المرقاة، ثم استعملت بمعنىٰ المنزلة والمرتبة الرفيعة، ومنه قوله تعالىٰ: «فَضَّلَ اللهُ المجاهدينَ بأمْوالِهِم وأنْفسِهم علىٰ القاعدينَ درجةً»(٣) أي: منزلة عالية.

والعلوّ والرفعة في اللغة بمعنىٰ، وهوالفوقيّة، ولك تخصيص العلوّ هنا بعلوّه تعالىٰ

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٣ ذيل الآية «الصمد» من سورة التوحيد.

(٢) الصحاح: ج ٥ ص ١٧٩١.

(٣) سورة النساء: الآية ٩٥.

....

علىٰ الخلق بالقدرة عليهم، والرفعة بارتفاعه عن الأشياء والاتّصاف بصفاتهم وبالعكس.

والمعنىٰ: لك درجة علوّ السلطان ورفعة الشأن؛ إذ كان سبحانه أشرف الموجودات رتبة، من جهة استغنائه في وجوده عن كلّ ماسواه، وافتقار ماسواه إليه، كما قال تعالىٰ: «رفيعُ الدرجاتِ»(١).

قال الغزالي في المقصد الأسنىٰ: العلوّ: مأخوذ من العلوّ المقابل للسفل، وذلك إمّا في درجات محسوسة كالدرج والمراقي وجميع الأجسام الموضوعة بعضها فوق بعض. وإمّا في المراتب المعقولة للموجودات المترتبة نوعاً من الترتيب العقلي، فكل ماله الفوقيّة في المكان فله العلوّ المكاني، وكلّ ماله الفوقية في الرتبة فله العلوّ في الرتبة. والتدريجات العقليّة مفهومة كالتدريجات الحسّية، ومثال الدرجات العقليّة هو التفاوت الذي بين السبب والمسبّب، والعلّة والمعلول، والفاعل والقابل، والكامل والناقص، فإذا قدّرت شيئاً هو سبب لشيء ثان، وذلك الثاني سبب لثالث، والثالث لرابع إلى عشر درجات مثلاً، فالعاشر واقع في الرتبة الأخيرة فهو الأسفل الأدنىٰ، والأوّل واقع في الدرجة الأُولىٰ من السببيّة فهو الأعلىٰ، وتكون الأُولىٰ فوق الثانية فوقيّة بالمعنىٰ لا بالمكان، والعلوّ عبارة عن الفوقيّة فإذا فهمت معنى التدريج العقلي، فاعلم أنّ الموجودات لا يمكن قسمتها إلىٰ درجات متفاوتة في العقل، إلّا ويكون الحقّ تعالىٰ في الدرجة العليا من درجات أقسامها، حتّى لا يتصوّر أن يكون فوقه درجة، وذلك هو العليّ المطلق، وكلّ ماسواه فيكون عليّاً بالإضافة إلى ما دونه، ويكون دنيّاً وسافلاً بالإضافة إلىٰ مافوقه، ومثال قسمة العقل أنّ الموجودات تنقسم إلىٰ ماهو سبب وإلىٰ ما هو مسبّب، والسبب فوق المسبّب

---

(١) سورة غافر: الآية ١٥.

....

فوقيّة بالرتبة، فالفوقيّة المطلقة ليست إلّا لمسبّب الأسباب. وكذلك ينقسم الموجود إلىٰ ميّت وحيّ، والحيّ ينقسم إلىٰ ماليس له إلّا الادراك الحسّي وهوالبهيمة، وإلىٰ ماله مع ذلك الإدراك العلمي، والذي له الإدراك العلمي ينقسم إلىٰ مايعارضه في معلوماته الشهوة والغضب وهو الإنسان، وإلىٰ مايسلم إدراكه عن معارضة المكدّرات، والذي سلم ينقسم إلىٰ مايمكن أن يبتلي به ولكنّه رزق السلامة كالملائكة، وإلىٰ مايستحيل ذلك في حقّه وهوالله تعالى فوق الكلّ فهو العليّ المطلق، فإنّه الحيّ المحيي العالم المطلق الخالق لعلوم العلماء، المنزّه المقدس عن جميع أنواع النقص. فقد وقع الميّت في الدرجة السفلىٰ من درجات الكمال، ولم يقع في الطرف الآخر إلّا الله تعالى، فهكذا ينبغي أن تفهم فوقيّته وعلوّه ورفعته، فإنّ هذه الأسماء وضعت أوّلاً بالإضافة إلى إدراك البصر وهو درجة العوام، ثمّ لمّا تنبّه الخواص لإدراك البصائر ووجدوا بينها وبين الأبصار موازنات، استعاروا منها الألفاظ المطلقة وفهمها الخواص، وأنكرها العوام الذين لم يجاوز إدراكهم الحواس وهي رتبة البهائم، فلم يفهموا عظمةً إلّا بالمساحة، ولا علوّاً إلّا بالمكان، ولا رفعة ولا فوقيّة إلّا به. فإذا فهمت هذا، فهمت معنىٰ كونه تعالىٰ فوق العرش؛ لأنّ العرش أعظم الأجسام وهو فوق جميعها، والموجود المنزّه عن التحدّد والتعدّد بحدود الأجسام ومقاديرها فوق الأجسام كلّها في الرتبة، ولكن خصّ العرش بالذكر لأنّه فوق جميع الأجسام، فما كان فوقه كان فوق جميعها، وهو كقول القائل: الخليفة فوق السلطان، تنبيهاً علىٰ أنّه إذا كان فوقه كان فوق جميع الناس الذين هم دون السلطان.

والعجب من الحشوي الذي لايفهم من الفوق إلّا المكان، ومع ذلك إذا سئل عن شخصين من الأكابر، وقيل له: كيف يجلسان في الصدور والمحافل؟ فيقول: هذا يجلس فوق ذلك، وهو يعلم أنّه ليس يجلس إلّا بجنبه، وإنّما يكون جالساً فوقه

....

لوجلس علىٰ رأسه، ولو قيل له: كذبت ماجلس فوقه ولا تحته ولكنّه جالس بجنبه، اشمأزّ وتغيّر من هذا الإنكار، وقال: إنّما أعني به فوقيّة الرتبة والقرب من الصدر، فإنّ الأقرب من الصدر ـ الذي هو المنتهى ـ فوق بالإضافة إلىٰ الأبعد، ثمّ لا يفهم هذا أنّ كلّ ترتيب له طرفان، يجوز أن يطلق علىٰ أحد طرفيه اسم الفوق وعلىٰ الطرف الآخر ما يقابله(١)، إنتهىٰ.

وقال بعضهم: علوّه تعالىٰ علوّ عقلي مطلق، بمعنىٰ أنه لا رتبة فوق رتبته ولا رتبة تساوي رتبته. وبيان ذلك: أنّ أعلىٰ مراتب الكمال العقليّة هو مرتبة العلّية، ولمّا كانت ذاته المقدّسة هي مبدأ كلّ موجود حسّي وعقلي وعلّته التي لا يتصوّر النقصان فيها بوجه من الوجوه، لاجرم كانت مرتبته أعلىٰ المراتب، ودرجته أرفع الدرجات العقليّة، وله الفوق المطلق في الوجود، والعلوّ العالي عن الإضافة إلىٰ شيءٍ دون شيءٍ وعن إمكان أن يكون أحد يساويه في العلوّ أو يكون أعلىٰ منه.

وقوله عليه السّلام: «ومن سواك مرحوم في عمره» قيل: «سوىٰ» هنا ظرف لوقوعها صلة، وليست بمعنىٰ غير؛ لأنّ غير لا تدخل هاهنا إلّا والضمير قبلها، فلا يقال: إلّا من هو غيرك، فتعيّن كون سوىٰ ظرفاً، والتقدير، ومن استقرّ مكانك.

وأُجيب بتقدير «سوىٰ» خبراً لـ «هو» محذوفاً أي: من هو سواك أي: غيرك، أو حالاً معمولة لـ «ثبت» مضمراً، وذو الحال الضمير العائد إلىٰ الموصول وهو فاعل ثبت، أي: ومن ثبت حال كونه سواك أي: غيرك مرحوم، أي: يرقّ له ويتعطّف عليه من يعلم بحقيقة حاله من ذلّه في رقّ الافتقار والحاجة والإمكان، وحقارته في أسر العبودية.

---

(١) المقصد الأسنى: ص ٧٥ـ ٧٧.

....

وقوله عليه السّلام: «في عمره» أي: في مدّة حياته لا ينفكّ عنه الذلّ والمهانة يوماً من أيّام وجوده، أو مرحوم من أجل كون عمره في قبضة غيره، فهو ذليل حقير في ملكه.

وإنّما فسّرناه بذلك فإنّ هذه الفقرة مقابلة لما قبلها من قوله عليه السّلام: «ولك درجة العلوّ والرفعة»، ويؤيّده ما وقع في نسخة ابن إدريس رضي الله عنه وفي نسخة قديمة أيضاً: «ومن سواك مرحوم في قدره» بدل «عمره» أي: مقداره ورتبته.

قوله عليه السّلام: «مغلوب علىٰ أمره» أي: مستولى علىٰ حاله؛ لأنّه مسخّر تحت حكم بارئه وقدرته، لا حول ولا قوّة إلّا به، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً دونه.

وقيل: أي: ليس له تمام الاختيار في أمره، فلا يلزم أن لا اختيار له أصلاً، وما ذكرناه أولىٰ؛ لأنّ هذه الفقرة مقابلة لقوله عليه السّلام: «ولك فضيلة الحول والقوّة».

قوله عليه السّلام: «مقهور علىٰ شأنه» الشأن: الأمر والحال، من شأنت شأنه، أي: قصدت قصده، مصدر بمعنى المفعول، أي: مغلوب علىٰ حاله، لا قدرة له علىٰ شيء من أمره استقلالاً؛ لأنّ قوّته وقدرته ومشيئته وإرادته إلى غير ذلك من شؤونه وأحواله مخلوقة فيه، لها صانع غيره، ولم تحصل فيه باختياره، ولم توجد فيه من نفسه، بل خلقه الله تعالىٰ وخلقها فيه كيف أراد، فهو مسلوب القدرة لذاته، عاجز عن أُمور نفسه، من إيجاد وإفناء وإعزاز وإذلال وتقوية وإضعاف.

وهذه الفقرة كما مرّ مقابلة لقوله عليه السّلام: «ولك ملكة القدرة الصمد».

قوله عليه السّلام: «مختلف الحالات متنقّل في الصفات» الاختلاف: هو امتناع أحد الشيئين أن يسدّ مسدّ الآخر فيما يرجع إلىٰ ذاته، كالسواد الذي لا يسدّ مسدّ البياض، وكذلك الذهاب في الجهات المختلفة والحالات المتفاوتة.

والحالات: جمع حالة مؤنّث حال، وهي الهيئة التي يكون عليها الشيء حال

....

وجوده، وقد تطلق علىٰ الكيفيّة النفسانيّة التي لا تكون راسخة في موضوعها، كصناعة الكتابة للمبتدئ، وهي بهذا المعنىٰ مقابلة للملكة، والمراد بها هنا: المعنىٰ الأوّل. وقد يعبّر عنه بالأمر العارض للشيء.

والتنقّل: تفعّل من النقلة، وهي خروج الجسم من مكان إلىٰ مكان، وهو هنا مجازٌ عن الاتّصاف بالصفات المختلفة حالاً بعد حال.

والصفات: جمع صفة، وهي المعنىٰ القائم بالذات.

ومعنىٰ اختلاف حالاته: كونها غير متماثلة، سواء كانت متضادّة كالنوم واليقظة، والفرح والحزن، والعزّ والذلّ، والرضا والغضب، أو متقابلة في الجملة كالحياء والعفّة، والشجاعة والحلم، والتواضع والزهد، والصدق والسخاء، إلى غير ذلك من الحالات.

ومعنىٰ تنقّله في الصفات: كونه لايستمرّ ولايدوم علىٰ صفة واحدة، لابحسب خلقه ولا بحسب عوارضه، بل هو تارات وأطوار، فهو بحسب خلقه متنقّل من العنصريّة إلى كونه غذاءً، إلىٰ كونه دماً، إلى كونه نطفةً، إلى كونه علقة، إلىٰ مضغة، إلىٰ كونه عظماً ولحماً، إلىٰ كونه خلقاً آخر، ثمّ من الطفوليّة إلىٰ الشبيبة، إلى الكهولة إلىٰ الشيخوخة.

وأمّا بحسب عوارضه، فهو متنقّل تارةً من العلم إلىٰ الجهل، وتارةً من الفقر إلىٰ الغنىٰ وبالعكس، وطوراً من الصحّة إلىٰ المرض وبالعكس إلى غير ذلك من الصفات.

وهذا الاختلاف والتنقّل يستلزم التركيب والكثرة، التي هي خلاف الوحدانيّة المختصّة بالله سبحانه؛ ولذلك جعل هذه الفقرة مقابلة لقوله عليه السّلام: «لك يا إلهي وحدانية العدد».

وقوله عليه السّلام: «فتعاليت عن الأشباه والأضداد» الفاء: للترتيب

....

الذكري، مثلها في نحو قوله تعالىٰ: «وأَوْرَثَنا الأَرْضَ نَتبوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حيثُ نَشاءُ فنِعْمَ أجْرُ العامِلينَ»(١)، فإنّ ذكر مدح الشيء يصحّ بعد ذكره، ويحتمل أن يكون لترتيب ماقبلها علىٰ ما بعدها، فإنّه لمّا ذكر صفاته العليا المختصّة به، وقابلها بما يخالفها من صفات من سواه، صحّ أن يرتّب علىٰ ذلك تعاليه وتكبّره عن أن يكون له شبه وضدّ وندّ ومثل.

وإنّما عدّىٰ قوله عليه السّلام: «تعاليت» و«تكبّرت» بـ «عن»، والأصل فيهما أن يتعدّيا بـ «على»؛ لتضمينهما معنىٰ تقدّست وتنزّهت.

والأشباه: جمع شبه بفتحتين كسبب وأسباب، أو جمع شبه بالكسر فالسكون كحمل وأحمال، وكلاهما لغة بمعنىٰ المثل. وقد تخصّ المشابهة بالاتحاد في الكيف، والمماثلة بالاتّحاد في الحقيقة، فيكن في المثل زيادة قرب لا تكون في الشبه، ويكون المراد بتعاليه عن الأشباه: تعاليه عن الأشياء المشاركة له في صفاته، وبتكبّره عن الأمثال: تكبّره عن الأشياء الموافقة له في حقيقة ذاته.

والأضداد: جمع ضدّ، وهو يطلق تارةً علىٰ المساوي في القوّة للمانع، وتارةً على النظير والمثل، والأوّل هو المشهور.

قال الفيومي: الضدّ هو النظير والكفؤ، والجمع أضداد(٢).

وقال أبوعمرو: الضدّ: مثل الشيء، والضدّ خلافه(٣).

والأنداد: جمع ندّ، وهو المثل المنادي أي: المعادي، من ناداه بمعنى: عاداه.

قال الزمخشري: الندّ: المثل، ولايقال إلّا للمثل المخالف المنادي، من نادَدت الرجل: خالفته ونافرته، وندّ ندوداً: نفر(٤).

---

(١) سورة الزمر: الآية ٧٤.

(٢) و(٣) المصباح المنير: ص ٤٩٠.

(٤) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٩٥.

....

قال الراغب: النّدّ: المشارك في الجوهر. أي: في الحقيقة (١).

وقال النظام النيسابوري: معنىٰ قول الموحّد: «ليس لله ندّ ولا ضدّ»: نفي مايسدّ مسدّه ونفي ماينافيه (٢).

قوله عليه السّلام: «فسبحانك لا إله إلّا أنت» الفاء: للإشارة إلىٰ أنّ ما فصلّ من شؤونه تعالىٰ موجب لتنزّهه وتنزيهه أكمل إيجاب، أي: إذا كنت علىٰ هذا الوجه من الوصف بالوحدانيّة والاقتدار، والحول والقوّة والعلوّ والرفعة، والتعالي عن الأشباه والأضداد والأمثال والأنداد، فسبحانك، أي: تنزيهاً لك عمّا لايليق بشأنك الأقدس وجنابك الأعلىٰ من صفات المخلوقين.

وعنىٰ بذلك تسبيحاً ناشئاً عن كمال طمأنينة النفس والإيقان بكونه تعالىٰ علىٰ ماذكر، أو تنزّهت عن ذلك تنزّهاً ناشئاً عن ذاتك المقدّسة.

وإيراده قبل قوله: «لا إله إلّا أنت» أي: لامستحقّ للعبادة سواك، تنبيه علىٰ أنّ استحقاق العبادة منوط بالتنزّه عن لواحق الإمكان ولوازم الحدوث، والله أعلم.

والحمدلله أوّلاً وآخراً، وصلّى الله علىٰ رسوله هادياً وسراجاً وحاشراً، وعلىٰ آله سيّما أخيه وأبي بنيه، الذي شرف بالنسب وكان له صهراً، عليّ قامع الكفّار، عليهم سلام الله والتسليمات كثيراً وافراً. سنة ١٢٦٩هـ.

---

(١) المفردات: ص٤٨٦، نقلاً بالمعنى ج ١ ص٦٦.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص٦٦.

الروضة التاسعة والعشرون

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قُتِّرَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ

اَللّٰهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنَا فِي أَرْزَاقِنَا بِسُوءِ الظَّنِّ وَفِي آجَالِنَا بِطُولِ الْأَمَلِ
حَتَّى الْتَمَسْنَا أَرْزَاقَكَ مِنْ عِنْدِ الْمَرْزُوقِينَ وَطَمِعْنَا بِآمَالِنَا فِي أَعْمَارِ الْمُعَمَّرِينَ
فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لَنَا يَقِيناً صَادِقاً تَكْفِينَا بِهِ مِنْ مَؤُونَةِ الطَّلَبِ
وَأَلْهِمْنَا ثِقَةً خَالِصَةً تُعْفِينَا بِهَا مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ وَاجْعَلْ مَا صَرَّحْتَ
بِهِ مِنْ عِدَتِكَ فِي وَحْيِكَ وَأَتْبَعْتَهُ مِنْ قَسَمِكَ فِي كِتَابِكَ قَاطِعاً لِاهْتِمَامِنَا
بِالرِّزْقِ الَّذِي تَكَفَّلْتَ بِهِ وَحَسْماً لِلِاشْتِغَالِ بِمَا ضَمِنْتَ الْكِفَايَةَ لَهُ فَقُلْتَ
وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الْأَصْدَقُ وَأَقْسَمْتَ وَقَسَمُكَ الْأَبَرُّ الْأَوْفَى وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ثُمَّ قُلْتَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَ
الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ
تَنْطِقُونَ

بسم الله الرّحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمدلله قاسم الأرزاق والآجال، الفاسح للآمال أفسح مجال، والصّلاة والسّلام علىٰ نبيّه المنزل عليه الكتاب هدىً للمتّقين، وعلىٰ أهل بيته الهادين السالكين إلىٰ الحقّ اليقين.

وبعد فهذه الروضة التاسعة والعشرون من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاءالتاسع والعشرين من صحيفة سيّد العابدين، صلّى الله عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء العبد الراجي فضل ربّه السنيّ عليّ صدرالدّين الحسينيّ الحسنيّ، عامله الله تعالىٰ بلطفه الخفيّ وبرّه الحفيّ.

شرح الدعاء التاسع والعشرين

وكانَ مِن دُعائِهِ عليهِ السّلامُ إذا قُتِّر عليه الرزقُ.

قتر عليه قتراً وقتوراً -من بابي ضرب وقعد- وأقتر إقتاراً وقتّر تقتيراً: ضيّق عليه في النفقة، ومثله: قدر بالدال- من باب ضرب-، ومنه قوله تعالىٰ: «اللهُ يُبسُط الرزقَ لمنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ويَقدِرُ لَهُ»(١).

والرزق اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فينتفع به، فيكون متناولاً للحلال والحرام، هذا قول الأشعري.

وقالت المعتزلة: هو عبارة عن مملوك ينتفع به المالك، فلا يكون الحرام رزقاً. وقد أسلفنا الكلام علىٰ هذه المسألة في الروضة الأُولىٰ فليرجع إليه.

واعلم أنّ الله سبحانه وتعالىٰ يبتلي أنبياءه وأولياءه وعباده الصالحين بتقتير الرزق؛ لوجوه من الحكمة وضروب من المصلحة، اقتضتها عنايته سبحانه بهم، كما دلّ عليه صحيح الخبر ومستفيض الأثر.

منها: إكرامهم وصيانتهم عن الاشتغال بالدنيا وقنياتها والتنعّم بطيّباتها؛ لما تقرّر من أنّ الدنيا والآخرة ضرّتان، بقدر مايقرب من إحداهما يبعد من الأُخرىَ(٢). والأنبياء عليهم السّلام ومن سلك سبيلهم، وإن كانوا أكمل الخلق نفوساً، وأقواهم استعداداً لقبول الكمالات النفسانيّة، إلّا أنّهم محتاجون إلىٰ الرياضات التامّة بالإعراض عن الدنيا وطيّباتها، وهو الزهد الحقيقي، وإلىٰ تطويع نفوسهم الأمّارة لنفوسهم المطمئنّة بالعبادة التامّة، كما هو المشهود من أحوالهم

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٢.

(٢) مجموعة ورّام: ج ١ ص١٣٨.

....

صلوات الله عليهم؛ فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يربط علىٰ بطنه حجراً من الجوع، وكان يسمّيه بالمشبع(١). وإلىٰ ذلك أشار من قال:

وشدّ من سغب أحشاءه وطوىٰ تحت الحجارة كشحاً مترف الأدم

ومن كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام: وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله، لأروضنّ نفسي رياضة تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً(٢)

وليس ذلك منهم عليهم السّلام إلّا زهداً في الدنيا، وإعراضاً عن متاعها وزينتها؛ لما كان ذلك شرطاً في بلوغهم درجات النبوّة والرسالة، ومراتب الوحي والولاية، فلو فتحت لهم أبواب الدنيا، واشتغلوا بنعيمها وانغمسوا في لذّاتها، لانقطعوا عن حضرة جلال الله، وبعدوا عن ساحة القرب منه والوصول إليه.

ومنها: إعظام مثوباتهم على الصبر والقناعة، وظلف أنفسهم عن النزوع إلىٰ الدنيا وشهواتها؛ لأنّه كلّما كانت المحنة أعظم كانت المثوبة عليها أجزل.

ومنها: ابتلاء المتكبّرين وأرباب الدنيا بهم؛ إذ لو وسّع الله عليهم أرزاقهم، فاتّسعوا في القنيات الدنيويّة من الكنوز والقناطير المقنطرة من الذهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث، لكانت طاعة الناس لهم أسرع، والانحياش إليهم أقرب، كما قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه في خطبته القاصعة: فإنّ الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم، ولقد دخل موسىٰ بن عمران ومعه أخوه عليهما السّلام علىٰ فرعون، وعليهما مدارع الصوف وبأيديهم العصيّ، فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزّه، فقال: ألا تعجبون من هذين؟ يشترطان لي دوام العزّ وبقاء الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذلّ، فهلّا ألقيا عليهما أساور من ذهب؟ إعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه،

---

(١) مجموعة ورّام: ج ١ ص ١٥٣، نقلاً بالمعنى. (٢) نهج البلاغة: ص ٤١٩ الرسائل ٤٥.

....

ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقبان ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طير السماء و وحوش الأرضين لفعل، ولو فعل لسقط البلاء و بطل الجزاء(١)

ومنها: ابتلاؤهم بالمتكبّرين والمكذّبين؛ لأنّهم لوكانوا على الحالة الموصوفة من الاتّساع في الدنيا، لسقط بلاؤهم بالصبر على أذى المسكنة من المكذّبين لهم والمستخفّين بشأنهم، كما قال أهل مدين لشعيب عليه السّلام: «يا شُعيبُ ما نَفْقَهُ كثيراً مِمّا تقولُ وإنّا لنَراكَ فينا ضعيفاً ولَولا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وما أنتَ عَلينا بعزيزٍ»(٢)

ومنها: تأسّي المسلمين واقتداء المؤمنين بهم عليهم السّلام، في العزوف عن الدنيا والإعراض عن زخرفها وزبرجها؛ إذ كانوا هم القدوة للخلق ومحلّ الأُسوة لهم كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كافٍ لك في الأُسوة، ودليل على ذمّ الدنيا وعيبها، وكثرة مجازيها ومساوئها؛ إذ قبضت عنه أطرافها، و وطّئت لغيره أكنافها، وفطم من رضاعها، وزوي عن زخارفها. وإن شئت ثنّيت بموسى كليم الله عليه السّلام، حيث يقول: «ربِّ إنّي لِما أنزلتَ إليَّ مِنْ خَيرٍ فقيرٌ»(٣)، والله ما سأله إلّا خبزاً يأكله؛ لأنّه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه؛ لهزاله وتشذّب لحمه. وإن شئت ثلّثت بداود عليه السّلام، صاحب المزامير وقارئ أهل الجنّة، ولقد كان يعمل سفائف الخوص، ويقول لجلسائه: أيّكم يكفيني بيعها، ويأكل قرص الشعير من ثمنها. وإن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السّلام، فلقد كان يتوسّد الحجر، ويلبس الخشن، ويأكل الجشب، وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وصلاؤه في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢٩١ الخطب ١٩٢. (٢) سورة هود: الآية ٩١. (٣) سورة القصص: الآية ٢٤.

....

للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولامال يلفته، ولا طمع يذلّه، دابّته رجلاه، وخادمه يداه، فتأسّ بنبيّك الأطهر صلّى الله عليه وآله؛ فإنّ فيه أُسوة حسنة لمن تأسّى، عزاءً لمن تعزّى، وأحبّ العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه، والمقتصّ لأثره. إلى أن قال عليه السّلام: ولقد كان في رسول الله صلّى الله عليه وآله مايدلّك على مساوئ الدنيا وعيوبها؛ إذ جاع فيها مع خاصّته، وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله، أكرم الله محمّداً بذلك أم أهانه؟ فإن قال: أهانه، فقد كذّب العظيم، وإن قال: أكرمه؛ فليعلم أنّ الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له، وزواها عن أقرب الناس منه، فتأسّى متأسّ بنبيّه، واقتصّ أثره وولج مولجه، وإلّا فلا يأمن الهلكة، فإنّ الله جعل محمّداً صلّى الله عليه وآله علماً للساعة، ومبشّراً بالجنّة، ونذيراً بالعقوبة، وخرج من الدنيا خميصاً، وورد الآخرة سليماً، لم يضع حجراً على حجر حتّى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربّه، فما أعظم منّة الله علينا حين أنعم علينا به سلفاً نتّبعه، وقائداً نطأعقبه، والله لقد رقّعت مدرعتي هذه حتّى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها عنك فقلت: اعزب عنّي، فعند الصباح يحمد القوم السرى (١).

ومنها: إيثاره سبحانه لهم بالحضور في حضرته المقدّسة، بالدعاء والابتهال والتضرّع والسؤال، كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ الله يبتلي العبد وهو يحبّه ليسمع تضرّعه(٢).

وعن ذلك كان يقول بعض أرباب القلوب: الدعاء يوجب الحضور، والعطاء يوجب الصرف، والمقام على الباب أشرف من الانصراف بالمبار(٣).

وعلى هذا ما روي عنه صلّى الله عليه وآله من طريق العامّة والخاصّة، أنّه

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢٢٤ـ ٢٢٩ الخطب ١٦٠.

(٢) مجموعة ورّام: ج ٢ ص ٢٣٧، نقلاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

(٣) لم نتحققه.

أَللّٰهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنا في أرزاقِنا بِسُوءِ الظَّنِ، وفي آجالِنا بِطُولِ الأَمَلِ، حتّىٰ التَمَسْنا أرزاقَنا مِنْ عِنْدِ المَرْزُوقينَ، وَطَمِعْنا بآمالِنا في أعمارِ المُعَمَّرِينَ.

قال: عرض عليّ ربّي أن يجعل لي بطحاء مكّة ذهباً، فقلت: لايارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرّعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك(١). ودعاء سيّد العابدين عليه السّلام إذا قتر عليه الرزق داخل في هذا الباب، والله أعلم.

الابتلاء: الاختبار، وابتلاء الله تعالىٰ عبارة عن معاملته لعباده معاملة المبتلي المختبر؛ لأنّه سبحانه عالم الخفيّات والسرائر وما كان ومايكون، فلا يتصوّر في حقّه الاختبار حقيقةً، وقد تقدّم بيان ذلك مبسوطاً في الروضة الأُولىٰ والروضة السادسة، فليرجع إليه.

وسوء الظنّ هنا: عبارة عن عدم اليقين بأنّ الأرزاق إنّما تكون من الله سبحانه وتعالىٰ، وأنّها صادرة عن قسمته الربّانية، المكتوبة بقلم القضاء الإلهي في اللوح المحفوظ الذي هو خزانة كلّ شيء، كما قال عزّ شأنه في محكم كتابه: «نحنُ قسمْنا بينهُمْ مَعيشتهم في الحياةِ الدُنيا»(٢)، وأنّ حصولها إلىٰ المرزوقين بمقتضىٰ قسمته تعالىٰ، كما قال الله سبحانه وتعالىٰ: «وإنْ مِن شَيءٍ إلّا عِنْدَنا خزائنُهُ وما نُنزِّلُه إلّا بقَدَرٍ معلُومٍ»(٣)، فلايزيد فيه حيلة محتال، ولاينقص منه عجز عاجز، فعدم اليقين بذلك إمّا شكّ فيه، أو اعتقاد راجح بانّ الأمر علىٰ خلاف ذلك، وكلّ منهما سوء ظنّ ناشئ من ضعف القلب لاستيلاء مرض الوهم عليه؛ فإنّ الوهم كثيراً ما يعارض اليقين، كمن تراه لايبيت وحده مع ميّت وهو يبيت مع جماد، مع علمه بأنّ

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ٢٥٤، هذا من طريق العامّة. وأمّا من طريق الخاصّة: بحارالأنوار: ج ١٦ ص ٢٧٩ ح ١١٨، وص ٢٢٠ ح ١٢.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣٢.

(٣) سورة الحجر: الآية ٢١.

....

الميّت أيضاً جماد، فيبعثه ذلك علىٰ عدم الثقة بالله جلّ جلاله في حصول رزقه من غير اهتمام واكتساب، وعلىٰ الاعتماد علىٰ الكسب والطلب والتعب والنصب، فيحمله ذلك علىٰ ذلّ السؤال ورذيلة الاكتساب، وقد صرّح أميرالمؤمنين صلوات الله عليه بهذا المعنىٰ في قوله: اعلموا علماً يقيناً أنّ الله لم يجعل للعبد، وإن عظمت حيلته واشتدّت طلبته وقويت مكيدته، أكثر ممّا سمّي له في الذكر الحكيم، ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلّة حيلته، وبين أن يبلغ ماسمّي له في الذكر الحكيم، والعارف لهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعة، والتارك له الشاكّ فيه أعظم الناس شغلاً في مضرّة(١). وفي هذا المعنىٰ أخبار كثيرة.

والآجال: جمع أجل بفتحتين، وقد علمت أنّه يطلق علىٰ مدّة العمر، وعلىٰ الوقت الذي ينقرض فيه.

والأمل: توقّع حصول محبوب للنفس في المستقبل، والمراد بطول الأمل في الآجال: توقّع امتداد مدّة العمر، أو تأخّر الوقت الذي تنقرض فيه.

و«حتىٰ» هنا: حرف ابتداء، مثلها في قوله تعالىٰ في الأعراف: «ثُمَّ بدّلنا مكانَ السيّئةِ الحسَنةَ حتّىٰ عَفَوا وقالُوا قدْ مَسَّ آباءَنا الضرّاءُ والسّراءُ»(٢).

قال الرضي: معنىٰ كونها حرف ابتداء: أنّ مابعدها جملة استئنافيّة لا تتعلّق من حيث الإعراب بما قبلها، ولا نعني بكونها حرف ابتداء أنّ ما بعدها مبتدأ مقدّر، أي: نحن التمسنا وهم عفوا؛ لأنّ ذلك لايطّرد في نحو قوله سبحانه وتعالى: «وزُلزِلوا حتّىٰ يقولُ الرسولُ» بالرفع، فإنّ حتىٰ فيه ابتدائيّة قطعاً(٣)، إنتهىٰ.

قال ابن الحاجب: إذا كانت «حتّىٰ» حرف ابتداء وجبت السببيّة؛ لأنّ الاتّصال اللفظي زال بسبب الاستئناف، فشرطت السببيّة التي هي موجبة

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٢٣ الحكم ٢٧٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٩٥.

(٣) الكافية في النحو: ج ٢ ص٢٤٣.

....

لـلا تّصال المعنوي، فإنّ السبب متّصل بالمسبّب معنى؛ جبراً لما فات من الاتّصال اللفظي(١)، إنتهىٰ.

والسببيّة هنا ظاهرة؛ فإنّ الالتماس مسبّب عن الابتلاء، كما أنّ العفو أي: الكثرة مسبّب عن التبديل.

قال ابن هشام: وزعم ابن مالك أنّ «حتّىٰ» هذه جارّة، وأنّ بعدها «أن» مضمرة، ولا أعرف في ذلك سلفاً، وفيه تكلّف إضمار من غير ضرورة(٢)، إنتهىٰ.

وقال السيوطي: الأكثرون علىٰ خلاف ما ادّعاه ابن مالك.(٣)

ومن العجيب ما وقع لبعضهم أنّ «حتّىٰ» في عبارة الدعاء عاطفةً، وخفي عليهم أنّ شرط العطف بحتّىٰ كون معطوفها بعضاً مما قبلها أو كبعض منه، ولايتأتّىٰ ذلك إلّا في المفردات، مع أنّ العطف بحتّىٰ قليل جدّاً، حتّىٰ أنّ أهل الكوفة ينكرونه البتّة، والله الهادي إلىٰ سبيل الصواب.

والالتماس: طلب الشيء ممّن يساوي الطالب رتبةً علىٰ سبيل التلطّف، كقولك لمن يساويك: إفعل كذا أيّها الأخ.

وإضافة الأرزاق إلىٰ ضمير المخاطب وهوالله سبحانه، باعتبار أنّها فعله، وإلىٰ ضمير المتكلّم مع غيره، كما في نسخة ابن إدريس، باعتبار اختصاصها بهم.

قوله عليه السّلام: «من عند المرزوقين» أي: من الذين رزقتهم، أو من الناس الذين من شأنهم أن يرزقوا.

والتعرّض لعنوان المرزوقيّة للإشعار بأنّ المرزوق من شأنه أن يسأل هوالرزق، لاأن يسأل منه الرزق.

وهذه الفقرة متعلّق معناها بسوء الظنّ في الأرزاق؛ إذ لولاه لكان العقل

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢٤٣.

(٢) مغني اللبيب: ص ١٧٤.

(٣) همع الهوامع للسيوطي: ج ٢ ص ٢٤.

....

حاكماً بأنّ طلب الرزق من المرزوق لاوجه له، مع ما في ذلك من الذلّ والخضوع للمطلوب إليه، ومهانة النفس، واشتغالها عن التوجّه إلىٰ الرازق، وكلّ ذلك ممّا يقضي العقل بقبحه، وما أحسن ما قيل:

من لم يكن لله متّهماً لم يمس محتاجاً إلى أحد

قوله عليه السّلام: «وطمعنا بآمالنا في أعمار المعمّرين» طمع في الشئ طمعاً -من باب تعب-: حرص عليه ورجاه.

والمعمّرين: جمع معمّر، اسم مفعول من عمّره الله تعميراً أي: أطال عمره.

وهذه الجملة متعلّقة بطول الأمل في الآجال، أي: طمعنا بسبب آمالنا الطويلة في أن نعمّر مثل أعمارهم، وهذا المعنىٰ أيضاً باعث علىٰ الاهتمام بتحصيل الرزق وطلبه، والكدّ والجهد في كسبه وجمعه.

فائدة

قال ابن دريد: لا تعدّ العرب معمّراً إلّا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً(١).

قال الطبيعيّون: العمر الطبيعي للإنسان مائة وعشرون سنة؛ لأنّ التجربة دلّت علىٰ أنّ غاية سنّ النموّ ثلاثون سنة، وغاية سنّ الوقوف عشرة، فهذه أربعون، ويجب أن تكون غاية سنّ النقصان ضعف الأربعين المتقدّمة، فيكون نهاية العمر مائة وعشرين سنة، قالوا: وإنّما صار زمان الفساد ضعف زمان الكون، أمّا من السبب المادّي، فلأنّ في زمان نقصان البدن تغلب اليبوسة علىٰ البدن فتتمسّك بالقوّة، وأمّا من السبب الفاعلي، فلأنّ الطبيعة تتأدّىٰ إلىٰ الأفضل، وتتحامىٰ عن الأنقص.

(١) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٢٣٦.

....

وزعم بعض المنجّمين: أنّ سبب كون نهاية العمر مائة وعشرين سنة، هو أنّ قوام العالم بالشمس، وسنوها الكبرىٰ مائة وعشرون سنة.

وتعقّب بعضهم ذلك بأنّه ليس في قول الطائفتين برهان قطعي يدلّ علىٰ أنّ نهاية عمر الإنسان هذا القدر أو قدر معيّن غيره، وقد جاءت الكتب الإلهيّة بإثبات الأعمار الطويلة للامم السالفة، قال الله تعالىٰ في حقّ نوح عليه السّلام: «فَلَبِثَ فيهِم ألفَ سَنةٍ إلّا خَمسينَ عاماً»(١)، والتوراة والإنجيل مطابقان للقرآن العظيم في إثبات الأعمار الطويلة للادميين، والإصرار علىٰ إنكار ذلك دليل علىٰ الجهل.

وقال الشيخ أبوالريحان البيروني في الكتاب المسمّىٰ بالآثار الباقية عن القرون الخالية: وقد أنكر بعض أغمار الحشويّة والدهريّة ماوصف من طول الأعمار الخالية، وخاصّة فيما وراء زمان ابراهيم عليه السّلام، وذكر شيئاً من كلام المنجّمين، ثمّ حكىٰ عن ماشاءالله أنّه قال في أوّل كتابه في المواليد: يمكن أن يعيش أصحاب سنّي القران الأوسط إذا اتّفق الميلاد عند تحويل القران إلىٰ الحمل ومثلّثاته، وكانت الدلالات علىٰ ما ذكرناه أن يبقى المولود سنّي القران الأعظم وهي تسعمائة وستّون سنة بالتقريب، حتّىٰ يعود القران إلىٰ موضعه(٢) إنتهىٰ.

وقال النظام النيسابوري في تفسيره: قال بعض الأطبّاء: العمر الطبيعي للإنسان مائة وعشرون سنة، فاعترض عليه بعمر نوح عليه السّلام وغيره، وذلك أنّ المفسّرين قالوا: إنّ نوحاً عليه السّلام عمّر ألفاً وخمسين سنة، بعث علىٰ رأس أربعين سنة، ولبث في قومه تسعمائه وخمسين، وعاش بعده ستّين، وعن وهب

(١) سورة العنكبوت: الآية ١٤.

(٢) الآثار الباقيّة عن القرون الخالية: ص٧٨- ٧٩ أوفسيت مطبعة المثنى بغداد طبع سنة ١٩٢٣ ميلادي برلين.

....

أنه عاش ألفاً وأربعمائه سنة.

ويمكن أن يقال: إنّهم أرادوا بالطبيعي: ماكان أكثرياً في أعصارهم، ولاينافي هذا كون بعض الأعمار زائداً علىٰ هذا القدر بطريق خرق العادة، علىٰ أنّ العادة قد تختلف باختلاف الأعصار والأدوار؛ ولهذا قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أعمار اُمّتي مابين الستّين إلىٰ السبعين(١)، إنتهىٰ.

وقال الشريف المرتضىٰ قدّس سرّه: إن قيل: إنّ كثيراً من الناس ينكر تطاول الأعمار وامتدادها، ويقول: إنّه لاقدرة عليه ولا سبيل إليه، ومنهم من ينزل في إنكاره درجة فيقول: إنّه وإن كان جائزاً من طريق القدرة والإمكان فإنّه ممّا يقطع علىٰ انتفائه؛ لكونه خارقاً للعادات، وإنّ العادات إذا اُوثق الدليل بأنّها لا تنخرق إلّا علىٰ سبيل الإبانة والدلالة علىٰ صدق نبيّ من الأنبياء عليهم السّلام، علم أنّ جميع ماروي من زيادة الأعمار علىٰ العادة باطل مصنوع، ولا يلتفت إلىٰ مثله.

قلنا: أمّا من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة وأخرجه من باب الإمكان، فقوله ظاهر الفساد؛ لأنّه لوعلم ما العمر في الحقيقة، وما المقتضي لدوامه إذا دام، وانقطاعه إذا انقطع، لعلم من جواز امتداده ما علمناه. والعمر: هو استمرار كون من يجوز أن يكون حيّاً وغير حيّ حيّاً، وشرطنا أن يكون ممن يجوز أن يكون غير حيّ؛ احترازاً من أن يلزم عليه القديم تعالى؛ لأنّه تعالىٰ ممّن لايوصف بالعمر وإن استمرّ كونه حيّاً، وقد علمنا أنّ المختص بفعل الحياة هوالقديم تعالىٰ، وفيما يحتاج إليه الحياة من البنية والمعاني مايختص به عزّوجلّ، ولايدخل إلّا تحت مقدوره تعالى، كالرطوبة ومايجري مجراها، فمتىٰ فعل القديم تعالى الحياة وما تحتاج إليه من البنية، وهي ممّا لايجوزعليه البقاء، وكذلك مايحتاج إليه، فليست تنتفي

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج٣ ذيل الآية ١٤ من سورة العنكبوت.

....

إلّا بضدّ يطرأ عليها، أو بضدّ ينفي مايحتاج إليه، والأقوىٰ أنّه لاضدّ لها في الحقيقة، وإنّما ادّعىٰ قوم أنّه انتفاء مايحتاج إليه.

ولوكان للحياة ضدّ علىٰ الحقيقة لم يخلّ بما قصدناه في هذا الباب، فمهما لم يفعل القديم تعالى ضدّها أوضدّ ما تحتاج إليه، ولا نقض ناقض بنية الحيّ، استمرّ كونه حيّاً.

ولوكانت الحياة أيضاً لا تبقىٰ علىٰ مذهب من رأىٰ ذلك، لكان ما قصدناه صحيحاً؛ لأنّه تعالىٰ قادر علىٰ أن يفعلها حالاً فحالاً، فيوالي بين فعلها وفعل مايحتاج إليه، فيستمرّ كون الحيّ حيّاً.

فأمّا ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلوّ السنّ، وتناقص بنية الإنسان، فليس ممّا لابدّ منه، وإنّما أجرىٰ الله تعالىٰ العادة بأن يفعل ذلك عند تطاول الزمان، ولا إيجاب هناك، ولا تأثير للزمان علىٰ وجه من الوجوه، وهو تعالى قادر علىٰ أن لا يفعل (ما أجرىٰ العادة بفعله.

وإذا ثبت هذه الجملة ثبت أنّ تطاول العمر ممكن غير مستحيل، وإنّما أتىٰ من أحال ذلك من حيث اعتقد أنّ استمرار كون الحيّ حيّاً موجب عن طبيعة وقوّة لهما مبلغ من المادّة، متىٰ انتهيا إليه انقطعتا أو استحال أن تدوما، ولو أضافوا ذلك إلىٰ فاعل مختار متصرّف لخرج عندهم من باب الإحالة.

فأمّا الكلام في دخول ذلك في العادة وخروجه عنها، فلا شك في أنّ العادة قدجرت في الأعمار بأقدار متقاربة، يعدّ الزائد عليها خارقاً للعادة، إلّا أنّه قد ثبت أنّ العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً.

ويجب أن يراعىٰ في العادة إضافتها إلىٰ من هي عادة له في المكان والوقت، وليس يمتنع أن يقلّ ما كانت العادة جارية به علىٰ تدريج حتّى يصير حدوثه خارقاً للعادة بغير خلاف، ولا أن يكثر الخارق للعادة حتّىٰ يصير حدوثه غير خارق لها علىٰ

....

خلاف فيه، وإذا صحّ ذلك لم يمتنع أن تكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمال وامتدادها، ثمّ تناقص ذلك علىٰ تدريج حتّىٰ صارت عادته الآن جارية بخلافه، وصار مابلغ مبلغ تلك الأعمار خارقاً للعادة(١).

وهذه جملة فيما أردناه كافية.

ذكر جملة من المعمّرين

فنهم:

لقمان بن عاديا، قال الإخباريّون: كان لقمان بن عاديا بن لجين بن عادبن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السّلام، أطول الناس عمراً، عاش ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة سنة، ويقال: إنّه عمّر عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ النسر الذكر فيجعله في الجبل، فيعيش النسر ماعاش، فإذا مات أخذ آخر فربّاه، حتّىٰ كان السابع وكان أطولها عمراً فسمّاه لُبَد- ولبَد بلسانهم: الدهر- فلمّا انقضىٰ عمر لُبَد رآه لقمان واقعاً، فناداه انهض لبد، فذهب لينهض فلم يستطع فسقط، ومات لقمان معه، فضرب به المثل، فقيل: طال الأبد على لُبَد(٢)و(٣).

ومنهم عمروبن عامر الملقّب بـ «مزيقياء» ملك أرض سبا، روىٰ الأصبهاني وغيره أنّه عاش ثمان مائة سنة، أربعمائة سنة: سوقة في حياة أبيه، وأربعمائة سنة ملكاً، وكان في سنيّ ملكه يلبس في كلّ يوم حلّتين، فإذا كان بالعشيّ مزّق الحلّتين لئلاّ يلبسها غيره، فسمّي «مزيقياء» (٤).

ومنهم جهلمة بن ادد بن زيدبن يشجب بن غريب بن زيدبن كهلان بن

(١) السيد المرتضى: ج ١ ص ٢٧٠- ٢٧٢، مع اختلاف يسيرفي بعض الالفاظ.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ج ٢ ص ٥٥٩.

(٣) مجمع الأمثال: ج ١ ص ٤٢٩.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ج ٢ ص ٥٦٠.

....

يعرب، ويقال لجهلمة: طيّ، وإليه تنسب قبيلة طيّ كلّها، وكان له ابن أخ يقال له: يحابر بن ملك بن ادد، وكان قد أتىٰ على كلّ واحد منهما خمسمائة سنة، وقع بينهما ملاحاة بسبب المرعىٰ، فخاف جهلمة هلاك عشيرته، فرحل عنه وطوىٰ المنازل، فسمّي طيّاً، وهو صاحب «أجأ» و«سلمىٰ» وهما جبلان بطيء(١).

ومنهم دويدبن نهد(٢) بن زيدبن سودبن أسلم بضمّ اللام بن الحاف بن قضاعة، قال أبوحاتم: عاش دويدبن زيد أربعمائة سنة وخمسين سنة(٣)

ومنهم: عبد المسيح بن بقيلة الغسّاني، ذكر الكلبي وغيره: أنّه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام فلم يسلم، وكان نصرانياً، وخبره مع خالدبن الوليد لمّا نزل على الحيرة معروف.(٤)

ومنهم: الحرث بن مضاض الجرهمي، عاش أربعمائة سنة، وهو القائل:

كأن لم يكن بين الحجون إلىٰ الصفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامر
نعم نحن كنّا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر(٥).

ومنهم: ربيع بن ضبع بن وهب، روي أنّه عاش ثلاثمائة وأربعين سنة، فأدرك النبيّ صلّى الله عليه وآله فلم يسلم(٦).

وروي أنّه عاش إلىٰ أيّام عبدالملك بن مروان، فدخل عليه فقال له عبدالملك: فصّل لي عمرك، قال: عشت مائتي سنة في فترة عيسىٰ، ومائة وعشرين سنة في

(١) بحارالأنوار: ج ٥١ ص ٢٩١.
(٢) هكذا في الأصل، ولكنّ الصحيح: دويدبن زيدبن نهدبن زيدبن ليث بن سود.
(٣) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٢٣٦. بحارالأنوار ج ٥١ ص ٢٦٥ وفيها: أربعمائة سنة وستّاً وخمسين سنه.
(٤) أمالي المرتضى: ج ١ ص ٢٦٠، بحارالأنوار: ج ٥١ ص ٢٨٠- ٢٨١.
(٥) بحارالأنوار: ج ٥١ ص ٢٨٩.
(٦) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٥٦١.

....

الجاهليّة، وستّين في الإسلام، فقال له: لقد طلبك جدّ غير عاثر (١).

ومنهم: عمرو بن لحى، وهو ربيعة بن حارث بن عمرو مزيقيا، وهو الذي سنّ السائبة والوصيلة والحام، ونقل هبل ومناة من الشام إلىٰ مكّة، فوضعهما للعبادة، وقدم بالنرد، وهو أوّل من أدخلها مكّة، فكانوا يلعبون بها في الكعبة غدوّةً وعشيّةً(٢)، وهلك وهو ابن ثلاثمائة سنة وخمس وأربعين سنة(٣).

ومنهم: المستوغر بن ربيعة بن كعب بن زيد مناة، عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة حتّىٰ قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها / وعمرت من بعد السنين سنينا
مائة أتت من بعدها مائتان لي / وازددت من عدد الشهور مئينا
هل مابقي إلّا كما قد فاتنا / يوم يكرّ وليلة تحدونا (٤)

ومنهم: أكثم بن صيفي الأسدي، عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة، وكان ممّن أدرك زمن النبيّ صلّى الله عليه وآله وآمن به، ومات قبل أن يلقاه، وله أخبار وحكم وأمثال(٥)، وكان والده صيفي بن رياح بن أكثم أيضاً من المعمّرين، عاش مائتين وسبعين سنة لاينكر من عقله شيء (٦).

ومنهم: عمرو بن حممة الدوسي، عاش أربعمائة سنة، وهو الذي يقول:

كبرت وطال العمر حتّى كأنّني / سليم أفاع ليلة غير مودع
فما الموت أفناني ولكن تتابعت / عليّ سنون من مصيف ومربع
ثلاث مئات قد مررن كواملاً / وها أنا هذا أرتجي مرّ أربع (٧)

والمعمّرون من العرب دون هؤلاء كثيرون لانطوّل بذكرهم.

---

(١) امالي المرتضى: ج ١ ص ٢٥٣ـ ٢٥٤.
(٢) بحارالأنوار: ج ٥١ ص ٢٩١.
(٣) مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٠.
(٤) أمالي السيد المرتضى ج ١ ص ٢٣٤.
(٥) و(٦) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٥٧٠.
(٧) بحارالأنوار: ج ٥١ ص ٢٨٩.

فَصَلِ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَهَبْ لنا يَقيناً صادِقاً، تغضينا بِهِ مِنْ مُؤْونَةِ الطلب وَألهمْنا ثِقَةً خالِصَةً، تُعْفينا بها مِنْ شِدَّةِ النَصَب.

وأمّا الفرس فإنّها تزعم أنّ من ملوكها فيما تقدّم جماعة طالت أعمارهم، فيروون أنّ الضحّاك صاحب الحيّتين عاش ألفاً ومائتي سنة(١)، وإفريدون العادل عاش فوق ألف سنة، ويقولون(٢): إنّ الملك الذي أحدث المهرجان عاش ألفي سنة وخمسمائة سنة، استترمنها عن قومه ستمائة سنة(٣).

وروىٰ أصحاب الأخبار: أنّ سلمان الفارسي رضي الله عنه عاش ثلا ثمائة وخمسين سنة، وقال بعضهم: بل عاش أكثر من أربعمائة سنة(٤)، وقيل: إنّه أدرك عيسىٰ عليه السّلام، وتوفيّ سنة خمس وثلا ثين من الهجرة (٥)والله أعلم *.

اليقين: هو العلم بالشيءضرورة واستدلالاً بعد أن كان صاحبه شاكاً فيه، ولذلك لايوصف الباري تعالىٰ بأنّه متيقن ولايقال:تيقّنت أن السماء فوقي.

وقيل: هوالعلم بالحقّ مع العلم بأنّه لايكون غيره، ولذلك قال المحقق الطوسي: وهو مركّب من علمين (٦) وقد أسلفنا الكلام عليه مبسوطاً (٧).

والمراد باليقين الصادق: المستقرّ الراسخ في القلب؛ إذ إطلاقه علىٰ غير الراسخ كاذب، وقيل: هو قيد للاحترازعن العلم بالباطل، فإنّه يقين عند الجهلة غير صادق، ولا يخفىٰ مافيه.

والإغضاء في الأصل: إدناء الجفون، ثمّ استعمل في التغافل والصدود.

وفي القاموس: أغضىٰ عنه طرفه: سدّه أو صدّه(٨).

---

(١) و(٢) و(٣) بحارالأنوار: ج ٥١ ص ٢٩٠.

(٤) كشف الغمة: ج ٣ ص ٣٣٢.

(٥) لم نعثرعليه.

(٦) بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ١٤٣، نقلاً عنه

(٧) في الروضة العشرين: ص ٢٧.

(٨) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٧٠.

....

والمعنى هنا: تصدّنا به عن مؤونة الطلب.

وفي رواية: «تكفينا به من مؤونة الطلب».

والمؤونة علىٰ وزن فعولة مهموزة: الثقل، وقد تخفّف فيقال: مونة علىٰ وزن سورة.

والطلب: محاولة وجود الشيء وأخذه.

والإلهام: مايلقىٰ في الروح بطريق الفيض.

والثقة: الائتمان، يقال: وثقت به أثق بالكسر فيهما: إذا ائتمنته.

والخالصة: التي لايشوبها شك أووهم.

والإعفاء: الإقالة، يقال: استعفيته من الأمر فعفاني أي: طلبت الترك فأجابني.

وفي ديوان الأدب: يقال: إعفني من الخروج معك أي: دعني منه(١).

والنصب: كالتعب وزناً ومعنًى.

ولمّا كان كلّ من اليقين الصادق والثقة الخالصة، سبباً للإقلاع من علقة الأسباب والانقطاع عن الوسائط، والراحة من تحمّل ثقل الطلب وشدّة التعب في تحصيل الرزق والتردّد في اكتسابه، استوهب عليه السّلام ربّه اليقين الصادق، واستلهمه الثقة الخالصة، الموجبين للاطمئنان والاستراحة من الاضطراب والمشقّة.

وبيان ذلك: أنّه إذا حصل لأحد بالبرهان أو الهداية الخاصّة أو الكشف بتصفية النفس، اليقين بالله ووحدانيّته، وعلمه وقدرته، وتقديره للأشياء وتدبيره فيهما، وحكمته التي لايفوتها شيء من المصالح، ورأفته بالعباد وإحسانه إليهم ظاهراً وباطناً وتقديره كمالات الأعضاء الظاهرة والباطنة، وتدبير منافعها بلا استحقاق

---

(١) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

....

ولامصلحة منهم ومن غيرهم، وإيصال الأرزاق إليهم حيث لاشعور لهم بطرقها، ولاقدرة لهم علىٰ تحصيلها واكتسابها، مع عدم وجوده بوجه من الوجوه، علم أنّ من كان كذلك كان قادراً علىٰ مستقبل أُموره ومهمّاته، وإيصال رزقه ومطلوبه، فلا ينظر إلىٰ الأسباب والوسائط، ولا يتعلّق قلبه بها أصلاً، فيستريح من مؤونة الطلب.

وكذلك من حصلت له ثقة خالصة بالله تعالىٰ في جميع أُموره اعتمد عليه، ووثق بكفايته، وتمسّك بحوله وقوّته، وترقّب التوفيق والإعانة منه، دون الاعتماد علىٰ نفسه وحوله وقوّته وقدرته وعلمه ومايظنّه من الأسباب الضرويّة والعاديّة وغيرها، فلاينصب كلّ النصب في السعي لاكتساب الرزق، وهذا معنىٰ التوكّل على الله سبحانه.

لكن ينبغي أن يعلم أنّ التمسّك بالأسباب لاينافي اليقين، والثقة بالله جلّت عظمته والتوكّل عليه؛ إذ ليس معنىٰ ذلك رفع اليد عن الأسباب والوسائط رأساً، بل معناه عدم الاعتماد عليها والوثوق بها، ومن ثمّ اشتهر أنّ التمسّك بالأسباب لاينافي التوكّل، فلو طلب طالب للرزق مثلاً رزقه من أسبابه المشروعة، كالتاجر من التجارة والزارع من الزارعة، ولم يكن اعتمادهما علىٰ عملهما، بل على الله سبحانه، وعلىٰ أنّ الرزق عليه إن شاء رزقهما من عمليهما هذين، وإن شاء رزقهما من غيرهما، حتّىٰ لوفسدالعمل لم يحزنا، لم يكن ذلك منافياً لليقين والثقة بالله والتوكّل عليه. ومثل ذلك حمل الخائف من العدوّ السلاح، وقفل الخارج من البيت بابه، وشرب المريض الدواء، فإنّه إذا لم يكن اعتماده علىٰ السلاح والباب والدواء؛ إذ كثيراً ما يغلب العدوّ مع السلاح، ويسرق السارق بكسر القفل، ولاينفع الدواء، بل اعتمادهم على الله عزّوجلّ، لم يكن ذلك خارجاً عن حدّ اليقين والثقة بالله والتوكّل عليه.

وَاجْعَلْ ما صَرَّحْتَ بِهِ مِنْ عِدَتِكَ في وَحْيِكَ، وَأَتْبَعْتَهُ مِنْ قَسَمِكَ في كِتابِكَ، قاطِعاً لاهْتِمامِنا بِالرِزْقِ الَّذي تَكَفَّلْتَ بِهِ، وَحَسْماً لِلإشْتِغالِ بِما ضَمِنْتَ الكِفايَةَ لَهُ.

وبالجملة: قلب الموقن الواثق المتوكّل متوجّه إلىٰ الله جلّ جلاله، وتوجّهه إلىٰ الأسباب والوسائط باعتبار أنّ العالم عالم الأسباب، وأنّ الله تعالىٰ أبىٰ أن يجري الأُمور إلّا بأسبابها، كما قال تعالى: «فامشُوا في مَناكِبِها وكُلُوا مِن رِزقِهِ»(١) فالظاهر منه متحرّك، والباطن ساكن مطمئنّ موقن بأنّ الرزق بيد الله تعالىٰ، يوصله إلىٰ عباده علىٰ حسب ماتقتضيه المصلحة من الزيادة والنقصان، لا يسوقه حرص حريص، ولا يردّه كره كاره، فهو ساكن مستريح من تعذيب القلب والجسم بشدّة الانتظار والجهد الجهيد في كسبه؛ ثقةً منه بأنّ ماقسم له لا يجاوزه، وماجاوزه لايصيبه، فيربح بيقينه وثقته راحة القلب وسكونه عن القلق والاضطراب، وراحة البدن وفراغه عن شدّة النصب والإتعاب، وفي الحديث عنهم عليهم السلام: أنّ الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهمّ والحزن في الشكّ والسخط (٢) *.

صرّح به تصريحاً: كشفه وبيّنه بلفظ صريح، وهو ما انكشف المراد منه في نفسه، أي: بالنظر إلىٰ كونه لفظاً مستعملاً سواء كان المعنىٰ المراد فيه معنًى حقيقيّاً أو مجازيّاً، وقيد «في نفسه» للاحتراز عن استتار المراد فيه بواسطة غرابة اللفظ، أو ذهول السامع عن الوضع أو عن القرينة أو نحو ذلك، هذا هو التحقيق.

وقال بعضهم: صرّح به أي: أذهب عنه احتمالات المجاز والتأويل.

والعدة: الوعد.

ومن: بيانيّة.

---

(١) سورة الملك: الآية ١٥.

(٢) احياء علوم الدين: ج ٤ ص ٣٤٧.

....

والوحي: مصدر وحيت إليه الكلام: إذا ألقيته إليه ليعلمه، وأوحيت إليه بالألف: مثله، وهي لغة القرآن الفاشية، ثمّ غلب استعمال الوحي فيما يلقىٰ إلىٰ الأنبياء من عندالله، والمراد به هنا: الموحى، كالقول بمعنىٰ المقول، أي: فيما أوحيته. وجعله بعضهم من أسماء القرآن؛ لقوله تعالىٰ: «قُل إنّما أُنذِرُكم بالوَحْي»(١).

وأتبعته الشيء: قفيته به، أي: جعلته تابعاً له.

والقسم بفتحتين: اسم من أقسم بالله: إذا حلف.

والقطع: في الأصل للأجسام، وهو إبانة بعضها عن بعض فصلاً، ثمّ استعمل في المعاني فقيل: قطعته عن العمل أي: منعته منه، وهو المراد هنا.

واهتم بالأمر اهتماماً: أعتنىٰ به واحتفل.

وتكفّلت بالمال: التزمت به، والزمته نفسي.

والحسم: القطع، ومنه قيل للسيف: حسام؛ لأنّه قاطع لما يأتي عليه، وقول العلماء: حسماً للباب أي: قطعاً للوقوع قطعاً كلّياً.

وإسناد القطع والحسم للعدة والقسم مجاز عقلي، أي: اجعلهما سبباً لهما.

والاشتغال: مصدر اشتغل بأمره فهو مشتغل بالبناء للفاعل.

وقال ابنُ فارس: ولا يكادون يقولون: اشتغل بالبناء للفاعل، وهو جائز (٢) وقد تقدّم الكلام علىٰ ذلك بأبسط من هذا.

وفي نسخة: «وحسماً للاستعمال».

وضمنت المال ضماناً: التزمته.

والكفاية: مصدر كفاه الأمر: إذا قام مقامه.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٤٥.

(٢) المصباح المنير: ص ٤٣١.

فَقُلْتَ وَقَوْلُكَ الحَقُّ الأَصْدَقُ، وَأَقْسَمْتَ وَقَسَمُكَ الأَبَرُّ الأَوْفىٰ: وَفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، ثُمَّ قُلْتَ: فَوَرَبِّ السَّماءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ.

واللام في قوله: «له»: للتقوية متعلّقة بالمصدر أعني الكفاية، والظرف لغو، وزاد اللام لتقوية العامل الذي هوالمصدر؛ لأنّه فرع في العمل كقولك: ضربي لزيد حسن *.

الفاء: عاطفة، ومفادها هنا الترتيب الذكري، وهو عطف مفصّل علىٰ مجمل، ومثله قوله تعالى: «ونادىٰ نوحٌ ربَّهُ فقالَ ربِّ إنَّ ابني مِنْ أهلي» (١)، وقوله: «فقَد سَألوا مُوسىٰ أكبرَ مِن ذلكَ فَقالوا أرِنا اللهَ جَهْرَةً» (٢).

وجملة «وقولك الحقّ» معترضة بين القول ومقوله لامحلّ لها من الإعراب، وفائدتها تقرير مضمون الجملة. وإعرابها حالاً كمازعم بعضهم يأباه المقام، لأنّ الحال مقيّدة، فيراد بقوله الحقّ: هذا القول.

وعلىٰ تقدير الأعتراض لايختصّ به بل المطلق، أي: كلّ قولتقوله حقّ وصدق لايتطرّق إليه الكذب. وأيضاً يراد الدوام على تقدير الاعتراض دون الحال. وكذا الكلام في قوله: «وقسمك الأبرُّ الأوفىٰ».

وأقسم يقسم إقساماً: حلف وبرّ في يمينه وقوله.

يبّر برّاً -على وزن علم يعلم علماً-: صدق.

ووفى بعهده: ضدّ غدر.

قوله عليه السّلام: «وفي السماء رزقكم» في محلّ نصب علىٰ المفعوليّة؛ لأنّه مقول القول، أي: أسباب رزقكم، بأن يرسل سبحانه الرياح فتثير السحاب، فيبسطه في السماء، وينزل الغيث والمطر، فيخرج به من الأرض أنواع الأقوات

---

(١) سورة هود: الآية ٤٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٣.

....

والملابس والمنافع. وقيل: معناه: وفي السماء تقدير رزقكم، أي: ماقسمه لكم مكتوب في أُمّ الكتاب الذي هو في السماء.

وفي حديث أهل البيت عليهم السّلام: أرزاق الخلائق في السماء الرابعة، تنزل بقدر وتبسط بقدر (١)

وقيل: المراد بالسماء: السحاب، وبالرزق: المطر،وهو المروي عن الصادق عليه السّلام قال: الرزق: المطر ينزل من السماء فيخرج به أقوات العالم (٢).

وقوله: «وما توعدون» قيل: هوالجنّة فوق السماء السابعة وتحت العرش، وقيل: هوالثواب والعقاب؛ لأنّ الأعمال وجزاءها مكتوبة مقدّرة في السماء، وعن الصادق عليه السّلام: هو أخبار القيامة والرجعة، والأخبار التي في السماء(٣).

قوله: «ثمّ قلت فوربّ السماء والأرض إنّه لحقّ» هذا هوالقسم المشار إليه سابقاً، أقسم سبحانه بنفسه أنّ ماذكره من أمره الرزق الموعود حقّ لاشكّ فيه.

والضمير في «إنّه»: راجع إليه علىٰ أنّه مستعار لاسم الاشارة.

قوله تعالى: «مِثل ما أنّكمُ تنطِقون»(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم سوىٰ حفص «مثل» بالضمّ علىٰ أنّه صفة لحقّ، والباقون بالنصب علىٰ الحاليّة من المستكن في الحقّ، أوعلىٰ أنّه وصف لمصدر محذوف، أي: إنّه لحقّ حقّاً مثل نطقكم(٥).

وقيل: إنّه مبني علىٰ الفتح لإضافته إلى غير متمكّن، وهو «ما» إن كانت عبارة عن شيء، وإن بما في حيّزها إن جعلت «ما» زائدة، ومحلّه الرفع علىٰ أنّه صفة

---

(١) تفسير نورالثقلين: ج ٥ ص ١٢٤ ح ٢٥.

(٢) و(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٣٠.

(٤) سورة الذاريات: الآية ٢٣.

(٥) تفسير روح المعاني: ج ٢٧ ص ١٠، مع تقديم وتأخير.

....

لحقّ، وتؤيّده القراءة بالرفع (١).

والمعنىٰ كما أنّه لاشكّ لكم في أنّكم تنطقون، ينبغي أن لا تشكّوا في حقيقة ماذكر (٢).

قال الزمخشري: وهذا كقول الناس: إنّ هذا الحقّ كما أنّك ترىٰ وتسمع ومثل ما أنّك هاهنا(٣).

وقال العلامّة الطبرسي رضي الله عنه: شبّه الله سبحانه تحقّق ما أخبر عنه بتحقّق نطق الآدمي ووجوده، فأراد أنّه لحقّ كما أنّ الآدمي ناطق، والمعنى: أنّه في صدقه وتحقّق وجوده كالذي تعرفونه ضرورة (٤).

قيل: لمّا نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هلكت بنوآدم، أغضبوا الربّ حتّىٰ أقسم لهم علىٰ أرزاقهم.

ونقل جارالله في الكشاف عن الأصمعي، قال: أقبلت من جامع البصرة، وطلع أعرابي علىٰ قعود، فقال: من الرجل؟ قلت: من بني أصمع، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلىٰ فيه كلام الرحمن، قال: اتل عليّ، فتلوت والذاريات، فلمّا بلغت قوله تعالى: «وفي السماء رزقكم» قال: حسبك فقام إلىٰ ناقته فنحرها ووزّعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلىٰ سيفه وقوسه فكسرهما وولّىٰ فلمّا حججت مع الرشيد طفقت أطوف، فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفرّ فسلّم عليّ، واستقرأ السورة فلمّا بلغت الآية صاح وقال: قدوجدنا ماوعدنا ربّنا حقاً، ثمّ قال: وهل غير ذلك ؟ فقرأت «فوربّ السّماءِ والأرضِ إنّه لَحَقٌّ»، فصاح وقال: يا سبحان الله، من ذاالذي أغضب الجليل حتّىٰ

---

(١)و(٢) تفسير روح المعاني: ج٢٧ ص١٠، مع تقديم وتأخير.

(٣) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٤٠٠.

(٤) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ ص١٥٦.

....

حلف؟ لم يصدّقوه بقوله حتّىٰ ألجأوه إلىٰ اليمين، قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه، والله أعلم(١).

هذا آخر الروضة التاسعة والعشرين من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، وقد وفّق الله سبحانه لإتمامها عصر يوم الاربعاء، سابع ذي الحجّة الحرام آخر شهر سنة ثلثمائة وألف، بدار السرور برهانبور، على يد مؤلّفها العبد صدرالدين عليّ بن أحمد الحسينيّ تقبّل الله أعماله وبلّغه آماله.

(١) تفسر الكشاف: ج ٤ ص ٤٠٠.

الروضة الثلاثون

وَكَانَ مِنْ دُعَآئِهٖ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَعُوْنَةِ عَلٰى قَضَاءِ الدَّيْنِ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَهَبْ لِيَ الْعَافِيَةَ مِنْ دَيْنٍ تُخْلِقُ بِهٖ وَجْهِيْ وَ
يَحَارُ فِيْهِ ذِهْنِيْ وَيَتَشَعَّبُ لَهٗ فِكْرِيْ وَيَطُوْلُ بِمُمَارَسَتِهٖ شُغْلِيْ وَاَعُوْذُ
بِكَ مِنْ هَمِّ الدَّيْنِ وَفِكْرِهٖ وَشُغْلِ الدَّيْنِ وَسَهَرِهٖ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ
وَّاٰلِهٖ وَاَعِذْنِيْ مِنْهُ وَاَسْتَجِيْرُبِكَ يَا رَبِّ مِنْ ذِلَّتِهٖ فِي الْحَيٰوةِ وَمِنْ تَبِعَتِهٖ
بَعْدَ الْوَفَاةِ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَاَجِرْنِيْ مِنْهُ بِوُسْعٍ فَاضِلٍ اَوْ
كَفَافٍ وَّاصِلٍ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَاحْجُبْنِيْ عَنِ السَّرَفِ وَالْاِزْدِيَادِ
وَقَوِّمْنِيْ بِالْبَذْلِ وَالْاِقْتِصَادِ وَعَلِّمْنِيْ حُسْنَ التَّقْدِيْرِ وَاقْبِضْنِيْ بِلُطْفِكَ عَنِ
التَّبْذِيْرِ وَاَجْرِ مِنْ اَسْبَابِ الْحَلَالِ اَرْزَاقِيْ وَوَجِّهْ فِيْ اَبْوَابِ الْبِرِّ اِنْفَاقِيْ
وَازْوِ عَنِّيْ مِنَ الْمَالِ مَا يُحْدِثُ لِيْ مَخِيْلَةً اَوْ تَاَدِّيًا اِلٰى بَغْيٍ اَوْ مَا اَتَعَقَّبُ
مِنْهُ طُغْيَانًا اَللّٰهُمَّ حَبِّبْ اِلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَآءِ وَاَعِنِّيْ عَلٰى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ
الصَّبْرِ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّيْ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ فَاذْخَرْهُ لِيْ فِيْ خَزَآئِنِكَ
الْبَاقِيَةِ وَاجْعَلْ مَا خَوَّلْتَنِيْ مِنْ حُطَامِهَا وَعَجَّلْتَ لِيْ مِنْ مَتَاعِهَا بُلْغَةً اِلٰى جِوَارِكَ
وَوُصْلَةً اِلٰى قُرْبِكَ وَذَرِيْعَةً اِلٰى جَنَّتِكَ اِنَّكَ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ وَاَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيْمُ

بسم الله الرّحمن الرحيم

الحمد لله الملك الديّان، المنعم المنّان، المستعان به علىٰ قضاء الحقوق، المستعاذ به من الآثام والفسوق، والصّلاة علىٰ نبيّه الذي ربح بهديه المحقون وخسر المبطلون، وعلىٰ أهل بيته الذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون.

وبعد فهذه الروضة الثلاثون من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّدالعابدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الهادين، إملاء العبد الراجي فضل ربّه السنيّ عليّ صدر الدين الحسينيّ الحسنيّ، منحه الله معونته وكفاه بطوله مؤونته.

شرح الدعاء الثلاثين

وكانَ مِن دُعائِهِ عليهِ السّلامُ في المعونةِ على قضاءِ الدّين.

قال عليه السّلام:

اللّهُمَّ إنّي أعُوذُ بِكَ مِنْ دَيْنٍ تُخْلِقُ بِهِ وَجْهي، وَيَحارُ فيهِ ذِهْني،

المعونة: اسم من استعان به فأعانه، ووزنها مفعلة بضمّ العين، وبعضهم يجعل الميم أصليّة ويقول: هي فعولة مأخوذة من الماعون، وهو مأخوذ من المعن، وهو السهل اليسير لسهولته وتيسيره *.

والقضاء هنا: بمعنى الأداء، يقال: قضيت الدين أقضيته قضاءً أي: أدّيته أداءً، ومنه قوله تعالى: «فإذا قضيتُم مَناسِكَكُم»(١)، «فإذا قَضَيْتُمْ الصلاةَ»(٢) أي: أدّيتموها.

والمراد بالدين هنا: ما ثبت في الذمة من مال لآخر سواء كان مؤجّلاً أم لم يكن، فيشمل السلف والقرض.

وقال في القاموس: الدين: ماله أجل، وما لا أجل له فقرض.

وقيل: هو كلّ معاملة يكون أحد العوضين فيها مؤجّلاً، وأمّا القرض: فهو إعطاء شيء ليستعيد عوضه وقتاً آخر من غير تعيين للوقت، ولا يخفى أنّ المقصود من الدين هنا هو المعنى الأعمّ الذي ذكرناه أولاً *.

عاذ بالله عياذاً ومعاذاً: أعتصم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٠.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠٣.

وَيَتَشَعَّبُ لَهُ فِكْرِي، وَيَطُولُ بِمُمارَسَتِهِ شُغْلِي.

وأخلقت الثوب إخلاقاً: جعلته خلقاً بفتحتين أي: بالياً، يقال: خلق الثوب بالضمّ: إذا بلىٰ وقد يقال: أخلق أيضاً، فيكون الرباعي لازماً ومتعدياً، ثمّ استعير لبذل الوجه في سؤال أودين ونحوهما.

قال الزمخشري في الأساس: يقال للسائل: أخلقت وجهك(١).

ومن العجيب جعل بعض طلبة العجم الإخلاق هنا من أخلقه: إذا كساه ثوباً خلقاً، ثمّ قال: معناه: إنّي أعوذبك من دين تلبسني بسببه ثوباً خلقاً، ولم يتفطن لإيقاع الفعل على الوجه.

وحار في أمره يحارحيراً ـ من باب تعب ـ وحيرةً: لم يدر وجه الصواب، فهو حيران وهي حيرىٰ.

وقال الأزهري: وأصله أن ينظر الانسان إلىٰ شيء يغشاه ضوؤه فيصرف بصره عنه(٢).

وعرّفوا الذهن بأنّه قوّة للنفس تشتمل علىٰ الحواسّ الظاهرة والباطنة معدّة لاكتساب العلوم.

وفي القاموس: الذهن: الفهم والعقل وحفظ القلب والفطنة(٣).

وتشعّب الأمر: تفرّق، كأنّه صار ذاشعب أي: فروع.

ومارسه ممارسةً: عالجه.

قال في الأساس: مارس قرنه عالجه ،ومارس الأُمور والأعمال ومازال يزاولها ويمارسها(٤) والشغل بضمّ الشين وتضمّ الغين وتسكّن للتخفيف: اسم من شغله الأمر شغلاً ـ من باب نفع ـ فالأمر شاغل وهو مشغول. ولمّا كان الدين يهمّ صاحبه ويقلقه، وكان صاحبه لايزال متفكّراً في دفع همّه بقضائه وأدائه، استعمل فيه الممارسة التي تقتضي أن تكون من فاعلين يفعل أحدهما بصاحبه ما يفعله هو به ،وهو

---

(١) اساس البلاغة: ص١٧٣.

(٢) تهذيب اللغة: ج٥ ص٢٣١.

(٣) القاموس المحيط: ج٤ ص٢٢٦.

(٤) اساس البلاغة: ص٥٨٩.

وَأَعُوذُ بِكَ يا رَبِّ مِنْ هَمِّ الدَّيْنِ وَفِكْرِهِ، وَشُغْلِ الدَّيْنِ وَسَهَرِهِ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاعْذِني مِنْهُ.

وَأَسْتَجِيرُ بِكَ يا رَبِّ مِنْ ذِلَّتِهِ في الحَياةِ، وَمِنْ تَبِعَتِهِ بَعْدَ الوَفاةِ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَجِرْني مِنْهُ بِوُسْعٍ فاضِلٍ، أَوْ كَفافٍ واصِلٍ.

من باب الاستعارة بالكناية، والممارسة ترشيح لها *.

الهمّ: الحزن، يقال: همّه الأمر همّاً وأهمّه بالألف: إذا حزنه وأقلقه. وفرّق بعضهم بينه وبين الغمّ بأنّ الهمّ ما يقدر الإنسان علىٰ إزالته كالإفلاس، والغمّ مالايقدر على إزالته كموت الولد.

والفكر: تردّد القلب بالنظر والتدبّر لطلب المعاني، وليس في الأمر فكر أي: نظر وروية.

وفي القاموس: الفكر بالكسر: إعمال النظر في الشيء كالفكرة(١).

والمراد بفكر الدين: تردّد القلب والتدبّر وإعمال النظر في أدائه، ووجوه الحيلة في قضائه.

والسهر: عدم النوم في الليل كلّه أو بعضه، يقال: سهرالليل كلّه او بعضه: إذا لم ينم فيه، فهو ساهر وسهران، وأسهرته بالألف.

وإضافته إلى ضمير الدين من باب إضافة الشيءإلى سببه *.

استجاره واستجار به: طلب أن يحميه فأجاره، والأصل في الاستجارة: طلب المجاورة وهي الملاصقة في السكن؛ لأنّ العرب تحمي جارها وتمنع عنه المكروه وتنقذه منه، فكثر حتّىٰ استعمل في مطلق طلب الحماية والإنقاذ من المكاره.

والذلّة بالكسر: الهوان، ذلّ يذلّ ذلاً ـ من باب ضرب ـ والاسم الذلّ بالضمّ والذلّة والمذلّة.

---

(١) القاموس المحيط: ج٢ ص١١١.

....

والتبعة على وزن كلمة: الظلامة، سميّت بذلك لأنّ صاحبها يتبع بها ظالمه.

وفي محكم اللغة: التبعة: والتباعة: ما أتبعت به صاحبك من ظلامة ونحوها، والتبعة والتباعة أيضاً: ما فيه إثم يتبع فيه(١)، إنتهىٰ.

والوسع بالضمّ: الغنىٰ والثروة، من وسّع الله عليه رزقه: بسطه وكثّره.

والفاضل: الزائد، من فضل فضلاً -من باب قتل- بمعنىٰ: زاد، ومنه: خذ الفضل أي: الزيادة.

والكفاف بالفتح من العيش والنفقة: ماليس فيه فضل: يقال: قوته كفاف أي: مقدار حاجته من غير زيادة ولا نقصان؛ لأنّه يكفّ عن الناس ويغني عنهم.

وواصل: أي مواصل لي غير منقطع عنّي، من قولهم: وصلته وصلاً وصلة: ضد هجرته، وواصله وصالاً ومواصلةً- من باب قاتل-: بمعناه.

قال في الأساس: وصلني بعد الهجر وواصلني وصرمني بعد الوصل والصلة والوصال(٢).

أو هو من أوصلت زيداً البلد فوصله.

تتمة

تشتمل على مسائل:

الأُولىٰ: في استعاذته عليه السّلام من الدين ووصفه له بما وصفه أوّلاً، ثمّ استعاذته من همّه وفكره وشغله وسهره ثانياً، ثمّ استجارته من ذلّته في الحياة وتبعته بعد الوفاة، دليل واضح على فظاعة أمر الدين وشدّة شناعته، وهو يرشد إلى تأكّد اجتنابه، وقد ورد بذلك أحاديث كثيرة.

روىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال

(١) المحكم في اللغة: ج٢ ص٤٣.

(٢) أساس البلاغة: ص٦٧٨.

....

رسول الله صلى الله عليه وآله: لاوجع الّا وجع العين، ولاهمّ إلّا همّ الدين(١).

وبسنده عنه عليه السّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدين ربقة الله في الأرض، فإذا أراد أن يذلّ عبداً وضعه في عنقه(٢).

وبسنده عن عبدالرحمن بن الحجّاج عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: تعوّذوا من غلبة الدين وغلبة الرجال وبوار الأيم(٣).

وبسنده عن الباقر عليه السّلام قال: كلّ ذنب يكفّره القتل في سبيل الله الّا الدين لاكفّارة له إلّا أداؤه، أو يقضي صاحبه، أو يعفو الذي له الحقّ(٤).

وبسنده عن أبي عبدالله عليه السّلام عن آبائه عن عليّ عليه السّلام، قال: إيّاكم والدين، فإنّه مذلّة بالنهار مهمّة بالليل، وقضاء في الدنيا وقضاء في الآخرة(٥).

الثانية: أجمع أصحابنا على شدّة كراهية الاستدانة مع عدم الحاجة، إلّا أباالصلاح فإنّه ذهب إلى تحريمها.

قال العلاّمة شهاب الدين بن فهد في المهذّب البارع(٦): إيّاك ثمّ إيّاك والتجريّ على الدين؛ فإنّه مجلبة للهمّ، ومشغلة للذمّة، ومشتّت للفكر، وهو في الدنيا مذلّة وفي الآخرة تبعة.

وحمل إلى مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله ميّت، فقال: على ميّتكم دين؟ فقالوا: نعم درهمان يا رسول الله، قال: تقدموا فصلّوا على ميّتكم، فقال عليّ عليه السّلام: ضمنتهما عنه يا رسول الله، فقال: فكّ الله رهانك كما فككت رهان أخيك، ثمّ تقدّم فصلّى عليه(٧).

وقد ورد رخصة في إباحته إذا كان له وليّ يقضيه أو مال يؤدّى عنه، والأفضل

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٠١ ح ٤ باب في آداب اقتضاء الدين.
(٢) الكافي: ج ٥ ص ١٠١ ح ٥ باب في آداب اقتضاء الدين.
(٣) الكافي: ج ٥ ص ٩٢ ح ١ باب الدين.
(٤) الكافي: ج ٥ ص ٩٤ ح ٦ باب الدين.
(٥) الكافي: ج ٥ ص ٩٥ ح ١١ باب الدين.
(٦) المهذب البارع: مخطوط.
(٧) وسائل الشيعة: ج ١٣ ص ١٥١ ح ٢.

....

تركه والطلب إلى الله تعالى بالغنى عنه بالتسبّب والتمعيش؛ ففيه مع تفريغ الذمّة من حقوق المخلوقين والراحة من الفكر، مواساة الصالحين والفوز بثواب الكادّين، حيث يقول عليه السّلام: الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله(١).

وقال عليه السّلام: من بات كالاً في طلب الحلال غفر له(٢)، إنتهى.

وقال العلّامة الحليّ قدّس سرّه في التذكرة: وتخفّ الكراهة مع الحاجة، وإن اشتدّت زالت، ولوخاف التلف ولا وجه إلّا الاستدانة وجبت(٣).

قال الرضا عليه السلام: من طلب هذا الرزق من حلّ ليعود به على عياله ونفسه كان كالمجاهد في سبيل الله، فإن غلب عليه فليستدن على الله عزّوجل وعلى رسوله مايقوت به عياله، فإن مات ولم يقضه كان على الإمام قضاؤه، فإن لم يقضه كان عليه وزره؛ إنّ الله تعالى يقول: «إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين» فهو فقير مسكين مغرم(٤).

الثالثة: يجب على المستدين نيّة القضاء؛ لأنّها واجبة من غير خلاف.

قال الصادق عليه السلام: من استدان ديناً فلم ينوقضاءه كان بمنزلة السارق(٥).

وعنه عليه السلام: من كان عليه دين ينوي قضاءه كان معه من الله حافظان يعينانه على الأداء عن أمانته، فإن قصرت نيّته عن الأداء قصرا عليه من المعونة بقدر ما يقصّر من نيّته(٦).

الرابعة: يجب على المدين المبادرة إلى قضاء الدين، ولا يحلّ تأخيره مع حلوله

---

(١) الكافي: ج٥ ص٨٨ باب من كدّ على عياله ح١.

(٢) عوالي اللئالي: ج٣ ص٢٠٠.

(٣) التذكرة: ج٢ ص٢.

(٤) الكافي: ج٥ ص٩٣ باب الدين ح٣.

(٥) الكافي: ج٥ ص٩٩ باب الرجل يأخذالدين وهولاينوي قضاءه ح٢.

(٦) الكافي: ج٥ ص٩٥ باب قضاء الدين ح١، مع اختلاف يسير.

....

وتمكّنه من الأداء ومطالبة صاحب الدين، فإن أخّر والحال هذه كان عاصياً، ووجب علىٰ الحاكم حبسه؛ لانّ الصادق عليه السّلام قال: كان عليّ عليه السّلام يحبس الرجل إذا التوىٰ علىٰ غرمائه، ثمّ يأمر فيقسّم ماله بينهم بالحصص، فإن أبىٰ باعه فقسّمه بينهم يعني ماله(١).

إذا ثبت هذا، فلو أصرّ علىٰ الالتواء كان فاسقاً، لا تقبل شهادته ولا تصحّ صلاته في أوّل الوقت بل إذا تضيّق، ولا يصحّ منه شيء من الواجبات الموسّعة المنافية للقضاء في أوّل أوقاتها، وكذا غير الديون من الحقوق الواجبة كالزكاة والخمس، وإن لم يطالب بها الحاكم؛ لأنّ أربابها في العادة مطالبون، قاله العلّامة الحلّي في التذكرة(٢).

الخامسة: لومات المدين ولم يتمكّن من القضاء ولم يخلف شيأً البتّة، لم يكن معاقباً إذا لم ينفقه في المعصية، ولو أنفقه في المعصية أو لم يكن في عزمه القضاء كان مأثوماً.

قال عبدالغفاري الجازي: سألت الصادق عليه السّلام عن رجل مات وعليه دين، قال: إن كان أتى علىٰ يديه من غير فساد لم يؤاخذه الله عزّوجل إذا علم من نفسه الأداء، الاّ من كان لايريد أن يؤدّي عن أمانته فهو بمنزلة السارق، وكذلك الزكاة أيضاً، وكذلك من استحلّ أن يذهب بمهور النساء(٣) قاله في التذكرة أيضا(٤).

السادسة: يستحبّ لصاحب الدين إبراء المدين إذا مات معسراً، فعن الصادق عليه السّلام: أنّ له بكلّ درهم عشرة دراهم إذا حلّله، فإن لم يحلّله فإنّما بدل درهم

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٠٢ باب إذا ألتوى الذي عليه الدين على الغرماء ح ١.

(٢) التذكرة: ج ٢ ص ٢.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٩٩ باب الرجل يأخذ الدين وهو لاينوي قضاءه ح ١.

(٤) التذكرة: ج ٢ ص ٢ - ٣.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحمدٍ وَآلِهِ، وَاحجُبْني عَنِ السَرَفِ وَالإِزْدِياد، وَقَوِّمْني بِالبَذلِ وَالإقتِصادِ، وَعَلِّمْني حُسْنَ التَقْديرِ، وَاقْبِضْني بِلُطْفِكَ عَنِ التَبْذيرِ.

بدرهم(١)، والله أعلم *.

حجبه حجبا - من باب قتل -: منعه ومنه قيل للبوّاب: حاجب؛ لأنه يمنع من الدخول، وللستر: حجاب؛ لأنّه يمنع من المشاهدة.

والسرف بفتحتين: اسم من أسرف إسرافاً: إذا جاوز القصد وتباعد عن حدّ الإعتدال مع عدم المبالاة، وهو يجري في كلّ أمر، وان اشتهر في إنفاق المال؛ ولذلك عرّفه بعضهم بمجاوزة الحدّ في النفقة.

وقيل: هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس.

وازداد الشيء ازدياداً: زاد، وازددت من الشيء ازدياداً أيضاً: زدته لنفسي على ما كان، وهذا المعنى هو المراد هنا، أي: واحجبني من أن أزيد في الإنفاق.

وقوّمته تقويماً فتقوم بمعنىٰ: عدلته فتعدّل، ومنه القوام بالفتح بمعنىٰ: العدل.

وبذله بذلاً - من باب قتل -: سمع به وأعطاه، وبذل له: أباحه عن طيب نفس.

وقصد في الأمر قصداً واقتصد اقتصاداً: توسّط وطلب الأسدّ ولم يجاوز الحدّ. و في هاتين الفقرتين تلميح إلى قوله تعالى: «والذينَ إذا أنفَقوا لمْ يُسْرِفوا ولمْ يَقتُروا وكانَ بين ذلكَ قَواماً»(٢).

قوله عليه السلام: «وعلّمني حسن التقدير» التعليم: عبارة عن فعل يترتّب عليه العلم بلا تخلّف عنه، ولا يحصل ذلك بمجرد إفاضة العلم، بل يتوقّف على استعداد المتعلّم بقبول الفيض وتلقيه من جهته، فمعنىٰ تعليمه تعالى إيّاه: أنّ يخلق فيه بموجب

---

(١) الكافي: ج ٤ ص٣٦ ح ١، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) سورة: الفرقان: الآية ٦٧.

....

استعداده علما ضروريا بحسن التقدير، أو يلقي في روعه أنّ حسن التقدير هكذا ينبغي أن يكون، والمراد بالتقدير هنا: تقدير المعيشة، وهي الإنفاق علىٰ مقدار جدته لايزيد عليها ولاينقص عنها، ولعلّ المراد بحسن التقدير: الإنفاق دون الجدة والوسع، كما يدلّ عليه مارواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن معتب مولىٰ الصادق عليه السّلام، قال: قال أبو عبدالله عليه السّلام وقد تزيد السعر بالمدينة: كم عندنا من طعام؟ قال: قلت عندنا ما يكفينا أشهراً كثيرة، قال: أخرجه و بعه، قال: قلت: وليس بالمدينة طعام؟ قال: بعه، فلمّا بعته قال: إشتر مع الناس يوماً بيوم، وقال: يا معتب اجعل قوت عيالي نصفاً شعيراً ونصفاً حنطة، فإنّ الله عزّوجلّ يعلم أنّي واجد أنّ اطعمهم الحنطة علىٰ وجهها، ولكنّي أحبّ أن يراني الله وقد أحسنت تقدير المعيشة(١)، والله أعلم.

وقد ورد في مدح التقدير وحسنه روايات كثيرة، ففي حديث أهل البيت عليهم السّلام: لامال لمن لا تقدير له(٢).

وعن أبي عبدالله عليه السلام: الكمال كلّ الكمال في ثلاثة، وذكر في الثلاثة، التقدير في المعيشة (٣).

وعن أبي جعفر عليه السّلام قال: علامات المؤمن ثلاث: حسن التقدير في المعيشة، والصبر على النائبة، والتفقّه في الدين(٤).

وعن داودبن سرحان قال: رأيت أبا عبدالله عليه السّلام يكيل تمراً بيده، فقلت: جعلت فداك لو أمرت بعض ولدك أو بعض مواليك ليكفيك، فقال:

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ١٦٦ ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٨٧ باب إصلاح المال وتقدير المعيشة ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٣٧٦ ح ٢.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٢٣٦ ح ١٠٢٨.

....

يا داود إنّه لا يصلح المرء المسلم الّا ثلاثة، التفقّه في الدين، والصبر على النائبة، وحسن التقدير في المعيشة(١).

قوله عليه السّلام: «واقبضني بلطفك عن التبذير» القبض في الأصل: الإمساك باليد، ثمّ توسّع فيه فقيل: قبضه عن الأمر -من باب ضرب-: إذا كفّه عنه، كما قيل: أمسكه عن الشيء أي: حبسه عنه.

ولطفه تعالى قيل: هو تربيته لكلّ فرد حتّىٰ يصل إلى كماله اللائق به بحسب استعداده.

وقيل: هو تصرّفه في الذوات والصفات تصرّفاً خفيّاً، بفعل الأسباب المعدّة لها لإفاضة كمالاتها، وقيل غير ذلك. وقد سبق الكلام عليه في الروضة السابعة.

والتبذير: مأخوذ من بذر الحبّ، وهو إلقاؤه وتفريقه في الأرض، واختلفوا في معناه.

فقيل: هو تفريق المال علىٰ وجه الإسراف.

وقيل: تفريقه في غير المقصد.

وقيل: هو الإنفاق في محرّم أو مكروه أو علىٰ من لا يستحقّ.

وعن مجاهد: لو أنفق مدّاً في باطل كان تبذيراً(٢)، ومن ثمّ قال بعضهم: الفرق بين الإسراف والتبذير أن الإسراف: صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي، والتبذير: صرف الشيء فيما لا ينبغي(٣). وبعبارة أُخرىٰ: الإسراف: تجاوز الحدّ في صرف المال، والتبذير: تفريقه في غير موضعه.

وكفىٰ التبذير ذمّاً قوله تعالى: «وآتِ ذا القربىٰ حقّهُ والمسكينَ وابنَ السبيلِ

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٨٧ ح ٤.

(٢) مجمع البيان: ج ٥-٦ ص ٤١١.

(٣) فروق اللغات: ص ٤٤.

وَأَجْرِ مِنْ أَسْبابِ الحَلالِ أَرْزاقي، وَوَجِّهْ في أبوابِ البرِّ إنْفاقي، وازْوِ عَنّي مِنَ المالِ ما يُحْدِثُ لي مَخيلةً، أَوْ تَأدّياً إلىٰ بَغْيٍ، أَوما أتَعَقَّبُ مِنْهُ طُغْياناً.

ولا تبذّر تبذيراً ﴿ إنّ المبذّرين كانوا إخوانَ الشياطينِ وكانَ الشيطانُ لربّه كفوراً»(١) ﴾.

أجرىٰ عليه الرزق إجراءً: جعله جارياً أي: داراً متّصلاً، ومنه: الأرزاق جارية أي: دارّة متّصلة(٢).

والأسباب: جمع سبب، وأصله الحبل الذي يتوصّل به إلىٰ الماء، فاستعير لكلّ مايتوصّل به إلىٰ شيء.

والحلال: كلّ شيءٍ لا يعاقب عليه باستعماله.

والأرزاق: جمع رزق وهوعندنا وعندالمعتزلة: كلّ ماصحّ انتفاع الحيوان به،سواء كان بالتغذّي أو بغيره، وليس لأحد منعه منه، فليس الحرام رزقاً، وقد تقدّم الكلام علىٰ ذلك مبسوطاً.

ووجّهت الشيءإلىٰ جهة توجيهاً: صرفت وجهه إليها وجعلته تلقاءها، ومنه: وجهت فلاناً في حاجة أي: أرسلته، ووجّه الأميرالجيش أي: بعثهم.

ومعنىٰ توجيه الإنفاق في أبواب البرّ: جعله مصروفاً فيها.

والأبواب: جمع باب، وهو في تقدير فعل بفتحتين؛ ولهذا قلبت الواو ألفاً وأبواب البرّ: أنواعه ووجوهه، كأنّ كلّ نوع منها باب يدخل إلىٰ البرّ منه.

والبربالكسر: اسم جامع للطاعات وأعمال الخيرالمقرّبة إلى الله تعالى.

والإنفاق: إخراج المال، يقال: أنفق ماله: إذا أخرجه من ملكه، وفي هاتين الفقرتين دليل على حسن توفّر الأرزاق وسعتها من الحلال، وإنفاقها في وجوه البرّ.

---

(١) سورة الاسراء: الآية ٢٦ـ ٢٧.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٢٦٤.

....

ويدلّ على ذلك أيضاً ماروي عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: لاخير فيمن لايحبّ جمع المال من حلال، يكفّ به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه(١).

وعنه عليه السلام: نِعم العون الدنيا علىٰ الآخرة(٢).

وعن عبدالله بن يعفور قال: قال رجل لأبي عبدالله عليه السّلام: والله إنّا لنطلب الدنيا ونحبّ أنّ نؤتاها، فقال: تحبّ أن تصنع بها ماذا؟ قال: أعودبها علىٰ نفسي وعيالي وأصل بها واتصدّق بها وأحجّ وأعتمر، فقال أبوعبدالله عليه السلام: ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة(٣).

وفي كلام بعض الأكابر: سلامة الدين والدنيا بالمال، يؤخذ من حقّه ويوضع في مستحقّه(٤). والآثار في هذا المعنى أكثر من أن تحصىٰ.

قوله عليه السّلام «وازوعنّي من المال مايحدث لي مخيلة» زواه عنه يزويه: نحّاه وقبضه.

وحدث الشيء حدوثاً ـ من باب قعد ـ: تجدّد وجوده بعد أن كان معدوماً، ويتعدّىٰ بالألف فيقال: أحدثته.

والمخيلة: الخيلاء، وهي الكبر والإعجاب.

ولمّا كان المال الكثير كثيراً مايحدث للنفوس الدنيّة تكبّراً وإعجاباً، حتىٰ يترفّع صاحبه عن حسن عشرة الجار والصديق والصاحب والزائر؛ لفرط الإعجاب بما أوتي من حطام الدنيا، الذي هو نهب المنون وميراث القرون، سأل عليه السلام ربّه أن يصرف عنه من المال مايكون سبباً للكبر والعجب؛ لأنّه قبيح في العقل؛ لدلالة العقل علىٰ أنّ الشرف لايحصل للإنسان بأن يكون كثير الحطام، ولا الدناءة

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٧٢ ح ٥.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٧٢ ح ٨.

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٧٢ ح ١٠.

(٤) لم نعثر عليه.

....

بأن يكون قليله، وأنّه لايوجب استخفافاً لمن حرمه بل المواساة له والبرّ به.

قوله عليه السّلام: «أو تـأدّيـاً إلى بغـي» التـأدّي: مطاوع أدّاه تـأديـةً بمعنى: أوصله، ومنه: أدّى الأمانة أي: أوصلها، والاسم الأداء، يقال: أدّيته فتأدّى أي: أو صلته فوصل، وتأدّى إليه الخبر: أي بلغه و وصل إليه،ومعناه: أو وصولاً إلى بغي.

والبغي يأتي لمعان، يقال: بغى بغياً: إذا سعى في الفساد، وبغى على الناس: إذا ظلم واعتدى، وبغى عليه: استطال وتكبّر، وبغى: خرج عن طاعة من تجب طاعته.

قال ابن الأثير: وأصل البغي: مجاوزة الحدّ(١).

وقيل: أصله الطلب، من بغى الشيء يبغيه: إذا طلبه؛ ولذلك قال بعضهم: حقيقة البغي :طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرّى من حيث الكمّيّة والكيفيّة.

وقال الزمخشري في الأساس: بغى علينا فلان: خرج علينا طالباً أذانا وظلمنا(٢).

وفسّر البغي في قوله سبحانه وتعالى: «وينهى عنِ الفشحاءِ والمنكرِ والبغي»(٣) بالاستعلاء والتطاول على الناس.

قال في الكشّاف: هو طلب التطاول بالظلم(٤).

وقال النيسابوري: النهي عن الفحشاء: عبارة عن المنع من تحصيل اللذّات الشهويّة الخارجة عن إذن الشريعة، والنهي عن المنكر: عبارة عن الإفراط الحاصل في آثار القوّة الغضبيّة، من إيذاء الناس وإيصال الشرّ إليهم من غير ما استحقاق، والنهي عن البغي: إشارة إلى المنع من إفراط القوّة الوهميّة، كالاستعلاء على الناس

(١) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ١٤٣.

(٢) أساس البلاغة: ص ٤٦.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٤) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٦٢٩.

....

والترفّع وحبّ الرئاسة،(١) إنتهى.

وقال ابن عبّاس في قوله تعالى: «ولو بسَط اللهُ الرزقَ لعبادهِ لبغَوا في الأرض»: بغيهم في الأرض طلبهم منزلة بعد منزلة، ودابّة بعد دابّة، وملبساً بعد ملبس(٢).

ولمّا كان الغنى والثروة موجباً في الغالب للاستطالة والاستعلاء على الناس وللظلم والفساد بطراً، سأل عليه السّلام ربّه أن يزوي عنه من المال مايوصل إلى التحلّي بهذه الخصلة الذميمة.

قوله عليه السلام: «أوما اتّعقّب منه طغياناً» التعقّب: تفعّل من العقب في قولهم: عقبت زيداً عقباً -من باب قتل-: إذا جئت بعده، يقال: تعقّب فلان من كذا خيراً أو شرّاً واستعقب أي: وجد بذلك خيراً أو شرّاً بعده.

قال الزمخشري في الأساس استعقب من أمره الندامة وتعقّبها(٣).

وقال الفارابي في ديوان الأدب: تعقّب رأيه أي: وجد عاقبته إلى خير(٤).

والمعنى: وازوعنّي من المال ما أجد بعد حصوله طغياناً.

والطغيان: مجاوزة الحدّ في كلّ أمر، وكلّ شيء جاوز المقدار والحدّ في العصيان فهو طاغ، من قولهم: طغى السيل: إذا ارتفع حتّى جاوز الحدّ في الكثرة.

وفي هذه الفقرة تلميح إلى قوله تعالى: «إنّ الإنسان لَيطْغى أنْ رآه استَغنى»(٥)، أي: يطغى لئن رأى نفسه مستغنياً، قيل: معناه: أنّه يتجاوز الحدّ في مأكله ومشربه ونحو ذلك.

قال قتادة: إذا أصاب مالاً زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه فذلك طغيان(٦).

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ٢ ص ٤٣٢.

(٢) مجمع البيان: ج ٩-١٠ ص ٣٠.

(٣) أساس البلاغة: ص ٤٢٩.

(٤) ديوان الأدب: ج ٢ ص ٤٣٨.

(٥) سورة العلق: الآية ٦و٧.

(٦) مجمع البيان: ج ٩- ١٠ ص ٥١٥

أَللّٰهُمَّ حَبِّبْ إليَّ صُحْبَةَ الفُقَراءِ، وَأَعِنّي عَلىٰ صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصبْرِ.

وقيل: معناه: أن الإنسان قد ينسىٰ فضل الربّ وعنايته في حالة الاستغناء، ويرىٰ أنّ ما حصل له بسبب جهده وكدّه، فينسب ذلك إلى كفايته لا إلىٰ عناية الله، ولم يدر أنّه كم من باذل وسعه في الحرص لم يحصل إلّا على خفّي حنين، وأنّه تعالىٰ قد يرجع الغني آخر الأمر إلىٰ حالة الفقر؛ ليتحقّق أن ذلك الغنى لم يكن بفعله وكسبه، بل بحول الله وقوّته ﷻ.

حبّب إليه الشيء: جعله محبوباً لديه، ولمّا كان في التحبيب معنىٰ إنهاء المحبّة وإيصالها إليه استعمل بكلمة «إلى»، أي: ألهمني بلطفك محبّة صحبتهم أي: معاشرتهم والارتباط بهم.

ولمّا كانت النفوس البشريّة مجبولة على بغض الفقر وكراهيّته، نافرة من صحبة الفقراء ومعاشرتهم، سأل عليه السّلام ربّه أن يحبّب إليه صحبتهم، بأن يجعلها ملائمة لقلبه ليكون مائلاً إليها؛ اذ كانت المحبّة ميل القلب إلىٰ ما يلائمه؛ وذلك لما في صحبتهم من رياضة النفس وتحليتها بالتواضع والتذلّل، والتأسيّ بهم في القناعة باليسير من حطام الدنيا، والرضا بالقليل من متاعها، وصيانة النفس عن الانهماك في شهواتها ولذّاتها، وترك طلب المنزلة والجاه والكرامة فيها، وقلّة الحرص علىٰ طلب الحاجات والأوطار منها، وترك الخلطة مع أبناء الدنيا الراغبين فيها، والتفرّد في الخلوات، وكثرة ذكر الموت وفناء نعيم الدنيا وزوال ملكها، والنظر إلى آثار القرون الماضية، والاعتبار بها وبالمباني الخربة والمنازل الدارسة والمعالم العافية للأمم الخالية؛ لنزولهم بها غالباً، واعتباراتهم تصاريف الزمان ونوائب الحدثان، واليقين بأمر المعاد، وشدّة الشوق إلى نعيم دارالقرار مع الأبرار، من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً؛ ولذلك أمر اللّه سبحانه حبيبه المختار من خيار خلقه، بصبره نفسه معهم وحبسها علىٰ صحبتهم ومجالستهم،

....

فقال في محكم كتابه: «واصبر نفسكَ معَ الذينَ يدعونَ ربّهم بالغداةِ والعشيّ يريدونَ وجههُ ولا تعدعيناكَ عنهم تريدُ زينةَ الحياةِ الدنيا ولا تطع مَن أغفلنا قلبَه عن ذكرِنا واتّبعَ هواهُ وكانَ أمرُه فرُطاً»(١).

قال المفسّرون: المراد بهم: فقراء المؤمنين، مثل عمّار وخباب وسلمان وأبي ذر وغيرهم، وقيل: أصحاب الصفّة وكانوا نحو سبعمائة رجل.

قيل: إنّه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وآله: نحّ هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان حتّى نجالسك، كما قال قوم نوح عليه السلام: «أنؤمنُ لكَ واتّبعكَ الأرذلونَ»، فنزلت الآية(٢).

وروي عن سلمان وخباب قالا: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن الحصين الفزاري، وعبّاس بن مرداس، وذووهم من المؤلّفة قلوبهم، فوجدوا النبيّ صلّى الله عليه وآله جالساً مع ناس من ضعفاء المؤمنين، فلمّا رأوهم حوله صلّى الله عليه وآله حقّروهم، فأتوه صلّى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنّا هؤلاء وأرواح جبابهم -وكانت عليهم جباب من صوف- جالسناك وحادثناك وأخذنا عنك، فقال صلى الله عليه وآله: ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا: فإنّا نحبّ أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا فيه العرب فضلنا؛ فإنّ وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد- يعنون فقراء المسلمين-، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنّا، فإذا نحن فرغنافاقعد معهم إن شئت، قال صلّى الله عليه وآله، نعم، قالوا: فاكتب لنا بذلك كتاباً، فدعا بالصحيفة وبعليّ عليه السلام ليكتب ونحن قعود في ناحية، فنزل جبرئيل بقوله تعالى: «ولا تطرد الذينَ يدعونَ ربّهم بالغداةِ والعشيّ يريدونَ وجهَه ما عليك من حسابهِم من شيءٍ وما من

---

(١) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(٢) مجمع البيان: ج ٥- ٦ ص ٤٦٥.

....

حسابكَ عليهم من شيء فتطردَهم فتكونَ من الظالمينَ»، فرمىٰ عليه السّلام بالصحيفة ودعانا فأتيناه وجلسنا عنده، وكنّا ندنومنه حتّىٰ تمسّ ركبتنا ركبته، وكان يقوم عنّا اذا أراد القيام، فنزلت «واصبرِ نفسكَ معَ الذينَ يدعونَ ربّهم» الآية، فترك القيام عنّا إلى أن نقوم عنه، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن اصبر نفسي مع قوم من أُمتي، معكم الحياة ومعكم الممات(١).

وفي حديث ليلة المعراج: يا أحمد أنّ المحبّة لله هي المحبّة للفقراء والتقرّب إليهم، قال: يا ربّ ومن الفقراء؟ قال: الذين رضوا بالقليل، وصبروا علىٰ الجوع، وشكروا علىٰ الرخاء، ولم يشكوا جوعهم ولاظمأهم، ولم يكذبوا بألسنتهم، ولم يغضبوا على ربّهم ولم يغتموا على ما فاتهم، ولم يفرحوا بما آتاهم(٢).

وكان من دعائه عليه السّلام: اللّهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، وأحشرني مع المساكين(٣).

وكان سليمان عليه السّلام مع ما أُوتي من الملك يجالس الفقراء والمساكين، ويقول: مسكين جالس مسكيناً(٤).

وكان عليّ بن الحسين عليه السّلام ـ صاحب الدعاء ـ كثير المجالسة للفقراء، حتّىٰ قال له نافع بن جبير: إنّك تجالس أقواماً دوناً، فقال له عليه السلام: إنّي أجالس من أنتفع بمجالسته في ديني(٥).

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) إرشاد القلوب: ج ١ ـ ٢ باب ٥٤ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٣) هكذا في الأصل، ولكن في سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٨١ ح ٤١٢٦، وفي سنن الترمذي: ج ٤ ص ٥٧٧ ح ٢٣٥٢: واحشرني في زمرة المساكين.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٨٣ ح ٢٨.

(٥) المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤ ص ١٦١.

....

تذنيب

يشتمل على فوائد:

الأُولىٰ: الفقير والمسكين: من لايفي ماله وكسبه بمؤونته ومؤونة عياله. وهل الفقير أسوأ حالاً أم المسكين؟ خلاف، والحقّ أنّ المسكين أسوأ حالاً؛ لما ورد في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال: الفقير: الذي لايسأل الناس، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم(١).

الثانية: ورد في فضل الفقر والفقراء أخبار كثيرة، فعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: في مناجاة موسىٰ عليه السّلام: يا موسىٰ إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنىٰ مقبلاً فقل: ذنب عجّلت عقوبته(٢).

وعنه عليه السلام: المصائب منح من الله، والفقر مخزون عند الله(٣).

وعنه عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: الفقر أزين للمؤمن من العذار علىٰ خدّ الفرس(٤).

وعنه عليه السّلام: أنّ فقراء المؤمنين يتقلّبون في رياض الجنّة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً(٥).

وعنه عليه السلام: أنّ الله جلّ ثناؤه ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الأخ إلى أخيه، فيقول: وعزتي ما أحوجتك في الدنيا من هوان كان بك

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ٤ ص ١٠٤ ح ٢٩٧.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٣ ح ١٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٠ ح ٢.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٥ ح ٢٦٥، وفيه: ازين للمؤمن.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٠ ح ١.

....

عليَّ، فارفع هذا السحف فانظر إلى ماعوّضتك من الدنيا، قال: فيرفع، فيقول: ما ضرّني مامنعتني مع ما عوّضتني(١)

وعنه عليه السلام: انّ الله عزّوجلّ يلتفت يوم القيامة إلى فقراء المؤمنين شبيهاً بالمعتذر إليهم، فيقول: وعزّتي ما أفقرتكم في الدنيا من هوان بكم، فمن زود منكم في دارالدنيا معروفاً فخذوا بيده فادخلوه الجنّة، قال: فيقول رجل منهم: يا ربّ إنّ أهل الدنيا تنافسوا في دنياهم فنكحوا النساء ولبسوا الثياب الليّنة وأكلوا الطعام وسكنوا الدور وركبوا المشهور من الدوابّ، فاعطني مثل ما أعطيتهم، فيقول تبارك وتعالى، لك ولكلّ عبد منكم مثل ما أعطيت أهل الدنيا الى أن انقضت الدنيا سبعون ضعفاً(٢).

وعنه عليه السّلام قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: طوبىٰ للمساكين بالصبر، وهم الذين يرون ملكوت السماوات والأرض(٣).

وعنه عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله:يا معشر المساكين طيبوا نفساً، واعطوا الرضا من قلوبكم يثبكم الله عزّوجل علىٰ فقركم، فان لم تفعلوا فلا ثواب لكم(٤).

الثالثة: قال بعض العلماء: اعلم أنّ في إيجاد هذه الطائفة ـ أعني الفقراء ـ حكمة جليلة، تخفى على كثيرمن العقلاء والمترفين من أبناء الدنيا.

فمنها: ماورد في الحديث: لولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنّة(٥) وفيه إشارة إلى معان:

أحدها: أنّ نجاة الأغنياء منحصرة في رعاية أحوال الفقراء والإحسان إليهم.

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٦٤ ح ١٨.
(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٢ ح ٩.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٣ ح ١٣.
(٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٣ ح ١٤.
(٥) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٥ ح ٢٠.

....

ثانيها: أنّهم رحمة للأغنياء وإذكار لأرباب النعم؛ ليكون كلّ عاقل منهم إذ فكّر فيهم واعتبر بأحوالهم، علم بأنّ الذي أعطاه هوالذي منعهم، ويعلم أنّه لم يكن للغني عندالله يدواحسان كافأه بهما، ولا لواحد من هؤلاء الفقراء عندالله ذنب جازاه عليه ، فإذا فكّر الأغنياء واعتبروا أحوال الفقراء عرفوا حسن مواقع النعم عندهم، فيزدادون الله شكراً يستوجبون به المزيد في الدنيا والأجر في الآخرة.

ثالثها: أنّ أهل الدين ومن يؤمن بالآخرة من الأغنياء، إذا نظروا إليهم واعتبروا أحوالهم يزدادون يقيناً بالاخرة، ويعلم كلّ عاقل منهم أنّ من بعد هذه الحياة الدنيا داراً أُخرىٰ، يجازى فيها هؤلاء المؤمنون بما صبروا على مصائب أُمور الدنيا، كما قال سبحانه: «إنّما يوفّىٰ الصابرونَ أجرَهم بغير حسابٍ»(١)

ومن الحكمة في إيجادهم أنّهم أشدّ يقيناً بأمر الآخرة من غيرهم من المترفين، وأنّهم أسرع الناس إجابة لدعوة الأنبياء من غيرهم من أرباب النعم والأغنياء، وأنّهم أخفّ مؤونة واقلّ حوائج وأقنع باليسير، وأنّهم أكثر لذكرالله في السرّ والعلانية، وأرق قلوبا عند الذكر وأخلص في الدعاء للّه سبحانه في السرّاء والضرّاء، وخصال أُخر كثيرة لوعددناها لطال الخطاب بها، وإنّما ذكرنا طرفاً من ذلك ، لأنّ كثيراً من الناس ولا سيّما المترفين، إذا نظروا إليهم ظنّوا بالله ظنوناً فاسدة.

فنهم من يرىٰ انّ الصواب كان أنهم لم يخلقوا وكان ذلك خيراً لهم، ومنهم من يرىٰ انّ الذي نالهم من الفقر والبؤس لسوء حظّهم وشؤمهم وخذلانهم، ومنهم من يرىٰ أنّهم معاقبون بما سلف منهم في الأدوار الماضية من الذنوب، وهذا رأي أصحاب التناسخ، ومنهم من يرىٰ أنّ ذلك من هوانهم على الله سبحانه، وأنّه ليس

---

(١) سورة الزمر: الآية ١٠.

....

يعبأبهم ولايهمّه أمرهم، والآ كان قادراً على أنّ يغنيهم، أو يميتهم ويريحهم ممّاهم فيه من الجهد، ومنهم من يرى أنّ هذا ليس يجري بعلم عالم وحكمة حكيم، بل هو اتّفاق لا تدبير فيه، ومنهم من يرى أنّ هذا من موجبات أحكام الفلك، من غير قصد قاصد ولاصنع صانع، نعوذ بالله من الاعتقادات الفاسدة والآراء الباطلة.

الرابعة: قال بعض المشايخ: الفقراء على طبقات: فقراء الأغنياء، وهم السائلون عند الفاقات القانعون بالكفايات، وهم ظهرة الأغنياء والذين جعل الله لهم في أموال الاغنياء نصيباً.

والطبقة الثانية: فقراء الفقراء، وهم المتحقّقون بالفقر المختارون للفقر المؤثرون له على الغنى، لايتبذّلون في السؤال ولايتعرّضون بالمقال، يرجون العمر بالميسور من القوت، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف وهم بين محروم حرم السعي في الدنيا، ومحارف انحرفت عنه الأسباب، وقانع بما يصل إليه، ومعترّ رضي بما يعتريه.

والطبقة الثالثة: أغنياء الفقراء، وهم الأجواد الأسخياء أهل البذل والعطاء، لايستكثرون ولايدّخرون، وإن منعوا شكروا المانع فصار منعه عطاء، وإن ضيّق عليهم حمدوا الواسع؛ لأنّه هو المحمودفصارضيقه رخاء، وإن أُعطوا بذلوا وآثروا.

وكان بشرالحافي يقول: الفقراء ثلاثة: فقيرلايسأل وإن أُعطي لم يأخذ فهذا مع الروحانيّين، وفقيرلايسأل وإن أُعطي أخذ فهومع المقرّبين في جنّات النعيم، وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين(١).

وحكي أنّه دفع إلى إبراهيم التيمي ستّون ألفاً وكان عليه دين وبه حاجات إليها فردّها، فعاتبوه في ذلك فقال: كرهت أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بستّين ألفاً(٢).

---

(١) آداب النفس: ج ٢ ص١٦.

(٢) آداب النفس: ج ٢ ص١٦.

....

قيل لبعضهم وقدرئي عليه أثر الجوع والضرّ: لِمَ لا تسأل الناس يطعمونك؟ فقال: عساهم يمنعون فلايفلحون، وقد بلغني الحديث: لوصدق السائل ما أفلح من منعه(١).

قوله عليه السلام: «وأعنّي علىٰ صحبتهم بحسن الصبر» الصبر: قوّة ثابتة وملكة راسخة بها تقدر النفس على تحمّل الأُمور الشاقّة ومقاومة الهوىٰ؛ ولذلك قيل: الصبر صبران: صبر علىٰ البلاء ومنه الرضا بالقضاء، وهوالذي يستوجب به العبد من ربّه الثواب، وصبر في النعماء وعمّا يدعو إليه الهوى مع القدرة عليه والتمكّن منه، وهو صبر يدرأ عنه العذاب ويهوّن عليه الصعاب.

والمراد بحسن الصبر: انشراح الصدر له واطمئنان النفس به، بحيث لايخالطه اضطراب وانزعاج، هذا.

ولمّا كان كثير من المترفين وأرباب النعم من يتكلّف ويتجشّم صحبة الفقراء والزّهاد، بتقريبهم وإجلالهم بمقدار مايعدّون من جملة الأخيار، من غير أن يتخلّقوا بأخلاقهم ويتأدّبوا بآدابهم ويقوموا بحقوق صحبتهم، فهم يرضون من الجسم بالاسم ومن الحميم بالشميم، سأل عليه السّلام ربّه إعانته بحسن الصبر علىٰ صحبتهم؛ إذ كان فيها من المشاقّ مالا خفاء به؛ فإنّ من حقّ الصحبة مع الأصحاب مطلقاً طلاقة الوجه والبشاشة، والكلام والسلام، والمصافحة والمعانقة والمواكلة، وتحصيل مايحتاجون إليه، ودفع مايغتمون منه، ومخالفة من خالفهم، ومرافقة من رافقهم، وتعظيمهم وتوقيرهم، وعدم التهجّم عليهم، والصفح عن عثراتهم، ومداراتهم، وأن لايحتجب عنهم ولايهجرهم، ويبسط لهم معروفه، ويعاشرهم ببسط الكفّ، وصدق الوعد، ودوام العهد، وحفظ الأسرار، وإيثار الإرفاق، وقبول العذر، واحتمال

---

(١) آداب النفس: ج ٢ ص ٢١.

....

الأذىٰ، وصدق الوفاء ونشر المحاسن، وستر القبائح، وبذل النصيحة وقبولها منهم، وأن يحبّ لهم مايحبّه لنفسه، ويكرم كلّ أحد منهم علىٰ قدره، ويسترسل على سجيّته، ويكون طوع أمره ونهيه ووفق قوله وفعله، ويعود من مرض منهم، ويشهد جنازة من مات منهم، وبعض هذه الحقوق لايقوم به كثير من كفاة الرجال في صحبة أكفائهم وأقرانهم، فكيف بها في صحبة الفقراء والمساكين؟ علىٰ أنّ رعايتها في صحبتهم أوجب؛ لكي لا يستشعروا إهانة واستخفافاً بهم، فتكسر قلوبهم فيكون الهلاك.

وعن ابراهيم بن شيبان قال: كنّا لانصحب من يقول: نعلي(١).

وعن أحمد القلانسي وكان من مشايخ الجنيد: صحبت أقواماً بالبصرة فأكرموني، فقلت مرّة لبعضهم: أين ازاري فسقطت عن أعينهم(٢).

وعن أبي عليّ الرباطي قال: صحبت عبدالله المروزي، وكان يدخل البادية قبل أن أصحبه بلازاد، فلمّا صحبته قال لي: أيّما أحب إليك تكون أنت الأمير أم أنا؟ فقلت: لابل أنت الأمير، قال: وعليك الطاعة؟ قلت: نعم، فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره، فإذا قلت له: أعطني حتّىٰ أحملها، قال لي: الست أنا الأمير؟ فعليك الطاعة، قال: فأخذنا المطر ليلة، فوقف علىٰ رأسي طول الليل إلى الصباح وعليه الكساء وأنا جالس يمنع عنّي المطر، فكنت أقول في نفسي: ليتني متّ ولم أقل له: أنت الأمير(٣)، ثمّ قال: إذا صحبك إنسان فأصحبه يا أخي كما رأيتني صحبتك أو انفرد.

وكان شرط ابراهيم بن أدهم مع من يصحبه أن يكون الخدمة والاذان له، وأن يكون يده في جميع مايفتح الله به عليهم من الدنيا كيدهم(٤).

(١) (الف): فعلي.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) المحجة البيضاء: ج ٣ ص ٣٣٥.

(٤) لم نعثر عليه.

وَما زَوَيْتَ عَنّي مِنْ مَتاعِ الدنْيا الفانِيَةِ، فاذْخُرْهُ لي في خزائِنِك الباقِيَةِ.

ويحكىٰ انّه سعي بجماعة من الصوفيّة إلى بعض الخلفاء، فأمر بضرب رقابهم وبينهم أبوالحسين النوري، فبادر إلى السيّاف ليكون أوّل مقتول، فقيل له في ذلك، فقال: أحببت أن أُوثر اخواني بالحياة ولو بلحظة، فكان ذلك سبب تجافي الخليفة عنهم(١).

وبالجملة: فحقوق الصحبة لايقوم بها إلا من أعانه الله ووفّقه، وإلّا فالأمر فيها صعب جداً.

روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّه دخل غيضة مع بعض أصحابه، فاجتنى منها مسواكين أحدهما معوجّ والآخر مستقيم، فدفع المستقيم إلىٰ صاحبه، فقال: يا رسول الله كنت أحقّ بالمستقيم منّي، فقال صلى الله عليه وآله: ما من صاحب يصحب صاحباً ولوساعة من نهار إلّا سئل عن صحبته، هل أقام فيه حقّ الله أم أضاعه(٢)، والله المستعان *.

المتاع في اللغة: كلّ ما ينتفع به، كالطعام والبرّ وأثاث البيت، وأصل المتاع: ماينتفع به من الزاد، وهو اسم من متّعته بالتثقيل: إذا أعطيته ذلك.

وفي المحكم: المتاع: المال والاثاث، والجمع أمتعة (٣).

ونعت الدنيا بالفانية للذمّ، ومفعول زويت محذوف أي: ومازويته، والمفعول يكثر حذفه إذا كان عائداً علىٰ الموصول نحو: «أهٰذا الذي بَعثَ الله رُسولاً»(٤) أي: بعثه.

والفاء من قوله: «فاذخره»: رابطة لشبه الجواب بشبه الشرط.

وذخرت الشيء ذخراً ـ من باب نفع ـ: إذا عددته لوقت الحاجة إليه، والاسم

(١) المحجة البيضاء: ج ٣ ص ٣١٩.
(٢) قوت القلوب: ج ٢ ص ٢٣٢.
(٣) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ٤٧.
(٤) سورة الفرقان الآية ٤١.

....

الذخر بالضمّ.

وخزائنه تعالى: عبارة عن مقدوراته أي: ماتحويه قدرته من النعم والخيرات التي يكرم بها عباده المتّقين في الدار الآخرة؛ ولذلك وصفها بالباقية.

ولا بدّ في قوله عليه السّلام: «فاذخره لي» من إضمار، أي: فاذخر عوضه لي؛ لأنّ ذخر عين مازواه عنه غير مطلوب، فهو كقوله تعالى: «وما تُقدِّموا لأنفُسِكم مِن خيرٍ تجدوه عندَ اللهِ»(١) أي: تجدوا ثوابه كما أجمع عليه المفسّرون.

والحقّ أنّه لاإضمار في الآية بناءً على تجسّم الأعمال في النشأة الأُخرويّة. كما قال بعض المحقّقين في قوله تعالى: «يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عمِلَتْ من خيرٍ مُحضراً»(٢): ليس المراد أنّها تجد جزاءه، بل تجده بعينه لكن ظاهراً في جلباب آخر، فإنّ الروح والريحان والحور والثمار هي الأخلاق الزكيّة والأعمال الصالحة والاعتقادات الحقّة التي برزت في هذا العالم بهذا الزيّ واتّسمت بهذا الاسم؛ إذ الحقيقة الواحدة تختلف صورها باختلاف المواطن، فتستحلي في كلّ موطن بحلية. وأمّا عبارة الدعاء فلا غناء عن الإضمار فيه.

وممّا يناسب هاتين الفقرتين ماروي في الحديث عن عمر بن الخطّاب، قال: استأذنت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخلت عليه في مشربة أمّ ابراهيم، وإنّه لمضطجع على خصفة وإنّ بعضه على التراب، وتحت رأسه وسادة محشوّة ليفاً، فسلّمت عليه ثمّ جلست، فقلت: يا رسول الله أنت نبيّ الله وصفوته وخيرته من خلقه، وكسرى وقيصر على الذهب وفرش الديباج والحرير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اولئك قوم عجّلت طيّباتهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنّما أُخرّت لنا طيّباتنا(٣) *.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٠.

(٣) لم نعثر عليه.

وَاجعَلْ ما خَوَّلْتَني مِنْ حُطامِها، وَعَجَّلْتَ لي مِنْ مَتاعِها، بُلْغَةً إلىٰ جِوارِكَ، وَوُصلَةً إلىٰ قُرْبكَ، وَذَريعَةً إلى جَنَّتِكَ.

خوّله الله مالاً: أعطاه.

والحطام بالضمّ ماتكسّر من يابس النبات استعير لمقتنيات الدنيا، ووجه الاستعارة سرعة ذهابها وفنائها، كما يتناثر ويتطاير المتكسّر من يابس النبات ويذهب في أسرع وقت.

وقال الزمخشري في الأساس: طارت الريح بحطام التبن، وهذا حطام البيض لكساره، ومنه: حطام الدنيا، شبّه بالكسار تخسيساً له(١).

وعجّلت إليه المال أي: أسرعت إليه بحضوره، ومنه قوله تعالى: «من كانَ يريدُ العاجلةَ عجّلنا لهُ فيها ما نَشاءُ»(٢)، وقوله تعالى: «وقالوا رَبّنا عَجّل لَنا قِطّنا قبلَ يوم الحسابِ»(٣).

قيل: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وعدالله للمؤمنين الجنّة، فقالوا على سبيل الاستهزاء: عجلّ لنا نصيبنا منها(٤).

والبلغة بالضمّ هنا: بمعنىٰ ما يتبلّغ ويتوصّل به إلى الشيء المطلوب كالبلاغ، لابمعنىٰ مايكتفى به من العيش، وإن اشتهرت في هذا المعنىٰ.

والجوار بالضمّ والفتح: اسم من جاوره مجاورة -من باب قاتل-: إذا لاصقه في السكن، وأمّا الجوار بالكسر فهو مصدر كالقتال. وقد وردت الرواية في الدعاء بالحركات الثلاث.

والمراد بجواره تعالى: الحلول محلّ الزلفة لديه حيث تناله غواشي رحمته وفضله، لا الملاصقة في السكن تعالىٰ الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

والوصلة: كالبلغة لفظاً ومعنىٰ، وهي مايتوصّل به إلىٰ المقصود.

(١) أساس البلاغة: ص ١٣١، وفيه: تخسيساً له.
(٢) سورة الاسراء: الآية ١٨.
(٣) سورة ص: الآية ١٦.
(٤) لم نتحققه.

....

وقربه تعالى: عبارة عن مقام كرامته الدائمة، الذي لايتغيّر صاحبه بعلّة القهر ولايزول عنه بالستر والحجاب ،كما قال تعالى: «إنّ المتّقين في جَنّاتٍ ونهر * في مَقعدِ صِدقٍ عندَ مَليكٍ مُقتدرٍ» (١).

والذريعة:الوسيلة، كالذرعة بالضمّ.

قال صاحب المحكم: وأصل الذريعة: من الجمل الذي يسمّونه ذريعة، وهو جمل يختل به الصيد، يمشي الصيّاد إلى جنبه فيرمي الصيد إذا أمكنه، وذلك الجمل يسيّب أوّلاً مع الوحش حتّى تألفه(٢).

وأعلم أنّ متاع الدنيا ومقتيناتها كماتكون سبباً للشرّ والشقاوه، تكون سبباً للخير و السعادة ونيل المنزلة والزلفى عندالله تعالى، وذلك باعتبار تناولها وإنفاقها فيما يذمّ ويحمد، فمن تناولها على أيّ وجه اتّفق، راكناً إلى المال غير متفكّر في المال، منهمكاً في الدنيا غير ملتفت إلى العقبى، كما قال تعالى: «رَضوا بِالحياةِ الدُّنيا واطمَأنّوا بِها» (٣)، فهو لايؤثر بما في يديه منها إلّا قضاء الأوطار والتمتّع بالمسارّ، يأكل كما تأكل الأنعام ويلعب كما يلعب الغلام، فذلك الذي يكون متاع الدنيا سبباً لشقاوته السرمديّة وخسارته الأبديّة، ومن تناولها من حلّها وأنفقها في محلّها، متحرّياً رضا الله ووجهه فيما يأخذ وينفق منها، فذلك الذي تكون مقتنيات الدنيا سبباً لسعادته الأُخرويّة، وذريعة لنجاته وفوزه بالمقامات السنيّة، بل وسيلة لنيل الفضائل الفاخرة في الدنيا والآخرة.

كما قال أميرالمؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: من آتاه الله مالاً فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفكّ به الأسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب فإنّ فوزاً بهذه الخصال

---

(١) سورة القمر: الآية ٥٤ـ ٥٥.

(٢) المحكم في اللغة: ج ٢ ص٥٨.

(٣) سورة يونس: الآية ٧.

إنَّكَ ذُوالفَضْلِ العَظيمِ، وَأنْتَ الجَوادُ الكَريمُ.

شرف مكارم الدنيا وفصائل الآخرة(١).

وروي أنّه عليه السّلام دخل علىٰ العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده، فلمّا رأىٰ سعة داره قال: ماكنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا وأنت إليها في الآخرة أحوج؟ وبلىٰ إن شئت بلغت بها الآخرة، تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة(٢).

وعلىٰ ذلك ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله: نِعم العون على تقوى الله الغنىٰ(٣).

وعن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام: نِعم العون الدنيا على طلب الآخرة(٤).

إذا عرفت ذلك، علمت أنّ غرض سؤاله عليه السّلام في هذه الفقرات من الدعاء، طلب التوفيق لإنفاق مامنحه الله تعالى من متاع الدنيا، في السبيل التي تؤدّيه إلى الفوز بالجنّة ومنازل المتّقين ومقامات المقرّبين، والله وليّ التوفيق *.

ذو: بمعنىٰ صاحب.

والفضل. الإحسان.

والعظيم: نقيض الحقير. قال بعضهم: الشيئان إذا اشتركا في معنىٰ ثمّ كان أحدهما زائداً على الآخر في ذلك المعنىٰ، سمّي الزائد عظيماً والناقص حقيراً، سواء كانت تلك الزيادة في المقدار أو في معنىٰ من المعاني.

والجواد: الكثير الإحسان والإنعام. والفرق بينه وبين الكريم. أنّ الجواد الذي يعطي مع السؤال، والكريم يعطي من غير سؤال، وقيل بالعكس. والحقّ الاوّل،

---

(١) نهج البلاغة: ص١٩٨ الخطب ١٤٢.

(٢) نهج البلاغة: ص٣٢٤ الخطب ٢٠٩.

(٣) الكافي: ج٥ ص٧١ ح١.

(٤) الكافي: ج٥ ص٧٣ ح١٤

....

لوصفه عليه السّلام الجواد بالكريم.

وقيل: الكريم: هو المقتدر على الجود، وقيل: معناه: العليّ الرتبة، ومنه: كرائم المواشي، لنفائسها.

والجملتان تعليل لاستدعاء المسائل السابقة منه تعالىٰ ومزيد استدعاء للإجابة، وأكّد الجملة الأولىٰ لغرض كمال يقينه بمضمونها، وعرّف المسند في الثانية بلام الجنس؛ لإفادة قصر الجود والكرم عليه سبحانه إمّا تحقيقاً، وهو التحقيق؛ إذ المراد بالجود والكرم هنا: فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كلّ من يقدر أن يقبله بقدر ما يقبله، وهذا المعنىٰ ليس إلّا لله سبحانه وتعالىٰ، وإمّا مبالغةً في كماله ونقصان من عداه ممّن يتّصف بالجود والكرم حتّى التحق بالعدم، فصار الجنس منحصراً فيه، إذا جعل الجود والكرم مقولين بالزيادة والنقصان علىٰ من يتّصف بهما، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثلاثين من رياض السالكين في شرح صحيفة سيدّ العابدين وإمام الزاهدين، صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه الخلفاء الراشدين، وقد وفّق الله لإنهائها صبيح يوم الجمعة الأغرّ، ثاني عشر ذي الحجّة الحرام آخر شهور سنة ثلاث ومائة وألف، على يد مؤلّفها العبد عليّ بن أحمد الحسينيّ، كان الله لهما.

الروضة الواحد والثلا ثون

وكان من دعائه عليه السلام في ذكر التوبة وطلبها

اللهم يا من لا يصفه نعت الواصفين ويا من لا يجاوزه رجاء
الراجين ويا من لا يضيع لديه أجر المحسنين ويا من هو منتهى خوف
العابدين ويا من هو غاية خشية المتقين هذا مقام من تداولته
أيدي الذنوب وقادته أزمة الخطايا واستحوذ عليه الشيطان فقصر
عما أمرت به تفريطا وتعاطى ما نهيت عنه تغريرا كالجاهل بقدرتك
عليه أو كالمنكر فضل إحسانك إليه حتى إذا انفتح له بصر
الهدى وتقشعت عنه سحائب العمى أحصى ما ظلم به نفسه و
فكر فيما خالف به ربه فرأى كبير عصيانه كبيرا وجليل مخالفته جليلا
فأقبل نحوك مؤملا لك مستحييا منك ووجه رغبته إليك ثقة
بك فأمك بطمعه يقينا وقصدك بخوفه إخلاصا قد خلا طمعه
من كل مطموع فيه غيرك وأفرخ روعه من كل محذور منه سواك
فمثل بين يديك متضرعا وغمض بصره إلى الأرض متخشعا وطأطأ رأسه
لعزتك متذللا وأبثك من سره ما أنت أعلم به منه خضوعا وعدد
من ذنوبه ما أنت أحصى لها خشوعا واستغاث بك من عظيم ما وقع

بِهِ فِي عِلْمِكَ وَقَبِيحٍ مَا فَضَحَهُ فِي حُكْمِكَ مِنْ ذُنُوبٍ أَدْبَرَتْ لَذَّاتُهَا فَذَهَبَتْ
وَأَقَامَتْ تَبِعَاتُهَا فَلَزِمَتْ لَا يُنْكِرُ يَا إِلٰهِي عَدْلَكَ إِنْ عَاقَبْتَهُ وَلَا يَسْتَعْظِمُ
عَفْوَكَ إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ وَرَحِمْتَهُ لِأَنَّكَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَتَعَاظَمُهُ
غُفْرَانُ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ اَللّٰهُمَّ فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُكَ مُطِيعًا لِأَمْرِكَ فِيمَا أَمَرْتَ
بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ مُتَنَجِّزًا وَعْدَكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الْإِجَابَةِ إِذْ تَقُولُ ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ اَللّٰهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَالْقَنِي بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقِيتُكَ
بِإِقْرَارِي وَارْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ كَمَا وَضَعْتُ لَكَ نَفْسِي وَاسْتُرْنِي
بِسِتْرِكَ كَمَا تَأَنَّيْتَنِي عَنِ الِانْتِقَامِ مِنِّي اَللّٰهُمَّ وَثَبِّتْ فِي طَاعَتِكَ نِيَّتِي وَ
أَحْكِمْ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيرَتِي وَوَفِّقْنِي مِنَ الْأَعْمَالِ لِمَا تَغْسِلُ بِهِ دَنَسَ الْخَطَايَا
عَنِّي وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ عليه السلام إِذَا تَوَفَّيْتَنِي اَللّٰهُمَّ
إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هٰذَا مِنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِي وَصَغَائِرِهَا وَبَوَاطِنِ
سَيِّئَاتِي وَظَوَاهِرِهَا وَسَوَالِفِ زَلَّاتِي وَحَوَادِثِهَا تَوْبَةَ مَنْ لَا يُحَدِّثُ
نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ وَلَا يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ وَقَدْ قُلْتَ يَا إِلٰهِي فِي مُحْكَمِ
كِتَابِكَ إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ وَتَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَتُحِبُّ
التَّوَّابِينَ فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ وَاعْفُ عَنْ سَيِّئَاتِي كَمَا ضَمِنْتَ وَأَوْجِبْ

لى محبتك كما شرطت ولك يا ربّ شرطي ألّا أعود في مكروهك و
ضماني ألّا أرجع في مذمومك وعهدي أن أهجر جميع معاصيك اللهمّ
إنّك أعلم بما عملت فاغفر لي ما علمت واصرفني بقدرتك إلى ما أحببت
اللهمّ وعليّ تبعات قد حفظتهنّ وتبعات قد نسيتهنّ وكلّهنّ بعينك
التي لا تنام وعلمك الذي لا ينسى فعوّض منها أهلها واحطط عنّي وزرها
وخفّف عنّي ثقلها واعصمني من أن أقارف مثلها اللهمّ وإنّه لا وفاء
لي بالتوبة إلّا بعصمتك ولا استمساك بي عن الخطايا إلّا عن قوّتك
فقوّني بقوّة كافية وتولّني بعصمة مانعة اللهمّ أيّما عبد تاب إليك
وهو في علم الغيب عندك فاسخ لتوبته وعائد في ذنبه وخطيئته
فإنّي أعوذ بك أن أكون كذلك فاجعل توبتي هذه توبة لا أحتاج
بعدها إلى توبة توبة موجبة لمحو ما سلف والسلامة فيما بقي
اللهمّ إنّي أعتذر إليك من جهلي وأستوهبك سوء فعلي فاضممني
إلى كنف رحمتك تطوّلاً واسترني بستر عافيتك تفضّلاً اللهمّ
وإنّي أتوب إليك من كلّ ما خالف إرادتك أو زال عن محبّتك من
خطرات قلبي ولحظات عيني وحكايات لساني توبة تسلم بها كلّ

جارحة على حيالها من تبعاتك وتأمن مما يخاف المعتدون من أليم سطواتك
اللهم فارحم وحدتي بين يديك ووجيب قلبي من خشيتك واضطراب
أركاني من هيبتك فقد أقامتني يا رب ذنوبي مقام الخزي بفنائك
فإن سكت لم ينطق عني أحد وإن شفعت فلست بأهل الشفاعة اللهم
صل على محمد وآله وشفع في خطاياي كرمك وعد على سيئاتي
بعفوك ولا تجزني جزائي من عقوبتك وابسط علي طولك وجللني
بسترك وافعل بي فعل عزيز تضرع إليه عبد ذليل فرحمه أو غني تعرض
له عبد فقير فنعشه اللهم لا خفير لي منك فليخفرني عزك ولا شفيع
لي إليك فليشفع لي فضلك وقد أوجلتني خطاياي فليؤمني عفوك
فما كل ما نطقت به جهل مني بسوء أثري ولا نسيان لما سبق من ذميم
فعلي لكن لتسمع سماؤك ومن فيها وأرضك ومن عليها ما أظهرت
لك من الندم ولجأت إليك فيه من التوبة فلعل بعضهم برحمتك
يرحمني لسوء موقفي أو تدركه الرقة علي لسوء حالي فينالني منه بدعوة
هي أسمع لديك من دعائي أو شفاعة أوكد عندك من شفاعتي تكون
بها نجاتي من غضبك وفوزتي برضاك اللهم إن يكن الندم توبة

اِلَيْكَ فَاَنَا اَنْدَمُ النَّادِمِيْنَ وَاِنْ يَكُنِ التَّرْكُ لِمَعْصِيَتِكَ اِنَابَةً فَاَنَا اَوَّلُ الْمُنِيْبِيْنَ وَاِنْ يَكُنِ الْاِسْتِغْفَارُ حِطَّةً لِلذُّنُوْبِ فَاِنِّیْ لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِيْنَ اَللّٰهُمَّ فَكَمَا اَمَرْتَ بِالتَّوْبَةِ وَضَمِنْتَ الْقَبُوْلَ وَحَثَثْتَ عَلَى الدُّعَآءِ وَوَعَدْتَ الْاِجَابَةَ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَاقْبَلْ تَوْبَتِیْ وَلَا تَرْجِعْنِیْ مَرْجِعَ الْخَيْبَةِ مِنْ رَحْمَتِكَ اِنَّكَ اَنْتَ التَّوَّابُ عَلَى الْمُذْنِبِيْنَ وَالرَّحِيْمُ لِلْخَاطِئِيْنَ الْمُنِيْبِيْنَ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ كَمَا هَدَيْتَنَا بِهٖ وَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ كَمَا اسْتَنْقَذْتَنَا بِهٖ وَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ صَلٰوةً تَشْفَعُ لَنَا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَيَوْمَ الْفَاقَةِ اِلَيْكَ اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَیْءٍ قَدِيْرٌ وَّهُوَ عَلَيْكَ يَسِيْرٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

الحمدلله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السّيئات، المتفضّل على من تاب وآمن وعمل صالحاً بتبديل سيئاتهم حسنات، غافر الذنب وقابل التوب، ومقيل العثرة وساتر الحوب، محبّ التوّابين ومكرم الأوّابين، والصّلاة والسّلام على نبيّه، شفيع المذنبين وهادي المنيبين، محمّد سيّد المرسلين وعصمة المتوسّلين وعلى أهل بيته الأئمّة الهادين والخلفاء الراشدين.

وبعد، فهذه الروضة الحادية والثلاثون من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء الحادي والثلاثين من أدعية صحيفة سيّد العابدين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الماجدين، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ عليّ صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ، تاب الله تعالى عليه وجعله من المنيبين إليه.

شرح الدعاء الواحد والثلاثين

وكان من دعائه عليه السّلام في ذكر التوبة وطلبها.

ذكر الشيء: حضور معناه في النفس، ثمّ تارةً يكون بالقلب وتارةً باللسان، يقال: ذكرته بلساني وبقلبي، واجعلني منك على ذكر وذكر بالكسر والضمّ، وأنكر الفراء الكسر في القلب، والأوّل نصّ عليه جماعة منهم أبوعبيدة وابن قتيبة(١).

وطلب الشيء طلباً بالتحريك: حاول وجوده وأخذه، والمراد بطلب التوبة: إمّا طلب التوفيق لها أو طلب قبولها، ففي الكلام إضمار.

ويحتمل عود الضمير الى نفس التوبة من غير إضمار، على طريقة الاستخدام الذي هو من محاسن البديع؛ إذ التوبة بالمعنى اللغوي ـ وهو الرجوع ـ تنسب تارةً الالى العبد، ومعناها الرجوع عن المعصية إلى الطاعة، وتارةً تنسب إلى الله سبحانه، ومعناها الرجوع عن العقوبة الى اللطف والتفضّل، فتكون التوبة المضاف إليها الذكر بالمعنى المنسوب إلى العبد أو بالمعنى الاصطلاحي الآتي بيانه، وأعاد الضمير عليها مراداً بها المعنى المنسوب إلى الله عزّ وجلّ، وهذا معنى الاستخدام، لأنّهم قالوا: هو أنّ يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مراداً به أحد معانيه، ثمّ يؤتى بضمير مراد به المعنى الآخر، كقوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

أراد بالسماء: الغيث، وبالضمير العائد من رعيناه: النبت.

---

(١) المصباح المنير للفيومي: ص ٢٨٤.

....

ولا بأس قبل الكلام على شرح الدعاء بتقديم مباحث:

الاوّل: التوبة لغةً: الرجوع، واصطلاحاً: الندم على الذنب لقبحه، فخرج الندم على شرب الخمر مثلاً لإضراره بالجسم، وبيان المناسبة بين المعنيين: أنّ الله سبحانه هوالذي ابتدأ بالنعمة على عبد قبل الإستحقاق، وفطر العبد على طاعته في الابتداء، فإذا ندم العبد على إساءة بدرت منه فقد رجع إلى الله فيما كانت فطرته عليه، ورجع الله له إلى ماكان من إحسانه إليه، فسمّي الندم إذا كان تلافياً للعقاب توبة.

وإنّما قلنا: فطر العبد على طاعته؛ لأنّ الذنب بمنزلة المرض العارض في النفس، والتوبة بمنزلة معالجتها حتّى تعود إلى صحّتها، فكما أنّ الغالب على أصل الأمزجة في الأنفس هو الصحّة، وإنّما يعرض المرض بأسباب مغيّرة وعلل مؤذية، فكذلك كلّ إنسان يولد على الفطرة ويدرك على الصلاح والرشد، والله أعلم.

الثاني: قال بعض العلماء: التوبة تنتظم من امور ثلاثة: علم وحال وعمل. أمّا العلم فهو اليقين بأنّ الذنوب سموم مهلكة وحجاب بين العبد ومحبوبه، وهذا اليقين يثمر حالة ثانية هي التألّم لفوات المطلوب والتأسف من فعل الذنوب، ويعبّر عن هذا الحالة بالندم، وهي تثمر حالة ثالثة هي ترك الذنوب في الحال، والعزم على عدم العود إليها في الاستقبال، وتدارك في الماضي من حقوق الله تعالى، مثل الصلاة والصيام والزكاة ونحوها، ومن حقوق الناس، مثل ردّ المال إلى صاحبه أو وارثه، وطلب الإبراء في الغيبة، وتسليم النفس في القصاص إلى وليّه ليقتصّ منه أو ليعفوعنه، ولولم يمكنه ذلك كان عليه أن يكثر من العبادة؛ ليبقى له قدر الكفاية في القيامة بعد أخذ حقوقهم منها.

وهذه الأمور مترتّبة في الحصول، ويطلق اسم التوبة تارةً على مجموعها، وتارةً على الندم وحده ويجعل العلم كالمقدّمة والترك كالثمرة، فيكون الندم محفوفاً

....

بالطرفين، الطرف الأوّل مثمر الندم، والطرف الآخر ثمرته، كما قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: إن النّدم على الشّر يدعو إلى تركه(١)، وترتّب هذه الأمور غير مختصّ بالتوبة، بل انتظام الصبر والشكر والتوكّل والرضا وغير ذلك من المقامات الدينيّة ينتظم من علم وحال وعمل.

وهذه الأُمور الثلاثة إذا قيس بعضها إلى بعض لاح للناظرين إلى الظواهر أنّ العلوم مطلقاً إنّما تراد للأحوال، والأحوال إنّما تراد للأعمال. وأمّا أهل البصائر وأولوا الألباب فالأمر عندهم بالعكس، فإنّ الأعمال عندهم تراد للأحوال، والأحوال تراد للعلوم، فالأفضل العلوم ثمّ الأحوال ثمّ الأعمال؛ لأنّ كلّ مراد لغيره يكون ذلك الغير لامحالة أفضل منه(٢).

وقال بعضهم: للتوبة شروط وأوصاف، أمّا شروطها فأربعة: الندم على ماسلف، وترك مثل ذلك في الحال، والعزم على أنّ لايعود في الاستقبال، ونصب الذنب أمامه بحيث لاينبذ الندم وراء ظهره ولا ينسىٰ إساءته طول عمره.

وأمّا أوصافها المتمّمة فأربعة أيضاً: انتباه القلب عن رقدة الغفلة، والإصغاء الى مايهجس في الخاطر من الصوارف والزواجر، وهجران أخدان السوء و اصحاب الشرّ، وملازمة إخوان الخير استضاءة بأنوارهم واستذراء بظلالهم.

وعن أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: أنّ التوبة يجمعها ستّة أشياء: علىٰ الماضي من الذنوب الندامة، وللفرائض الإعادة، وردّ المظالم واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيّتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي (٣).

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤٢٧ ح٧.

(٢) شرح الكافي للمولى محمدصالح المازندراني: ج١٠ ص١٤٩ - ١٥٠.

(٣) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص١٦٩.

....

الثالث: قال شيخنا البهائي قدّس سرّه: لاريب في وجوب التوبة على الفور، فإنّ الذنوب بمنزلة السموم المضرّة بالبدن، وكما يجب على شارب السمّ المبادرة إلى الاستفراغ تلافياً لبدنه المشرف على الهلاك، كذلك يجب على صاحب الذنوب المبادرة إلى تركها والتوبة منها تلافياً لدينه المشرف على الاضمحلال (١).

قال: ولا خلاف في أصل وجوبها سمعاً؛ للأمر الصريح بها في القرآن، والوعيد الحتم على تركها فيه، قال تعالى: «يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى الله تَوْبَةً نَصُوحاً»(٢)، وقال: «ومنْ لَم يتُبْ فأولئك هُمُ الظالِمُونَ»(٣).

وإنّما الخلاف في وجوبها عقلاً، فأثبته المعتزلة لدفعها ضرر العقاب، وهذا كما لايخفى لايدلّ على وجوب التوبة عن الصغائر ممّن يجتنب الكبائر؛ لأنّها تكفّره حينئذٍ؛ ولهذا ذهب البهشميّة إلى وجوبها عن الصغائر سمعاً لاعقلاً، نعم الاستدلال بأنّ الندم على القبيح من مقتضيات العقل الصحيح يعمّ القسمين.

وأمّا فوريّة الوجوب فقد صرّح به المعتزلة، وقالوا: يلزم بتأخيرها ساعة إثم آخر تجب التوبة منه أيضاً، حتّى أنّ من أخّر التوبة عن الكبيرة ساعة واحدة فقد فعل كبيرتين، وساعتين أربع كبائر، الأوليان وترك التوبة عن كلّ منهما، وثلاث ساعات ثمان كبائر، وهكذا. وأصحابنا يوافقونهم على وجوب الفوريّة، لكنّهم لم يذكروا هذا التفصيل فيما رأيته من كتبهم الكلاميّة.

الرابع: قال بعض أرباب القلوب: الناس في التوبة على أحوال: رجل مسوّف بالتوبة مدافع بها، اغترّ بطول الأمل ونسي هجوم الأجل، فهذا متى أدركه الموت أدركه على الإصرار فهو هالك.

---

(١) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص١٦٨.

(٢) سوة التحريم: الآية ٨.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١١.

....

وآخر تائب مالم يجد شهوة، فإذا وجد ركب هواه وأضاع المحاسبة لنفسه، فهذا مستوجب للعقوبة من الله.

ورجل تائب بقلبه، الاّ أنّ نفسه تدعوه إلى الشيء ممّا يكره، فهذا يحتاج الى الأدب لنفسه، وفائدته على قدر مجاهدته.

ورجل مديم للحساب قد قام على ساق مقام الخصم، فهذا مستوجب للعصمة من الله.

ورجل قد هام به خوفه من ذنوبه ولم تبق فيه باقية، فهذا المتوحّد بولاية الله.

وقال شيخنا البهائي قدّس سره: من أهمّ المبادرة إلى التوبة وسوّفها من وقت إلى وقت فهوبين خطرين عظيمين، إن سلم من واحد فلعلّه لا يسلم من الآخر:

أحدهما: أن يعاجله الأجل، فلا يتنبّه من غفلته إلاّ وقد حضره الموت، وفات وقت التدارك، وانسدّت أبواب التلافي وجاء الوقت الذي أشار إليه سبحانه بقوله: «وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبيْنَ ما يَشْتَهُونَ»(١)، وصار يطلب المهلة يوماً أو ساعة فلا يجاب إليها، كما قال تعالى: «مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَ اَحدكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أخَّرْتَني الى أجَلٍ قَرِيبٍ»(٢).

قال بعض المفسّرين في تفسير هذه الآية: إنّ المحتضر يقول عند كشف الغطاء: يا ملك الموت أخّرني يوماً أعتذر فيه إلى ربّي وأتوب إليه وأتزوّد صالحا، فيقول: فنيت الأيّام، فيقول: أخّرني ساعة، فيقول: فنيت الساعات، فيغلق عنه باب التوبة، ويغرغر بروحه إلى النار، ويتجرّع غصّة اليأس وحسرة الندامة على تضييع العمر، وربّما اضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال.

وثانيهما: أن تتراكم ظلم المعاصي على قلبه، إلى أن تصير ريناً وطبعاً فلا يقبل

(١) سورة سبأ: الآية ٥٤. (٢) سورة المنافقون: الآية ١٠.

....

المحو، فإنّ كلّ معصية يفعلها الإنسان تحصل منها ظلمة في قلبه، كما تحصل من نفس الإنسان ظلمة في المرآة، فإذا تراكمت ظلمة الذنوب صارت ريناً، كما يصير بخار النفس عند تراكمه على المرآة صداء، وإذا تراكم الرين صار طبعاً، فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة إذا تراكم بعضه فوق بعض وطال مكثه وغاص في جرمها وأفسدها فصارت لا تقبل الصقل أبداً، وقد يعبّر عن هذا بالقلب المنكوس والقلب الأسود، كما روي عن الباقر عليه السلام: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إنّ القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتّى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله(١).

وعنه عليه السّلام: ما من عبد إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتّى يغطّي البياض، فإذا غطّي البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عزّوجلّ: «كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ماكانُوايَكْسِبُونَ»(٢).

فقوله عليه السّلام: لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً يدلّ على أنّ صاحب هذا القلب لايرجع عن المعاصي ولا يتوب منها أبداً، ولو قال بلسانه: تبت إلى الله يكون هذا القول منه مجرّد تحريك اللسان من دون موافقة القلب، فلا أثر له أصلاً، كما أنّ قول الغسّال: غسلت الثوب لايصيّر الثوب نقيّاً من الأوساخ، وربّما يؤول صاحب هذا القلب إلى عدم المبالاة بأوامر الشريعة ونواهيها، فيسهل أمر الدين في نظره، ويزول وقع الأحكام الألهيّة من قلبه، وينفر عن قبولها طبعه، وينجرّ ذلك الى اختلال عقيدته وزوال إيمانه، فيموت على غير الملّة، وهو المعبّر عنه بسوء الخاتمة،

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٨ باب الذنوب ح ١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٧٣ باب الذنوب ح ٢٠.

....

نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا(١)، إنتهى كلامه رفع في علّيين مقامه.

ومن كلام بعضهم: اغتنموا التوبة قبل أن يصير القريب نائياً والمقيم ماضياً، وقبل أن يكون المحصول ندماً والموجود عدماً، وقبل أن يضرب الأدبار علىٰ المصرّين سرادق الخسار، فلا إقالة عثار ولا توفيق إنابة واعتذار.

ذكر العتبي أنّه قيل لرجل عند الوفاة: قل: لا إله إلّا الله، فقال:

آه ويلي على الشباب وفي أي زمان فقدت شرخ الشباب

حين مات الغيور وارتخص المهر وغاب الحجاب عن كل باب

وقيل لآخر وقد قرب خروج نفسه وانقطاع نفسه: قل: لا إله إلّا الله، فقال:

لهف نفسي على الزمان وفي أيّ زمان دهتني الأزمان

حين ولّىٰ الشتاء واستقبل الصيف وطاب المدام والريحان

واحتضر آخر فقيل له: قل: لا إله الّا الله، فقال:

برد الليل وطاب الماء والتذ الشراب ومضىٰ عنّا حزيران وتمّوز وآب

ثمّ قضىٰ لوقته وقالت امرأة لرجل كان منزله قريباً من حمّام منجاب ببغداد: يا رجل أين الطريق إلى حمّام منجاب؟ فأومىٰ إليها وأرشدها الىٰ طريق غيره في سكّة خراب لامنفذ لها، وتبعها إليها ففجرها، فلمّا حضرته الوفاة قيل له: قل: لا إله الّا الله، فقال:

يا رُبّ قائلة يوماً وقد لغبت(٢) أين الطريق إلى حمّام منجاب

ومات لوقته. هكذا يدرك سوء الخاتمة، وتهوي بالمخذولين مدرجة العاقبة، نعوذبالله من ذلك.

---

(١) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص١٦٨.

(٢) لغب لغباً من باب قتل: تعب وأعيا.

....

الخامس: صرّح أكثر علمائنا باستحباب الغسل للتوبة بعدها، سواء كان عن كفر أو فسق، وسواء كان الفسق عن صغيرة أو كبيرة. بل صرّح الشهيد الثاني قدّس سرّه في شرح اللمعة باستحبابه للتوبة عن مطلق الذنب وإن لم يوجب الفسق كالصغيرة النادرة (١).

وخصّه المفيد بالتوبة عن الكبائر(٢).

قيل: ولعلّ ملحوظه أنّ الذنوب كلّها كبائر لاشتراكها في الخروج عن طاعة الله، وإنّما يطلق الكبر والصغر على الذنب بالإضافة إلى ماتحته ومافوقه، فالقبلة صغيرة بالنسبة إلى الزنا وكبيرة بالنسبة إلى النظر.

وقد نسب الشيخ أبوعلي الطبرسي رحمه الله القول بذلك إلى أصحابنا رضوان الله اعليهم (٣).

السادس: قال بعض الناصحين: إذا أردت التوبة فبرّى نفسك من التبعات وقلبك من الذنوب، ووجّه وجهك الى علاّم الغيوب بعزم صادق ورجاء واثق، وعد أنّك عبد آبق من مولىً كريم رحيم حليم يحبّ عودك إلى بابه واستجارتك به من عذابه، وقد طلب منك العود مراراً عديدة وأنت معرض عن الرجوع إليه مدّة مديدة، مع أنّه وعدك ان رجعت إليه وأقلعت عمّا أنت عليه بالعفو عن جميع ما صدر عنك والصفح عن كلّ ما وقع منك، وقم واغتسل احتياطاً، وطهّر ثوبك، وصلّ بعض الفرائض وأتبعها بشيء من النوافل، ولتكن تلك الصلاة على الأرض بخشوع وخضوع واستحياء وانكسار وبكاء وفاقة وافتقار، في مكان لايراك فيه ولايسمع صوتك آلا الله سبحانه، فإذا سلمت فعقّب صلاتك وأنت حزين مستحي وجلٍ راجٍ، ثمّ

---

(١) شرح اللمعة: ج ١ ص ٦٨٧.

(٢) المقنعة: ص ٦.

(٣) مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٣٨.

قال صلوات الله عليه:

أللّهُمَّ يامَنْ لايَصِفُهُ نَعْتُ الواصِفينَ، وَيا مَنْ لايُجاوِزُهُ رَجاءُ الراجينَ، وَيَا مَنْ لايَضيعُ لَديْهِ اَجْرُ الْمُحسِنينَ، ويَا مَنْ هُوَمُنْتَهى خَوفِ العابدِينَ، ويا مَنْ هُوَغايَةَ خَشْيَةِ المتقين.

أقرأ الدعاء المأثورعن زين العابدين عليه السّلام الذي أوّله: يا من برحمته يستغيث المذنبون ويا من إلى ذكر إحسانه يفزع المضطرّون ثمّ ضع وجهك على الأرض واجعل التراب على رأسك، ومرّغ وجهك الذي هو أكرم أعضائك في التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال وأنت تقول: عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك، تكرّر ذلك وتعدّد ماتذكره من ذنوبك، لائماً نفسك موبّخاً لها نائحاً عليها نادماً على ماصدر منها، وابق على ذلك ساعة طويلة، ثمّ قم وارفع يديك الى التواب الرحيم وقل: إلهي عبدك الآبق رجع إلى بابك، عبدك العاصي رجع إلى الصلح، عبدك المذنب أتاك بالعذر، وأنت أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، ثمّ تدعو ودموعك تنهمل بالدعاء المأثورعن زين العابدين عليه السلام، وهوالذي أوّله: اللّهم يا من لايصفه نعت الواصفين إلى آخره، واجهد في توجّه قلبك إليه وإقبالك بكليتك عليه، مشعرا نفسك سعة الجود والرحمة، ثمّ اسجد سجدة تكثر فيها البكاء والعويل والانتحاب بصوت عالٍ لايسمعه إلّا الله تعالى، ثمّ ارفع رأسك واثقاً بالقبول فرحاً ببلوغ المأمول والله وليّ التوفيق. ولنشرع الآن في شرح الدعاء *.

الوصف والنعت مترادفان.

قال الفيومي: وصفته وصفاً ـ من باب وعد ـ: نعته بما فيه(١).

وفرّق بعضهم بينهما أنّ الوصف ماكان بالحال المنتقلة كالقيام والقعود،

---

(١) المصباح المنير: ص٩١١.

....

والنعت بما كان في خلق أو خلق كالبياض والكرم.

وإنّما لايصفه سبحانه نعت الواصفين لأنّ الإحاطة بمعرفة كنه صفاته سبحانه وتعالى غير مقدورة لغيره عزّوجل.

قال بعض المحقّقين: كما لا يجوز لغيره سبحانه الإحاطة بمعرفة كنه ذاته تعالى، فكذلك لايجوز له الإحاطة بمعرفة كنه صفاته تعالىٰ، وكلّ ماوصفه به العقلاء، فإنّما هو على قدر أفهامهم وبحسب وسعهم، فانّهم إنّما يصفونه بالصفات التي ألفوها وشاهدوها في أنفسهم مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها إليهم بنوع من المقايسة، ولو ذكر لهم من صفاته تعالى ماليس لهم ممّا يناسبه بعض المناسبة لم يفهموه، كما لم يفهموا ذاته التي هي وجود بلاماهيّة لأنّه ليس لهم ذلك، فوصفهم إيّاه ونعتهم له إنّما هو علىٰ قدرهم لا على قدره، وبحسبهم ليس بحسبه، جلّ جلاله عمّا يصفون وتعالى شأنه عمّا يقولون، «وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ»(١).

كيف؟ وقد قال سيّد الخلق صلوات الله عليه وآله: لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك(٢).

وماأحسن ما قال الإمام الباقر عليه السلام: هل سمّي عالماً وقادراً إلّا لأنّه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين، وكلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، والباري تعالىٰ واهب الحياة ومقدّر الموت، ولعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ لله زبانيتين فإنّهما كمالها، تتوهّم أنّ عدمهما نقصان لمن لايكونان له، هكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به فيما أحسب وإلى المفزع، إنتهى كلامه عليه السّلام(٣).

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ج٣-٤ ص٢٠٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج١ ص١١٠، شرح مسألة العلم: ص٤٣.

....

وقد بسطنا الكلام في هذه المسألة في أوائل الروضة الأولى، فليرجع إليه.

ويحتمل أن يكون المعنىٰ: لايفي بوصفه نعت الواصفين، فيكون نعتا جامعاً لمطلق ما يوصف به حاصراً له، كما قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: ليس لصفته حدّ محدود ولا نعت موجود(١).

قال بعض العارفين: لم يعرّف عباده من صفاته ونعوته الا على مقاديرهم، ولم يعرّفهم كليّة صفاته.

قوله عليه السّلام: «ويا من لايجاوزه رجاء الراجين» جاوزت الشيء وتجاوزته: تعدّيته.

والرجاء لغةً: الأمل، وعرفاً: تعلّق القلب بحصول محبوب في المستقبل.

والمعنىٰ: انّه غاية كلّ رجاء، لامرجوّ فوقه فيتعدّى إليه رجاء الراجين، بخلاف من سواه من المرجوّين، اذ لامرجوّ سواه إلّا وفوقه مرجوّ يتجاوز إليه الرجاء، حتىٰ ينتهىٰ إليه سبحانه فيقف عنده إذ لاغاية وراءه، كما قال تعالى: «وَفوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَليمٌ»(٢).

قال ابن عبّاس: فوق كلّ عالم عالم إلىٰ أن ينتهي العلم إلىٰ الله تعالىٰ(٣).

أو أنّ رجاء الراجين لايخيب لديه فيجاوزه إلى غيره.

أو أنّه الغاية التي لايتعدّاه رجاء الراجين عند انقطاعه من جميع من دونه.

أو انّه المحبوب الذي لايتعلّق القلب بحصول محبوب سواه عند حصوله، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ويا من لايضيع لديه أجر المحسنين» ضاع الشيء يضيع

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٩ الخطب ١.

(٢) سورة يوسف: الآية ٧٦.

(٣) مجموعة من التفاسير: ج٣ ص٤٣٨.

....

ضيعةً وضياعاً بالفتح: هلك وتلف، ويتعدّىٰ بالهمزة والتضعيف، فيقال: أضاعه اضاعةً، وضيّعه تضييعاً.

والأجر: الثواب.

والإحسان: فعل ماينبغي أن يفعل من الخير.

وإنّما لايضيع لديه سبحانه أجر المحسنين، لأنّ إضاعة الأجر إنّما يكون للعجز أو للجهل أو للبخل، وكلّ ذلك ممتنع في صفته تعالىٰ. وفيه تلميح إلى قوله تعالى «إنّ اللهَ لَايُضيعُ أجْرَ المُحْسِنينَ»(١).

قوله عليه السلام: «ويا من هو منتهىٰ خوف العابدين» إلى آخره، الخوف: توقّع حلول مكروه.

والخشية: خوف يشوبه تعظيم المخشي مع المعرفة به؛ ولذلك قال تعالى: «إنّما يخشىٰ اللهَ مِنْ عبادِهِ العُلَماءُ». وقد تقدّم الكلام على الفرق بين الخوف والخشية بأبسط من هذا.

والعبادة: فعل اختياري مباين للشهوات البدنيّة، يصدر عن نية يراد بها التقرّب إلى الله تعالىٰ طاعةً للشريعة.

والتقوىٰ: الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته. ولها مراتب أدناها الاحتراز بإظهار الشهادتين عن العذاب المخلّد، ويتلوها الاحتراز عن كلّ مايوجب إثماً من فعل أو ترك، وهذا المعنىٰ هو المعروف باسم التقوى في عرف الشرع، وأعلاها الاحتراز عن كلّ مايشغل القلب عن الحقّ والرجوع إليه، وهو الخاصّ الخاصّ.

وكونه تعالىٰ منتهىٰ خوف العابدين وغاية خشية المتّقين يحتمل وجوهاً:

أحدها: أنّ خوفهم وخشيتهم ينتهيان إليه تعالىٰ عند كمال معرفتهم. وبيان

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٠.

....

ذلك: أنّ السالك لايزال ينتقل في درجات المخاوف بحسب أحواله، حتّىٰ ينتهي إلى درجة الخوف من جلال الله تعالىٰ فيقف عندها؛ إذ لاغاية فوقها.

قال النظام النيسابوري: الخوف إمّا من العقاب وهو نصيب أهل الظاهر، وإمّا من الجلال وهو وظيفة أرباب القلوب، والأوّل يزول والثاني لايزول(١).

وقال المحقّقون: الخوف من الله مغاير للخوف من وعيد الله، كما أنّ الحبّ لله مغاير لحبّ ثواب الله(٢)، قال الله تعالى: «ذَلِكَ لِمَنْ خافَ مقامي وَخافَ وَعِيدِ»(٣)، أي: خافني وخاف وعيد، والمقام مقحم مثل: سلام الله على المجلس العالي.

الثانيّ: أنّ خوفهم وخشيتهم منه تعالى أشدّ من خوفهم وخشيتهم من كلّ مايخاف ويخشىٰ.

الثالث: ماقاله بعضهم: يمكن أن يكون المنتهىٰ والغاية باعتبار أنّ العابدين والمتّقين إذا خافوا بسبب شيء كان منتهىٰ خوفهم وغايته منه تعالىٰ لا من ذلك الشيء بخلاف غيرهم فإنّ خوفهم قد يكون لذلك الشيء،فلاينتهي جميع خوفهم أو خشيتهم إليه تعالى.

الرابع: أنّهم إذا انتهوا إليه تعالى زال خوفهم وخشيتهم وتبدّلا بالأمن والطمأنينة. وبيان ذلك: أنّ السالك مادام في سيره إلى الحقّ يكون مضطرباً غير مستقرّ الخواطر؛ لخوف العاقبة وما يعرض في أثناء الطريق من العوارض العائقة عن الوصول، فإذا هبّت نسيم العناية الأزليّة، وارتفعت الحجب الحائلة الظلمانيّة، واندكّت جبال التعيّنات الرسميّة، وفاز بالحصول على محلّ الوصول، تنوّر القلب

(١) رغائب القرآن وغرائب الفرقان: ج١ ص٩٨.

(٢) رغائب القرآن وغرائب الفرقان: ج٢ ص٣٨٢ ذيل الآية ١٤ من سورة ابراهيم.

(٣) سورة ابراهيم: الآية ١٤.

هَذا مَقامُ مَنْ تَداوَلَتْهُ أيْدي الذُنوب، وقادَتْهُ أزِمَّةُ الخَطايا، وَاسْتَحوَذَ عَلَيْهِ الشَيْطانُ، فَقَصَّرَ عَمّا أَمَرْتَ بِهِ تَفْريطاً، وَتعاطى ما نَهَيْتَ عَنْهُ تَغْريراً، كالْجاهِلِ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ، أوْ كَالمُنكِرِ فَضْلَ إحْسانِكَ إلَيْه.

بنور العيان، وحصلت الراحة والاطمئنان، وزال الخوف وظهرت تباشير الأمن والأمان، وهذا المقام من مقامات أصحاب النهايات لامن أحوال أرباب البدايات، «أَلا إنّ أوْلِياءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاهُمْ يَحْزَنُونَ»(١)، والله أعلم بمقاصد أوليائه *.

قام يقوم قوماً وقياماً انتصب،واسم الموضع المقام بالفتح، وأقمته إقامةً واسم الموضع المقام بالضمّ، وقد وردت الرواية في الدعاء بالوجهين.

وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرّة وهذه مرّة.

والكلام استعارة بالكناية، شبّه الذنوب بالقوم بجامع التصرّف، و اثبت لها الإيدي تخييلاً، ورشّح ذلك بالتداول.

وقاد البعير قوداً ـ من باب قال ـ وقياداً بالكسر: جرّه خلفه.

والأزمّة: جمع زمام، وهو مايوضع في أنف البعير من حبل أو سير ليقاد به. وإضافتها إلى الخطايا كإضافة الأيدي إلى الذنوب، فالكلام استعارة مكنيّة، كأنّ كلّ خطيئة وضعت في أنفه زماماً فهي تقوده بزمامها.

وإسناد القود الى الأزمّة مجاز عقلي لملابسة الزمام للقائد. ويحتمل أن يكون من باب التشبيه كلجين الماء، أي: قادته الخطايا التي هي في التذليل كالأزمّة.

واستحوذ عليه الشيطان: غلبه واستماله إلى مايريده منه واستولى عليه.

وقصّر عن الأمر تقصيراً وأقصر إقصاراً: انتهى وكفّ عنه. وفي رواية: «فيما أمرته»، وهو من قصّر في الحاجة تقصيراً أي: توانى فيها.

---

(١) سورة يونس: الآية ٦٢.

....

وفرط في الأمر تفريطاً: قصّر فيه وضيّعه. ونصبه اعلى الرواية المشهورة وهي «عمّا أمرت» بحرف المجاوزة على المفعوليّة لأجله، أي: كفّ عمّا أمرت به لأجل التفريط والتواني لا للعجز عن القيام به، أو على المصدريّة، أي: تقصير تفريط، فحذف المصدر وأنيب المضاف إليه منابه.

وعلى الرواية الثانية وهي «فيما أمرت به» على المصدريّة فقط، نحو: قعدت جلوساً.

ومذهب سيبويه(١) في مثل هذا - أعني فيما إذا كان المصدر غير ملاقٍ للفعل المذكور في الاشتقاق - أنّه منصوب بفعل مقدّر، أي: قصّر وفرّط تفريطاً وقعدت وجلست جلوساً.

ومذهب المازني والمبرّد أنّه منصوب بالفعل الظاهر(٢).

قال الرضي: وهو أولى؛ لأنّ الأصل عدم التقدير بلا ضرورة ملجئة إليه(٣).

وجعل بعضهم التفريط مرادفاً للتقصير على الرواية الأولى، غلط منشأه اشتباه التقصير عن الشيء بالتقصير فيه، وقد عرفت اختلاف معنييهما.

وقول بعضهم: الفاء في «فقصّر» للسببيّة إن كان انتصاب تفريطاً على المصدريّة وجعل التقصير تفريطاً، أو للتعقيب على تقدير انتصابه بتقدير اللام فيكون علّة للتقصير، لا وجه له، بل الفاء سببية على كلّ تقدير والتعقيب لازم لها.

والحامل له على هذا التفصيل توهم أنّ التقصير إذا كان معلّلاً بالتفريط لا يكون مسبّباً استحواذ الشيطان، فلا تكون الفاء سببيّة على هذا التقدير؛ لئلاّ يجتمع باعثان على فعل واحد من غير عطف. وما علم أنّ المسبّب عن الاستحواذ حينئذٍ هو التقصير المقيّد لا المطلق، فكأنّه قال: فسبب ذلك قصّرت عمّا أمرت به

---

(١) و(٢) و(٣) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ١١٦.

....

تقصيراً ناشئاً عن تفريط منّي، فالمعلّل بالتفريط هو التقصير المطلق، والمعلل باستحواذ الشيطان هو التقصير المقيّد وأحدهما غير الآخر، ونظير ذلك قوله تعالىٰ: «يَجْعَلونَ أصابِعَهُمْ في آذانِهِمْ مِنَ الصَواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ»(١).

قال ابن هشام: زعم عصريّ أنّ «من» متعلّقة بحذر أو بالموت، وفيهما تقديم معمول المصدر، وفي الثاني أيضاً تقديم معمول المضاف إليه على المضاف، وحامله على ذلك أنّه لو علّقه بيجعلون وهو في موضع المفعول له، لزم تعدّد المفعول له من غير عطف؛ إذ كان حذر الموت مفعولاً له. وقد أجبت بأنّ الأوّل تعليل للجعل مطلقاً، والثاني تعليل له مقيّداً بالأوّل، والمطلق والمقيّد غيران، والمعلّل متعدّد معنىٰ وإن اتّحدا في اللفظ، انتهى(٢)، والله الموفّق للصواب.

وتعاطى فلان كذا: أقدم عليه وفعله.

وفي محكم اللغة: التعاطي: تناول مالايحقّ، وتعاطى أمراً قبيحاً: ركبه(٣).

وغرّر بنفسه تغريراً: حملها على الغرر وهو الخطر.

وقال الزمخشري في الفائق: غرّر به: إذا ألقاه في الغرر(٤)

وفي القاموس: غرّر بنفسه تغريراً وتغرّةً عرّضها للهلكة، والاسم الغرر (٥).

وقال ابن الأثير في النهاية: ومنه حديث الدعاء: وتعاطى مانهيت عنه تغريراً، أي: مخاطرة وغفلة عن عاقبة أمره(٦).

وانتصابه إمّا على المصدريّة أي: معاطاة تغرير، أو على المفعول لأجله أي: لأجل التغرير بنفسه.

وقوله عليه السّلام: «كالجاهل»: في محلّ نصب على الحاليّة، أي: مماثلاً

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩.

(٢) لم نتحققه.

(٣) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ٢٢٤.

(٤) الفائق في غريب الحديث: ج ٣ ص ١٤٠.

(٥) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٠١.

(٦) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٣٥٦.

حَتّىٰ إذَا انْفَتَحَ لَهُ بَصَرُ الهُدَىٰ، وَتَقَشَّعَتْ عَنْهُ سَحائِبُ العَمىٰ، أحْصىٰ مَا ظَلَمَ بِهِ نَفْسَهُ، وَفكَّرَ فِيْما خالَفَ بِهِ رَبَّهُ، فَرَأىٰ كَبيرَ عِصْيانِهِ كَبيراً، وَجَليلَ مُخَالَفَتِهِ جَليلاً.

للجاهل بقدرتك عليه، أو مماثلاً للمنكر زيادة إحسانك اليه؛ فإنّ من يقصّر عن أوامر الله تفريطاً ويتعاطىٰ نواهيه تغريراً، لايكون إلّا جاهلاً بقدرته تعالىٰ عليه، أو منكراً لفضل إحسانه إليه، وإن لم يكن جاهلاً ولا منكراً لذلك، بل كان عالماً ومعترفاً به، فلم يخف ولم يشكر بل ركب ذلك الفعل القبيح، فقد فَعلَ فِعل الجاهل أو المنكر، فصدق أنّه شبيه له ومماثل إيّاه.

وغرضه عليه السّلام من هذا التشبيه الاعتراف باجترائه على ما ارتكب مع العلم بقدرة الله عليه، والاعتراف بفضل إحسانه إليه حتّىٰ كأنّه جاهل أو منكر لذلك. وحاصله: مزيد الإقرار بالذنب والعصيان، المندوب إليه عند طلب العفو والغفران.

وفي كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام من خطبة له في نهج البلاغة: وإنّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الذي لايستفيق من جهله، بل الحجّة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم(١) *.

حتّى: غاية لقوله: «فقصّر»، وقد تقدّم الكلام عليها مبسوطاً في الروضة الثانية عشرة، عند قوله عليه السّلام: «حتّىٰ إذا رأىٰ مدّة العمل قد انقضت»، فليرجع إليه.

وانفتاح بصر الهدىٰ له: عبارة عن تنبّهه لمشاهدة الحقّ بعين بصيرته بعد أن كان عاشياً عنه.

وتقشّع سخائب العمىٰ عنه: عبارة عن زوال غفلات الضلال عنه بعدغشيانها له.

---

(١) نهج البلاغة: ص١٦٤ الخطب ١١٠.

....

وكلّ من الفقرتين استعارة ظاهرة، وقد مرّ نظيرها مراراً، والانفتاح والتقشّع ترشيح.

يقال: تقشّع السحاب: إذا أقلع وانكشف.

وقال صاحب المحكم: انقشع عنه الشيء وتقشّع: غشيه ثمّ انجلى عنه، كالظلام عن الصبح والهمّ عن القلب والسحاب عن الجوّ(١).

والعمى هنا هو المشار إليه بقوله تعالى: «فإنّها لا تَعْمى الأبْصارُ وَلِكنْ تَعْمى القُلُوبُ التي في الصُدُورِ»(٢). وهو استعارة حسنة، اذ العمى حقيقةً عبارة عن عدم ملكة البصر، ووجه المشابهة: أنّ الأعمى كما لايهتدي لمقاصده المحسوسة بالبصر لعدمه، كذلك أعمى البصيرة لايهتدي لمقاصده المعقولة؛ لاختلال بصيرته وعدم عقله لوجوه رشده.

وأحصى الشيء: عدّه وضبطه.

وما ظلم به نفسه: عبارة عن المعاصي التي أقدم عليها، فإنّه عرّض نفسه للعقاب باقترافها.

وفكّر في الشيء: أجال فكره فيه، وهو تخيّل عقلي في الإنسان.

قال الراغب: والتفكّر لايكون إلّا فيماله ماهيّة ممّا يصحّ أن يجعل له صورة في القلب مفهوماً، ولأجل ذلك قال النبيّ صلى الله عليه وآله: تفكّروا في آلاء الله ولا تفكّروا في الله، وقال تعالى: «يُبَيِّنُ الله لَكُمْ الآياتِ لَعَلَكُمْ تَتَفكرُونَ في الدُنيا والآخِرَةِ»(٣).

و قال بعض الحكماء عن الفكرة والعبرة، فقال: الفكرة: أن تجعل الغائب حاضراً، والعبرة، أن تجعل الحاضر غائباً.

---

(١) المحكم في اللغة: ج ١ ص ٧٩.

(٢) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٣) المفردات: ص ٣٨٤ نقلاً بالمضمون

فأَقْبَلَ نَحْوَكَ مُؤَمِّلاً لَكَ مُسْتَحْيِياً مِنْكَ، وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ثِقَةً

وفي التعرّض لعنوان الربوبيّة مزيد تعظيم لما ارتكبه من المعاصي.

والفاء من قوله: «فرأى»: للسببيّة.

والرؤية هنا: بمعنى العلم، أي: فعلم كبير عصيانه كبيراً، يقال: رأيته عالماً، يستعمل بمعنى العلم والظنّ فيتعدّى إلى مفعولين، ورأيت زيداً: أبصرته، يتعدّى إلى مفعول واحد؛ لأنّ أفعال الحواسّ إنّما تتعدّى إلى مفعول واحد، فإن رأيته على هيئته نصبته على الحال وقلت: رأيته قائماً:

وفي رواية ابن إدريس: «فرأى كثير عصيانه كثيراً» بالثاء المثلّثة في الموضعين.

والفرق بين الكبير والكثير: أنّ الكبير بالموحدّة بحسب الشأن والخطر كالجليل والعظيم، والكثير بالمثلّثة بحسب الكمّية والعدد. وأيضاً الكبير نقيض الصغير، والكثير نقيض القليل.

والمعنى: انّه بسبب إحصائه ما ظلم به نفسه، وتفكّره فيما خالف به ربّه، علم كبر كبير عصيانه أو كثرة كثيره، وعلم جلالة جليل مخالفته، بعد جهله بذلك أو غفلته عنه؛ لعدم ضبطه له وتفكّره فيه.

ويحتمل أن يكون التنكير في قوله: «كبيراً» و«جليلاً» للتهويل والتعظيم، والمعنى: أنّه علم كبير عصيانه الذي كان يعلم كبره، وجليل مخالفته الذي كان يعلم جلالته، كبيراً هائلاً مخوفاً وجليلاً فظيعاً بالغاً في الجلالة حدّاً لا يعرف.

قال بعضهم: ويمكن أن يكون المعنى: رأى الكثير الذي كان يعرف كثرته أكثر بإضافة ما كان مانعاً من رؤيته وتركه، أو رأى ذلك الكثير أكثر باعتبار التوجّه إلى تركه والإقلاع عنه، وهذان يظهران من التنكير، ومثله كبير كما في الأصل وجليل، انتهى، والله أعلم *.

أقبل: خلاف أدبر، أي: توجّه.

والنحو في الأصل: مصدر بمعنى القصد، يقال: نحوت نحوك أي: قصدت

بِكَ، فَأَمَّكَ بِطَمعِهِ يَقيْناً، وَقَصَدَكَ بِخَوْفِهِ إِخْلاصا ،قَدْ خَلا طَمَعُهُ مِنْ كُلِّ مَطْموعٍ فيْهِ غَيْرِكَ ، وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ مِنْ كُلِّ مَحْذورٍ مِنْهُ سِوَاكَ .

قال ابن جنّي: وقد استعمله العرب ظرفاً، أنشد أبو الحسن:

يحدو بها لكلّ فتى هيّات وهنّ نحو البيت قاصدات(١)

أي: جهة البيت، وهذا المعنى هو المراد هنا.

وأملته أملاً: من باب طلب، وهو ضدّ اليأس، وأملته تأميلاً مبالغة وتكثير، وهو أكثر استعمالاً من المخفّف.

واستحييت منه واستحييته بمعنى، يقال: استحييت بياءين وهو الأصل، وهي لغة الحجاز وبها ورد التنزيل، قال تعالىٰ: «إنّ الله لايَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلاً» (٢)، وعليها عبارة الدعاء. واستحيت بياء واحدة، اسقطوا الياء الأُولىٰ وألقوا حركتها على الحاء، وهي لغة تميم (٣).

قال الواحدي: قال أهل اللغة: أصل الاستحياء من الحياة، واستحياء الرجل من قوّة الحياة لشدّة علمه بمواقع عيبه، فالحياء من قوّة الحسّ ولطفه وقوّة الحياة(٤).

وقال ابن الأثير: الحياء: تغيّر وانكسار يعرض للإنسان من تخوّف مايعاب به ويذمّ، واشتقاقه من الحياة، فكأنّ الحيّ جعل منتكس القوّة منتقص الحياة لما يعتريه من الانكسار والتغيّر (٥).

ووجهت الشيء إلى كذا: جعلته إلى جهته.

والرغبة: مصدر رغبت في الشيء إذا أردته، والهاء لتأنيث المصدر.

ووثق به يثق بالكسر فيهما ثقة اعتمد على وفائه، ونصب ثقة يحتمل المصدرية

---

(١) الخصائص: ج ١ ص ٣٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦.

(٣) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٦٦.

(٤) و(٥) تهذيب الأسماء واللغة: القسم الثاني: ج ١ ص ٧٩ و ٨٠ نقلاً عنهما.

....

والحاليّة والمفعولية لأجله،أي: توجيه ثقة أو واثقاً أو للثقة.

وأمّه أمّاً- من باب قتل-: قصده.

والطمع: تعليق النفس بما يظن من النفع،وأكثرما يستعمل فيما يقرب حصوله.

والباء من قوله: «بطمعه»: للملابسة، أي: ملتبساً به، كقوله تعالى: «اهْبِطْ بِسَلامٍ منّا»(١)، ومثله قوله عليه السلام: «وقصدك بخوفه».

واليقين في اللغة: العلم الذي لاشكّ فيه، وفي الاصطلاح: اعتقاد مطابق ثابت لايمكن زواله، وهو في الحقيقة مؤلّف من علمين: العلم بالمعلوم والعلم بأنّ خلاف ذلك العلم محال(٢).

وعند أهل الحقيقة رؤية العيان بقوّة الإيمان لا بالحجّة والبرهان.

وقيل: مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار.

والإخلاص في اللغة: ترك الرياء في الطاعات، وفي الاصطلاح: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدّر لصفاه، وقيل: هو تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين حتّى عن ملاحظة النفس فلايشهد غيرالله، وحتّى من شهد في إخلاصه الاخلاص احتاج إخلاصه الى الإخلاص. ونصب «يقيناً» و«اخلاصاً» يحتمل الأوجه الثلاثة، أي: قصد يقين وقصد إخلاص، أو ذايقين وذا إخلاص، أو لليقين وللإخلاص. و«قد» هنا: للتحقيق، أي: تحقّق خلوّ طمعه.

وخلا: بمعنى بريء من قولهم: خلا من العيب خلواً أي: بريء منه فهو خليّ.

وغيرك: بالجرّ في الرواية المشهورة صفة لمطموع، وبالنصب في رواية أخرى على الاستثناء، لأنّ «غير» إذا وقعت استثناء أعربت إعراب الاسم التالي لـ «إلّا».
والمعنى على الاوّل: قد خلا طمعه من كلّ مطموع فيه مغاير لك، وعلى الثاني: من

---

(١) سورة هود: الآية ٤٨.

(٢) بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ١٤٣.

....

كل مطموع فيه إلاّ أنت.

وقس على ذلك قوله عليه السّلام في الفقرة الثانية: «كلّ محذور سواك »، إلاّ أنّ الإعراب في «سواك » مقدّر.

وأفرخ أي: ذهب وانكشف.

والروع بالفتح: الفزع، يقال: راعني الشيء روعاً ـ من باب قال ـ أي: أفزعني. والمعنى: زال عنه مايرتاع له ويخاف وذهب عنه وانكشف.

قال الزمخشري في الأساس: أفرخت البيضة: خرج فرخها، ومن المجاز: أفرخ روعك بالضمّ أي: خلا قلبك من الهمّ خلوّ البيضة من الفرخ، وأمّا أفرخ روعك بالفتح فوجهه أن يراد زوال ذلك من القلب، جعل المتوقّع الذي هو متعلّق الروع من الروع بمنزلة الفرخ من البيضة، وكثر حتّى صار في معنى انكشف.

قال ذو الرّمة:

* جذلان قد أفرخت من روعه الكرب *

انتهى (١).

والحاصل: أنّ أفرخ يستعمل بمعنيين: يقال: أفرخت البيضة: إذا خرج فرخها، وأفرخ الطائر: إذا خرج من البيضة، فمن قال: أفرخ روعك بالضمّ فالروع هنا بمعنى القلب، ومعناه: خلا قلبك من الخوف خلوّ البيضة من فرخها، ومن قال: أفرخ روعك بالفتح فالروع بمعنى الفزع والخوف، ومعناه: خرج الفزع من قلبك خروج الطائر من البيضة. والرواية في الدعاء انّما هي بالفتح.

وحذرت الشيء ـ من باب تعب ـ: خفته فهو محذور.

وجملة قوله عليه السّلام: «قد خلا طمعه» تحتمل أن تكون حالاً فهي في محلّ

(١) أساس البلاغة: ص٤٦٨ مع اختلاف يسير في العبارة.

فَمَثُلَ بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَضَرِّعاً، وَغَمَّضَ بَصَرَهُ إلى الأَرْضِ مُتَخَشِّعاً، وَطَأطَأَ رَأسَهُ لِعِزَّتِكَ مُتَذَلِّلاً.

النصب، أي: أمّك بطمعه يقيناً حال كونه قد خلا طمعه من كلّ مطموع فيه غيرك، والجملة المعطوفة عليها حال أيضاً، متعلّق معناها بقوله: «وقصدك بخوفه إخلاصاً»، أي: قصدك بذلك حال كونه قد أفرخ روعه من كلّ محذور سواك.

ويحتمل الكلام الاستئناف البياني، كأنّه سئل عليه السّلام كيف أم بطمعه يقيناً وقصد بخوفه إخلاصاً؟ فقال: قد خلا طمعه من كلّ مطموع فيه غيرك، وأفرخ روعه من كلّ محذور سواك فجملة «قد خلا» على هذا لامحلّ لها من الإعراب، والمعطوفة عليها تابعة لها، والله أعلم *.

مثل بين يديه مثولاً ـ من باب قعد ـ: انتصب قائماً.

وبين اليدين: عبارة عن الأمام؛ لأنّ مابين يدي الإنسان أمامه، وهو هنا من باب التمثيل، وقد تقدّم الكلام على بيان ذلك مبسوطاً في أوائل الروضة العاشرة، فليرجع إليه.

ومتضرّعاً: حال من فاعل مثل، والتضرّع: التذلّل، وهو إظهار ذلّ النفس والانقهار، وخلع أردية التعزّز والاستكبار. قال تعالى: «أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وخفية»(١)، وذلك لما فيه من الاعتراف بذلّ العبوديّة وعزّة الربوبيّة.

وغمّض بصره تغميضاً وأغمضه إغماضاً: أطبق أجفانه، وعدّاه بإلى لتضمينه معنى الإمالة، أي: غمّض بصره ميلاً له إلى الأرض، أو أمال بصره إلى الأرض مغمضاً له، على ما تقدّم من طريق إبراز التضمين في مقام التفسير.

والخشوع: الإخبات والتواضع والسكون.

وفي القاموس: الخشوع: الخضوع أو قريب من الخضوع، أو هو في البدن

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٥.

وأبَثَّكَ مِنْ سِرِّهِ ما أنْتَ أعْلَمُ بِهِ مِنْهُ خُضُوعاً، وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ ما

والخشوع في الصوت والبصر (١).

وقال صاحب محكم اللغة: خشع يخشع خشوعاً وأخشع وتخشع: رمىٰ ببصره نحو الأرض وخفض صوته.

وقيل: الخشوع قريب من الخضوع، إلّا أنّ الخضوع في البدن والخشوع في الصوت والبصر كقوله تعالىٰ: «خاشِعَةً أبْصارُهُمْ» وقوله: «وَخَشَعَتِ الأصواتُ لِلرَّحْمٰنِ»(٢)، إنتهىٰ ملخّصاً. ولا يخفىٰ مناسبة تفسيره الاوّل لعبارة الدعاء.

وقال القاضي في تفسيره: الخشوع: الإخبات، والخضوع: اللين والانقياد؛ ولذلك يقال: الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب، انتهىٰ (٣).

وطأطأ رأسه: صوبه وخفضه.

والعزّة: الرفعة والامتناع والشدّة والغلبة، وفي التنزيل: «مَنْ كانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً»(٤)،أي: من كان يريد بعبادة غير الله العزّة فإنّما العزّة لله وحده لا لغيره، عزّة الدنيا وعزّة الآخرة جميعاً، فليطلبها منه لامن غيره.

والتذلّل: الاستكانة والخضوع، ولمّا كانت الهيئات المذكورة في الفقرات الثلاث من لوازم الطامع الخائف، جعلها عليه السّلام مترتّبة على ماقبلها من قصر طمعه وخوفه عليه تعالى *.

بثّ السرّ بثّاً: أذاعه ونشره، وبثثته سرّي وأبثثته بالألف: أظهرته له وأطلعته عليه.

والسّر: ما يكتم، وهو خلاف الإعلان، ومنه قيل للنكاح: سرّ؛ لأنّه يلزمه غالباً.

---

(١) القاموس المحيط: ج٣ ص١٨.

(٢) المحكم في اللغة: ج ١ ص٦٨.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص٥٤.

(٤) سورة فاطر. الآية ١٠.

أنْتَ أحْصىٰ لَهَا خُشُوعاً، وَاسْتَغاثَ بِكَ مِنْ عَظيمِ ماوَقَعَ بِهِ فِى عِلْمِكَ، وَقَبِيحِ ما فَضَحَهُ فِي حُكْمِك، مِنْ ذُنُوبٍ أَدبَرَتَ لَذّاتُها فَذَهَبتْ، وَأقامَتْ تَبعاتُها فَلَزِمَتْ.

و«من» في قوله: «من سرّه» و«من ذنوبه»: مبيّنة لـ«ما» في الموضعين، قدّمت على المبهم المبيّن جوازاً، نحو: عندي من المال مايكفيني.

قال الرضيّ: وإنّما جاز تقديم «من» المبيّنة على المبهم في نحو: أنا من خطه في روضة، ومن رعايته في حرم، وعندي من المال مايكفي، ومن الخيل عشرون؛ لأنّ المبهم الذي فسر بـ «من» التبيينيّة مقدّم تقديراً، كأنّك قلت: أنا في شيء من خطه في روضة، وعندي شيء من المال مايكفي، فالمبيّن في كلّ ذلك محذوف، والذي بعد «من» عطف بيان له، حذف المعطوف وأُقيم المعطوف عليه مقامه، كما يحذف المستثنىٰ منه ويقام المستثنىٰ مقامه في نحو: ماجاءني إلّا زيد، كلّ ذلك ليحصل البيان بعد الإبهام (١) إنتهىٰ ملخّصاً.

وخضوعاً وخشوعاً منصوبان على المصدرية لبيان نوع العامل، أو على المفعوليّة لأجله تصريحاً بفائدة ابثاث سرّه من هو أعلم به منه، وتعديد ذنوبه لدىٰ من هو أحصى له منه.

وأحصىٰ: أفعل تفضيل بمعنىٰ أضبط، من أحصاه إحصاءً: بمعنىٰ ضبطه، وفيه شاهد علىٰ بناء أفعل التفضيل من أفعل الرباعي قياساً وهو مذهب سيبويه(٢) والمحقّقين من أصحابه، واختاره في التسهيل وشرحه(٣).

قال صاحب الكشف: وليس بعيداً عن الصواب؛ لكثرة ماجاء من هذا

(١) شرح الكافية في النحو: ج١ ص ٣٤٣.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٢١٣.

(٣) تسهيل الفوائد: وتكميل المقاصد لابن مالك: ص١٣٣ـ ١٣٤.

....

الباب (١).

وقال الرضيّ ويؤيّده كثرة الاستعمال كقولهم: هو أعطاهم للدراهم وأولاهم للمعروف، وأنت أكرم لي من فلان (٢).

ومفعول أحصىٰ محذوف مع من، أي: أحصىٰ له منه؛ لدلالة قوله: «ما أنت أعلم به منه» عليه، ونظيره من التنزيل قوله تعالى: «أنا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وَأعزُّ نَفَراً» (٣).

واستغاث به: طلب إغاثته أي: إعانته ونصره.

ووقع به: أهلكه وأوهنه، من قولهم: وقعت بالقوم وقيعة: إذا قتلتهم وأثخنتهم، أي: أو هنتهم بالجراحة وأضعفتهم، وهي لغة أهل الحجاز، وتميم تقول: أوقعت بهم بالأنف (٤).

قال الجوهري: وقعت بالقوم في القتال وأوقعت بهم بمعنىٰ(٥).

وقوله عليه السلام: «في علمك»: ظرف للوقوع به، علىٰ تشبيه علمه تعالىٰ بما يكون محلاً للشيء، كما تقول: قتلت القوم في المحلّ الفلاني.

والغرض الاستغاثة من الذنوب التي هي في علم الله مهلكة لمقترفها وهو لا يعلم بذلك أو يظنّها هيّنة لا توجب هلاكاً، كما قال تعالىٰ: «وَتَحْسَبُونَهُ هَيّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ» (٦).

وعن بعضهم أنّه جزع عند الموت، فقيل له في ذلك، فقال: أخاف ذنباً لم يكن منّي على بال وهو عند الله عظيم.

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢١٣.

(٣) سورة الكهف: الآية ٣٤.

(٤) المصباح المنير: ص ٩٢١.

(٥) الصحاح: ج ٣ ص ١٣٠٢.

(٦) سورة النور: الآية ١٥.

....

وفي النصائح الكبار: لا تقولنّ لشيء من سيّئاتك: حقير، فلعلّه عند الله تعالىٰ نخلة وهو عندك نقير، وهي النكتة في ظهر النواة.

وإضافة عظيم إلى «ما» من باب إضافة الصفة إلى الموصوف وبجعلها نوعاً مضافاً إلى الجنس. وقس على ذلك قوله عليه السّلام: «وقبيح ما فضحه في حكمك».

والمراد بالحكم هنا معناه اللغوي، أي: قضاؤك.

وقد خفي معنىٰ قوله عليه السلام: «من عظيم ما وقع به» على كثير من المترجمين، ففسّروه بما لا يناسب المقام.

فقال بعضهم: «الباء» من قوله: «وقع به» بمعنى من، والمعنىٰ: من عظيم ما وقع أي: صدر منه في علمك.

قال: ويحتمل أن يكون الظرف من قوله: «في علمك» متعلّقاً بعظيم، والمعنىٰ: استغاث من وقوع ذنب منه عظيم في علمك. قال بعضهم: «الباء» بمعنىٰ على، والمراد بوقوعه عليه في علمه تعالىٰ وبفضيحته في حكمه سبحانه: أنّه جرىٰ في علمه تعالىٰ وقوع ذلك عليه وحكم سبحانه في الأزل بأنّ هذا القبيح يفضحه.

وقال بعضهم: المعنى: سقط به في علمك، فجعل الوقوع بمعنى السقوط، والضمير في «وقع» عائد الى الداعي، والباء للسببية.

ولا يخفىٰ أنّ كلّ ذلك وان كان في نفسه صحيحاً، غير أنّ الذوق يشهد هنا بتجافيه، وكلّ إناء ينضح بما فيه.

قوله عليه السّلام: «من ذنوب أدبرت» إلى آخره، «من»: مبيّنة لما وقع به ومافضحه.

وأدبر الشيء إدباراً: ولىٰ وانقضىٰ، ومنه: «وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ» (١).

(١) سورة المدّثر: الآية ٣٣.

لا يُنْكِرُ يا إلـهي عَدْلكَ إنْ عاقَبْتَهُ ولاَ يَسْتَعظِمُ عَفْوَكَ إنْ عَفَوْتَ عَنْهُ وَرَحِمْتَهُ، لأنَّكَ الرَبُّ الكريمُ الذِي لايَتَعاظَمُهُ غُفْرانُ الذَنْبِ العَظيمِ.

وذهب الشيء ذهاباً بالفتح: مرّ ومضى.

واللذّات: جمع لذّة بالفتح اسم من لذّ الشيء يلذّ ـ من باب تعب ـ لذاذاً ولذاذةً بالفتح أي: صار شهيّاً.

وعرّفوا اللذّة بأنّها إدراك الملائم من حيث إنّه ملائم كالصوت الحسن عند حاسة السمع، وقيد الحيثيّة للاحتراز عن الالتذاذ بالدواء المرّ النافع من حيث إنّه نافع لامن حيث إنّه مرّ.

وأقام بالموضع إقامةً: سكن به ولم ينتقل عنه.

والتبعات: جمع تبعة على وزن كلمة: ما تطلبه من ظلامة ونحوها.

ولزم الشيء يلزم لزوماً ـ من باب تعب ـ: ثبت ودام، ومنه: لزمه المال: إذا ثبت ووجب عليه، والله أعلم *

أنكرته إنكاراً جهلته كنكرته من باب تعب، وفيه ردّ على من زعم أنّ نكر بالقلب وأنكر بالعين. والإنكار: الجحود أيضاً، ويحتمل ارادتة هنا. وأنكر عليه فعله إنكاراً أيضاً: عابه، وهذا المعنى محتمل هنا أيضاً.

وفي رواية يُنكر بضمّ أوّله وفتح الكاف على البناء للمفعول، ورفع عدلك على أنّه مفعول مالم يسمّ فاعله، ومثله روي في يستعظم عفوك .

والعدل: خلاف الجور، وعرّفوه بالتوسّط في الأفعال والأقوال بين طرفي التفريط والإفراط، وإذا نسب إلى الله عزّوجلّ فالمراد أنّ أفعاله سبحانه واقعة على وفق الحكمة والنظام الأكمل.

وعاقبه بذنبه معاقبةً وعقاباً: أخذه به.

وجملة جواب الشرط محذوفة وجوباً بالدلالة المتقدّم عليه، والتقدير: إن عاقبته فلاينكر عدلك ، وليس المتقدّم بجواب عند جمهور البصريّين؛ لأنّ أداة الشرط لها

أَللّهُمَّ فَها أناذا قَدْ جِئْتُكَ مُطِيعاً لِأَمْرِكَ فِيما أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُعاءِ، مُتَنَجِّزاً وَعْدَكَ فِيما وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الإجابَة، إذْ تَقُولُ أُدْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ.

صدرالكلام ولايتقدّم عليها الجواب.

وذهب الكوفيّون والمبرّد إلى أنّه لاحذف والمتقدّم هو الجواب(١)، وقس على ذلك.

قوله عليه السلام: «إن عفوت عنه ورحمته» واستعظم الشيء: رآه عظيماً. ونفي استعظام عفوه تعالى إنّما هو بالنظر إلى عظيم عفوه وسعة رحمته، لامن جهة أنّه في نفسه غيرعظيم؛ ولذلك علّله بقوله عليه السلام: «لأنّك الربّ الكريم... إلى آخره»، والتعرّض لعنوان الربوبيّة المنبئة عن تبليغ الشيء إلى كماله للإيذان بعليّته المعفوعنه والرحمة له، كما يؤذن بذلك التعرّض لعنوان الكرم، وليرتّب على ذلك الوصف بعدم تعاظم غفران الذنب العظيم له تعالى، ويدخل فيه غفرانه سبحانه للداعي دخولا أوّلياً.

وتعاظمه الأمر: عظم عليه.

وغفر الله له غفراً ـمن باب ضرب ـ وغفراناً بالضمّ: صفح عنه.

ها: للتنبيه، ومدخولها ضمير الرفع المخبرعنه باسم الإشارة أصالة.

وقيل: إنّما كانت داخلة على الإشارة فقدّمت. وردّ بنحو: «ها أنتم هؤلاءِ»(٢).

وجملة «قد جئتك» قيل: في محلّ نصب على الحال والعامل فيها معنى التنبيه أو الإشارة.

وقيل: مستأنفة مبيّنة للجملة الأولى

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص٢٦٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٦.

....

وقيل: في محلّ رفع على أنّها خبر المبتدأ وهو «أنا»، واسم الإشارة تأكيد للمبتدأ. وكأنّ القائل بذلك توهّم التأكيد اللفظي بإعادة المرادف.

وقيل: خبرثان.

والصحيح أنّ «ذا» هو الخبر والجملة بيان، كأنّه لمّا قال: ها اناذا، قيل له: كيف أنت، فقال: قد جئتك. ولك أن تجعلها مبيّنة من غير تقدير سؤال.

فإن قلت: كيف يحمل «ذا» على «أنا» وهما عبارة عن ذات واحدة هنا، والحمل يقتضي التغاير؟.

قلت: إنّما حمل عليه باعتبار التغاير الآتي من قبيل البيان بقوله «قد جئتك»، تنزيلاً لتغاير الصفة منزلة تغاير الذات؛ فإنّ قوله: «ها أناذا» معناه: فها أنا بعد ذلك المنيب الراجع إليك؛ لدلالة الكلام من قوله: «قد جئتك» عليه، فوضع اسم الإشارة الموضوع للذات موضع الصفة؛ للإيذان بالمبالغة في إنابته ورجوعه، حتّى كأنّه شخص آخر غير ذلك الشخص الذي كان متّصفاً بتلك الصفات، ألا ترى أنّك تقول لمن خرج من عندك بوصف ورجع إليك بوصف آخر: رجعت بغير الوجه الذي خرجت به، أي: رجعت على صفة غير الصفة الّتي خرجت بها، وغرضك بذلك الكناية عن تغاير الذات، كأنّك تقول: ذهب بك وجيء بغيرك، وما ذلك إلّا بحسب الوصف مبالغة.

ومعنى مجيئه إليه تعالى: إنابته إليه وإقباله عليه وإخلاصه له تعالى على طريقة التمثيل، كما قال تعالى: «إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»(١).

ومطيعاً لأمرك أي: ممتثلاً له.

قال ابن فارس: إذا مضى لأمره فقد أطاعه إطاعة، وإذا وافقه فقد طاوعه (٢).

---

(١) سورة الصافات: الآية ٨٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج٣ ص٤٣١ مع تقديم وتأخير.

....

وقوله عليه السّلام: «فيما أمرت به» بيان لمحلّ الإطاعة أو محلّ الأمر، وعلى الأوّل هو لغو، كقوله تعالىٰ: «لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأمْرِ»(١)، وعلى الثاني مستقرّ، أي: لأمرك كائناً فيما أمرت، وقس عليه قوله عليه السّلام: «متنجّزاً وعدك فيما وعدت».

وإيثار التعبير بذلك علىٰ أن يقول: مطيعاً لأمرك بالدعاء، أولما أمرت به من الدعاء، سلوك لطريق الإبهام ثمّ التفسير، الدالّ على التفخيم والتعظيم كما قرّر في محلّه، مع ما فيه من بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب.

وتنجّز الوعد: استنجزه أي: طلب وفاءه، كما يقال: تكبّر واستكبر. ونصب متنجزاً على الحال كما انتصب عليها مطيعاً، إلّا أنّ مطيعاً حال من فاعل جئتك، ومتنجزاً حال من الضمير في مطيعاً، وهو العامل فيها، وهذه هي الحال المسمّاة بالمتداخلة.

ومعنىٰ التداخل: أن تكون الحال الثانية حالاً من ضمير في الحال الأولىٰ، هذا عند من منع تعدّد الحال مع اتحاد عاملها وصاحبها قياساً على الظرف، وهو الفارسي وابن عصفور وجماعة، وأجازه الأخفش وابن جنّي، ووافقهما جمهور المتأخّرين كابن مالك والرضي وابن هشام، وعليه فلا تداخل.

غير أنّ متنجزاً على كلّ تقدير حال مقدّرة، وهي المستقبلة، بمعنىٰ أنّ زمان عاملها قبل زمانها، ومطيعاً حال مقارنة لعاملها؛ لأنّ الإطاعة مقارنة للمجيء وتنجّز الوعد لايكون إلّا بعد إطاعة الأمر بالدعاء، ألا ترىٰ من قال لك: جئني أكرمك، لاتتنجّز منه الوعد بالإكرام إلّا بعد المجيء فكذا قوله تعالى: «أدْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُمْ»(٢) لا تطلب منه الإجابة إلّا بعد الدعاء.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٧.

(٢) سورة غافر: الآية ٦٠.

....

إذا عرفت ذلك فقوله عليه السّلام: «متنجزاً وعدك » أي: مقدّراً تنجّز وعدك ، كقوله تعالى: «ادْخُلُوْها خالِدينَ»(١)، أي: مقدّرين خلودكم؛ لأنّ زمن الخلود لايتصوّر مقارنته للدخول، فلم يبق إلّا تقديره.

وقد أحسن من عبّر عن الحال المقدّرة بأنّها ما يصحّ تقديرها بالفعل ولام كي، نحو: رقى زيد المنبر خاطباً، أي: ليخطب، وكذلك الآية المذكورة؛ فإنّ التقدير فيها: أُدخلوها لتخلدوا، وبهذا ينكشف معنى التقدير الذي ذكرناه في متنجّزا؛ إذ حاصل معناه: لانال؛ منك الإجابة وفاءً بالوعد.

قوله عليه السّلام: «إذ تقول ادعوني أستجب لكم» إذ: اسم زمان للماضي، وهي هنا ظرف للأمر والوعد من قوله: أمرت به ووعدت به، فهما العاملان فيها على طريق التنازع، والفعل المستقبل بعدها ماض في المعنى، أي: إذ قلت، جاء بصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها حتّى كأنّ الأمر والوعد وقعا الآن بحضوره، ومثله في التنزيل كثير كقوله تعالى: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ»(٢)، «إِذْ يُغَشِّيكُمُ النعاسَ»(٣)، «وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ»(٤)، «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ»(٥)، فالفعل في كلّ ذلك مستقبل لفظاً لامعنى.

وجملة «تقول» في محلّ جرّ بإضافة «إذ» إليها، والجملة المحكيّة بالقول - أعني قوله تعالى: «أُدعوني أستجب لكم» - في محلّ نصب بتقول.

والآية في سورة المؤمن، واتّفق أنّ المحكي بالقول منها هنا وقع محكيّاً بالقول في الآية أيضاً، وهي قوله تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخرين»(٦). وقد وقع فيها الأمر بالدعاء

(١) سورة الزمر: الآية ٧٣.
(٢) سورة الأحزاب:الآية ٣٧ .
(٣) سورة الأنفال: الآية ١١.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٧.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٧.
(٦) سورة غافر: الآية ٦٠.

....

والوعد بالإجابة معاً.

والاستجابة: بمعنىٰ الإجابة.

وقال تاج القرّاء: الإجابة عامّة والاستجابة خاصّة بإعطاء المسؤول(١).

تنبيه

قال بعض أكابر السادة في تعليقته على الصحيفة الشريفة ينبغي في نظائر هذه المقامات مراعاةً لجادّة سنن الآداب، إمّا الوقف علىٰ «تقول» ثم البداءة بقوله عزّ من قائل: «أُدعوني»، وإمّا الوصل مع إظهار الهمزة المضمومة على سبيل الحكاية، من غير إسقاطها في الدرج وإن لم تكن هي همزة قطع؛ لينفصل كلام الخالق عن كلام المخلوق، ولا يتّصل تنزيله الكريم بعبارة البشر وألفاظ الآدميّين، انتهىٰ بنصّه. وتبعه على ذلك غير واحد.

وأنا أقول: أمّا ما ذكره من الوقف على «تقول» ثمّ الابتداء بما بعده، فإنّما كان يلزم لوأدّىٰ الوصل إلىٰ إيهام أنّ كلام الخالق من جملة كلام المخلوق، أو اشتباه أحدهما بالآخر، كما لزم الوقف على «قولهم» من قوله تعالى: «فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إنّا نَعْلَمُ مايُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ»(٢)؛ إذلو وصل الكلام ولم يوقف على «قولهم» لأوهم أنّ ما بعده مقول الكفّار، أمّا إذا كان كلامه تعالىٰ محكيّاً بعد القول فلا داعي إلى الوقف أصلاً، لعدم تصوّر فساد في الوصل.

علىٰ أنّ لزوم الوقف ليس مخصوصاً بهذه الصورة، بل هو حيث كان الوصل مغيّراً للمرام ومشنّعاً للكلام، الا ترىٰ أنّ الوقف لازم علىٰ «مؤمنين» من قوله

---

(١) لم نتحققه.

(٢) سورة يس: الآية ٧٦.

....

تعالى: «وَماهُمْ بِمُؤْمِنينَ يُخادِعُونَ الله»(١)؛ إذ لو وصل بقوله: «يخادعون الله»، توهم أنّ الجملة صفة لقوله: «بمؤمنين»، فأنتفىٰ الخداع عنهم وتقرّر الإيمان خالصاً عن الخداع، كما تقول: ما هو بمؤمن مخادع، حتّىٰ لوتعمّد التالي الوصل وقصد هذا المعنىٰ كفر.

فتحقّق أنّ ما استحسنه قدّس سرّه من الوقف على «تقول» لاوجه له، بل هو داخل في قسم الوقف الذي نصّ الفراء على قبحه؛ لعدم تمام الكلام عنده.

قال ابن الجزري: الوقف ينقسم إلىٰ اختياري واضطراري؛ لأنّ الكلام إمّا أن يتمّ أولا، فإن تمّ كان اختيارياً، وإن لم يتمّ كان اضطرارياً وهو المسمّىٰ بالقبيح، لايجوز تعمّد الوقف عليه إلّا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه؛ لعدم الفائدة أو لفساد المعنىٰ، انتهىٰ ملخّصاً(٢).

فإن قلت: هذا إنّما يجري في تلاوة القرآن المجيد، ولم ينصّ أحد على اطّراده في كلّ كلام.

قلت: بل هو جار في كلّ كلام فصيح، لاسيّما الحديث والخطب والأدعية المأثورة عن أرباب العصمة عليهم السّلام؛ إذ بمراعاة ذلك تظهر بلاغة الكلام ونظمه وسلاسته ورونقه، وبعدمها خلاف ذلك، كما يدلّ عليه تفسيرهم لفصل الخطاب من قوله تعالىٰ: «وَآتَيْناهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطابِ»(٣) بأنّه الكلام البيّن الملخّص الذي بيّنه المخاطب على المرام، من غير التباس لماقد روعي فيه من مظانّ الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإضمار والإظهار والحذف والتكرار؛ ولهذا المعنىٰ روعيت الوقوف في التلاوة، وإلا فلا خلاف في أنّه ليس في القرآن وقف واجب

(١) سورة البقرة: الآية ٨ و٩.

(٢) النشر في القراءات العشر: ج١ ص٢٢٥-٢٢٦.

(٣) سورة ص: الآية ٢٠.

....

ولا حرام.

قال ابن الجزري: قولهم: لايجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا الموصول دون صلته، ولا الفعل دون مفعوله ونحو ذلك، إنّما يريدون به الجواز الأدائي، وهو الذي يحسن في القراءة ويروق في التلاوة، ولايريدون بذلك أنّه حرام ولامكروه، اللّهم إلّا أن يقصد بذلك تحريف القرآن وخلاف المعنىٰ، فإنّه يكفر فضلاً عن أن يأثم، انتهىٰ (١).

وأمّا ما ذكره قدّس سرّه من الوصل مع إظهار الهمزة علىٰ سبيل الحكاية من غير إسقاطها في الدرج، فهو كلام عجيب ما كان ينبغي أن يصدر عن بعض تلامذته فضلاً عن مثله؛ فإنّ قطع همزة الوصل في الدرج مختّص بضرورة الشعر ولا يرتكبها فحول الشعراء، فكيف تقطع في كلام أفصح الناس في عصره من غير ضرورة؟.

وما ادّعاه من الحكاية ليس بصحيح؛ لأنّ الحكاية على ما عرّفوها إيراد لفظ المتكلّم على حسب ما أورده في كلامه، ولفظ ادعوا في كلام الله سبحانه لم يقع مقطوع الهمزة بل موصولها كما رأيته في الآية، فكيف يكون إيراده بقطع الهمزة حكاية له؟

وأمّا قوله قدّس سرّه: لينفصل كلام الخالق عن كلام المخلوق، فكلام لاحقيقة له ولايرجع إلى محصول، وقد حكىٰ الله في كلامه المجيد من كلام الكفّار وغيرهم جملاً مبدوءة بهمزة الوصل فلم يقطعها، ولا نصّ أحد على استحسان قطعها للغرض المذكور، كقوله تعالى: «قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنا ماهِي»(١)، «قالوا اطّيّرنا بكَ»(٣)، «قالُوا اتَّخَذَ الله وَلَداً سُبْحانَهُ»(٤)، «قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً»(٥)، «وَقالُوْا

(١) النشر في القراءات العشر: ج١ ص٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٨.

(٣) سورة النمل: الآية ٤٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ١١٦.

(٥) سورة الصافات: الآية ٩٧.

أَللّهُمَّ فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَالْقَنِي بِمَغْفِرَتِكَ كَما لَقِيتُكَ بِإقْراري، وَارْفَعْني عَنْ مَصارِعِ الذُّنُوبِ كَما وَضَعْتُ لَكَ نَفْسِي، وَاسْتُرْني بِسِتْرِكَ كَما تَأَنَّيْتَني عَنِ الإنْتِقامِ مِنِّي.

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي أذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ»(١)، «وَقالُوْا الحَمْدُلله الَّذي صَدَقَنا وعْدَهُ»(٢)، ولا فرق بين كون كلامه تعالى حاكياً وكونه محكيّاً إذا كان ماذكره هو الغرض. وإنّما بسطنا الكلام على ذلك مع ظهور سقوطه؛ لأنّ كثيراً من المتّسمين بالفضل استحسنه، وظنّ أنّه نكتة لم يتنبّه لها سواه، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل *.

الفاء: فصيحة،أي: إذا كان أمري علىٰ ماذكرت فصلّ علىٰ محمّد وآله، ومن هنا شرع عليه السّلام في الدعاء الذي امتثل فيه قوله تعالى: «أُدعوني استجب لكم»، كما تدلّ عليه الفاء الفصيحة.

والقني بمغفرتك أي: استقبلني وواجهني بمغفرتك كما استقبلتك وواجهتك بإقراري.

يقال: لقيته ألقاه لقاءً ـ من باب تعب ـ: إذا استقبلته وواجهته.

قال في المصباح: كلّ شيء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه (٣).

وكلّ شيء جعلته تلقاء وجهك فقد استقبلته.

والباء: للملابسة، أي: ملتبساً بمغفرتك كما لقيتك ملتبساً بإقراري.

ولقاؤه تعالىٰ بمغفرته له عبارة عن إيصال مغفرته إليه، علىٰ تمثيل تلك الحال بحال عبد مذنب أقبل على سيّده ولقيه بالإقرار والاعتراف بذنوبه، فاستقبله سيّده بالصفح عنه والمغفرة له.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ٧٤.

(٣) المصباح المنير: ص٧٦٦.

....

والكاف: إمّا للتعليل عند من أثبته، أيّ: للقائي إيّاك بإقراري كقوله تعالى: «وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ»(١)، أو للتشبيه، أي: القني بمغفرتك لقاءً شبيهاً بلقائي لك بإقراري، ووجه الشبه حينئذٍ التخصيص أو التحقّق. وإلّا لزم كون المشبّه به دون المشبّه وهو باطل. ويحتمل كونها للمقارنة، وهي التي تكون بمعنى مقارنة الفعلين بوجود الفعلين، نحو: أُدخل كما يسلّم الإمام، وكما قام زيد قعد عمرو.

وعبّر ابن هشام عن هذا المعنى بالمبادرة، قال: وذلك إذا اتّصلت بـ «ما» في نحو: سلّم كما تدخل، وصلّ كما يدخل الوقت(٢).

قال الشريف العلامة في شرح المفتاح: هذه الكاف للقرآن في الوقوع، يقال: كما جاء زيد جاء عمرو، أي: تقارن مجيئاهما(٣).

وعلى هذا فمعنى عبارة الدعاء: قارن بلقائي بمغفرتك لقائي إيّاك بإقراري، والله أعلم.

فإن قلت: الذي يظهر من تمثيلهم للكاف بهذا المعنى أن يكون مدخولها بعد الطلب مستقبلاً وهو في الدعاء ماض، فيتعيّن أحد الوجهين الأوّلين.

قلت: مدخولها في الدعاء مستقبل معنى وإن كان ماضياً لفظاً، فهو كقول صاحب المحرّر: ويشتغل المؤذّن بالأذان كما جلس (٤).

وقال النواوي في الدقائق: ولفظة «كما» ليست عربيّة، ويطلقها فقهاء العجم بمعنى عند، انتهى (٥).

ودعواه أنّها ليست عربيّة غير صحيح؛ فقد نقل ابن هشام في المغني أنّ هذا المعنى ذكره ابن الخبّاز في النهاية، وأبو سعيد السيرافي وغيرهما(٦).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٨.

(٢) مغني اللبيب: ص ٢٣٧.

(٣) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) لا يوجد لدينا كتابه

(٦) مغني اللبيب: ص ٢٣٧.

....

وذكره الرضيّ في شرح الحاجبّية (١)،والبلخي في الوافي، فلا عبرة بقول النواوي.

ورفعه رفعاً ـ من باب منع ـ: ضد وضعه.

والمصارع: جمع مصرع، اسم مكان من صرعه صرعاً ـ من باب نفع ـ: إذا طرحه بالأرض، واشتهر في موضع سقوط القتيل، يقال: هذه مصارع القوم، أي: مواضع سقوطهم قتلىٰ. ولكنّ إضافتها إلى الذنوب ليس بهذا المعنىٰ، بل من باب إضافة المكان إلى من أوقع فيه الفعل، نحو: مجالس القوم، أي: المواضع التي تصرع فيه الذنوب أربابها. وجعل المصرع مصدراً ميمياً تكلّف.

والكاف في «كما» مثلها فيما تقدّم.

وسترت الشيء ستراً ـ من باب قتل ـ: حجبته عن المشاهدة، والستر بالكسر: مايستر به، وستره تعالى عبارة عن صونه للعبد من الفضيحة، أو عدم المحاسبة له على المعصية وترك ذكرها كي لايطّلع غيره عليها.

والكاف: للتشبيه.

وتانّى في الأمر تأنّياً: تمهّل وتمكّث ولم يعجل، والاسم منه الأناة علىٰ وزن حصاة.

وقال الجوهري: تأنّى في الأمر: تنظّر وترفّق، واستأنىٰ به أي: انتظر به، يقال: تأنّيتك حتّىٰ لاأناة بي، انتهىٰ (٢).

وتعدية التأني بـ«عن» لتضمينه معنىٰ التجاوز، أي: تأنّيتني متجاوزاً عن الانتقام منّي.

وانتقمت منه انتقاماً: عاقبته على ذنبه، والله أعلم *.

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٣٤٤.

(٢) الصحاح: ج ٦ ص ٢٢٧٣، وفيه تقديم ترفّق.

أَللّهُمَّ وَثَبِّتْ في طَاعَتِكَ نِيَّتي، وأحْكِمْ في عِبادَتِكَ بَصِيرَتِي، وَوَفِّقْني مِنَ الأعمالِ لما تَغْسِلُ بِهِ دَنَسَ الخَطايا عَنّي، وَتَوَفَّني عَلىٰ مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ نَبيّك مُحَمَّدٍ عَلَيْه السَّلامُ إذا تَوَفَّيْتَني.

ثبت الشيء يثبت ثبوتاً: دام واستقر فهو ثابت، وثبت الأمر: صحّ، ويعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أثبته اثباتاً وثبّته تثبيتاً، والاسم الثبات بالفتح.

والنيّة: عزم القلب علىٰ أمر من الأمور.

وقيل: هي القصد إلى فعل معيّن لعلّة غائيّة. وقد بسطنا الكلام عليها في الروضة العشرين.

والمراد بتثبيت النيّة، إمّا إدامتها وجعلها ثابتة مستقرة لا تتغير ولا تميل الى غير الطاعة حتى تصير ملكة للنفس، من ثبت الشيء بمعنى: دام واستقر، أو تصحيحها بجعلها خالصة لله تعالى، من ثبت الأمر بمعنى: صحّ، ولذلك ذهب كثير من علماء الخاصة والعامة إلى بطلان العبادة إذ نوى بفعلها تحصيل الثواب أو الخلاص من العقاب، وقالوا: إنّ هذا القصد مناف للإخلاص الذي هو إرادة وجه الله وحده.

وأحكمت الشيء إحكاماً: أتقنته ومنعته من الفساد.

والبصيرة للباطن بمثابة البصر للظاهر.

وقال الفارابي: البصيرة: اسم لما اعتقدته في القلب من الدين وتحقيق الأمر(١).

وفي القاموس: البصيرة عقيدة القلب(٢).

والمراد بإحكام بصيرته في عبادته تعالى: جعلها محكمة قويّة لا يتطّرق إليها فساد أو نقيصة من إيثار شيء عليها أو تواني فيها.

واعلم أنّ العبادة كما تطلق على أعمال الجوارح بشرط قصد القربة، تطلق على التحقّق بالعبدية بارتسام ما أمر السيد جلّ وعلا أو نهىٰ، وعلى هذا تتناول الأعمال

(١) ديوان الأدب: ج ١ ص ٤٢٨.

(٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٧٣.

....

والعقائد القلبية أيضاً، ولايخفىٰ أنّ إرادة هذا المعنىٰ أنسب وأظهر وإن كان الأوّل أشهر.

قوله عليه السّلام «ووفّقني» أي:اهدني وسدّدني واجعل إرادتي وحركتي للأعمال التي تغسل بهادنس الخطايا عنّي.

و«من» في قوله: «من الأعمال»: بيانيّة قدّمت على مبيّنها كما تقدّم بيانه.

والأعمال: جمع محلّىٰ باللام فيستغرق كلّ عمل شرعي بقرينة المقام، والعمل: كلّ ما صدر من الحيوان بقصده قلبيّاً أو قالبيّاً فيدخل الاعتقادات والنيّات، وخصّه بعضهم بالجوارح؛ لأنّ الناوي مثلاً لايقال له: عامل.

والدنس محرّكة: الوسخ، وهو هنا استعارة لآثار الذنوب بجامع القبح والكراهيّة، وذكر الغسل الملائم للدنس ترشيح.

والمراد بغسله: إمّا محوه من القلب ولوح النفس ليكمل استعداده لإفاضة الفيض والرحمة عليه ويرتفع عنه الانفعال عند لقاء الموت، أو من ديوان الحفظة ويثبت مكانه آثار الطاعات، كما قال تعالى: «إلّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَاولئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ»(١). هذا إذا كانت الخطايا بين العبد وبين ربّه، فإن كانت بينه وبين العباد فيعوّضهم عن ظلاماتهم ويمحو آثار تبعاتهم لديه.

قوله عليه السّلام: «وتوفّني على ملّتك» التوفّي: قبض الشيء على الإيفاء والإتمام، يقال: توفّيت حقي من فلان واستوفيته بمعنىٰ.

وأسندعليه السّلام التوفّي إليه سبحانه كما أسنده تعالىٰ إلىٰ نفسه في قوله: «اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها»(٢).

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

(٢) سورة الزمر: الآية ٤٢.

....

قال العلاّمة الطبرسي: لأنّه سبحانه خلق الموت ولايقدر عليه أحد سواه(١).

وفي الفقيه: سئل الصادق عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها»، وعن قول الله عزّوجلّ: «قل يتوفّاكم ملك الموت الذي وكلّ بكم»، وعن قول الله تعالى: «الذين تتوفّاهم الملائكة طيّبين»، و«الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم»، وعن قوله تعالى: «توفّته رسلنا»، وعن قوله عزّوجلّ: «ولوترىٰ إذيتوفّىٰ الذين كفروا الملائكة»، وقد يموت في الساعة الواحدة في جميع الآفاق مالا يحصيه إلّا الله عزّوجلّ، فكيف هذا؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح، بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه، فتتوفّاهم الملائكة، ويتوفّاهم ملك الموت من الملائكة مع مايقبض هو، ويتوفّاهم الله من ملك الموت، انتهىٰ (٢).

وهذا وجه آخر لإسناد التوفّي إليه سبحانه.

والملّة: الدين، ومنه: لايتوارث أهل ملّتين، أي: دينين، كالإسلام واليهوديّة.

وقيل: هي معظم الدين وجملة ماتجيء به الرسل (٣).

وقال الراغب في الذريعة: الملّة: القود إلى الطاعة، والدين: الانقياد له، وهما بالذات واحد، لكنّ الدين هو الطاعة، فيقال اعتباراً بفعل المدعو في انقياده إلى الطاعة، والملّة من أمللت الكتاب، فيقال اعتباراً بفعل الداعي إليها والشارع لها؛ ولكونهما بالذات واحداً قال تعالى:«ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً»، فأبدل الملّة من الدين، انتهىٰ (٤).

---

(١) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ ص ١٨٢.

(٢) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ١٣٦ ح ٣٦٨.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٦٠.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ١٠١.

أَللّهُمَّ إِنِّي أَتُوبَ إِلَيْكَ فِي مَقامِي هذا مِنْ كَبائِرِ ذُنُوبِي وَصَغائِرِها، وَبَواطِنِ سَيِّئاتِي وَظَواهِرِها، وَسَوالِفِ زَلاّتِي وَحَوادِثِها، تَوْبَةَ مَنْ لايُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ، وَلا يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ.

وإذا: ظرف للمستقبل متضمّن معنىٰ الشرط، والجواب هنا محذوف وجوباً؛ لتقدّم ماهو جواب من حيث المعنىٰ عليه.

ومعنىٰ إذا توفيتني: أي إذا أردت وفاتي، تعبيراً بالفعل عن إرادته، كقوله تعالى: «إذا قُمْتُمْ إلى الصَلاةِ فاغْسِلُوا»(١)، «فَإذا قَرَأْتَ القُرْآن فاَسْتَعِذْ» (٢)وأكثر مايكون ذلك بعد أداة الشرط.

وإنّما جاء بهذه الجملة الشرطيّة- أعني قوله: إذا توفّيتني- لئلاّ يكون قوله: وتوفّني دعاء بتعجيل الوفاة لا لأنّه عليه السّلام يكره الوفاة ولقاء الله، بل لأنّه يختار ما يختاره الله تبارك وتعالى له من الحياة والوفاة، والله أعلم *.

أكدعليه السلام الحكم بتوبته بـ«إنّ» التي هي لتأكيد النسبة وتحقيقها، للإيذان بأنّه عن اعتقاد جازم ونيّة صحيحة وصميم قلب وصدق رغبة و وفور نشاط، ولرواج التأكيد منه عند المخاطب.

قال شارح الفوائد: قد يؤكّد الحكم لكونه عن جدٍ لاهزل، أوعن اعتقاد وصميم قلب(٣).

وقال السعد التفتازاني: وقد يؤكّد الحكم المسلّم لصدق الرغبة فيه والرواج (٤)

والمقام بالفتح: موضع القيام، وبالضمّ: موضع الإقامة، وقد وردت الرواية بالوجهين.

وهذا: في محلّ جرّ نعت لمقامي.

---

(١) سورة المائدة الآية ٦.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٨.

(٣) لايوجد لدينا كتابه.

(٤) لم نتحققه.

....

وقول بعضهم: إنّه بدل منه غلط فاحش؛ فإنّ المبدل منه فى حكم المطروح المعدوم.

وتقييد الحكم بالظرف ووصفه بـ «هذا» لتعيين المضارع من قوله: «أتوب» لزمان الحال، بناءً على أنّه حقيقة في المستقبل والحال معاً، أو أنّه حقيقة في المستقبل مجاز في الحال، أو لرفع احتمال التجوّز بناءً على أنّه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال وهو الأصحّ، وعلى هذا فالنعت بـ «هذا» يفيد أيضاً تأكيد الحال بزيادة تعيينه.

والكبيرة: ما توعّد عليه بخصوصه، كالزنا وشرب المسكر وغيرهما.

والصغيرة: ما صدر عن فلتة خاطر أو لفتة ناظر مع عدم الجواز والتوعّد عليه، وقيل فيهما غير ذلك. وقد تقدّم الكلام على ذلك مبسوطاً.

قوله عليه السلام: «وبواطن سيّئاتي وظواهرها» فيه تلميح إلى قوله تعالىٰ: «وَذَرُوا ظاهِرَ الإِثْمِ وَباطِنَهُ»(١)، قيل: المراد ما أعلنتم وما أسررتم.

وقيل: ما عملتم ومانويتم.

وقيل: ظاهر الإثم أفعال الجوارح، وباطنه أفعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وإرادة الشرّ للمسلمين، ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والظنّ والتمنّي والندم(٢) على أفعال الخيرات ويؤخذ منه أن مايوجد في القلب قد يؤاخذ به وان لم يقترن به عمل.

وفي تفسير عليّ بن ابراهيم قال: الظاهر من الإثم المعاصي، والباطن الشرك والشكّ في القلب.(٣) وهو راجع إلى ما قبله.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٠.

(٢) «ألف» والذم

(٣) تفسير عليّ بن إبراهيم القمي: ج١ ص٢١٥.

....

والسيّئات: جمع سيّئة، وهي مانهىٰ عنه الشارع، ويقابلها الحسنة وهي ماندب إليه.

وسلف الشيء سلوفاً ـ من باب قعد ـ: مضىٰ وانقضىٰ فهو سالف.

وحدث حدوثاً ـ من باب قعد أيضاً ـ: تجدّد وجوده فهو حادث والزلاّت: جمع زلّة وهي الخطيئة، من زلّ في منطقه أو فعله يزلّ ـ من باب ضرب ـ أي: أخطأ.

وقيل: هي السيّئة بلاقصد.

ويتعيّن أن يراد بالسوالف ما بعد وقوعه(١) من زمان الحال، وبالحوادث ماقرب حدوثه منه لامطلقاً، ليدخل فيها ماسيحدث من الزلاّت كما تقتضيه صيغة الوصف القابلة للأزمنة كلّها، وذلك بقرينة(٢) قوله عليه السّلام: «توبة من لايحدّث نفسه بمعصية ولا يضمر أن يعود في خطيئة».

وحدّث نفسه بالشيء: أخطره بباله.

وأضمر الشيء إضماراً: عزم عليه بضميره أي: قلبه وباطنه.

وقوله: «بمعصية» أي: بشيء من المعاصي، وكذلك قوله: «في خطيئة»، أي: في شي من الخطايا؛ لأنّ النكرة في سياق النفي ظاهرة في الاستغراق، فهو كقوله تعالى: «وَما الله يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ»(٣)، أي: مايريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه.

وتعدية العود بـ «في» والمعروف تعديته بـ «إلى»؛ لتضمينه معنىٰ الدخول، أي: لايضمر بأن يعود إلى فسخ التوبة داخلاً في خطيئته والله أعلم.

وهاهنا مسائل يناسب إيرادها عبارة الدعاء:

---

(١) «ألف»: وجوده.

(٢) «ألف» لقرينة.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٨.

....

الأولىٰ: التوبة تجب عندنا من جميع الكبائر والصغائر لعموم الآيات؛ ولأنّ ترك التوبة عن المعصية صغيرة كانت أو كبيرة إصرار عليها، وهو قبيح لا خلاص منه إلّا بالتوبة، فهي واجبة في جميع المعاصي؛ ولأنّ التوبة عن القبيح إنّما تجب لكونه قبيحاً وهو عام(١).

وذهب جماعة من المعتزلة إلى أنّها إنّما تجب من الكبائر المعلوم كونها كبائر أو المظنون فيها ذلك، ولا تجب من الصغائر المعلوم كونها صغائر؛ لأنّ التوبة إنّما تجب دفعاً للضرر، وهو غير حاصل في الصغيرة(٢).

وردّ بأنّ وجه الوجوب هو اشتمال الصغيرة على القبح سواء اشتمل على ضرر أم لا.

الثانية: أُختلف في أنّ التوبة هل تصحّ من قبيح دون قبيح وتسمّىٰ التوبة المبعّضة أم لا؟

فذهب أبوهاشم وجماعة إلى عدم الصحّة، قالوا: لأنّ التوبة عن القبيح إنّما هو لقبحه وهو عامّ، فلو تاب من قبيح دون قبيح كشف ذلك عن كونه تائباً لا لقبحه(٣).

وذهب الجمهور من الفريقين إلى الصحّة، قالوا: لأنّ الأفعال تقع بحسب الدواعي وتنتفي بحسب الصوارف، فإذا ترجّح الداعي وقع الفعل، فجاز أن يرجّح فاعل القبائح دواعيه إلى الندم عليها، وذلك بأن يقترن بعض القبائح بأمر زائد، كعظم الذنب أو كثرة الزواجر عنه أو الشناعة عند العقلاء عند فعله؛ فإنّ الأفعال الكثيرة قد تشترك في الدواعي ثمّ يؤثر صاحب الدواعي بعض تلك الأفعال على بعض، بأن يرجّح دواعيه إلى ذلك الفعل بما يقترن به من زيادة الدواعي، فلا

---

(١) و(٢) كشف المراد: ص٤١٨. (٣) كشف المراد: ص٤١٩.

....

استبعاد في كون قبح الفعل داعياً إلى الندم على ذلك البعض، ولو اشتركت القبائح في قوّة الدواعي اشتركت في وقوع الندم، ولم يصحّ الندم على بعض دون آخر(١).

قال المحقّق الطوسي: وبه يتأوّل كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام وأولاده عليهم السّلام وإلاّ لزم الحكم ببقاء الكفر على التائب منه المقيم على صغيرة(٢).

وقال العلامة البهائي قدّس سره في شرح الأربعين: والأصحّ صحّة المبعّضة، وإلّا لما صحّت عن الكفر مع الإصرار على صغيرة(٣).

وقال العلاّمة الحليّ نوّر الله مرقده ولأنّ اليهودي لوسرق درهماً ثمّ تاب عن اليهودية دون السرقة فإنّه يكون مسلماً بالإجماع(٤).

الثالثة: ذهب بعض المعتزلة إلىٰ أنّ التائب إن كان عالماً بذنوبه على التفصيل وجب عليه التوبة عن كلّ واحد منها مفصّلاً، وإن علم بعضها مفصّلاً وبعضها مجملاً وجب عليه التفصيل فيما علم مفصّلاً والإجمال فيما علم مجملاً (٥).

وقال العلامة البهائي: أمّا التوبة المجملة كأن يتوب عن الذنوب على الإجمال من دون تفصيلها وهو ذاكر للتفصيل، فقد توقّف فيها المحقّق الطوسي، والقول بصحّتها غير بعيد؛ إذ لادليل على اشتراط التفصيل(٦)، والله أعلم.

الرابعة: أختلف في التوبة المؤقتة مثل أن لايذنب إلى سنة، فذهب بعضهم إلى بطلانها؛ لأنّه إذا ندم على ذنب في وقت ولم يندم عليه في وقت آخر ظهر أنّه لم يندم

---

(١) كشف المراد: ص٤٢٠.

(٢) شرح التجريد للقوشجي: ص٤٢٣، كشف المراد: ص٤٢٠.

(٣) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص١٧٥.

(٤) كشف المراد: ص٤٢١.

(٥) كشف المراد: ص٤٢٢.

(٦) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص١٧٥.

....

عليه لقبحه، وإلّا ندم عليه في جميع الأوقات، وإذا لم يكن ندمه لقبحه لم يكن توبة.

وذهب آخرون إلى صحّتها كما في الواجبات، فإنّه قد يأتي المأمور ببعضها في بعض الأوقات دون بعضها، ويكون المأتي به صحيحاً في نفسه بلا توقّف على غيره، مع أنّ العلّة المقتضية للإتيان بالواجب هي كون الفعل حسناً واجباً، غايته أنّه إذا عصىٰ بعد ذلك جدّد ذلك الذنب وجوب توبة أُخرىٰ عليه.

والحقّ أنّ اشتراط العزم على عدم العود أبداً يقتضي بطلانها، فمن اشترطه ـ وهم الشيعة والمعتزلة ـ قال بالبطلان، ومن لم يشترطه ـ وهم الأشاعرة ـ قال بالصحة. لكن صرّح بعضهم أنّ النادم على المعصية لايخلو من ذلك العزم البتّة على تقدير الحضور والاقتدار.

الخامسة: قال شيخنا البهائي قدّس سرّه في شرح الأربعين: العزم على عدم العود إلىٰ الذنب فيما بقي من العمر لابدّ منه في التوبة.

وهل إمكان صدوره منه في بقيّة العمر شرط، حتى لوزنا ثمّ جبّ وعزم على أن لايعود إلى الزنا على تقدير قدرته عليه لم تصحّ توبته، أم ليس بشرط فتصحّ؟ الأكثر على الثاني، بل نقل بعض المتكلّمين إجماع السلف عليه.

وأولىٰ من هذا بصحّة التوبة من تاب في مرض مخوف غلب علىٰ ظنّه الموت فيه، أمّا التوبة عند حضور الموت وتيقّن الفوت، وهو المعبّر عنه بالمعاينة، فقد انعقد الإجماع علىٰ عدم صحّتها، ونطق بذلك القرآن العزيز، قال سبحانه: «وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتّىٰ إذا حَضَرَ أحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إنّي تُبْتُ الآنَ وَلا الذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفّارٌ أُولئِكَ أعْتَدنا لَهُمْ عَذاباً أليماً».

وفي الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: أنّ الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر. والغرغرة: تردّد الماء وغيره من الأجسام المائعة في الحلق، والمراد تردّد الروح وقت النزع.

وقَدْ قُلْتَ يا إلهي في مُحْكَمِ كِتابِكَ إنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِكَ وَتَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ وَتُحِبُّ التَّوابِينَ، فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَما وَعَدْت، وَاعْفُ عَنْ سَيِّئاتِي كَما ضَمِنْت، وَأوْجِبْ لِي مَحَبَّتَكَ كَما شَرَطْتَ.

وقد روى محدّثوا الإماميّة عن أئمّة أهل البيت عليهم السّلام أحاديث متكثّرة في أنّه لا تقبل التوبة عند حضور الموت وظهور علاماته ومشاهدة أهواله.

وربّما علّل ذلك بأنّ الإيمان برهاني، ومشاهدة تلك العلامات والأهوال في ذلك الوقت تصيّر الأمر عياناً فيسقط التكليف، كما أنّ أهل الآخرة لمّا صارت معارفهم ضروريّة سقطت التكاليف عنهم.

قال بعض المفسّرين: ومن لطف الله بالعباد أن أمر قابض الأرواح بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين، ثمّ تصعد شيئاً فشيئاً إلى أن تصل الى الصدر، ثمّ تنتهي إلى الحلق؛ ليتمكّن في هذه المهلة من الإقبال على الله تعالى، والوصيّة، والتوبة مالم يعاين، والاستحلال، وذكرالله سبحانه فتخرج روحه وذكرالله على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته، رزقنا الله ذلك بمنّه وكرمه(١) *.

قوله عليه السلام: «محكم كتابك» إمّا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: كتابك المحكم؛ لقوله تعالى: «كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ»(٢).

والمراد بإحكامه: إتقانه وعدم تطرّق النقض والاختلال إليه.

وإضافة الصفة إلى الموصوف جائزة في الفصيح عند الكوفيّين، ومال إلى ذلك جماعة من المحقّقين، والحقّ أنّه كثير لايمكن دفعه، وتأويل كلّ ذلك تكلّف.

وإمّا من باب إضافة النوع إلى الجنس، فإن من القرآن ما هو محكم ومنه ماهو متشابه، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ»(٣).

---

(١) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص ١٧٠ - ١٧٢.

(٢) سورة هود: الآية ١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧.

....

واختلف في تفسير المحكم والمتشابه على أقوال سنذكرها في الروضة الثانية والأربعين إن شاء الله، ونكتفي هنا بما روي عنهم عليهم السّلام: إنّ المحكم ما يعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله(١).

وقال عليّ بن إبراهيم: المحكم: ما استغني بتنزيله عن تأويله، كقوله تعالىٰ: «حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير» والمتشابه: ما لفظه واحد معناه مختلف كالفتنة(٢).

وقوله: «إنّك تقبل التوبة وتعفو عن السيّئات» إشارة إلى قوله تعالى في سورة الشورىٰ: «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ ماتَفْعَلُونَ»(٣).

واللام في التوبة: لتعريف الحقيقة، وهي هنا تفيد الاستغراق؛ لأنّ المقصود بها الماهيّة من حيث وجودها في الخارج في ضمن جميع أفرادها، وهي التي تخلفها «كلّ» حقيقةً، نحو: «خُلِقَ الإنسانُ ضَعِيفاً»(٤).

والمعنى: يقبل كلّ توبة.

وعدم استثناء توبة المعاين ـ وهو من حضره الموت ـ إمّا لعدم اعتدادها توبة، كما أشار إليه سبحانه بقوله: «قالَ إنّي تُبْتُ الآنَ»(٥)، قال بعض محقّقي المفسّرين: إيثار «قال» على «تاب» لإسقاط ذلك عن درجة الاعتبار، والتحاشي عن تسميته توبة.

---

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٢٧١.

(٢) تفسير علي بن ابراهيم القمي: ج ١ ص ٧ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) سورة الشورى: الآية ٢٥.

(٤) سورة النساء: الآية ٢٨.

(٥) سورة النساء: الآية ١٨.

....

وإمّا لبيان حكمها في محلّ آخر من القرآن، فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكراً له فيما لم يذكر فيه؛ لأن القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض، كما نصّ عليه الزمخشري في قوله تعالى: «إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً»(١).

قوله عليه السلام: «وتحبّ التوّابين» إشارة الى قوله تعالى في سورة البقرة: «إنّ الله يُحِبُّ التوّابينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرينَ»(٢).

والتوّاب: صيغة مبالغة، وهي إمّا باعتبار الكيفيّة، فيكون معناه، من لا يعود الى الذنب بعد التوبة أبداً، وإمّا باعتبار الكمّية، فيكون معناه: كثير التوبة، أي: كلّما جدّد ذنباً جدّد توبة.

وفي الحديث من طرق الخاصّة والعامة: إنّ الله يحبّ من عباده المفتن التوّاب(٣)، أي: الممتحن بالذنوب، من فتنه بمعنى: امتحنه، أي: يمتحن بالذنب ثمّ يتوب، ثمّ يعود ثمّ يتوب.

ومعنى إنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين: أنّه يحب التوّابين من النجاسات الباطنة وهي الذنوب، ويحبّ المتطهّرين من النجاسات الظاهرة.

وقيل: يحبّ التوّابين من الكبائر ويحبّ المتطهّرين من الصغائر.

وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة(٤).

قوله عليه السّلام: «فاقبل توبتي كما وعدت» الفاء: فصيحة، أي: إذا كان هذا قولك فاقبل توبتي. والكاف: للتعليل، أي: لوعدك بقبول التوبة، أو للتشبيه من باب وضع الخاصّ موضع العامّ؛ إذ قبول التوبة والوعد يشتركان في أمروهو

---

(١) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ١٣٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٢ ح ٤.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٠ - ٤٣١ ح ١.

....

الإحسان، فهو في الأصل بمنزلة «وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ»، ثمّ عدل عن ذلك الأصل إلى خصوصيّة المطلوب وهو القبول والوعد. وقد تقدّم هذا البيان في نظير هذه العبارة في الرياض السابقة. وقس على ذلك قوله عليه السّلام: «كما ضمنت» و«كما شرطت». وضمنت الشيء ضماناً ـ من باب علم ـ: كفلته والتزمته، والشرط: إلزام الشيء والتزامه، يقال: شرطت عليه ذلك شرطاً ـ من باب قتل ـ أي: الزمته إيّاه، وشرطت له ذلك أي: التزمته له، وهو معنى قوله: «كما شرطت» أي: التزمت، هذا.

ولمّا كان الشرط من قبيل ربط الاحكام بالأسباب، وكان مفهوم قوله تعالى: «إنّ الله يُحِبُّ التوابينَ»(١) من تاب أحبّه الله تعالى، عبّر عن حكمه سبحانه على نفسه بمحبّة التوّابين بالشرط، فقال: «كما شرطت»، ولم يقل: كما قلت أو كما أخبرت؛ إيذاناً بلزوم الجزاء وإلزاماً بالإنجاز والوفاء؛ إذا كان الجزاء لازماً للشرط والشرط ملزوماً له.

وآثر التعبير بذلك في طلب محبّته تعالى دون غيرها ممّا تقدّم اعتناءً بشأنها واهتماماً بحصولها؛ إذ كانت هي بيت القصيدة وفراء المصيدة، وهذا من بقرخواصر البلاغة وإصابة شواكل البيان.

فإنّ قلت: لم قال في هذه الفقرة: «وأوجب لي محبّتك،» ولم يقل: وأحبّني كما قال: «فاقبل توبتي واعف عن سيّئاتي»؟ ومن أين فهم إيجاب شرطه تعالى لمحبّة التوّابين حتّى عبّر بذلك؟

قلت: فهم الإيجاب من تأكيد النسبة وتحقيق الحكم بـ «إنّ» المؤكّدة في قوله تعالى: «إنّ الله يُحِبُّ التوّابينَ»؛ إذ كان التأكيد بها مؤذناً بتحقّق مضمونها وموجباً

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

وَلَكَ يا رَبِّ شَرْطِي أَنْ لا أَعُودَ فِي مَكْروهِك ، وَضَماني أَنْ لا أَرْجِعَ في مَذْمُومكَ ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجَرَ جَمِيعَ مَعاصِيكَ .

للجزم بحصوله، وأنّه واجب ثابت لامحالة، والإيجاب هنا مراد به معناه اللغوي، من وجب الشيء: إذا لزم وثبت، والله أعلم *.

الواو: إمّا ابتدائيّة أو حاليّة، أي: والحال أنّ لك يا رب شرطي.

والاعتراض بالنداء بين المبتدأ وخبره للمبالغة في التضرّع، وإظهار كمال الخضوع، وعرض الاعتراف بربوبيّته مع الإيمان به.

وتقديم المسند على المسند إليه لإفادة التخصيص أي شرطي مقصور على الحصول لك لا يتجاوره إلى الحصول لغيرك .

وشرطي أي: التزامي.

وأن: مصدريّة في محل نصب بشرطي. والمعنى: لك التزامي عدم العود فيما تكرهه، وقس على ذلك مابعده.

والضمان هنا بمعنى الالتزام أيضاً

وتعدية العود والرجوع بـ «في» إمّا لمرادفتهاالى، نحو قوله تعالى: «فَرَدّوا أيديهُمْ في أفواهِهِم»(١) أي إلى أفواههم، أو لتضمينهما معنى التمكّن أو الدخول، أي: متمكناً او داخلاً في مكروهك وفي مذمومك قال الرضي: قيل: «في» بمعنى «الى» في قوله تعالى: «فردّوا أيديهم في أفواههم»، والأولى أن نقول: هي بمعناها والمراد التمكّن(٢)انتهى.

والعهد هنا بمعنى الموثق.

وهجرت الشيء هجراً ـ من باب قتل: تركته ورفضته.

(١) سورة ابراهيم: الآية ٩.

(٢) شرح الكافية في النحو: ج٢ ص٣٢٧.

....

تنبيهان

الأوّل: اشترط المعتزلة في صحّة التوبة ترك المعاودة لذلك الذنب الذى تاب منه أيّ ذنب كان، ومنعه الأشاعرة؛ لأنّ الشخص قد يندم على الأمر زماناً ثمّ يبدو له والله مقلّب القلوب.

قال الآمدي: التوبة مأموربها فتكون عبادة، وليس من شرط صحّة العبادة المأتي بها في وقت عدم المعصية في وفت آخر، بل غايته إذا ارتكب ذلك الذنب مرّة ثانية وجب عليه توبة أُخرىٰ(١).

الثاني: لايخفى أنّه لايليق بغير المعصوم قراءة هذه الفقرات من الدعاء علىٰ إطلاقها؛ لأنّ مضمونها لايفي به إلّا من عصمه الله من جميع المعاصي صغيرها وكبيرها، وأمّا غيره فما أقلّ وفاءه بهذاالشرط والضمان والعهد، كيف؟ وهوعاجز عن مخالفة هواه، غير قادرعلى مقاتلة دواعيه وقواه، لايصبرعن اتّباع الشهوات، ولا يستخدم قواه في ميثاق الطاعات، وبذلك فسّر قوله تعالى: «خُلِقَ الإنْسانُ ضَعِيفاً»(٢). فمن أخلف الله تعالى شرطه ووعده ونقض ضمانه وعهده، فقد عرّض نفسه لما استوجبه الذين وصفهم الله سبحانه بقولة: «ومِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصالِحينَ * فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فيقُلُوبِهِمْ الى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أخْلَفُوا الله ماوَعَدُوهُ وَبِما كانُوا يَكْذِبُونَ»(٣).

فينبغي لمن يقرأ هذا الدعاء أن يشترط عند قراءة هذه الفقرات التوفيق

(١) لم نعثرعليه.

(٢) سورة النساء: ٢٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ٧٥ و٧٦ و٧٧.

أَللّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِماَ عَمِلْتُ فَاغْفِرْلي ما عَلِمْتَ، وَاصْرِفْني بِقُدْرَتِكَ إِلىٰ ما أَحْبَبْتَ.

والعصمة منه عزّوجلّ، تحرّجاً من أن يعطي الله سبحانه من نفسه مالايقدر عليه.

كان يحيىٰ بن معاذ يقول: إلهي لاأقول لا أعود لما أعرف من خلقي، ولا أضمن ترك الذنوب لما أعلم من ضعفي.

ثمّ تفكّر وعلم أنّه لا يجوز في طريق العلم أن لا يقول العبد: لاأعود؛ لأنّه شبيه بالجرأة على الله تعالى، فعاد إلى مناجاته وقال: إلهي بل أقول لا أعود لعلّي أن أموت قبل أن أعود(١).

وقال رجل لمالك: يا أباعبدالله إنّي تعلّقت بأستار الكعبة فتبت من كلّ ذنب، وحلفت أن لاأعصي الله تعالى طرفة عين فيما أستقبل، فقال له: ويحك ومن أعظم منك معصيةً، تتآلى على الله أن لاينفذ حكمه فيك(٢).

ومع هذا فلا بدّ في صدق الإنابة ونصح التوبة من المجاهدة في الوفاء والثبات في العزيمة والنفاذ في الأمر؛ فإنّه إذا عزم المرء على رفض الشهوات وإخلاص التوبة عن السيئات، فربّما تتواتر عليه أسباب الشهوات وتتوفّر لديه جهات الملذّات على ما عليه سنة الله تعالى في نقض العزائم وفسخ الهمم، فإن كانت النفس عزوفاً أبيّة والعزيمة صارمة قويّة والتوبة نصوحاً رضيّة، لم يسف بما عزم عليه من الصبر والكفّ تهيؤ تلك الأسباب، ولم يستهوه الشيطان من تلك الشعاب، وإن ألقت النفس بيديها إليها ولم يكن حبل العزيمة مغاراً ولا عود الإنابة نضاراً، فهناك كلّ يوم توبة منقوضة وإنابة مرفوضة، والله المستعان *.

هذا سؤال منه عليه السّلام لمغفرة ماالله أعلم به منه، ممّا هو عندالله سيّئة ومعصية في حقّه وهولايعلمها فعملها. ونظير ذلك قول جدّه سيدالاوصياء صلوات الله

---

(١) لم نعثر عليه. (٢) لم نعثر عليه.

أَللّهُمَّ وَعَلَيَّ تَبعاتٌ قَدْ حَفِظْتُهُنَّ وَتَبعاتٌ قَدْنَسِيتُهُنَّ، وَكُلُّهُنَّ بِعَيْنِكَ الَّتي لا تَنامُ وَعِلْمِكَ الَّذِي لايَنْسىٰ، فَعَوِّضْ مِنْها أَهْلَها، وَاحْطُطْ عَنِّي وِزْرَها، وَخَفِّفْ عَنِّي ثِقْلَها، وَاعْصِمْني مِنْ أَنْ أُقارِفَ مِثْلَها.

عليه في دعائه: اللّهم أغفرلي ما أنت أعلم به منّي(١).

قال العلاّمة الشيخ كمال الدين في شرح نهج البلاغة: ومغفرة الله للعبد تعود إلى ستره عليه أن يقع في مهاوي الهلكة في الآخرة، أو يكشف مقابحه لأهل الدنيا فيها، وكلّ ذلك يعود إلىٰ توفيقه لأسباب السعادة، وجذبه بها عن متابعة الشيطان في المعاصي قبل صدورها منه، أو قبل صيرورتها ملكات في جوهر نفسه، انتهى(٢).

وصرفته عن الشيء وإليه صرفاً ـ من باب ضرب ـ: رددته.

ولمّا سأل عليه السّلام مغفرة ما الله أعلم به منه من السيّئات، أتبع ذلك بسؤال صرفه وردّه عنها إلى محبوبها تعالى من الحسنات لمحو تلك السيّئات، كما قال تعالى: «إِنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ»(٣).

وروى عبدالله بن عباس، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: لم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم، إنّ الحسنات يذهبن السيّئات ذلك ذكرى للذاكرين(٤)*.

على: للاستعلاء، وهو إمّا حقيقة نحو: زيد علىٰ السطح، وإمّا مجاز نحو: عليه دين، ومثله: «وعليّ تبعات»، وهي الظلامات التي يطلبها المظلوم عند الظالم، سميّت بذلك لإتباع صاحبها بها.

وحفظته حفظاً ـ من باب علم ـ: أحصيته، ومنه: الحفظة للملائكة الذين

---

(١) نهج البلاغة: ص١٠٤، الخطب ٧٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٢ ص٢١٣.

(٣) سورة هود: الآية ١١٤.

(٤) الدرّالمنثور: ج٣ ص٢٥٣ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

يحصون أعمال العباد. والجملة في محلّ رفع صفة لتبعات، ومثله قد نسيتهنّ.

وكلّهن: أي كلّ فرد من النوعين؛ لأنّ كلاً كما تفيد استغراق أفراد المنكّر نحو: «كلُّ نَفْسٍ ذائقَةُ الـمَوْتِ»(١)، تفيد استغراق أفراد المعرّف المجموع نحو: «وكُلُّهم آتيهِ يَوْمَ القِيامَةِ فَرْداً»(٢).

والباء من قوله: «بعينك»: للملابسة، أي: متلبّسة بعينك.

والعين: حقيقة في الجارحة، وهي هنا جارية مجرى التمثيل، والكلام استعارة تمثيليّة، كما صرّح به الزمخشري في آخر سورة الطور في قوله تعالى: «واصْبِر لِحُكْمِ رَبِّكَ فانَّك بأعْيُنِنا»، قال: وهومثل، أي: بحيث نراك ونكلؤك، انتهى(٣).

وبيانه: أنّه مثّل إحاطته تعالى بجميع تبعاته بحيث لايشذّ ولايغيب عنه شي منها، بإحاطة الناظر بعينه إلى الشيء به، بحيث لايعزب ولايغيب عنه شيء منه.

ووصف العين بعدم النوم لبيان استمرار الإحاطة، إذلو اتّصفت به احتمل شذوذ شيء من مدركاتها عنها في حالة النوم.

وقوله: «لاينسى» أي: لايذهب عنه شي ولايخفى عليه أمر. وفي إسناد النسيان إلى العلم إشارة إلى أنّ علمه تعالى عين ذاته، وليس علمه صفة زائدة على ذاته ليتعلّق النسيان بما تعلّق به العلم.

والفقرة الأُولى إشارة إلى كونه تعالى عالماً بالكلّ محيطاً به مطلّعاً على كليّاته وجزئياته، والثانية إشارة إلى ثبات ذلك العلم ورسوخه، أي: ما علمت منها لا تنساه.

وعوّضته من الشيء تعويضاً: أعطيته عوضاً وهوالبدل.

فإن قلت: لم أعاد الضمير أوّلاً بصيغة الجمع فقال: حفظتهنّ ونسيتهنّ وكلّهن،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

(٢) سورة مريم: الآية ٩٥.

(٣) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٤١٥.

....

ثمّ أعاده بصيغة الإفراد فقال: منها وأهلها ووزرها وثقلها ومثلها؟

قلت: قد نصّ علماء العربيّة على أنّ الأحسن والغالب في جمع المؤنّث غير العاقل إن كان للقلّة أن يعاد الضمير إليه بصيغة الجمع، وإن كان للكثرة أن يعاد بصيغة الإفراد، كما قال تعالى: «إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً»(١) إلىٰ أن قال: «منها أربعةٌ حُرُمٌ»(٢)، فأعاد «منها» بصيغة الإفراد على الشهور وهي للكثرة، ثمّ قال: «فَلا تَظْلِمُوا فيهِنَّ أنفُسَكُم»(٣)، فأعاده جمعاً علىٰ أربعة حرم وهي للقلّة.

وذكر الفرّاء لهذه القاعدة سرّاً لطيفاً، وهو أنّ المميّز مع جمع الكثرة ـ وهو مازاد علىٰ العشرة ـ لـمّا كان واحداً وحّد الضمير، ومع جمع القلّة لمّا كان جمعاً جمع الضمير(٤).

إذا عرفت ذلك فإعادته عليه السّلام الضمير أوّلاً بصيغة الجمع نظراً إلىٰ هذه القاعدة، إذ كان جمع السلامة مذكّراً كان أو مؤنثاً موضوعاً للقلّة كما نصّ عليه النحويّون، وإعادته ثانياً بصيغة الإفراد نظراً إلى قوله: «كلّهن» لدلالته على الكثرة، والله أعلم.

تنبيهـان:

الأوّل: ذهب المعتزله إلى أن ردّ المظالم شرط في صحّة التوبة، فقالوا: لا تصحّ التوبة عن مظلمة دون الخروج عن تلك المظلمة، كردّ المال أو الاستبراء منه، أو الاعتذار إلى المغتاب واسترضائه إن بلغه الغيبة ونحو ذلك.

وذهب أصحابنا الاماميّة ووافقهم الأشعريّة إلى أنّ ذلك واجب برأسه

---

(١) و(٢) و(٣) سورة التوبة: الآية ٣٦.

(٤) لم نتحقّقه.

....

لامدخل له في الندم عل ذنب آخر.

قال الآمدي: إذا أتىٰ بالمظلمة كالقتل والضرب مثلاً وجب عليه أمران: التوبة والخروج عن المظلمة، وهو تسليم نفسه مع الإمكان ليقتصّ منه، ومن أتىٰ بالتوبة فقدَ أتىٰ بأحد الواجبين، ومن أتىٰ بأحد الواجبين فلا تكون صحّة ما أتىٰ به متوقّفة على الاتيان بالواجب الآخر، كما لووجب عليه صلاتان فأتىٰ بأحداهما دون الاخرى(١).

قال(٢) شيخنا البهائي قدّس سرّه: واعلم أن الاتيان بما تستتبعه الذنوب، من قضاء الفوائت وأداء الحقوق والتمكين من القصاص والحدّ ونحو ذلك، ليس شرطاً في صحّة التوبة بل هذه واجبات برأسها، والتوبة صحيحة بدونها، وبها تصير أكمل وأتمّ(٣) إنتهى.

الثاني: ذهب أصحابنا رضوان الله عليهم أنّ الذنب إذا لم يكن مستتبعاً لأمر آخر يلزم الاتيان به شرعاً، كلبس الحرير وشرب الخمر وسماع الغناء، كفىٰ الندم عليه والعزم علىٰ عدم العود إليه، ولايجب سوىٰ ذلك، وإن كان مستتبعاً لأمر آخر من حقوق الله أو من حقوق الناس ماليّاً أو غير مالي وجب مع التوبة الاتيان به، وربّما كان المكلّف مخيّراً بين الاتيان بذلك الأمر وبين الاكتفاء بالتوبة من الذنب المستتبع له.

فحقوق الله الماليّة كالعتق في الكفّارة مثلاً يجب الاتيان بها مع القدرة، وغير الماليّة إن كان غير حدّ كقضاء الفوائت وصوم الكفّارة فكذلك، وإن كان حدّاً فالمكلّف مخيّر إن شاء أقرّ بالذنب عند الحاكم ليقام عليه، وإن شاء ستره واكتفى

(١) لم نعثر عليه.

(٢) «الف»: وقال.

(٣) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص١٧٤ - ١٧٥.

....

بالتوبة، فلاحدّ عليه حينئذ إن تاب قبل قيام البيّنة به عند الحاكم.

وامّا حقوق الناس الماليّة فيجب تبرئة الذمّة منها بقدر الإمكان، فإن مات صاحب الحقّ فورثته في كلّ طبقة قائمون مقامه، فمتى(١) ردّه إليهم هو أو ورثته أو أجنبي متبرّع برئت ذمّته، وإن بقي إلى يوم القيامة فلفقهائنا رضوان الله عليهم في مستحقّه أقوال:

الأوّل: أنّه لصاحب الأوّل.

الثاني: أنه لآخر وارث ولو بالعموم كالإمام.

الثالث: أنّه ينتقل إلى الله سبحانه.

والأوّل هو الأصحّ كما دلّت عليه الرواية الصحيحة عن الصادق عليه السلام(٢).

وأمّا حقوقهم غير الماليّة فإنّ كان إضلالاً وجب الإرشاد، وإن كان قصاصاً وجب إعلام المستحقّ له وتمكينه من استيفائه، فيقول له: أنا الذي قتلت أباك مثلاً فإن شئت القصاص فاقتصّ مني وإن أحببت العفو فاعف عنّي، وإن كان حدّاً كما في القذف فإن بلغ المقذوف مثلاً وجب التمكين، وإن لم يبلغه فهل يجب إعلامه به أم لا؟ وجهان من كونه حقّ آدمي فلايسقط إلّا بإسقاطه، ومن كون الإعلام تجديداً للأذى وتنبيهاً على مايوجب البغضاء، ومثل هذا يجري في الغيبة أيضاً(٣).

وكلام المحقّق الطوسي (٤) وتلميذه العلاّمة طاب ثراهما يعطي عدم وجوب الإعلام(٥).

---

(١) «الف»: فمن.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٣، ابواب الدين والقرض ص ٨٣ ح ٣.

(٣) راجع كشف المراد: ص ٤٢١.

(٤) كشف المراد: ص ٤٢٢.

(٥) كشف المراد: ص ٤٢٢.

....

إذا عرفت ذلك فسؤاله عليه السّلام ربّه أن يعوّض من التبعات التي عليها أهلها ويحطّ عنه وزرها، إنّما هو للتبعات التي لايتمكّن من الخروج عنها إلى أصحابها، إمّا لعجزه عن ذلك أو لنسيانه لها كما صرّح به، وكذلك ورد في الحديث: أنّ من كانت عليه مظلمة ولم يمكنه ردّها على صاحبها والتحلّل منه وسأل الله تعالى أن يقضيها عنه قضاها الله تعالى عنه وأرضى صاحبها عنه(١).

وروى ثقة الإسلام بإسناده عن معتب قال: دخل محمّد بن بشر الوشاء على أبي عبدالله عليه السّلام يسأله أن يكلّم شهاباً أن يخفّف عنه حتى ينقضي الموسم، وكانت له عليه ألف دينار، فأرسل إليه فأتاه فقال له: قد عرفت حال محمّد وانقطاعه إلينا، وقد ذكر أنّ لك عليه ألف دينار ولم تذهب في بطن ولافرج، وإنّما ذهبت ديناً على الرجال ووضائع وضعها وانا أحبّ أن تجعله في حلّ، وقال: لعلّك ممّن يزعم أنه يقتصّ من حسناته فتعطاها، فقال: كذلك في أيدينا، فقال أبوعبدالله عليه السلام: الله أكرم وأعدل من أن يتقرّب إليه عبده فيقوم في الليلة القرّة أو يصوم في اليوم الحار أو يطوف بهذا البيت، ثمّ يسلبه ذلك فتعطاه، ولكن لله فضل كثير يكافئ المؤمن، قال: فهو في حلّ(٢).

وفي هذا الحديث دلالة ظاهرة على أنّ المكافاة والتعويض منه تعالى يكون من غير اقتصاص من حسنات العبد إذا عجز عن ردّ التبعات، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «واحطط عنّي وزرها» الحطّ: في الأصل للأجسام وهو إنزالها عن علوّ إلى سفل، يقال: حطّوا الأحمال عن ظهور الدواب، ثمّ استعمل في المعاني.

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٣٦ ح ٢ باب تحليل الميت.

....

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: حطّ الله أو زارهم وحطّ الله وزرك (١).

والوزر:الثقل، وقيل: الحمل، وعن أبن الأعرابي: حمّلته الوزر، وهو الحمل الثقيل(٢).

والمراد بحطّه عنه: مغفرته له آثام تلك التبعات بقضائها عنه. وهوإستعارة تمثيليّة، كماقاله الزمخشري في قوله تعالى: «وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ »(٣) والحطّ هاهنا من ترشيح الاستعارة التمثيليّة. ومثله قوله عليه السلام: «وخفّف عني ثقلها». ومعنىٰ تخفيف ثقلها: أن لايكون عليه ثقل.

قال بعضهم: وانّما سميّت الذنوب أو زاراً وأثقالاً؛ لما يستحقّ عليها من العقاب العظيم.

فإن قلت: ما مفاد الفقرة الثانية، هل هو تأكيد أو تأسيس؟ قلت: بل هو تأسيس؛ لأنّ المراد بالوزر في الفقرة الأُولى: مايترتّب على تلك التبعات من الإثم والقصاص، وبالثقل في الفقرة الثانية: ماغمّه وهمّه من أمرها، والعرب تجعل الهمّ ثقيلاً، وهو أحد الوجوه التي فسّربها قوله تعالى: «وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ »(٤).

قوله عليه السلام: «واعصمني من أن أقارف مثلها» عصمه الله من المكروه يعصمه۔ من باب ضرب۔: حفظه ووقاه. وقارف الذنب: قاربه وخالطه.

وقال الزمخشري في الفائق: قارف الذنب واقترفه: إذا التبس به، ويقال لقشر

---

(١) اساس البلاغة: ص١٣١.

(٢) اساس البلاغة: ص٦٧٣.

(٣) تفسير الزمخشري: ج٤ ص٧٧٠.

(٤) سورة الشرح الآية ٢.

أَللّٰهُمَّ وانّه لاوفاءَ لي بِالتَوْبَةِ إلّا بعصْمَتِكَ ، وَلا اسْتمساكَ بي عَنِ الخَطايا إلّا عن قُوَّتِكَ ،

كلّ شي : قرفه؛ لأنّه ملتبس به (١).

والمراد بعصمته منها: حسم أسبابها وعدم الإعداد لها، والله أعلم *.

الضمير في «إنّه»: للشأن ومدار وضعه موضعه مع عدَم سبق ذكره الإيذان بأنه سن الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كلّ أحد فهي مغنية عن ذكره. والسرّ في تصدير الجملة به التنبيه من أوّل الأمر على فخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة التحقيق والتقرير؛ لأنّ الضمير لا يفهم منه من أوّل الأمر إلّا شأن مبهم له خطر، فيبقىٰ الذهن مترقباً لما يعقبه ممّا يفسّره ويزيل إبهامه، فيتمكّن عند وروده عليه فضل تمكن، كأنه قيل: إنّ الشأن الخطير هذا، أي: لا وفاء لي بالتوبة إلّا بعصمتك إلىٰ آخره.

يقال: وفيت بالعهد والوعد أفي به وفاءً.

والعصمة لغةً: اسم من عصمه الله: إذا حفظه ووقاه، وعرفاً: فيض إلهي يقوى به العبد على تحرّي الخير وتجنّب الشرّ. واستمسك عن الأمر: كفّ عنه.

والقوّة: تطلق على كمال القدرة وشدّة الممانعة والدفع، ويقابلها الضعف.

ومن العجيب (٢) ما وقع لبعض المعاصرين ممّن اعتنى بإعراب الصحيفة الشريفة، حيث قال: «لا» من قوله: «لا وفاء لي بالتوبة»: نافية للجنس ووفاء اسمها، تركّب معها فبني على الفتح، والظرفان من قوله: «لي» و«بالتوبة» متعلّقان به، وقوله: «إلّا بعصمتك» الخبر ومثله ما بعده، إنتهىٰ.

وهذا يدلّ على قصور بيّن منه في علم النحو، فإنّه أخطأ بهذا الإعراب في ثلاثة مسائل:

---

(١) الفائق: ج٣ ص ١٧٥. (٢) «الف»: العجب.

....

إحداها: قوله: الظرفان من قوله «لي» و«بالتوبة» متعلّقان باسم «لا» مع تصريحه ببنائه على الفتح لتركّبه معها، وهو خلاف قول سيبويه وجمهور النحويّين من أن اسم «لا» إذا كان عاملاً فيما بعده لزم تنوينه وإعرابه(١).

قال الرضي: الظرف بعد المنفي في نحو: «لا تثريب عليكم اليوم» عند سيبويه وجمهور النحويين لايتعلّق بالمنفي وإلّا كان مضارعاً للمضاف فانتصب كما في لاخيراً من زيد، بل الظرف متعلّق بمحذوف وهو خبر المبتدأ، كما في قولك: عليك تثريب، واليوم معمول لعليكم، ويجوز العكس، وكذا قوله تعالى: «لاعاصم اليوم من أمر الله إلّا من رحم» اليوم خبر المبتدأ وإن كان جثة، إذا المعنى: لاوجود عاصم على حذف المضاف، وقوله: «من أمر الله» متعلق بما دلّ عليه «لاعاصم» أي: لايعصم من أمرالله، فلا تظنّن أن مثل هذا الجارّ والمجرور متعلّق بالمنفي وإن أوهم ذلك في الظاهر، بل مثله متعلّق بمحذوف، إنتهى(٢).

الثانية: جعله «لي» لغواً متعلّقاً باسم «لا»، وجهله أنّه هو خبر الاسم مع تعيّنه لذلك.

الثالثة: جعله «إلّا بعصمتك» الخبر، مع ظهور أنّه ليس محطّ الفائدة وتمام الكلام بدونه، ومن كان هذا مبلغة من العربيّة كيف يتجرأ على شرح كلام المعصوم نسأل الله الهداية.

فان قلت: فما الصواب في إعراب الفقرتين المذكورتين؟.

قلت: الصواب أن قوله: «لي» و«بي» متعلّق كلّ منهما بمحذوف هوالخبر، أي: لاوفاء كائن لي ولا استمساك ملتبس بي، وقوله: «بالتوبة» و«عن الخطايا» كلّ من الظرفين متعلّق بمحذوف أيضاً، دلّ عليه قوله: «لاوفاء لي» و«لا

---

(١) و(٢) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٢٥٧.

فَقَوِّني بِقُوَّةٍ كافيةٍ، وتولَّني بِعصْمَةٍ مانِعَةٍ.

استمساك بي» اي: لا أفي بالتوبة ولا أستمسك عن الخطايا، كما مرّ من قول الرضي في «لا عاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِالله»(١).

والاستثناء في الفقرتين مفرّغ من حال عامّة، والتقدير: لاوفاء لي بالتوبة في حال من الأحوال إلّا في حال تلبّسه بعصمتك، ولا استمساك بي عن الخطايا في حال من الأحوال إلّا حال في حال صدوره عن قوتّك.

قال بعضهم: لعلّ المراد بالوفاء: الوفاء الذي لايتغيّر إلّا بميل صاحبه إلى التغيّر كما هو شأن العصمة فلاينافي الاستطاعة، والله أعلم *.

قوله عليه السلام: «فقوّني بقوّةٍ كافية» الفاء: للسببيّة. وتقويته تعالى له عليه السلام عبارة عن إفاضة قوّة علىٰ استعداده يقوى بها عقله علىٰ قهر النفس الأمّارة.

وقوله: «كافية» أي: مغنية، من قولهم كفىٰ الشيء يكفي كفاية فهو كاف: إذا حصل به الاستغناء عن غيره، أي: لاأحتاج معها إلى سؤال قوّة مرّة أُخرىٰ، أو واقية دافعة، من كفاه الله الشرّ أي: وقاه منه ودفعه عنه.

وتولّاه بكذا: قام عليه به، يقال: تولاك الله بحفظه أي: كان الله لك وليّاً بحفظه.

وتوليته تعالىٰ بالعصمة عبارة عن عدم إعداده للمعاصي وحسم أسبابها عنه.

ومدار هذا الفصل من الدعاء على الاعتراف بالعجز عن مقاومة النفس وهواها ومقاتلة دواعيها وقواها، ودفع وساوسها وأذاها، تنبيهاً للغافلين وتحريضاً للمذنبين علىٰ التوسّل بأذيال الألطاف الإلهيّة والتوفيقات الربانية؛ فإنّ ذلك جذب للهدايات الخاصّة الوافية والعنايات، التامّة الشافية للأمراض الظاهرة والخافية، وليس لمريض الدين أنفع من هذا الدواء بيقين.

---

(١) سورة هود: الآية ٤٣.

أَللَّهُمَّ أَيُّما عَبْدٍ تابَ إِلَيْكَ وَهُوَ في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ فاسِخٌ لِتَوْبَتِهِ،

ويقرب من ذلك ماروواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: إنّ الله عزّوجل أوحىٰ إلى داودعليه السلام أن ائت عبدي دانيال ،فقل له: إنّك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك ، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك ، فأتاه داود عليه السلام فقال: يا دانيال إنّي رسول الله إليك ، وهو يقول لك : إنّك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك ، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفرلك ، فقال له دانيال: قد أبلغت يا نبيّ الله، فلمّا كان في السحر قام دانيال فناجىٰ(١)، فقال: يا ربّ إنّ داود نبيّك أخبرني عنك أنّني قد عصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي، وأخبرني عنك أنّي إن عصيتك الرابعة لم تغفرلي فوعزّتك لئن لم تعصمني لأعصينّك ثمّ لأعصينّك ثمّ لأعصينّك (٢).

وعلىٰ ذلك ماحكي أنّ بعض المحبّين جنىٰ جناية فوبّخه الله بها، ثمّ عاد إليها في وقت آخر، فأوحىٰ الله إلىٰ نبيّ ذلك الزمان أن قل له: إن رجعت إلى تلك الجناية أغضب عليك وتعذّب عليها، فعاد إليها بعدحين ومات فيها. فغسّلوه وكفّنوه ووضعوه على الجنازة، وخافوا أن يصلّوا عليه لما توهّموا أنّه مقطوع عن الربّ، وكانت له ندامة بعد ارتكاب كلّ جناية وكانت تلك الحالة مستورة، فلمّا رفعوا الجنازة جاءت ريح وكشفت عن بعض أكفانه، فوجدوا عليه رقعة مكتوب عليها: هذاعتاب الأحبّاء لاعتاب الأعداء فصلّوا عليه (٣) والله أعلم *.

أيّ: اسم شرط مبتدأ، و«ما» بعدها مزيدة لتأكيد إبهام «أيّ» وشياعها، و«عبد» مجرور بإضافة «أيّ» إليه، وجملة «تاب إليك» الخبر كما هو مختار الأندلسي.

(١) «الف»: فنادى.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٥ - ٤٣٦ ح ١١.

(٣) لم نعثر عليه.

وعائدٌ في ذنْبِهِ وَخطِيئتِه، فإنّي أعُوذُ بكَ أنْ أكُونَ كَذٰلِكَ، فَاجْعَلْ تَوْبَتِي هَذهِ تَوْبَةً لا أَحْتاجُ بَعْدَها إلىٰ تَوْبَةٍ، تَوْبَةً موجبَةٍ لمحْوِ ماسَلَفَ، وَالسَلامَةِ فِيما بَقِيَ.

قال ابن هشام: وهو الصحيح؛ لأنّ اسم الشرط تام وجملة الشرط مشتملة علىٰ ضميره، وإنّما توقّفت الفائدة على الجواب من حيث التعليق فقط لامن حيث الخبرية(١).

وقيل: الخبر هو جملة الجزاء، وهو المشهور؛ لأنّ الفائدة بها تمّت، ولالتزامهم عود ضمير منها علىٰ الأصحّ.

وقيل: الشرط مع جزائه هوالخبر، لصيرورتهما بسبب كلمة الشرط كالجملة الواحدة.

والواو من قوله: «وهو في علم الغيب»: حاليّة، والجملة في محلّ نصب على الحال.

و«في علم الغيب»: متعلّق بفاسخ، وعندك بدل منه، ويجوز أن يكون حالاً من العلم، ولا مانع من جعل كلّ من الظرفين صفة لفاسخ صارت حالاً بتقدّمها.

والغيب: إمّا مصدر وصف به الغائب مبالغة، كالشهادة في قوله تعالى: «عالِمُ الغيْبِ وَالشَّهادَةِ»(٢)، أو فيعل خفّف كميّت وميت وهيّن وهين.

قيل: ولم يستعمل فيه الأصل كما استعمل في نظائره.

وايّاً ماكان فهو ماغاب عن الحسّ والعقل غيبة كاملة، بحيث لايدرك بواحد منهما ابتداءً بطريق البداهة. وهو قسمان:

قسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوّات ومتعلّقاتها واليوم الآخر وأحواله.

---

(١) مغني اللبيب: ص٦٠٨.

(٢) سورة الانعام: الآية ٧٣.

....

وقسم لا دليل عليه، وهوالذي أُريد بقوله سبحانه: «وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغيبِ لايَعْلَمُها إلّا هُوَ»(١)، وهو المراد هنا، ولذلك قيّده بقوله: عندك .

وفسخ البيع والعهد فسخاً ـ من باب نفع ـ: نقضه.

واللام من قوله: «لتوبته»: للتقوية، فلك أن تقول: تتعلّق ولك أن تقول: لاتتعلّق.

وعدّى عائد بـ «في» وحقّه أن يعدّى بـ «إلى» لتضمينه معنى الدخول، كما في قوله تعالى: «أوْ لَتَعُودُنّ في مِلَّتِنا»(٢).

وعطف الخطيئة على الذنب من باب عطف الشيء على مرادفه، نحو: «إنّما أشْكُوبَثّي وَحُزني إلى اللهِ»(٣) و«اولئكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبهِمْ وَرَحْمَةٌ»(٤).

والفاء من قوله: «فإنّي»: رابطة لجواب الشرط لكونه جملة اسميّة.

وأن: مصدريّة، وهي مع مسبوكها في محلّ جرّ بـ «من» محذوفة، والتقدير: أعوذ بك من أن أكون، وحذف الجارّ مطرد مع أن وان و بعضهم يقول: إن نحوذلك منصوب بنزع الخافض، ورجّحه الرضي بضعف حرف الجرّ من أن يعمل مضمراً(٥)، والأوّل هو راي سيبويه (٦).

وكذلك: إشارة إلى العبد المتّصف بالصفات المذكورة. وهو نائب عن الضمير الرابط لجواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء، والأصل أن أكون مثله. وإيثار الإشارة باعتبار اتّصافه بما ذكر من الصفات الشنيعة المميّزة له عمّا عداه أكمل تمييز، بحيث صار كأنّه حاضر مشاهد على ماهو عليه. ومافيها من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في الخذلان وسوء الحال.

(١) سورة الانعام: الآية ٥٩.
(٢) سورة الاعراف: الآية ٨٨.
(٣) سورة يوسف: الآية ٨٦.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٧.
(٥) و(٦) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص ٢٦٣.

....

والفاء من قوله: «فاجعل»: سببيّة.

وجعل: بمعنى صيّر، والمنصوبان بعده مفعولان.

وجملة «لاأحتاج»: في محلّ نصب صفة لتوبة، و- ثاني مفعولي اجعل.

وتوبة الثانية بدل من الأُولى بدل(١) كلّ، أو عطف بيان عند من يرى انّه يكون بلفظ الأوّل وهم الجمهور، خلافاً لابن الطراوة وابن مالك(٢).

وموجبة: من أوجبت الشيء إيجاباً: إذا جعلته واجباً أي: لازماً، ومنه: «موجبات رحمتك»(٣).

ومحو ماسلف: أي مضى من الذنوب، والمراد بمحوه: إمّا العفو والتجاوز عنه، أو محوه وإزالته من ديوان الحفظة الذين كتبوه عند صدوره منه.

والسلامة: الخلوص من الآفات، والمراد: السلامة من الذنوب فيما بقي من العمر.

ومدار هذا الفصل من الدعاء على سؤاله عليه السّلام الثبات علىٰ توبته، وحسم أسباب نقضها، وجعل توبته مانعة من العود إلى ذنب بعدها، كافية في العفو عمّا سلف منه، واقية باجتناب مايجب الاجتناب عنه، ولا ريب في أنّ التوبة إذا كانت بهذه المثابة كانت أنجح وأنصح، كما يدلّ عليه مارواه ثقة الإسلام بسنده عن أبي عبدالله عليه السّلام أنه قال: إنّ الله يحبّ العبد المفتن التوّاب ومن لايكون ذلك منه كان أفضل(٤).

قال الزمخشري في الفائق: المفتن: الممتحن الذي فتن كثيراً (٥).

وقال ابن الأثير في النهاية: ومنه الحديث: المؤمن خلق مفتتناتوّاباً، أي: ممتحناً

---

(١) «الف»: من كلّ.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٥٣.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٥ ح ٩، وفيه: لم يكن ذلك

(٥) الفائق في غريب الحديث: ج ٣ ص ١٥٠.

أَللّهُمَّ إنّي أعْتَذِرُ إلَيْكَ مِنْ جَهْلِي، وأسْتَوْهِبُكَ سُوءَ فِعْلي، فَاضمُمْني إلىٰ كَنَفِ رَحْمَتِكَ تَطوُّلاً، واستُرْني بِستْرِ عافيتِكَ تَفضُّلاً.

يمتحنه الله بالذنب ثمّ يتوب ثمّ يعود ثمّ يتوب(١).

تنبيه:

قد يستفاد من قوله عليه السّلام: «فاجعل توبتي هذه توبة لاأحتاج بعدها إلى توبة» عدم وجوب تجديد التوبة عند تذكّر الذنب، خلافاً لمن ذهب إلى أنّ المتذكّر للذنب كالمقارف له فيجب عليه تجديد التوبة.

قال الآمدي: يدلّ علىٰ بطلان ذلك أنّا نعلم بالضرورة أنّ الصحابة ومن أسلم بعد كفره كانوا يتذكّرون ماكانوا عليه في الجاهليّة من الكفر، ولم يجب عليهم تجديد الإسلام ولا أُمروا بذلك، وكذلك في كلّ ذنب وقعت التوبة عنه(٢)، والله أعلم.

اعتذر من ذنبه: تنصّل، واعتذر إليه: طلب معذرته أي: رفع اللوم عنه، وقيل: الاعتذار: محو أثر الذنب.

وقال الراغب: المعتذر: هوالمظهر لما يمحوبه الذنب، وجميع المعاذير لا تنفكّ من ثلاثة أوجه. إمّا أنّ يقول: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا فيبيّن مايخرجه عن كونه ذنبا، أو يقول: فعلت ولا أعود، فمن أنكر وبين كذب مانسب إليه فقد برئت ساحته، وإن فعل وجحد فقد يعدّ التغابي عنه كرماً، وإيّاه قصد الشاعر بقوله:

تغابىٰ ومابك من غفلة لفرط الحياء وفرط الكرم

ومن أقرّ فقد استوجب العفو لحسن ظنّه بك، وإن قال: فعلت ولا أعود فهذا هو

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص ٤١٠.

(٢) لم نعثر عليه.

....

التوبة(١)، انتهىٰ.

إذا عرفت ذلك فقوله عليه السلام: «أعتذر إليك» معناه: امّا طلب العذر أي: رفع اللوم، من قولهم: عذرته فيما صنع عذراً ـ من باب ضرب ـ: رفعت عنه اللوم فهو معذور أي: غير ملوم، والاسم العذر بالضمّ والمعذرة، أو طلب عفو الذنب بإظهار مايوجبه من الإقرار، أو التوبة على مابيّنه الراغب.

والمراد بالجهل هنا: مايدعو الى ارتكاب الذنب وهو عدم التفكّر في العاقبة، وسمّي جهلاً من حيث عدم استعمال صاحبه ما معه من العلم بالعقاب والثواب، فكأنّه الجهل الذي هو عدم العلم، وبذلك فسّر قوله تعالى: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ علىٰ اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ »(٢).

قال أكثر المفسّرين: كلّ من عصىٰ الله فهو جاهل وفعله جهالة.

وقال قتادة: اجتمع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله فرأوا أنّ كلّ ذنب أصابه العبد فهو بجهالة عمداً كان أو خطأ(٣).

وقال أمين الإسلام الطبرسي: وهذا المعنى هو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام، فإنّه قال: كلّ ذنب عمله عبد وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه، فقد حكىٰ الله سبحانه قول يوسف في إخوته: «هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون»، فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله(٤)، إنتهىٰ.

وقد تقدّم الكلام على هذه المسألة فيما سبق في الروضة السادسة عشر مستوفى، فليرجع إليه.

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة: ١٧١، وفيه: فصل الكرم.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧.

(٣) و(٤) مجمع البيان: ج٣ـ ٤ ص٢٢.

....

واستوهبته الشيء: سألته هبته أي: إعطاء بلاعوض.

والسوء بالضمّ: اسم من ساء الشيء يسوء: إذا قبح، أو من ساءه سوءه: إذا فعل به مايكرهه. والغرض سؤال عفوه تعالى عن قبيح الفعل أو مكروهه من غير استحقاق كما يدلّ عليه لفظ الاستيهاب. وضممت الشيء إلى الشيء: قبضته إليه وجمعته به، يقال: ضممته إلى صدري إذا ألصقته به.

والكنف بفتحتين: الجانب والناحية.

وفي القاموس: أنت في كنف الله تعالى محرّكة: في حرزه (١) وستره، وهو الجانب والظلّ والناحية.

وفي شرح جامع الأُصول: كنف الإنسان: ظلّه وحماه الذي يأوي إليه الخائف(٢).

والكلام استعارة تمثيليّة أو(٣) تصريحيّة. ويحتمل أن يكون الكنف في عبارة الدعاء بمعنى الجناح؛ فإنّ جناح الطائر يسمّى كنفاً، ويؤيّد هذا الاحتمال قوله: «فاضممني»، كما قال تعالى: «وأَضْمُمْ يَدَكَ إلى جناحِكَ»(٤)، أي: أدخلها تحت عضدك ، فيكون المعنى: أدخلني تحت جناح رحمتك ، وهو أيضاً تمثيل او استعارة تصريحيّة. وتطوّلاً: أي امتناناً أو تفضّلاً.

قال الزمخشري في الأساس: هو ذو طول عليّ: ذومنّة، وقد تطوّل عليّ بذلك(٥).

وفي القاموس: تطوّل عليهم: امتنّ(٦).

وقال الفارابي في ديوان الأدب: تطوّل عليه بكذا أي: تفضّل(٧) وستره تعالى:

---

(١) القاموس المحيط: ج٣ ص١٩٢.

(٢) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٣) «الف» و.

(٤) سورة طه: الآية ٢٢.

(٥) أساس البلاغة: ص٣٩٩.

(٦) القاموس المحيط: ج٤ ص٩.

(٧) ديوان الأدب: ج٣ ص٤٥٦.

ألـلّهُمَّ وَإنّي أتُـوبُ إلـيْكَ مِنْ كُلِّ مـاخـالفَ إرادتَكَ ، أو أزالَ عنْ

عبارة عـن عدم كشـف مـقابـح العـبد وسوء آثـاره من الـذنوب والمعاصي في الـدنيا والآخرة.

روى ثقة الإسلام في الصحيح عـن أبي عبدالله عليه السّلام أنـه قال: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملـكيه ما كـتبا عليه مـن الذنوب، ويوحي إلى جوارحه اكتمي ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض اكـتمي ما كان يـعمل عليـه من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب(١).

قال بعض اصحابنا: المـراد بكتمان الجوارح وبقـاع الأرض ذنوبه: إمّا نسيانهما كما في الملكين، أو عدم الشهادة بها، والأول أظـهر (٢) ويؤيّده ماروي من طريق العامّة: أنّه تعالى ينسي أيضاً جوارحه وبقاع الأرض ذنوبه(٣).

والمراد بعافيته سبحانه: دفعه عن جميع المكروهات في الظاهر والباطن والدين والـدنيـا والآخرة، وهـي مصـدر جـاءت على فـاعلـة، من عـافاه الله: إذا دفـع عـنه مايكرهه، ومـثلها الخـاتمـة بمعنـى الختم، والكاذبة بمعنى الـكذب، والكاشفة بمعنى الكشف.

وتفضّلاً: أي: من غير استحقاق حقيقة التفضّل إعطاء الفضل وهو الزيادة، ثمّ استعمل في الإحسان من غير جزاء، وقد بسطنا الكلام عليه فيما سبق.

ونصـب تطوّلاً وتفضّلاً يحتمـل المصدريـة والحاليّة والمـفعول لأجله، وقد مرّ نظير ذلك مراراً، والله أعلم *.

خالفته مخالفةً وخلافاً وتخالف القوم واختلفوا: إذا ذهب كلّ واحد إلى خلاف ماذهب إليه الآخر، والاسم الخلف بالضمّ والمراد بإرادته تعالى هنا: رضاه.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٠ - ٤٣١ ح ١، وفيه: اكتمي عليه ذنوبه.

(٢) و(٣) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج ١٠ ص ١٥٠.

مَحَبتِكَ مِنْ خَطراتِ قَلْبي، ولَحَظاتِ عَيْني، وحِكاياتِ لِساني، تَوْبَةً تَسْلَمَ بِها كلّ جارِحَةٍ عَلىٰ حِيالِها مِنْ تَبِعاتِكَ، وَتأمَنُ مِمّا يَخافُ المُعْتَدُونَ مِنْ أليمِ سَطَواتِكَ.

وأزلت الشيء عن موضعه إزالةً: نحّيته عنه.

ومحبّته تعالى(١) للعبد: إرادته لثوابه وتكميله والإحسان إليه، ولعمله: إرادته لوقوعه منه على نهج الصواب.

و «أو»: لأحد الأمرين، والعموم إنّما جاء من النفي الذي تضمّنه معنىٰ أتوب، كأنّه قيل: لاأفعل كلّ واحد منهما، كما قيل في قوله تعالىٰ: «وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أوْ كَفُوراً»(٢) أي: لا تطع واحداً منهما.

وذكر الزمخشري لـ «أو» في هذا المقام وجهين آخرين يمكن توجيه عبارة الدعاء بهما: أحدهما: أنّ «أو» في أصلها لتساوي شيئين فصاعداً في الشكّ، ثمّ اتّسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك، وذلك كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، تريد أنّهما سيّان في استصواب أن يجالسا، ومنه قوله تعالى: «وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أو كَفُوراً» أي: الاثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما(٣)، إنتهىٰ.

فكذلك قوله عليه السّلام: «أو أزال عن محبتّك» معناه: أتوب من كلّ ما خالف أو أزال، فهما متساويان في وجوب التوبة منهما، فعن أيّهما تبت فواجب، وإن تبت عنهما جميعاً فكذلك.

الثاني: أن «أو» باقية على حقيقتها، والمعيّة إنّما جاءت من دلالة النصّ، وهي المسمّاة بمفهوم الموافقة، فإنّ الناهي في نحو: «وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أوْ كَفُوراً» عن طاعة أحدهما، يكون عن طاعتهما جميعاً أنهىٰ، كما إذا نهىٰ أن يقول لأبويه: أُفّ،

---

(١) «الف» سبحانه.

(٢) سورة الانسان: الآية ٢٤.

(٣) تفسير الكشاف: ج١ ص٨١.

....

علم أنّه منهيّ عن ضربهما على طريق الأولىٰ،(١) انتهىٰ.

وكذلك هنا؛ فإنّ التائب عن أحد الأمرين المذكورين يكون عنهما جميعاً أولىٰ بالتوبة، فاحفظ ذلك فإنّ نظير هذه العبارة في الصحيفة الشريفة كثير، وهذه الوجوه جارية فيها، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «من خطرات قلبي» «من» بيانيّة.

والخطرات: جمع خطرة، وهي مايخطر ويرد علىٰ القلب ممّا ليس للعبد فيه تعمّل ويسمّىٰ الخاطر. قال بعض العلماء: وهو علىٰ أربعة أقسام:

ربّاني، وهو اوّل الخواطر، وهو لايخطئ أبداً، وقد يعرف بالقوّة والتسلّط وعدم الاندفاع بالدفع.

وملكي، وهو الباعث علىٰ مندوب أو مفروض، وبالجملة: كلّ مافيه صلاح، ويسمّىٰ إلهاماً.

ونفساني، وهو مافيه حظّ للنفس، ويسمّىٰ هاجساً.

وشيطاني، وهو مايدعو إلىٰ مخالفة الحقّ، قال الله تعالى: «الشَّيْطانُ يَعِدُكُمْ الفَقْرَ وَيامُرُكُمْ بِالفَحْشاءِ»(٢).

وقال النبي صلّى الله عليه وآله: لمّة الشيطان تكذيب بالحقّ وإيعاد بالشرّ(٣)، ويسمّىٰ وسواساً.

ويعتبر بميزان الشرع فما فيه قربة فهو من الأوّلين، ومافيه كراهة أو مخالفة شرعاً فهو من الآخرين، ويشتبه في المباحات، فما هو أقرب إلى مخالفة النفس فهو من

(١) لم نعثر عليه.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

(٣) الجامع الصغير: ج ١ ص ٩٥، نهج الفصاحة: ص ١٧٨ ح ٨٨٣، وفيهما: فأمّا لمّة الشيطان فإيعاد بالشرّ وتكذيب بالحق.

....

الأوّلين، وما هو أقرب إلى الهوى وموافقة النفس فهو من الآخرين، والصادق الصافي القلب الحاضر مع الحقّ سهل عليه الفرق بينهما بتيسير الله وتوفيقه.

قال بعض المحقّقين: خطرات القلب التي لا يشعر بتفصيلها إذا خالفت أوامر الله تعالى، قد تستتبع حركة بعض الجوارح إلى فعل خارج عن حدود الله أيضاً، وذلك وإن كان لا يوجب أثراً في النفس ولا يؤاخذ به، إلّا أنّه ربّما يقوى بقوّة أسبابه وكثرتها، فيقطع العبد عن سلوك سبيل الله، كما في حقّ المنهمكين في لذّات الدنيا المتجرّدين لها، فإنّ أحدهم ربّما رام التشبّه بمن يصلّي الفرض فيصلّي الصلاة الواحدة مرّتين أو مراراً ولا يستثبت عدد ركعاتها وسجداتها، والتوبة والاستغفار عن مثل ذلك يجذب العبد عن الأسباب الموجبة له.

ولحظات العين: جمع لحظة وهي المرّة، من لحظه ولحظ إليه لحظاً -من باب نفع- أي: رآه.

وقيل: هو النظر بمؤخر العينين عن يمين ويسار.

والمراد بها: ما كان خارجاً عن حدود الشريعة كالنظر إلى غير محرم، وكالإشارة باللحظ إلى شخص ليعاب أو ليضحك منه أو ليظلم، وكلّ تلك عن خواطر شيطانيّة مخالفة لرضا الله تعالى ومحبّته.

وحكايات اللسان: جمع حكاية، من حكىٰ عنه الحديث حكايةً: أي نقله. والمراد بها: ما تجاوز من القول حدود الله، وخرج به الإنسان عن مستقيم صراطه، فإنّه ممّا يخالف رضاه تعالى ويزيل عن محبّته، فينبغي الإقلاع والتوبة عن مثل ذلك كلّه قبل تمكّنه من النفس وتدنّس جوهرها به.

وتوبة: مفعول مطلق مبيّن لنوع عامله.

وتسلم: أي تخلص من الآفاق.

والجارحة: واحدة الجوارح، وهي الأعضاء التي يعمل بها.

أَللّٰهُمَّ فَارْحَمْ وَحْدَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، ووَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خشيتِكَ

وعلىٰ حيالها بالكسر: أي بانفرادها.

قال الفيومي في المصباح: فعلت كلّ شيء على حياله أي: بانفراده(١).

ومن تبعاتك: ظرف لغو متعلّق بـ «تسلم». وتبعاته تعالىٰ: عبارة عن الأعمال السيّئة التي تكسب الآثام وتوجب معاقبته تعالىٰ عليها.

قال ابن سيده في محكم اللغة: التبعة والتباعة: مافيه إثم يتبع به(٢).

والأمن: عدم توقّع مكروه في الزمان الآتي.

وفي المصباح: أمن زيد الأسد أمناً وأمن منه: مثل سلم وزناً ومعنى، والأصل أن يستعمل في سكون القلب(٣).

والمعتدون: المتجاوزون لحدود الله سبحانه.

وأليم سطواتك: أي مؤلمها.

وقيل: إنّ فعيلاً بمعنىٰ مفعل غير ثابت؛ ولذلك قال الزمخشري: يقال: ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع، ووصف العذاب به نحو قوله:

* تحيّة بينهم ضرب وجيع *

وعلى طريقة جدّجدّه، والألم في الحقيقة للمؤلم والجدّ للجادّ(٤)، انتهىٰ.

والسطوات: جمع سطوة، من سطا عليه وسطا به يسطو سطواً وسطوةً: أي صال عليه وقهره وأذلّه، وهو البطش والأخذ بعنف وشدّة، والله أعلم *.

الفاء: للترتيب في الذكر.

ووحدتي: اي انفرادي،يقال: وحد بالضمّ وحادةً ووحدةً أي: انفرد بنفسه فهو وحيد.

(١) المصباح المنير: ص٢١٩.

(٢) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ٤٣.

(٣) المصباح المنير: ص٣٣.

(٤) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٦٠.

وَاضْطِرابَ أَرْكانِـي مِنْ هَيْبَتِكَ ، فَقَدْ أَقامَتْني يا رَبِّ ذُنُوبِي مَقامَ إلخِزْيِ بِفـنائِكَ ، فإنْ سَكَـتُّ لَـمْ يَـنْطِقْ عَنّي أحَدٌ، وإنْ شَـفَـعْتُ فَلَسْتُ بِأهْلِ الشَفاعَةِ.

وبين يديك : أي تجاهك ، والكلام تمثيل كما مرّ مراراً.

ووجب القلب وجباً ووجيباً: رجف وخفق.

والاضطراب: التحرّك ، وأصله اضطراب إلّا أنّ تاء الافتعال إذا تلت الضاد قلبت طاء.

قال الفارابي في ديوان الأدب: وذلك أنّ التـاء لأنّ مخرجها، فلم توافق الضاد لشدّة مخرجها، فابدلت طاء لأنّ الطاء شديدة المخرج فاتفقتا، وكان ذلك أعذب في اللفظ وأخفّ على اللسان، والعرب تميل عن الذي يلزم كلامها الجفاء إلى مايلين حواشيه ويرقّها وقد نزّه الله لسانها عمّا يجفيه(١) انتهى.

والأركان: جمع ركن، وهوالجانب القوي من كلّ شيء، والمراد بها هنا: الأعضاء القويّة لاستناد البدن إليها.

قال ابن الأثير في النهاية: في حديث الحساب: ويقال لأركانه انطقي، أي: جوارحه، وأركان كلّ شيءجوانبه التي يستند إليها ويقوم بها(٢).

والخشية والهيبة في اللغة: بمعنى الخوف. وفرّق بعض العلماء بينهما فقال: الخوف: توقّع مكروه عن أمارة، والخشية: خوف يشوبه تعظيم المخشي مع المعرفة به؛ ولذلك قال تعالى: «مَنْ خشي الرحمن بِالغَيْبِ»(٣)، وقال: «إنّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ»(٤)، والهيبة: خوف داع للخضوع مع(٥) استشعار تعظيم؛ ولذلك يستعمل في كلّ محتشم.

---

(١) ديوان الأدب: ج ٢ ص ٣٩٥.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٢٦٠.

(٣) سورة ق: الآية ٣٣.

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٥) «الف» عن.

....

قال الشاعر:

أهابك إجلالاً ومابك قدرة علـيّ ولكن ملءعين حبيبها

والفاء من قوله: «فقد»: للسببيّة، بمعنىٰ أنّ ما بعدها سبب لما قبلها، كقوله تعالىٰ: «فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ»(١).

والمعنىٰ: إرحم وحدتي إلىٰ آخره بسبب إقامة الذنوب لي مقام الخزي بفنائك.

والخزي: الذلّ والهوان المقارن للندامة والفضيحة، يقال: خزي خزياً ـ من باب علم ـ: ذلّ وهان، وأخزاه الله: أذلّه وأهانه.

والفناء بالكسر والمدّ: ما اتّسع أمام البيت، وقيل: ما امتدّ من جوانبه.

والكلام استعارة تمثيليّة، مثّل حاله وقد استشعر ذنوبه حال مراقبة الله تعالى، بحال مذنب أقيم مهيناً بفناء ملك جبّار يخشىٰ نقمته ويخاف سطوته.

وقد أرشد عليه السّلام بهذه الفقرات إلى أنّ من الواجب على المذنب دوام الانكسار وملازمة التضرّع والاستغفار، واستشعار الوجل إلى الأجل. وبحقّ ما قيل: إنّ التوبة ذوبان الحشاء لما كان عن الفحشاء.

وقال بعضهم: التوبة أن تكون لله وجهاً بلاقفاءحتّى تفنىٰ، كالشمع الذي يضيءمن جميع جهاته ويحترق عن آخره.

وقال آخر: المذنب التائب محتشم مستحي قد غلب الخوف علىٰ قلبه، فيأتي باب مولاه خزيان منكسراً.

وسكت سكوتاً ـ من باب قعد ـ: صمت.

وشفعت في الأمر شفعاً وشفاعة ـ من باب منع ـ: طالبت بوسيلة أو ذمام، قاله الشهاب الفيومي في المصباح المنير(٢).

---

(١) سورة الحجر: الآية ٣٤.

(٢) المصباح المنير: ص٤٣٢.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وشَفِّعْ في خَطاياي كَرَمَكَ، وَعُدْ عَلىٰ سيّئاتي بعفْوك، ولا تجزني جزائي مِنْ عُقوبتِكَ، وَابسُطْ عَلَيَّ طَوْلَكَ، وَجَلّلني بسِتْرِكَ، وافْعَلْ بي فِعْلَ عزيزٍ تَضَرَّعَ إليْهِ عَبْدٌ ذَليلٌ فَرَحِمَهُ، أوْ غنيٍّ تَعرَّضَ لَهُ عَبْدٌ فقيرٌ فَنَعشَهُ.

وخفي على بعضهم هذا المعنىٰ، فقال: كون الإنسان شفيع نفسه من باب التجريد، نحو: رأيت منه أسداً، أو يكون شفعت بمعنىٰ طلبت شفيعاً لاصرت شفيعاً ليكون معنىٰ فلست بأهل الشفاعة: لست أهلاً أن يشفع في أحد، لا لست أهلاً لأنّ تقبل شفاعتي(١)، إنتهىٰ.

وهو ضيّق عطن، والله المستعان *.

شفعت إليه في فلان فشفعني فيه تشفيعاً: أي مضىٰ شفاعتي فيه وقَبلَها. ولفظ «شفع» في الدعاء استعارة تبعيّة، قدّر تشبيه اقتضاء كرمه تعالى للتجاوز عن الخطايا بشفاعة الشافع في استدعاء التجاوز والعفو، ثمّ أدخل اقتضاء الكرم لذلك في جنس الشفاعة بالتأويل المذكور، فاستعار له لفظ الشفاعة، ثمّ اشتقّ منه الفعل، فتكون الاستعارة في المصدر أصليّة وفي الفعل تبعيّة.

ومثل هذه الاستعارة قوله البحتري:

أعزّ لنا من جوده وسماحه ظهير علينا لايخيب وشافع

وعاد علينا فلان بمعروفه يعود عوداً ـ من باب قال ـ: تفضّل وتعطّف، والاسم العائدة، تقول: ماأكثر عائدة فلان على قومه، وإنّه لكثير العوائد عليهم، أي: كثير الإفضال والتعطّف.

والجزاء: المكافاة على الشيء جزاه به وعليه جزاءً. وهو يستعمل في الخير والشرّ، يقال: جزاه الله خيراً وجزاه شرّاً؛ ولذلك بيّنه عليه السّلام بقوله: من

---

(١) لم نعثر عليه.

....

عقوبتك». سأله عليه السّلام أوّلاً معاملته تعالى له بالكرم والفضل، ثمّ سأل عدم معاملته بالعدل؛ ولذلك قال بعضهم: من شهد من نفسه زلّة واحدة فلا يعتمدنّ على شيء من حسناته وإن كثرت وصفت ؛ لأنّ الزلّة مستلزمة للعقوبة بغير شرط، والعفو مقرون بشرط التوبة، والتوبة مقرونة بالقبول، والقبول الى غيره إن شاء قبل وإن شاء ردّ، فله الفضل إذا قبل مع عظيم معصيته وكفران حقّ نعمته، وله العدل إن عاقب بعد الإستحقاق وتقدمة الإعذار والإنذار.

وبسط الله الرزق بسطاً ـ من باب قتل ـ وسّعه وكثّره. والطول بالفتح: الفضل والغنى والسعة.

وجلّلت الشيء: إذا غطّيته. والستر بالكسر: مايستتر به. وهو تمثيل لإخفائه تعالى مساوئ عباده. وفي بعض الأخبار: إذا أُعطي العبد صحيفة أعماله يوم القيامة يجد تحت كلّ سيّئة مكتوبة: تاب باهراً بنوره ظلمة السيّئة، فربّما أتى العبد على عظيمة كان اقترفها يشقّ عليه النظر إليها، فتدركه رحمة ربّه فتستر عليه تلك العظيمة، ويقال له: جاوزها؛ لأنّه كان قد دعاه أيّام الحياة في الدنيا: ياعظيم العفو يا حسن التجاوز، فإذا انتهى إلى آخرها غفر له مافيها وستر عليه، فيصير جميع ما فيها بياضاً ونوراً؛ لأنّ حسنة التوبة قد علته وأذهبته، فينظر الخلق إلى صحيفة حسناته، فيقولون: طوبىٰ لهذا العبد لم يذنب قطّ ذنباً، فعند ذلك يقول: «هاؤم أقرءوا كتابيه * إنّي ظَننتُ أنّي مُلاقٍ حِسابيه * فَهُوفي عِيشة راضيةٍ * في جَنّةٍ عالية»(١).

قوله عليه السّلام: «وافعل بي فعل عزيز» إلى آخره أصله إفعل بي فعلاً مثل فعل عزيز، فحذف الموصوف؛ ثمّ حذف المضاف من الصفة، وأناب المضاف إليه مناب الموصوف، على حدّ قولهم في ضربته ضرب الأمير.

(١) لم نعثر عليه.

....

والعزيز فعيل من العزّة، وهي الرفعة والامتناع والشدّة والقوّة والغلبة.

وقال الراغب: العزيز: الذي يأبىٰ تحمّل المذلّة(١).

واشتقاقه من العزاز وهو الأرض الصلبة الشديدة، كأنّه حصل في عزاز لا يلحقه فيه ذلّ ولا غضاضة.

وقيل: العزيز: الكريم، يقال: عززت عليه أي: كرمت. وفرّق بعضهم بين العزيز والكريم، فقال: العزيز يأبىٰ أن يقضىٰ عليه، والكريم يأبى أن يقضى له.

وتضرّع له: ذلّ وخضع، وعدّاه بـ «إلى» لتضمينه معنى الالتجاء. والغنيّ: ذو الغنا، وهو عدم الحاجة.

وتعرّض له: تصدّىٰ، ومنه: تعرّضوا لنفحات الله(٢).

وفي تعرّض وتضرّع جناس التصريف، وهو ما كان أحد ركنيه مخالفاً لترتيب الآخر ببعض حروفه.

ونعشه نعشاً ـ من باب منع ـ جبره بعد فقر.

وفي المحكم: نعشه الله وأنعشه: سدّ فقره(٣).

و«أو» من قوله: «أوغني»: مستعارة للتساوي في غير الشكّ، كأنّه قال: إفعل بي فعل هذا أو فعل ذاك فهما متساويان في الحسن.

واعلم أنّ العزيز والغني من قوله عليه السّلام: «فعل عزيز» «أو غني» كناية عن الله سبحانه؛ لاختصاص العزّة والغنىٰ على الإطلاق به تعالى، كأنّه قال: إفعل بي فعلك إذا تضرّع إليك عبد ذليل فرحمته، أو فعلك إذا تعرّض لك عبد فقير فنعشته، فحذف الضمير ووضع الظاهر موضعه ليجري عليه الصفتين المذكورتين،

---

(١) لم نتحققه.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص٩٠.

(٣) المحكم في اللغة ج١ ص٢٣١.

أَللّهُمَّ لاخَفِيرَ لِي مِنْكَ فَلْيَخْفُرْنِي عِزُّكَ ، وَلا شَفِيعَ لِي إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلُكَ ، وَقَدْ أَوْجَلَتْنِي خَطايايَ فَلْيُؤْمِنّي عَفْوُكَ .

ويتمكّن من المقابلة بين العزيز والذليل والغني والفقير، فإن شئت جعلت ذلك من باب الكناية المطلقة، فيكون مثل قولك: جاء المضياف وأنت تريد زيداً لشهرته بذلك، ولكونه كاللازم له تركت ذكر زيد وذكرت لازمه لينتقل الذهن منه إليه، كما هو شأن الكناية، وإن شئت جعلته من باب التجريد على سبيل الكناية إمّا بتقدير من التجريدية والتقدير: إفعل بي فعل عزيز منك أوغني منك، أو من قسم مادلّ عليه السياق كقوله.

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم

فإن السياق دلّ على أنّ المراد بالكريم نفسه، ولو قدّرت «من» هنا صحّ ونظير ذلك من التنزيل قوله تعالى: «وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبيرٍ»(١)، وقوله تعالى: «فاسْأَلْ به خَبيراً»(٢)، فإنّ المراد بالخبير فيهما: هو الله سبحانه، ومثله قوله تعالى: «فَأخذْناهُمْ أخْذَ عزيزٍ مقتدر»(٣)؛ إذلا عزيز مقتدر سواه جلّ شانه.

ومن توّهم أنّ المراد بالعزيز والغني في عبارة الدعاء غيره تعالى، وأنّه سأل عليه السلام أن يكون فعله به مثل فعلهما، فقد أخطأ من كلّ وجه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيرا *.

خفرت الرجل أخفره خفراً ـ من باب ضرب ـ وفي لغة من باب قتل: حميته وأجرته من طالب فأنا خفير، والاسم الخفارة بضمّ الخاء وكسرها.

والظرف من قوله: «لي» مستقرّه، وهو خبر اسم «لا». ومنهم من يقول: عامله المحذوف هوالخبر، والتقدير: لاخفير كائن أو حاصل لي. لكن قال التفتازاني في شرح الكشاف: الظرف إذا كان عامله معنى الحصول والاستقرار ـ ويسمّى

(١) سورة فاطر: الآية ١٤.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٥٩.
(٣) سورة القمر: الآية ٤٢.

....

المستقر- كان خبراً ولايقال: إنّ الخبر محذوف ولايحتاج الى قرينة(١)

وقوله: «منك»: متعلّق بمحذوف، والتقدير: ولاخفير لي خفير منك، فحذف عامله لذكر مثله، وحسنه رفع التكرار ولاتتوّهم أنّه متعلّق بخفير المذكور؛ لأنّه لوكان متعلّقاً به وجب تنوينه، والروايات(٢) إنّما جاءت بغير تنوين.

وأمّا قول بعض الطلبة: «خفير» اسم «لا» بني معها على الفتح، و«لي» و«منك» متعلّقان به، فهو جهل صريح.

واللام من قوله: «فليخفرني»: طلبيّة عاملة للجزم، وإسكانها بعد الواو والفاء أكثر من تحريكها؛ نحو: «وَلْيُؤْمِنُوا بِي»(٣)، «فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي»(٤)، وكذلك وردت الرواية في الدعاء.

وعزّه تعالى: عبارة عن غلبته وقهره، فيقال: عزّه يعزّه عزّاً: إذا غلبه وقهره، ومنه: «وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ»(٥) أي: غلبني، وفي المثل: من عزّبزّ، أيّ: من غلب سلب(٦).

ولمّا كانت الخفارة لايقوم بها إلّا الغالب القاهر سأل عليه السّلام أن يخفره عزّه تعالى.

والشفيع: الشافع، وشفعت إلى فلان لفلان: سألته أن يتجاوز عن ذنبه.

والفضل: الإحسان.

ووجل وجلاً- من باب تعب- خاف، ويتعدّى بالهمزة فيقال: أوجله.

وآمنه: أذهب خوفه.

وعفى الله عنه عفواً: محا ذنوبه.

---

(١) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٢) «الف» الرواية.

(٣) و(٤) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٥) سورة ص: الآية ٢٣.

(٦) المفردات في غريب القرآن: ص ٣٣٣.

فَما كُلُّ ما نَطَقْتُ بِهِ عَنْ جَـهْلٍ مِنّي بِسُوءِ أثَري، ولانِسْيان لِماسَبَقَ مِنْ ذمِيمِ فِعْلي، لكنْ لِتَسْمَعَ سَماؤُكَ وَمَنْ فِيها، وَأرْضُكَ وَمَنْ عَلَيْها، ما أظْهَرْتُ لَكَ مِنَ النَدَمِ، وَلَجأتُ إلَيْكَ فِيهِ مِنَ التَوْبَة، فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَرْحَمُني لِسُوءِ مَوقِفي، أوْ تُدْرِكُهُ الرِقَّةُ عَلَيَّ لِسُوءِ حالي، فَيَنالَني مِنْهُ بِدَعْوةٍ هِيَ أسْمَعُ لَديكَ مِنْ دُعائي، أوْ شَفاعَةٍ أوْ كَدَعِنْدكَ مِنْ شَفاعَتي، تكُونَ بِها نَجاتي مِنْ غَضَبِكَ وفوْزَتي بِرِضاك .

ومدار هذا الفصل من الدعاء على الفرار من الله إلى الله والإقبال عليه،وتوجيه وجه النفس إلى كعبة وجوب وجوده تعالى، وقد تقدّم الكلام على ذلك مبسوطاً *.

الفاء: فصيحة، أي: إذا كان حالي على ما وصفت من فقدان الخفير والشفيع وإيجال الخطايا، فما كلّ مانطقت به عن جهل منّي إلى آخره. وذلك أن العبد المراقب لربّه الخائف من ذنبه إذا علم اطلاع الله تعالىٰ عليه، وتحقّق أن لا منجىٰ منه إلّا إليه، امتلأ قلبه هيبة، وانقبضت نفسه حياء، وارتعدت فرائصه رهبة، فاقتضى ذلك أن لايطاوعه لسانه بلفظ ولاجنانه بمعنىٰ ولاجوارحه بحركة، فإن فعل شيئاً من ذلك فعله تكلّفاً وتعاطاه تعسّفاً؛ ولذلك قال بعضهم: ينبغي لمن ذكر ذنباً أن ييبس لسانه على حنكه من خشية الله تعالى.

وفي دعائهم عليهم السلام: اللّهم إنّ كثرة الذنوب تكف أيدينا عن انبساطها إليك بالسؤال، والمداومة على المعاصي تمنعنا من التضرّع والابتهال(١).

فكأنّه عليه السّلام خشي أن ينكر عليه اتّساعه في الكلام بالتوبة، واسترساله في النطق بطلب المغفرة، فأخذ في الاعتذار عن ذلك وبيان الباعث له عليه.

وأمّا ماقيل من أنّ المعنى: أنّ نطقي بما نطقت به لم يكن عن جهل بقبح عملي،

---

(١) مفتاح الفلاح: ص ٢٥٩.

....

فذكرته معتقداً حسنه لفرط جهلي، ولا عن نسيان لما سبق من ذميم فعلي، فذكرت ماذكرت لاعتقادي أنّه حسن، فهو بمعزل عن المقام، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «فما كلّ ما نطقت به» أي: كلّ شيء نطقت به من إظهار الندم والتوبة والإنابة إلى غير ذلك ممّا تقدّم كلّ ذلك بقرينة السياق، فتكون «ما» نكرة موصوفة بالجملة بعدها، ويحتمل أن تكون موصولة؛ لأنّ المراد بها الكلام وهو كالنكرة في المعنىٰ، فتفيد عموم الجزئيّات لا الأجزاء.

فإن قلت: قد نصّ البيانيّون على أنّ «كلاً» حيث وقعت في حيّز النفي، كان النفي موجّها إلى الشمول خاصّة، وأفاد بمفهومه الثبوت لبعض الأفراد، كقوله:

* ماكلّ مايتمنى المرءيدركه *(١).

وعلى هذا فتشكل عبارة الدعاء، لاقتضائه أنّ بعض مانطق به صادرعن جهل ونسيان، حاشاه من ذلك.

قلت: قد صرّح بعض المحقّقين أنّ هذا الحكم أكثريّ لاكليّ فلا إشكال، وعليه قوله تعالى: «إنّ الله لايحبّ كُلَّ مُخْتالٍ فُخورٍ»(٢).

ونطق نطقاً ـ من باب ضرب ـ: تكلّم بصوت وحروف تعرف بها المعاني، والاسم النطق بالضمّ.

والظرف من قوله: «عن جهل» مستقرّ، وهو خبر كلّ، أي: صادرعن جهل كائن منّي والباء من قوله: «بسوء أثري» زائدة قياساً على الفعل.

قال الرضي تزاد الباء قياساً في مفعول علمت وعرفت وجهلت وسمعت وتيقّنت(٣)، انتهىٰ.

(١) مغني اللبيب: ص٢٦٥.
(٢) سورة لقمان: الآية ١٨.
(٣) شرح الكافية في النحو: ج ٢ ص٣٢٨.

....

وعلى هذا فلا متعلّق لها، لأنّ الحرف الزائد لايتعلّق بشيء. وقول بعضهم: إنّها متعلّقة بـ «جهل» جهل.

وسوء أثري: أي قبحه ورداءته.

والأثر: العمل؛ لأنّه يؤثر عن صاحبه أي: ينقل ويروى، أو لأنّ صاحبه يتّسم به، أخذاً من الأثر بمعنى العلامة والسمة، أو لأنّ أثره يبقى في صحائف الأعمال حسناً كان أو قبيحاً، والأثر بقية الشيء.

وقيل: هو العمل الذي يبقى سنّة بعد عامله خيراً كان أو شرّاً. وقد تقدّم بيان ذلك في الروضة السادسة عشرة عند قوله عليه السلام: «بل أنا يا إلهي أكثر ذنوباً وأقبح آثاراً»(١).

والنسيان: الغفلة عن معلوم في حال اليقظة.

والذميم: فعيل بمعنى مفعول، من ذممته أذمّه ذمّاً: خلاف مدحته فهو ذميم، ومذموم: أي غير محمود.

ولكن: حرف ابتداء لمجرد إفادة الاستدراك.

وإسناد السمع إلى السماء والأرض، وعطف من فيها ومن عليها عليهما، ممّا يدلّ على أنّ السمع متصوّر منهما حقيقة؛ إذ لو حمل إسناده إليهما على المجاز، وإلى المعطوف على كلّ منهما على الحقيقة، لزم استعمال اللفظ في المعنى المجازي والحقيقي معاً، وهو ممّا لامساغ له عند المحقّقين. وقد ذهب كثير من أرباب العقل والكشف أن لكلّ موجود حياة وإدراكاً يليق به، وأجمع الطبيعيّون على أنّ الأجرام العلوية ذوات نفوس مجرّدة ناطقة عاقلة بذواتها، ذوات إدراكات كليّة وجزئيّة مطيعة لمبدعها وخالقها، وأكثرهم على أنّ الغاية من حركاتها هو حصول التشبيه بما فوقها إلى أن ينتهي التشبيه

---

(١) ج٣، ص١٤٧.

....

إلى الله جلّ شأنه.

قالوا: والقوى الأرضيّة كلّها كالنفوس الفلكيّة في أنّ الغاية في أفاعليها هو التشبيه بما فوقها إلى أنّ تنتهي سلسلة التشبّهات إلى الغاية القصوى «وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ»(١) . ومن هنا قال بعض أرباب القلوب: لقد أتّصل بالسماء والأرض من لذيذ الخطاب في قوله عزّ شأنّه: «أئتيا طَوْعاً أو كَرْهاً»(٢) من مشاهدة جمال القهر ما طربت له السماء طرباً رقصها، فهي بعد ذلك في ذلك الرقص والنشاط، وغشي به على الأرض لقوّة الوارد، فهي ملقاة مطروحة على البساط، فسريان لذّة القهر هوالذي عبدهما، ومشاهدة لطف الجلال هي التي سلبت أفئدتهما، حتّى قالا قول الوامق ذي الحنين: «أتَيْنا طائعين»(٣).

على أنّه قد ذهب جمع من المفسّرين في هذه الآية، وهي قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»(٤) إلى إجراء الكلام على ظاهره؛ فإنّه ليس بمستبعد من الله إبداع الحياة والفهم في أيّ جسم فرض؛ ولهذا قال: «طائعين» على لفظ جمع المذكر السالم المختصّ بالعقلاء ولم يقل: «طائعات»؛ لأنّ جمع المؤنث السالم لايختصّ بالعقلاء، ووجه الجمع أنّ أقلّ الجمع إثنان، أو لأنّ كلّ واحد منهما سبع، وفي ظاهر كثير من الآيات والروايات ما يشعر بهذا المعنى.

قال شيخنا البهائي قدّس سرّه: ولا استبعاد في ذلك نظراً إلى قدرة الله تعالى، إلّا أنّه لم يثبت بدليل عقلي قاطع يشفي العليل(٥)، أو نقلي ساطع لايقبل التأويل(٦) انتهى.

---

(١) سورة النجم: الآية ٤٢.

(٢) سورة فصلت: الآية ١١.

(٣) و(٤) سورة فصلت: الآية ١١.

(٥) «الف» الغليل.

(٦) الرسالة الهلالية: ص٨.

....

وإنّما قال عليه السلام: «وأرضك ومن عليها» ولم يقل: ومن فيها؛ ليخرج من لا يتصوّر منه السماع وهم الأموات، فإنّهم في الأرض وليسوا عليها، قال تعالى: «وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ»(١). والمراد بسماعهم لذلك: سماعهم له حال اتّصاله بهم، فلا يشكل باستحالته حال الدعا.

و«ما» من قوله: «ما أظهرت لك من الندم»: موصولة، وهي في محلّ نصب مفعولاً به لتسمع، ومن: بيانيّة.

ولجأ إليه لجاءً ولجأً مهموزين ـ من باب نفع وتعب ـ: لاذ به واعتصم، أي: وما لجأت إليك فيه أي: بسببه، كقوله عليه السّلام: إنّ امرأة دخلت النار في هرّة حبستها،(٢) أي: بسببها.

ومن التوبة بيان لها، وقول بعضهم: «من» فيه سببيّة والمعنى: ما لجأت إليك فيه من الذنب بسبب التوبة، تعسّف ظاهر.

والفاء من قوله: «فلعلّ»: سببيّة.

ولعلّ: للترّجي وتختصّ بالممكن.

والباء من قوله: «برحمتك»: «للملابسة متعلّقة بمحذوف حالاً من بعضهم، والعامل في الحال حرف الترجّي لتضمّنه معنى الفعل، والتقدير: لعلّ بعضهم حال كونه ملتبساً برحمتك يرحمني. ويحتمل أن تكون للسببيّة متعلّقة بـ «يرحمني» أي: يرحمني بسبب رحمتك لأجل سوء موقفي؛ إذ كان هو الراحم الحقيقي سبحانه ومن عداه كالواسطة.

وأدركه إدراكاً: لحقه.

والرقّة: مصدر رقّ له قلبي أي: حنّ عليه وأشفق، وهي عبارة عن تأثّر القلب

---

(١) سورة فاطر: الآية ٢٢.

(٢) مسند أحمد: ج ٢ ص ٥٠٧.

....

وانفعاله عن حال الغير أو كيفيّة تتبع التأثّر.

وفي القاموس: الرقّة الرحمة(١).

وفي ناظر عين الغريبين: الرحمة في الإنسان: رقّة القلب ثمّ عطفه، ورحمة الله: عطفه وإحسانه(٢)، انتهى.

وأراد بالعطف البرّ والصلة، وعلى هذا فالرحمة في الإنسان أخصّ من الرقّة.

وقال بعض المترجمين: ينبغي أن يراد بالرحمة في الفقرة الأُولىٰ: الإنعام، لمشاكلة رحمة الله تعالى المراد بها الإنعام، وإن كانت هي في الإنسان بمعنىٰ الرقّة، ليكون قوله: «أو تدركه الرقّة» تأسيساً لا تأكيداً، انتهىٰ بالمعنى.

وفيه: أنّ الرحمه إنّما أُريد بها الإنعام في حقّه تعالىٰ لاستحالة معناها الحقيقي عليه؛ لكونه من الكيفيات المزاجيّة التابعة للتأثّر والانفعال، فأُريد به غايته التي لا تستحيل عليه سبحانه وهي الإحسان والإنعام، وهذا معنىٰ قولهم: إن أسماءه تعالى ـ أي: الألفاظ الدالة على صفات لايمكن اتصافه تعالى بها ـ إنّما تؤخذ باعتبار الغايات دون المبادي، فإطلاق الرحمة مراداً بها الإحسان في صفته جلّ شأنه إمّا على طريقة المجاز المرسل بذكر لفظ السبب وإرادة المسبّب، وإما علىٰ طريقة التمثيل بأن شبّه حاله تعالى بالقياس إلى المرحومين في إيصال الخير إليهم، بحال الملك إذا عطف على رعيّته ورقّ لهم فأصابهم بمعروفه وإنعامه، فاستعير الكلام الموضوع للهيئة الثانية للأُولى. وكلا الطريقتين غير متصورتين فى إطلاق الرحمة مراداً بها الإنعام في الإنسان، إلّا إذا قامت قرينة قاطعة بأن المراد بها ذلك، ولا قرينة هنا أصلا.

فإن قلت: قد أشار إلى القرينة بقوله: لمشاكلة رحمة الله تعالى.

قلت: المشاكلة في عرفهم هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة

---

(١) القاموس المحيط: ج٣ ص٢٣٧. (٢) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

....

مراداً به معناه الأصلي، كالجزاء المذكور بلفظ السيّئة لوقوعه في صحبته من قوله تعالى: «وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها»(١)، فالمراد بالسيّة الثانية: الجزاء لا السيّئة حقيقة، لكونه حقاً فلا يكون سيّئة، لكن لوقوعه في صحبة الأُولى عبّر عنه بالسيّئة، ولا مشاكلة بهذا المعنى في عبارة الدعاء. وكأنه فهم أن معنى المشاكلة التعبير عن الشيء بلفظ غيره مراداً به معنى ذلك الغير لوقوعه في صحبته، وهذا شيء لم يقل به أحد قطعاً، والله الملهم للصواب.

فإن قلت: فهل يكون قوله عليه السّلام: «أو تدركه الرقّة عليّ» تأكيداً لما قبله أو تأسيساً؟

قلت: بل هو تأسيس كما تدلّ عليه «أو» التي لأحد الأمرين، والرحمة والرقّة وإن كانا مترادفين على ما في القاموس(٢)، إلّا أن تعليل كلّ منهما بعلّة أوجب تغايرهما باعتبار باعثهما؛ فإنّه عليه السّلام علّل الرحمة بقوله: «لسوء موقفي»، وإدراك الرقّة بقوله:

«لسوء حالي»، فكانت إحداهما غير الأُخرى؛ لأنّ سوء الموقف عبارة عن وقوفه موقف الخوف والوجل من الانتقام، وسوء الحال عبارة عن اجتراحه المآثم التي أوجبت له سوء الموقف، والله أعلم بمقاصد أوليائه.

قوله عليه السلام: «فينالني منه بدعوة هي أسمع لديك من دعائي» الفاء: سببيّة، واتّفقت نسخ الصحيفة الشريفة علىٰ نصب الفعل بعدها، ونظيره قوله تعالى في قراءة حفص: «لَعَلي أبْلُغُ الأسباب * أَسْبابَ السَّمَواتِ فَأَطَّلِعَ»(٣) بالنصب(٤).

واختلف النحويّون في وجهه، فقال الكوفيّون: هو بـ «أن» مضمرة بعد الفاء وجوباً جواباً للترجيّ

---

(١) سورة الشورىٰ: الآية ٤٠.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ١١٧.

(٣) سورة غافر: الآية ٣٦ و٣٧.

(٤) مجمع البيان: ج ٧ - ٨ ص ٥٢٣.

....

ومنع ذلك البصريّون قاطبة، وقالوا: الترجّي في حكم الواجب فلا ينصب الفعل بعد الفاء جواباً له، وتأوّلوا القراءة المذكورة بأنّ النصب بعدها من العطف على التوهم؛ لأن خبر «لعلّ» كثر في لسان العرب دخول «أن» عليه.

واعترض ابن هشام على الزمشخري في تخريجه قوله تعالى: «فَلا تَجْعَلُوا لله أنداداً»(١)، أنّه يجوز «تجعلوا» منصوباً في جواب الترجيّ أعني «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»(٢)، علىٰ حدّ النصب في قراءة حفص «فأطّلع».

قال: وهذا لايجيزه بصري، ثمّ إنّ ثبت قول الكوفيّين: إنّ جواب الترجّي منصوب كجواب النهي فهو قليل، فكيف تخرّج عليه القراءة المجمع عليها؟(٣) إنتهىٰ.

وهذا الاعتراض بعينه وارد على من خرّج عبارة الدعاء هنا على قول الكوفيّين؛ لأنّ الرواية بالنصب مجمع عليها فيه.

ونلته بخير أناله ـ باب تعب ـ نيلاً: أصبته.

والدعوة: المرة من الدعاء.

وأسمع: أفعل تفضيل يجوز أن يكون للفاعل، وبناؤه من ذي الزيادة قياس عند سيبويه كما تقدّم، ويجوز أن يكون للمفعول كأشهر وأشغل، أي: أشدّ مسموعيّة لديك. ومجيئه للمفعول مقصور علىٰ السماع، فيكون من جملة الألفاظ المسموعة فيه؛ لأنه عليه السّلام أفصح العرب في زمانه، ويكون من الشاذّ الفصيح.

والجملة من قوله: «هي أسمع» في محلّ جرّ صفة لدعوة.

وأو: لأحد الأمرين.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١.

(٣) راجع مغني اللبيب ص ٣٧٩ـ ٣٨٠، أوضح المسالك: ج ٤ ص ١٧٧ـ١٧٩.

....

ولديك: أي عندك، وهي هنا للقرب المعنوي.

وأوكد: أي أقوى وأثبت، من وكد الأمر يكد وكوداً أي: قوي وثبت. وضمّه في الرواية المشهورة على أنّه خبر مبتدأ محذوف دلّ عليه ماقبله، أي: هي أوكد. وأمّا فتحه كما وجد بخطّ الشهيد فهو على أنّ الفتحة فيه نائبة عن الكسرة؛ لأمتناعه من الصرف بالوصفيّة ووزن الفعل؛ إذ هو نعت لشفاعة المجرورة بالعطف على قوله: «بدعوة».

وممّا لايكاد يقضى العجب منه قول بعضهم: نصبه على أنّه خبر يكون محذوفة يدلّ عليها يكون بعدها، والجملة في محلّ خفض نعت لشفاعة، لينال(١) الله الهداية إلى سلوك جادّة الصواب.

والجملة من قوله عليه السّلام: «تكون بها نجاتي من غضبك» إمّا استئنافيّة لامحلّ لها من الإعراب، كأنّه سئل مايكون بتلك الدعوة أو الشفاعة إذا أنلت بها؟ فقال: تكون بها نجاتي.

ووحّد الضمير في «بها» ولم يقل: بهما، لأنّ «أو» لأحد الشيئين، كأنّه قيل: تكون بإحداهما نجاتي، كقوله تعالى: «وَمنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أوْإثماً ثم يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً»(٢)، وقوله تعالى: «وَما أنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أوْ نَذرتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإنَّ الله يَعْلَمُهُ»(٣) «وإذا رَأوْا تِجارَةً أوْ لَهْواً انْفَضُّوا إلَيْها»(٤)، فوحّد الضمير لاتّحاد المرجع بناءً على كون العطف بـ «أو»، لكنّه راعى في الآيتين الأُوليين القرب فأعاد الضمير مذكّراً، وفي الآية الأخيرة الأوّلية فأعاده مؤنّثاً.

وأمّا قوله تعالى: «إنْ يَكُنْ غَنِيّاً أوْ فَقِيراً فالله أوْلى بِهِما»(٥).

---

(١) (الف) فينال.

(٢) سورة النساء: الآية ١١٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٠.

(٤) سورة الجمعة: الآية ١١.

(٥) سورة النساء: الآية ١٣٥.

أَللّهُمَّ إِنْ يَكُنِ النَّدَمُ تَوْبَةً إِلَيْكَ فَأَنا أَنْدَمُ النَّادِمِينَ، وَإِنْ يَكُنِ

فقال الزمخشري في الكشاف: فإن قلت: لم ثنّى الضمير في «اولىٰ بهما» وكان حقّه أن يوحّد؛ لأنّ قوله «إن يكن غنياً أو فقيراً» في معنىٰ إن يكن أحد هذين؟.
قلت: قد رجع الضمير إلى مادلّ عليه قوله:«إن يكن غنيّاً أو فقيراً» لا إلىٰ المذكور؛ فلذلك ثنّى ولم يفرد، هو جنس الغني وجنس الفقير، كأنّه قال: فالله أولىٰ بجنسي الغني والفقير أي بالأغنياء والفقراء(١)، انتهى.
لكن قال صاحب التقريب: فيه نظر؛ لأنّ سؤال التثنية باق؛ إذ التقدير حينئذ إن يكن أحد هذين الجنسين(٢).
وأجاب صاحب الكشف أنّ «أو» غير داخلة على الجنسين حتىٰ يبقىٰ السؤال (٣).
وإمّا نعتيّة، فتكون في محلّ جرّ نعتاً لدعوة أو شفاعة أي: لإحداهما؛ لمكان العطف بـ «أو»، كأنّه قيل: فينالني بواحدة منهما تكون نجاتي بها، ويحتمل احتمالاً مرجوحاً أن يكون نعتاً لشفاعة فقط. والنجاة: الخلاص من الهلاك.
يقال: نجا منه ينجو نجاةً أي: خلص، والاسم النجاء بالفتح والمدّ وقد يقصر.
والفوزة: المرّة من الفوز، وهوالظفر، يقال: فاز بما أمّل يفوز فوزاً أي: ظفر به.
وفي نسخة ابن إدريس رحمه الله: «وفوزي برضاك» من دون تاء، والله أعلم.

ندم ندماً وندامة ـ من باب تعب ـ: إذا فعل شيئاً ثمّ كرهه.
وقيل: الندم: تمنّي الإنسان إن ماوقع منه لم يقع. وفي الحديث: الندم توبة(٤).
وأناب إلى الله إنابةً: رجع إليه بالتوبة عن المعاصي.

---

(١) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٥٧٥.
(٢) لم نعثر عليه.
(٣) لا يوجد لدينا كتابه.
(٤) الصحاح: ج ٥ ص ٢٠٤٠.

التَرْكُ لِمَعْصِيَتِكَ إنابَةً فَأنا أوّلُ المُنيبينَ، وَإنْ يَكُنْ الإسْتِغْفارُ حِطَّةً لِلذُنُوبِ فَإنّي لَكَ مِنَ المُسْتَغْفِرِينَ.

والحطّة بالكسر: فعلة من الحطّ بمعنىٰ الوضع، كالجلسة من الجلوس والركبة من الركوب.

وفي مجمع البيان: حطّة: مصدر مثل ردّة وحدّة من رددت وحددت(١).

قال الخليل: الحطّة: وضع الأحمال عن الدواب(٢).

وقال في الأساس: ومن المجاز: حطّ الله أوزارهم، وحطّ الله وزرك، وقولوا حطّة، استحطّوا أوزاكم(٣).

وفي النهاية: في قوله عليه السلام: من ابتلاه الله في جسده فهو له حطّة، أي: تحطّ عنه خطاياه وذنوبه، وهي فعلة من حطّ الشيء يحطّه: إذا أنزله وألقاه(٤).

فإن قلت: «إن» الشرطيّة تختصّ بالمستقبل المشكوك وقوعه، نحو: إن تكرمني أُكرمك، وكون الندم توبة والترك للمعصية إنابة والاستغفار حطة أمر مجزوم بمقطوع به، فما وجه هذا الشرط؟

قلت: قد نصّ أرباب البيان أنّ الأصل في «إن» الشرطيّة أن لا يجزم بشيء من طرفي الشرط، لكنّها قد تستعمل في مقام الجزم لنكتة.

قال الطيبي في التبيان: قد تستعمل «إن» في الجزم، إمّا للاحتياط كما إذا سئل العبد عن سيّده هل هو في الدار؟ - وهو يعلم أنّه فيها - فيقول: إن كان فيها أُخبرك، فيحتاط بالتجاهل خوفاً من السيّد، وإمّا لتقرير وقوع الجزاء وتحقّقه، نحو قول السلطان لمن هو تحت قهره: إن كنت سلطاناً انتقمت منك(٥)، انتهىٰ ملخّصاً بالمعنى.

---

(١) مجمع البيان: ج ١ - ٢ ص ١١٧.

(٢) العين: ج ٣ ص ١٨، وفيه الحطّ.

(٣) أساس البلاغة ص ١٣١.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٠٢.

(٥) لا يوجد لدينا هذا الكتاب.

أَللّهُمَّ فكَما أَمَرْتَ بِالتَّوْبَةِ وَضَمِنْتَ القَبُولَ، وحَثَثْتَ عَلىٰ الدُعاءِ ووَعَدْتَ الإجابَةَ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَاقْبَلْ تَوْبَتِي، وَلا تَرْجِعْني مَرْجِعَ الخَيْبَةِ مِنْ رَحْمَتِكَ، إنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ عَلىٰ المُذْنِبينَ، والرَّحيمُ لِلْخاطِئينَ المُنيبينَ.

وعبارة الدعاء من هذا الباب، والنكتة فيها إمّا الاحتياط وهو ظاهر، وإمّا تقرير وقوع الجزاء وتحقّقه، حيث علّق ندمه وإنابته واستغفاره بكينونة الندم توبة وترك المعصية إنابة والاستغفار حطّة، وذلك أمر محقّق ثابت بالنصّ والإجماع، فكان المعلّق بها محقّقاً ثابتاً مثلها.

والحاصل: أنّها قضيّة شرطية متّصلة، حكم فيها باتّصال تحقّق التالي بتحقّق المقدّم في نفس الأمر اتّصالاً علىٰ سبيل اللزوم، حتّىٰ إذا تحقّق هذا فيه تحقّق ذاك قطعاً، لكنّ المقدّم متحقّق فالتالي مثله.

وقوله عليه السّلام: «فأنا أوّل المنيبين» عبارة عن مسارعته إلى الأتّصاف بالإنابة من غير توقّف ولا إبطاء، والله أعلم *.

الفاء: لترتيب مضمون الكلام على ماينبئ عنه السياق، من تحقّق توبته وإنابته واستغفاره.

والكاف: إمّا للتعليل عند من أثبتها له، وما: مصدريّة كقوله تعالى: «وَاذْكُرُوهُ كمَا هَداكُم»(١)، والتقديم للقصر، أي: لأجل أمرك بالتوبة وضمانك القبول لالغيره.

قال ابن هشام: وزعم الزمخشري وابن عطيّة وغيرهما أنّ «ما» في الآية كافّة، وفيه إخراج الكاف عمّا ثبت لها من عمل الجرّ لغير مقتض(٢)، إنتهىٰ.

وإمّا للتشبيه بجعله من وضع الخاصّ موضع العامّ، كما تقدّم بيانه غير مرّة،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٨.

(٢) مغني اللبيب: ص ٢٣٤.

....

والتقديم للاهتمام كقوله تعالى: «كَما بَدأكُمْ تَعُودُونَ»(١)، وهي في محلّ نصب على النعت لمصدر محذوف، أي: اقبل توبتي قبولاً مماثلاً لأمرك بالتوبة في كونه إحساناً وتفضّلاً.

و«أل» في القبول والإجابة: إمّا نائبة عن الضمير المضاف إليه، أي: وضمنت قبولها ووعدت إجابته، وذلك عند من يرى نيابة «أل» عن الضمير المضاف إليه، وهم الكوفيّون وبعض البصريّين وكثير من المتأخّرين، وخرّجوا عليه «فإنّ الجنّة هِيَ المأوى»(٢) أي: مأواه، ونسبه بعضهم لسيبويه، فإنّه نصّ على أنّ بدل البعض من الكلّ لابدّ فيه من ضمير، ثمّ فسّر قول العرب: ضرب زيد الظهر والبطن بقوله: ظهره وبطنه.

وإمّا للتعريف فقط عند من لايرىٰ ذلك، فيقدّر «لها» في الأوّل، و«له» في الثاني، أي: وضمنت القبول لها ووعدت الإجابة له، وكذلك قدّرة المانعون في الآية، وقدّروا «منه» في المثال.

والفاء من قوله: «فصلّ» فيها وجهان:

أحدهما: كونها زائدة عند من أثبت أن تكون الفاء زائدة دخولها في الكلام كخروجها، يعني باعتبار اصل المعنىٰ، وإلّا فكلّ زائد يفيد دخوله التأكيد وخروجه يخلّ بهذه الفائدة، فليس دخوله كخروجه بهذا الاعتبار.

ولهذا أجاب بعض العلماء وقد سئل عن معنىٰ التوكيد الذي يفيد الحرف الزائد ولا يوجد مع حذفه، مع انّ حذفه لايخل بمعنى الكلام، فقال: هذا شيء يعرفه أهل الطباع، فيقولون: نجد أنفسنا مع وجود الحرف الزائد على خلاف مانجدها بحذفه، وقال: مثال ذلك مثل العالم بوزن الشعر طبعاً، فإذا انكسر البيت قال: أجد نفسي

---

(١) سورة الاعراف: الآية ٢٩.

(٢) سورة النازعات: الآية ٤١.

....

علىٰ خلاف ماأجدها مع تمامه، لايقدر أنّ يعبّر عمّا يجده باكثره من هذا،فكذلك الحروف المعبّر عنها بالزوائد تتغيّر نفس ذي الطبع السليم عند نقصانها، ويجد نفسه بزيادتها على معنىٰ خلاف مايجدها عند نقصانها، ومن ثمّ أجمعوا على أنّه ليس في القرآن حرف إلّا وله معنىٰ؛ ولذلك سمّى بعضهم الحرف الزائد صلة؛ تفادياً من إطلاق الزائد على شيء من حروف القرآن، وعلىٰ هذا فالكاف على القول بأنّها تعليليّة متعلّقة بـ «صلّ»؛ لأنّ الفاء زائدة لايمتنع عمل ما بعدها فيما قبلها.

الثاني: كونها عاطفة على محذوف عند من لايثبت زيادتها، والتقدير: لأجل أمرك بالتوبة وضمانك القبول وحثّك على الدعاء ووعدك الإجابة تفضّل فصلّ على محمّد وآله واقبل توبتي. وعليه فحرف التعليل متعلّق بالمحذوف لابما بعد الفاء، لئلاّ يلزم عمل ما بعدها فيما قبلها، فقد أجمعوا علىٰ أنّ مابعد واو العطف وفائه وغيرهما من حروف العطف لايعمل فيما قبلها؛ لأنّها دلائل علىٰ أنّ مابعدها من ذيول ماقبلها، فكره وقوع مابعدها قبلها.

وعلىٰ هذاالوجه خرّج البدر الدماميني ماحكاه سيبويه من قولهم: كما أنّه لايعلم فتجاوز الله عنه، فقال: يحتمل أن يقال فيه: ليست «ما» كافّة وإنّما هي مصدريّة، وإنّه لايعلم فاعل ثبت مقدّراً، والفاء عاطفة علىٰ محذوف، أي: لأجل ثبوت عدم علمه سامحه الله فتجاوز عنه، وحرف التعليل متعلّق بالمحذوف لابما بعد الفاء، لئلاّ يلزم تقدّم مابعدها عليها.

قال: وإنّما فعلنا ذلك محافظة على عدم زيادة الفاء؛ لأنّ سيبويه لايرىٰ زيادتها(١)، انتهىٰ بنصه.

ومن الفواقر ماوقع لبعضهم هنا من أنّ الفاء في «فصلّ» رابطة لشبه الجواب

---

(١) لم نعثر عليه.

....

بشبه الشرط، كما في الذي يأتيني فله درهم، فسبحان واهب العقول، وإنّ من كان ذلك مبلغه من علم النحو لجدير أن يقعد مع صغار المتأدّبين، لا أنّ يتصدّىٰ لشرح كلام المعصومين.

قوله عليه السّلام: «ولا ترجعني مرجع الخيبة» يقال: رجع يرجع رجوعاً ـ من باب ضرب ـ: أي انصرف، ويتعدّىٰ بنفسه في اللغة الفصحى، فيقال: رجعته عن الشيء رجعاً ومرجعاً كمعقد ومنزل أي: صرفته ورددته، وبها جاء التنزيل قال تعالى: «فإن رَجَعكَ الله»(١) وهذيل تعدّيه بالألف فتقول: أرجعته.

وخاب يخيب خيبة: لم يظفر بما طلب، وفي المثل: الهيبة خيبة. ومرجع الخيبة مفعول مطلق مبيّن لنوع عامله.

ومن رحمتك: متعلّق به أو بترجعني أو بالخيبة.

والتوّاب ـ من أسمائه تعالى ـ: هو الرجاع على عباده بالمغفرة والذي يكثر إعانتهم على التوبة.

وقال الغزالي في المقصد الأسنى: التوّاب: هوالذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرّة بعد أُخرىٰ، بما يظهر لهم من آياته، ويسوق إليهم من تنبيهاته، ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته، حتى إذا اطّلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب استشعروا الخوف بتخويفه فرجعوا إلى التوبة، فرجع فضل الله إليهم بالقبول(٢)

والرحيم: صفة مشبّهة مبنيّة من رحم بعد جعله لازماً بمنزلة الغرائز بنقله إلى رحم بالضمّ كما هو المشهور.

وقيل: ليس بصفة مشبّهة بل صيغة مبالغة، نصّ عليه سيبويه في قولهم: هو رحيم فلاناً، وقد سبق الكلام على الرحمة في الروضة الأُولىٰ فأغنى عن الإعادة.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٨٣.

(٢) المقصد الأسنى: ص ١٠١.

....

وتأكيد الجملة لغرض كمال قوّة يقينه عليه السّلام بمضمونها، والجملة تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للإجابة.

تنبيه:

المراد بقبول التوبة: إسقاط العقاب المترتب على الذنب الذي تاب منه، وسقوط العقاب بالتوبة ممّا أجمع عليه أهل الإسلام، وإنّما الخلاف في أنّه هل يجب على الله تعالى حتّى لو عاقب بعد التوبة كان ظلماً، أو هو تفضل يفعله سبحانه كرماً منه ورحمة بعباده؟

المعتزلة على الأوّل، والأشاعرة على الثاني، وإليه ذهب الشيخ أبوجعفر الطوسي قدّس الله روحه في كتاب الاقتصاد(١)، والعلامة جمال الملّة والدين في بعض كتبه الكلاميّة(٢)، وتوقّف المحقّق الطوسي طاب تراه في التجريد(٣).

ومختار الشيخين هو الظاهر، ودليل الوجوب مدخول، قاله العلامة البهائي في شرح الأربعين.(٤)

تتمّة

قال بعض أرباب القلوب: التائبون المنيبون على أنواع: تائب يتوب من الذنوب والسيّئات، وتائب يتوب من الزلل والغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات ومشاهدة الطاعات، وعلى هذا سئل بعضهم أيّ الأعمال أرفع ثواباً؟ فأنشد:

إذا محاسني اللاتي ادل بها ... كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

(١) الاقتصاد: ص١٢٤.
(٢) كشف المراد: ص٤٥٠.
(٣) لم نعثر عليه.
(٤) لايوجد لدينا هذا الكتاب.

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَما هَدَيْتَنا بِهِ، وَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَما اسْتَنْقَذْتَنا بِهِ، وَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلاةً تَشْفَعُ لَنا يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَوْمَ الفاقَةِ إِلَيْكَ، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، وَهُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ.

كأنّه يشير إلى الحديث المشهور: حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين(١)، والله سبحانه أعلم *.

الصلاة من الله تعالى: الرحمة.

والكاف: تعليليّة أو تشبيهية كما مرّ.

والمراد بالهداية: الدعوة إلى الحقّ وتعريف طريق الصواب.

وانقذه واستنقذه من الشر: خلّصه عنه(٢)، وفيه تلميح إلى قوله تعالى: «وَكُنْتُمْ عَلىٰ شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها»(٣)، أي: بأن أرسل إليكم رسولاً هداكم للإيمان ودعاكم إليه فنجوتم بإجابته من النار.

روىٰ ثقة الإسلام في كتاب الروضة بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أبو عبدالله عليه السلام: إذا ذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: بأبي وأُمّي وقومي وعشيرتي عجباً للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها والله عزّ وجلّ يقول في كتابه: «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها»، فبرسول الله صلّى الله عليه وآله أنقذوا(٤).

وإسناد الشفاعة إلى الصلاة مجاز عقلي لملابسة السببيّة. والفاقة: الحاجة، أي: وقت الحاجة، والعرب قد تطلق اليوم وتريد الوقت والحين نهاراً كان أو ليلاً، فتقول: ذخرتك لهذا اليوم، أي: لهذا الوقت الذي افتقرت إليك فيه.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٣١٦.

(٢) «الف»: منه.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٤) روضة الكافي: ص ٢٢١ - ٢٢٢ ح ٣٨٨.

....

والجملة من قوله عليه السّلام: «إنّك علىٰ كلّ شيء قدير» مستأنفة لتعليل الدعاء، فإن كمال قدرته تعالىٰ على جميع الأشياء موجب لقدرته عزّوجلّ على إجابة دعائه وإنجاح مأموله ورجائه.

وقوله: «وهو عليك يسير» جملة تذييليّة لمزيد استدعاء الإجابة، اي: وماسألتك عليك سهل يسير لتحقّق القدرة التامّة وقبول المادّة أو كلّ شيء عليك يسير هيّن لايصعب عليك لكمال قدرتك، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الحادية والثلاثين من رياض السالكين، وقد وفق الله جلّت قدرته لإتمامها واقتطاف أزهارها من أكمامها، قبيل العصر من يوم الأربعاء لإحدى عشرة خلت من صفر، ثاني شهور السنة الرابعة بعد المائة والألف من الهجرة النبويّة، على صاحبها وآله أفضل السّلام والتحيّة، وقد وقع الفراغ من نسخها في اليوم الرابع عشر.

فهرس الموضوعات

الروضة الثالثة والعشرون

نصّ الدعا الثالث والعشرين : في سؤال العافية وشكرها	٥
خطبة وديباجة الروضة الثالثة والعشرين	٧
في بيان معنى العافية	٩
في بيان معنى الصحّة	١٣
في بيان معنى البصيرة	١٤
الفرق بين الخشية والخوف	١٤
الحجّ والعمرة لغةً وشرعاً	١٦
الروايات الواردة في فضلهما	١٧
في استحباب زيارة قبر الرسول (ص)	١٧
في استحباب زيارة قبور آل الرسول (عليهم السلام)	١٩
في معنى المقبول من الأعمال	٢٠
معنى الشكر والمشكور	٢١
في بيان معنى شرح القلب	٢١
معنى الاستعاذة من الشيطان الرجيم	٢٤
في بيان معنى السامّة والعامّة والحامّة	٢٤
الأقوال في معنى المريد	٢٥

في بيان معنى المترف والحفيد ٢٦
تعريف الناصب ٢٧
الدابة لغة وعرفاً ٢٧
في بيان معنى قوله عليه السلام «ومن أرادني بسوء فاصرفه عنّي» ٢٨
معنى الجبروت وميزانها الصرفي ٣١
في بيان معنى الغمز والهمز واللمز ٣٢
قول الكشّاف في قوله تعالى «واستفزز من استطعت منهم بصوتك
وأجلب عليهم بخيلك ورجلك» ٣٣

الروضة الرابعة والعشرون

نصّ الدعاء الرابع والعشرين: في دعائه لأبويه (ع) ٣٧
خطبة وديباجة الروضة الرابعة والعشرين ٤٠
في بيان المراد من الأبوين ٤١
الروايات الواردة في الحثّ على برّ الوالدين ٤٢
تنبيه: في وجوب الدعاء للوالدين ولو مرّة في العمر ٤٢
الوجوه في تقديم الدعاء للنبي (ص) على الوالدين ٤٥
في بيان معنى قوله (ع): «واخصصهم بأفضل صلواتك» ٤٧
في بيان معنى إلهام الخير من الله ٤٨
في معنى قوله تعالى: «وبالوالدين إحساناً» ٥٠
الأخبار الدّالة على مجهولية أكثر حقوق الوالدين ٥١
تبصرة: في ما ينفرد به الأبوين من الأحكام ٥٢
تتمّة: في عدم توقّف برّ الوالدين على الاسلام ٥٣
في إعراب «كما» ٥٤
في بيان حق المؤمن على أخيه ٥٥

في معنى العسوف ٥٦
برّ الوالدين ما المراد منه؟ ٥٧
في معنى قرّت العين ٥٨
في معنى رقدة الوسنان وثلج الصدر ٥٩
في بيان معنى قوله (ع): «وان قلّ وإن كثر» ٦١
في تفسير قوله تعالى: «وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة» ٦١
الأقوال في معنى القول الكريم ٦٢
في معنى لين العريكة ٦٢
بحث في الشكر من الله ٦٣
الفرق بين المسّ واللمس ٦٥
في بيان معنى الأذى ٦٦
في معنى الخلوص الى الشيء والحطّة ٦٧
تحقيق في معنى السرف ٦٩
في التجاوز عن اساءة الأبوين ٧٠
في معنى قوله (ع): «فانّي لا اتهمهما» ٧١
الفرق بين المقاصّة والمجازاة ٧٣
بحث لغوي في «إذن» ٧٤
تنبيه: في رسم «إذن» ٧٨
في بيان معنى الحراسة ٧٩
في معنى هيهات ٨٠
في معنى قوله (ع): «ولا أنا بقاضٍ وظيفة خدمتها» ٨٢
بحثٌ لغوي في لفظة «أُمّهات» ٨٣
في اشتقاق لفظة «آل» ٨٤
في حكم الصفة للمتضائفين ٨٥

في بيان معنى «آناء» ٨٦
في تفسير قوله تعالى «إنّ ذلك من عزم الأُمور» . ٨٧
في المراد بمواطن السلامة ٨٨

الروضة الخامسة والعشرون

نصّ الدعاء الخامس والعشرين : في دعائه لولده (ع) ٩٣
خطة وديباجة الروضة الخامسة والعشرين ٩٦
الروايات الواردة في الحثّ على البرّ بالأولاد ٩٧
في معنى قوله تعالى : «وأصلح لي ذريتي» ٩٨
في معنى الأعمار والآجال ٩٩
في معنى قوله (ع) : «وأدرر لي وعلى يدي أرزاقهم» ١٠٠
في بيان معنى الأبرار والأتقياء والبصراء ١٠٢
في معنى العضد ١٠٣
في بيان معنى قوله تعالى : «سنشدّ عضدك بأخيك» ١٠٤
في بيان معنى قوله (ع) : «وأحي بهم ذكري» ١٠٥
في معنى المخطئ ١٠٧
في معنى قوله تعالى «أيحسبون انما نمدّهم به من مالٍ
و بنين . . . الآية» ١٠٨
تنبيه : في تحقيق سبب عداوة ابليس لآدم (ع) وذرّيته ١١٠
في تعيين محلّ وسوسة الشيطان ١١٢
في بيان المراد من القلب ١١٣
في معنى جريان الشيطان مجرى الدم ١١٤
الفرق بين الغفلة والنسيان ١١٥
في معنى قوله (ع) : «و ينصب لنا» ١١٧

في معنى خلف الوعد ١١٨
تنبيه: تعليقة حول قوله (ع): «يضلّنا و يستزلّنا» ١٢٠
بحث مختصر في العصمة ١٢٣
في تفسير قوله تعالى: «وقال ربّكم ادعوني أستجب لكم» ١٢٤
في معنى قوله (ع): «واجعلني في جميع ذلك من المصلحين» ١٢٧
في معنى قوله (ع): «غير الممنوعين بالتوكّل عليك» ١٢٨
في معنى قوله (ع): «المعوذين بالتعوذ بك» ١٢٩
في استعارة لفظ التجارة للأعمال الصالحة ١٣٠
ربح المؤمن على المؤمن ربا ١٣١
في معنى قوله (ع): «المجارين بعزتّك» ١٣٢
في معنى قوله (ع): «من فضلك الواسع» ١٣٣
في معنى قوله (ع): «المعزّين من الذل بك» ١٣٤
بحثٌ في الابتلاء ١٣٥
في معنى الزلل ١٣٧
في معنى قوله (ع): «الموفّقين للخير والرشد والصواب» ١٣٨
في معنى قوله (ع): «المحال بينهم» ١٣٩
في معنى الترك ١٤٠
في معنى السكن في جوار الله تعالى ١٤١
في الدعاء للمؤمنين ١٤٢
في معنى سمع الله وعلمه ١٤٣
في معنى العفوّ والغفور ١٤٤
في معنى الرؤوف ١٤٥

* * *

الروضة السادسة والعشرون

نصّ الدعاء السادس والعشرين : في دعائه لجيرانه وأوليائه	١٤٩
خطبة وديباجة الروضة السادسة والعشرين	١٥٠
الأقوال في تحديد معنى الجار	١٥١
في معنى الأولياء	١٥٢
في معنى المنابذة	١٥٣
الفرق بين الوِلاية والوَلاية	١٥٤
في معنى إقامة السُنّة	١٥٤
في معنى الأدب	١٥٥
في معنى الخلّة والعيادة	١٥٦
في بيان معنى المواساة	١٥٧
الاختلاف في معنى الماعون واشتقاقه	١٥٨
في معنى قوله (ع) : «والعود عليهم بالجدة»	١٥٩
في معنى قوله (ع) : «واجعلني اللهم أجزي بالإحسان مسيئهم»	١٦١
في معنى « كافّة » واعرابها	١٦٣
في أنّ أفعال المؤمنين محمولة على الصحّة	١٦٥
في حرمة سوء الظنّ في المؤمن	١٦٦
في تأويل معنى عورة المؤمن	١٦٧
في معنى الغيب	١٦٩
في معنى حامّة الرجل	١٧٠
في بيان المراد من البصيرة	١٧١

* * *

الروضة السابعة والعشرون

نصّ الدعاء السابع والعشرين: في دعائه لأهل الثغور ١٧٧
خطبة وديباجة الروضة السابعة والعشرين ١٨٢
في معنى الثغور ١٨٣
في بعض أحكام المرابطة ١٨٤
في معنى العزّة والحمّاة والقوة ١٨٥
في بيان مصداق السلاح ١٨٦
في معنى المواترة ١٨٧
في معنى الميرو المؤن ١٨٨
في أنواع الصبر ١٨٩
الأقوال في معنى المعرفة ١٨٩
في معنى الخدّاعة ١٩١
في معنى خطرات المال ١٩٢
في معنى مساكن الخلد ١٩٣
في اشتقاق لفظ «الحوراء» ومعناه. ١٩٤
في معنى الاشجار المتدلية ١٩٥
في معنى القرن ١٩٦
تنبيه: في تعلّق قوله (ع): «عن قرنه» ١٩٧
في معنى قوله (ع): «اللهمّ أُفلل بذلك عدوّهم» ١٩٨
في معنى الوثائق ١٩٩
في معنى حار في أمره ٢٠١
في معنى بسط اليد وقبضها ٢٠٢
في معنى خزم الألسنة ٢٠٣

في معنى قوله (ع): «وشرّد بهم من خلفهم» ٢٠٣
في معنى التنكيل ٢٠٤
في معنى عقم الأرحام ٢٠٥
في معنى الأصلاب ٢٠٦
في معنى إذنه تعالى ٢٠٧
في تفسير قوله تعالى: «وهو شديد المحال» ٢٠٩
في فضل الصلاة على الجهاد ٢١٠
في معنى الخلوة ٢١١
في معنى البقاع ٢١٢
في معنى الغزو ٢١٣
في الفرق بين أذهبه وذهب به ٢١٤
في معنى الناحية ٢١٤
في معنى المدّ ٢١٦
في معنى الملائكة المردفين ٢١٧
في المراد بمنقطع التراب ٢١٩
في معنى البلد والقطر والمصر والمدينة ٢٢١
في أوصاف بلاد الهند وسكّانها ٢٢٢
في أوصاف بلاد الروم وسكّانها ٢٢٢
في أوصاف بلاد الترك وسكانها ٢٢٣
في معنى الخزر ٢٢٣
في أوصاف بلاد الحبش والنوبة والزنج ٢٢٤
في أوصاف الصقالبة ٢٢٥
في أوصاف الديالمة ٢٢٦
في معنى قوله (ع): «وقد أحصيتهم» ٢٢٧

هل يتناول لفظ المشركين الكفّار من أهل الكتاب؟	٢٢٨
في معنى اشغال المشركين بالمشركين	٢٢٩
في معنى الأطراف	٢٢٩
في معنى قوله (ع): «وخذهم بالنقص عن تنقّصهم»	٢٣٠
في معنى قوله (ع): «اللهمّ أخل قلوبهم من الأمنة»	٢٣١
في معنى الأركان والأبطال	٢٣٢
في تاريخ «وقعة بدر»	٢٣٣
الاختلاف في عدد الملائكة يوم بدر	٢٣٤
الاختلاف في علّة هبوطهم	٢٣٥
الروايات الواردة في المقام	٢٣٦
في معنى قوله (ع): «تقطع به دابرهم»	٢٣٩
في معنى الوباء	٢٤١
في معنى رمي الأرض بالخسوف	٢٤٢
في معنى الحصّ	٢٤٣
في معنى أمنع الحصون	٢٤٤
في معنى الجوع المقيم والسقم الأليم	٢٤٥
في معنى الملّة	٢٤٧
الجهاد لغةً وشرعاً	٢٤٨
في معنى الحزب والحظّ	٢٤٩
في معنى الظهر	٢٥١
حكم حذف حرف العلّة المبدل من الهمزة	٢٥٢
في تعريف الشوق	٢٥٣
في بيان المراد برواية حسن النية	٢٥٣
في بيان معنى العافية والجُبن	٢٥٤

في معنى تعليم الله سبحانه لعباده ٢٥٥

في تعريف السيرة ٢٥٦

في معنى المراءاة ٢٥٧

في ذمّ الرياء شرعاً ٢٥٨

قول لبعض العارفين في المقام ٢٥٩

في حكمة تقليل العدوّ في عين المجاهد ٢٦٠

في معنى قوله (ع): «وأدل له منهم ولا تدلهم منه» ٢٦١

في معنى السعادة ٢٦٢

في معنى قوله (ع): «و بعد أن يجهد بهم الأسر» ٢٦٤

في معنى قوله (ع): «و بعد أن تأمن أطراف المسلمين» ٢٦٥

في معنى قوله تعالى: «ولّىٰ مدبراً» ٢٦٦

في بيان معنى المرابط ٢٦٧

في بيان معنى الحرمة ٢٦٨

في بيان معنى الوزن ٢٦٩

في معنى العجلة ٢٧٠

تنبيهان:

الأوّل: ان ثواب الأعمال الصحالة يكون في الدنيا والاخرة ٢٧١

الثاني: اتّصال الروح بثوابها بعد فراقها للبدن ٢٧٢

في معنى الجهاد ٢٧٣

في معنى قوله تعالى: «كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي» ٢٧٤

تحقيق في معنىٰ الصلاة على محمد وآل محمّد ٢٧٦

في معنى قوله عليه السلام: «إنّك المنان الحميد» ٢٧٧

تحقيق في صفات الله تعالى والتي جاءت بصيغة المبالغة ٢٧٧

الروضة الثامنة والعشرون

نصّ الدعاء الثامن والعشرين: متفزعاً الى الله جلّ وعزّ ٢٨١
خطبة وديباجة الروضة الثامنة والعشرين ٢٨٢
في معنى الفزع الى الله ٢٨٣
معنىٰ الانقطاع الى الله تعالى ٢٨٤
تعريف العقل ٢٨٥
في معنى الارتفاع والاتّضاع ٢٨٧
في بيان معنى الامثال ٢٨٩
اطلاق الاعتبار على معنيين ٢٩٠
في بيان معنى الموضع ٢٩٢
في معنى قوله عليه السلام: «لك يا إلهي وحدانية العدد» ٢٩٣
في معنى قوله عليه السلام: «وملكة القدرة الصمد» ٢٩٧
في معنى الفضيلة ٣٠١
في منع العلوّ المكاني على الله سبحانه. ٣٠٢
في معنى قوله عليه السلام: «ومن سواك مرحوم في عمره» ٣٠٤
في بيان معنى الشأن ٣٠٥
تنقل المخلوقات في الصفات ٣٠٦
في بيان معنى الأضداد ٣٠٧

الروضة التاسعة والعشرون

نصّ الدعاء التاسع والعشرين: اذا قُتر عليه الرزق ٣١١
خطبة وديباجة الروضة التاسعة والعشرين ٣١٢
في حكمة ابتلاء الله لأنبيائه وأوليائه ٣١٣

في معنى سوء الظنّ	٣١٧
في معنىٰ الأمل	٣١٨
في معنى الالتماس	٣١٩
فائدة: في من عاش مائة وعشرين سنة كان من المعمّرين	٣٢٠
ذكر جملة من المعمّرين	٣٢٤
في معنى الإعفاء	٣٢٨
التمسك بالأسباب لاينافي اليقين	٣٢٩
في بيان معنىٰ التصريح	٣٣٠
في بيان معنى الحسم	٣٣١
في معنى قوله عليه السلام: «وفي السماء رزقكم»	٣٣٢
في معنى قوله تعالى: «مثل ما أنكم تنطقون»	٣٣٣

الروضة الثلاثون

نصّ الدعاء الثلاثين: في المعونة على قضاء الدين	٣٣٩
خطبة وديباجة الروضة الثلاثين	٣٤٠
في معنى المعونة	٣٤١
في معنى الهمّ	٣٤٣
تتمة تشتمل على عدة مسائل	٤٤٤
روايات في ذمّ الدين	٣٤٥
بحث فقهي في أحكام الدين	٣٤٦
في بيان معنى الاسراف	٣٤٨
تحقيق روائي في حسن التقدير	٣٤٩
في بيان معنى التبذير	٣٥٠
في بيان معنى الأنفاق	٣٥١

في بيان معنىٰ الخيلاء ٣٥٢
تحقق في معنىٰ البغي ٣٥٣
في معنىٰ قوله تعالى: «إنّ الانسان ليطغىٰ» ٣٥٤
في معنىٰ قوله عليه السلام: «حبّب اليّ صحبة الفقراء» ٣٥٥
تذنيب في طبقات الفقراء ومنزلتهم ٣٥٨
تحقيق في حُسن الصحبة وحقوقها ٣٦٢
في بيان معنى المتاع ٣٦٤
في بيان معنىٰ الجوار ٣٦٦
في أنّ متاع الدنيا يكون سبباً للخير والشرّ ٣٦٧
في بيان معنىٰ العظيم ٣٦٨

الروضة الحادية والثلاثون

نصّ الدعاء الحادي والثلاثين: في ذكر التوبة وطلبها ٣٧٣
خطبة وديباجة الروضة الحادية والثلاثين ٣٧٨
مباحث في تعريف التوبة وشروطها ٣٧٩
في معنى قوله عليه السلام: «لا يصفه نعت الواصفين» ٣٨٧
في بيان معنى الرّجاء ٣٨٩
في بيان معنى التقوىٰ ٣٩٠
في معنىٰ الأزمّة ٣٩٢
في معنى التفريط ٣٩٤
في معنى قوله عليه السلام: «تقشّعت عنه سحائب العمىٰ» ٣٩٥
في بيان معنى التفكّر ٣٩٦
في بيان معنى الحياء ٣٩٨
في بيان معنى الإخلاص ٣٩٩

في معنى أفرخ ٤٠٠
في معنى التضرّع ٤٠١
في معنى التذلّل ٤٠٢
في معنى الإحصاء ٤٠٣
في معنى قوله تعالى: «وتحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم» ٤٠٤
تعريف اللّذة ٤٠٦
في معنى الاستعظام ٤٠٧
في معنى تنجّز الوعد ٤٠٩
في معنى قوله عليه السلام: «إذ تقول ادعوني أستجب بكم» ٤١٠
تنبيه: في قول بعض الاكابر ممن شرح الصحيفة ٤١١
في معنى قوله عليه السلام: «والقِني بمغفرتك» ٤١٤
في معنى المصرع ٤١٦
في معنى النيّة ٤١٧
في معنى قوله عليه السلام: «وتوفني على ملتك» ٤١٨
في معنى الاثم واقسامه ٤٢١
تحقيق في التوبة وموارد قبولها ٤٢٣
في معنى المحكم والمتشابه ٤٢٦
في معنى قوله عليه السلام: «إنّك تقبل التوبة» ٤٢٧

تنبيهان:
الأوّل: شَرَط المعتزلة عدم معاودة الذنب في صحة التوبة ٤٣١
الثاني: عدم لياقة غير المعصوم قراءة بعض فقرات الدعاء ٤٣١
كيفية مغفرة الله للعبد ٤٣٣
في تفسير قوله تعالى: «واصبر لحكم ربك فانّك بأعيننا» ٤٣٤

تنبيهان:

الأوّل: هل ردّ المظالم شرط في صحّة التوبة ٤٣٥
الثاني: التوبة تستتبع أداء حقوق الله ٤٣٦
في معنى قوله عليه السلام: «واعصمني من أن اقارف مثلها» ٤٣٩
في معنىٰ العصمة ٤٤٠
في معنى قوله عليه السلام: «فقوّني بقوّة كافية» ٤٤٢
في معنى السلامة ٤٤٦
تنبيه: في تجديد التوبة عند تذكّر الذنب ٤٤٧
في معنى الكنف ٤٤٩
في معنىٰ العافية ٤٥٠
في معنى قوله عليه السلام: «أو أزال عن محبّتك» ٤٥١
في معنى خطرات القلب وأقسامها ٤٥٢
في معنى السطوة ٤٥٤
في معنى الخشية والهيبة ٤٥٥
في ملازمة التضرّع والاستغفار ٤٥٦
في بيان معنىٰ الجزاء ٤٥٧
في معنىٰ قوله عليه السلام: «وجللني بسترك» ٤٥٨
في معنى العزيز ٤٥٩
في معنى الشفيع ٤٦١
في معنىٰ الأثر ٤٦٤
في اسناد السمع الى السماء والأرض ٤٦٥
تحقيق في الرحمة ٤٦٧
في معنىٰ قوله تعالى: «وجزاءَ سيئةٍ سيئة مثلها» ٤٦٨

في بيان معنىٰ الندم ٤٧١

في بيان معنىٰ الحطّة ٤٧٢

في معنى قوله عليه السلام: «ولا ترجعني مرجع الخيبة» ٤٧٦

تنبيه في ان قبول التوبة إسقاط العقاب ٤٧٧

تتمة في انواع التائبين ٤٧٧

في معنى الهداية ٤٧٨

فهرس فواتح الجمل من ادعية الصحيفة

الدعاء الثالث والعشرون

فواتح الأدعية	الصفحة
اللّهم صل على محمّد وآله وألبسني عافيتك ...	١٠
اللهم صلّ على محمّد وآله وعافني عافيةً كافية ...	١٢
وامنن عليَّ بالصحّة والأمن والسلامة في ديني ...	١٣
اللّهم وامنن عليَّ بالحج والعمرة وزيارة قبر رسولك ...	١٦
وانطق بحمدك وشكرك وذكرك وحسن الثناء ...	٢١
وأعذني وذريتي من الشيطان الرجيم ومن شرّ ...	٢٣
اللّهم صلّ على محمد وآله ومن أرادني بسوء فاصرفه ...	٢٨

الدعاء الرابع والعشرون

اللّهم صلّ على محمّد عبدك ورسولك وأهل بيته الطاهرين ...	٤٥
واخصصِ اللهمّ والديّ بالكرامة لديك والصلاة منك ...	٤٨
اللّهم صل على محمّد وآله والهمني علم ما يجب لهما عليَّ الهاماً ...	٤٨
اللّهم صلّ على محمّد وآله كما شرّفتنا به وصلّ على ...	٥٤
اللّهم اجعلني أهابهما هيبة السلطان العسوف ...	٥٦
اللّهم خفّض لهما صوتي وأطب لهما كلامي ...	٦١

اللّهم اشكر لهما تربيتي وأثبهما على تكرمتي ... ٦٣
اللّهم وما مسّهما مني من أذىً أو خلص إليهما ... ٦٥
اللّهم وما تعديا عليّ فيه من قول أو أسرفا عليّ ... ٦٨
اللّهم صلّ على محمّدٍ وآله وذرّيته واخصص أبويّ ... ٨٤
اللّهم لا تنسني ذِكرهُما في أدبار صلواتي وفي آناء ... ٨٥
اللّهم صل على محمّد وآله واغفرلي بدعائي لهما واغفر... ٨٧
اللّهم وإن سبقت مغفرتك لهما فشفّعهما فيّ وان سبقت ... ٨٨

الدعاء الخامس والعشرون

الهي امدُد لي في أعمارهم وزدلي في آجالهم ... ٩٩
اللّهم اشدد بهم عضدي وأقم بهم أودي ... ١٠٣
وأعذني وذريّتي من الشيطان الرجيم فانّك خلقتنا ... ١٠٩
اللّهم أعطني كلّ سؤلي واقض لي حوائجي ... ١٢٣
اللّهم أعطِنا جميع ذلك بتوفيقك ورحمتك ١٤١

الدعاء السادس والعشرون

اللّهم صل على محمّد وآله وتولّني في جيراني ومواليّ ... ١٥٢
ووفّقهم لإقامة سنّتك والأخذ بمحاسن أدبك ... ١٥٤
واجعلني اللّهمّ أجزي بالإحسان مسيئهم وأُعرض بالتجاوز... ١٦١
اللّهم صلّ على محمّدٍ وآله وارزقني مثل ذلك منهم واجعل ... ١٧١

الدعاء السابع والعشرون

اللّهم صلّ على محمّد وآله وحصّن ثغورَ المسلمين بعزّتك ... ١٨٤
اللّهم صلّ على محمد وآله وكثّر عدّتهم واشحذ اسلحتهم ... ١٨٦

اللّهم صل على محمد وآله، وعرّفهم ما يجهلون وعلّمهم مالا يعلمون
و بصرّهم مالا يبصرون ١٨٩
اللّهم صلّ على محمّد وآله وأنسهم عند لقائهم العدوّ ... ١٩١
اللّهم أفلل بذلك عدوّهم واقلم عنهم أظفارهم ... ١٩٨
اللّهم عقّم أرحام نسائهم و يبّس أصلاب رجالهم ... ٢٠٥
اللّهم وقوّبذلك محال أهل الاسلام وحصّن ... ٢٠٩
اللّهم اغزبكلّ ناحيةٍ من المسلمين على مَن ... ٢١٣
اللّهم واعمم بذلك اعداءك في اقطار البلاد من الهند ... ٢٢١
اللّهم اشغل المشركين بالمشركين عن تناول أطراف المسلمين ... ٢٢٧
اللّهم أخلِ قلوبهم من الأمنة وأبدانهم من القوّة وأذهل ... ٢٣١
اللّهم وأمزج مياههم بالوباء وأطعمتهم بالأدواءِ وارم بلادهم ... ٢٤١
اللّهم وأيّما غازٍ غزاهم من أهل ملّتك أو مجاهد جاهدهم ... ٢٤٦
فإذا صافّ عدوّك وعدوّه فقللهم في عينه وصغّر شأنهم ... ٢٥٩
اللّهم وأيّما مسلمٍ خلفَ غازياً أو مرابطاً في داره وتعهّد ... ٢٦٧
اللّهم وأيّما مسلمٍ أهمّه أمرَ الاسلام وأحزنه تحزّب أهل الشرك ... ٢٧٢
اللّهم صلّ على محمّدٍ عبدك ورسولك وآل محمّد صلاة عالية على الصلوات ... ٢٧٥
اللّهم إنّي أخلصت بانقطاعي إليك وأقبلت بكُلّيّ عليك ... ٢٨٣
فكَم قد رأيت يا إلهي من أُناسٍ طلبوا العزّ بغيرك فذلوا ... ٢٨٦

الدعاء الثامن والعشرون

لك يا الهي وحدانية العدد وملكة القدرة الصمد وفضيلةُ ... ٢٩٣

الدعاء التاسع والعشرون

اللّهم انّك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء الظن وفي آجالنا ... ٣١٧

فصل على محمّد وآله وهب لنا يقيناً صادقاً تغضينا به . . . ٣٢٧
واجعل ما صرّحتَ به من عدتك في وحيك وأتبعتَه من . . . ٣٣٠
فقلت وقولك الحقّ الأصدق وأقسمت وقسَمكَ الأبرّ الاوفى . . . ٣٣٢

الدعاء الثلاثون

اللّهم إنّي أعوذ بك من دينٍ تخلق به وجهي ويحارفيه ذهني . . . ٣٤١
وأعوذ بك يا ربّ من همّ الدين وفكره وشغل الدين وسهره . . . ٣٤٣
واستجيربك يا ربّ من ذلّته في الحياة ومن تبعته بعد . . . ٣٤٣
اللّهم صل على محمّدٍ وآله واحجبني عن السرف والازدياد . . . ٣٤٨
وأجرمن أسباب الحلال أرزاقي و وجّه في أبواب البرّ. . . ٣٥١
اللّهم حبّب إليّ صحبة الفقراء وأعنّي على صحبتهم بحسن الصبر. ٣٥٥
وما زويت عنّي من متاع الدنيا الفانية فاذخره لي في خزائنك الباقية. ٣٦٤
واجعل ما خولتني من حُطامها وعجّلت لي من متاعها بلغةً الى
جوارك و وصلة الى قربك وذريعة الى جنّتك ٣٦٦
انّك ذوالفضل العظيم وأنت الجوادُ الكريم ٣٦٨

الدعاء الواحد والثلاثون

اللهم يا من لا يصفه نعت الواصفين ويا من لا يجاوزه رجاء . . . ٣٨٧
هذا مقام من تداولته أيدي الذنوب وقادته أزمة الخطايا . . . ٣٩٢
حتى إذا انفتح له بصر الهدى وتقشعت عنه سحائب . . . ٣٩٥
فأقبل نحوك مؤمّلا لك مستحييا منك و وجّه رغبته اليك . . . ٣٩٧
فمثل بين يديك متضرّعاً وغمض بصره إلى الأرض متخشعا
وطأطأ رأسه لعزتّك متذلّلاً . . . ٤٠١
وابثّك من سره ما أنت أعلم به منه خضوعاً وعدّد . . . ٤٠٢

لا ينكريا إلهي عدلك ان عاقبته ولا يستعظم عفوك ... ٤٠٦
اللّهم فها أنا ذا قد جئتك مطيعاً لأمرك فيما أمرت به ... ٤٠٧
اللّهم فصلّ على محمّد وآله والقني بمغفرتك كما لقيتك ... ٤١٤
اللّهم وثبت في طاعتك نيتي وأحكم في عبادتك ... ٤١٧
اللّهم أنّي أتوب اليك في مقامي هذا من كبائر ذنوبي ... ٤٢٠
وقد قلت يا الهي في محكم كتابك انك تقبل التوبة عن ... ٤٢٦
ولك يا ربّ شرطي أن لا أعودَ في مكروهك وضماني ... ٤٣٠
اللّهم انك أعلم بما عملت فاغفرلي ما علمت واصرفني بقدرتك الى ما احببت ... ٤٣٢
اللّهم وعليّ تبعات قد حفظتهنّ وتبعات قد نسيتهنّ ... ٤٣٣
اللّهم وانه لا وفاء لي بالتوبة الاّ بعصمتك ولا استمساك ... ٤٤٠
اللهم أيّما عبدٍ تاب إليك وهو في علم الغيب عندك ... ٤٤٣
اللّهم إنّي اعتذر إليك من جهلي واستوهبك سوء فعلي ... ٤٤٧
اللّهم وإنّي أتوب إليك من كلّ ما خالف إرادتك أو أزال ... ٤٥٠
اللّهم فارحم وحدتي بين يديك و وجيب قلبي من خشيتك ... ٤٥٤
اللّهم صلّ على محمد وآله وشفّع في خطاياي كرمك وعد على ... ٤٥٧
اللّهم لا خير لي منك فليخفرني عزّك ولا شفيع ... ٤٦٠
فما كلّ ما نطقت به عن جهلٍ مني بسوء أثري ... ٤٦٢
اللّهم إن يكن الندم توبةً إليك فأنا اندم النادمين وإن يكن ... ٤٧١
اللّهم فكما أمرت بالتوبة وضمنت القبول وحثثت على الدعاء ... ٤٧٣
اللهم صلّ على محمد وآله كما هديتنا به وصل على محمّد وآله ... ٤٧٨

فهرس الآيات

(٢) سورة البقرة

رقم الآية		الصفحة
٣	يؤمنون بالغيب	١٦٩
٨	وماهم بمؤمنين	٤١٢
٩	يخادعون الله	٤١٢
١٥	ويمدهم في طغيانهم يعمهون	٢١٦
١٧	وتركهم في ظلمات	١٤٠
١٩	يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذرالموت	٣٩٤
٢١	لعلكم تتقون	٤٦٩
٢٢	فلاتجعلوا لله انداداً	٤٦٩
٣١	وعلم آدم الأسماء كلها	٢٥٥
٣٦	ان الله لايستحيي أن يضرب مثلاً	٢٩٨
٣٧	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه	٢٨٧
٥٨	قولوا حطة	٦٧
٦٣	خذوا ما آتيناكم بقوة	١٥
٦٨	قالوا ادعُ لنا ربّك يبين لنا ماهي	٤١٣
٨٣	و بالوالدين احسانا	٥٠
٩١	مصدقاً لما معهم	٢٦٢

٩٣	خذوا ما آتيناكم بقوة	١٥
١٠٥	مايوّد الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين	٢٢٨
١١٠	وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عندالله	٣٦٥
١١٥	فثم وجه الله	٢٠١
١١٦	قالوا اتخذالله ولداً سبحانه	٤١٣
١٢٧	واذ يرفع ابراهيم القواعد	٤١٠
١٥٢	واشكروالي	٦٣و٦٤
١٥٧	اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة	٤٤٥
١٦٥	يحبونهم كحب الله	٥٧
١٨٦	واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان	١٤٣
١٨٦	فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي	٤٦١
١٩٥	ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة	١١٨
١٩٨	واذكروه كما هداكم	٥٤و٤١٥و٤٧٣
٢٠٠	فاذا قضيتم مناسككم	٣٤١
٢٠٣	واذكروا الله في ايام معدودات	٤٣
٢٠٦	واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم	٧١
٢٠٨	ادخلوا في السلم كافة	١٦٣
٢١٤	وزلزلوا حتى يقول الرسول	٣١٨
٢٢٢	ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين	٤٢٨
٢٢٢	ان الله يحب التوابين	٤٢٩
٢٣٩	فاذكروا الله كما علّمكم مالم تكونوا تعلمون	٢٥٥
٢٤٩	ومن لم يطعمه فانه منّي	٢٤٢
٢٦٨	الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء	٤٥٢
٢٧٠	وما انفقتم من نفقة اونذرتم من نذرفان الله يعلمه	٤٧٠

٢٧٦	والله لايحب كلّ كفار أثيم	١٤٠
٢٨٢	ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله	٢٥٦

(٣)سورة آل عمران

٧	هوالذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أُم الكتاب وأُخر متشابهات	٤٢٦
٣٠	يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا	٤٦٥
٣٦	واني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم	٢٤
٤٨	ويعلمه الكتاب والحكمة	٢٥٥
٦٦	ها أنتم هؤلاء	٤٠٧
٩٢	لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون	٥١
١٠٣	فأصبحتم بنعمته اخوانا	١٢٣
١٠٣	وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها	٤٧٨
١٠٨	وما الله يريد ظلماً للعالمين	٤٢٢
١٢٠	ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها	٦٦
١٢٠	وان تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئاً	١٢٠
١٢٣	ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة	٢٣٤
١٢٤	اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلا ثة الاف من الملائكة منزلين	٢٣٤
١٢٥	يمدكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة	٢٠٢
١٢٥	بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين	٢٣٤
١٢٧	ليقطع طرفاً من الذين كفروا	٢٢٩و٢٦٥
١٤٨	فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة	٢٧١

١٥١ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ٢٠٢
١٥٩ فبما رحمة من الله لنت لهم ١٦٧
١٨٥ كل نفس ذائقة الموت ٤٣٤

(٤)سورة النساء

٩ وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ٢٦٤
١٧ انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ٤٤٨
١٨ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضراحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً ٤٢٥
١٨ قال اني تبت الآن ٤٢٧
٢٣ وحلائل ابناءكم الذين من أصلابكم ٢٠٦
٢٨ خلق الانسان ضعيفا ٤٢٧و٤٣١
٣٦ و بالوالدين احساناً ٥٠
٩٣ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ١٩٣
٩٥ لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ١٢٨
٩٥ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ٣٠١
١٠٣ فاذا قضيتم الصلاة ٣٤١
١١٢ ومن يكسب خطيئة او اثماً ثم يرم به بريئا ٤٧٠
١٢٠ يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان الاغرورا ١١٩
١٣٥ ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ٤٧٠
١٥٣ فقد سألوا موسىٰ اكبرمن ذلك فقالواارنا الله جهرة ٣٣٢

***

(٥) سورة المائدة

٣	حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير	٤٢٧
٦	اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم	٢٤٧و٤٢٠
٦	أو لامستم النساء	٦٥
٨	أعدلوا هو أقرب	١٠٥
١١	اذكروا نعمة الله عليكم اذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم	٢٠٢
١١	فكف ايديهم عنكم	٢٠٢
٣٧	عذاب مقيم	٢٤٥
٤٢	وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط	٢٦٣
٥٦	فان حزب الله هم الغالبون	٢٤٩
٦٤	بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء	٢٠٣
١٠٨	واتقوا الله واسمعوا	١٠٢
١١٠	وتبرئ الأكمه والأبرص باذني واذ تخرج الموتى باذني	٢٠٧

(٦) سورة الأنعام

٥٢	ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين	٣٥٦
٥٩	وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو	٤٤٥
٦١	توفته رسلنا	٤١٩
٧٣	عالم الغيب والشهادة	٤٤٤
٩١	وما قدروا الله حق قدره	٣٨٨

١٢٠ وذروا ظاهر الاثم و باطنه ٤٢١

١٢٥ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ٢٢

١٥١ و بالوالدين احساناً ٥٠

١٦١ ديناً قيماً ملّة ابراهيم حنيفاً ٤١٩

(٧) سورة الأعراف

٤ فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون ٢٣٣

١٢ انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ١١٠

١٨ اخرج منها مذؤوماً مدحوراً ١١٠

٢٩ كما بدأكم تعودون ٤٧٤

٣٤ لايستأخرون ساعة ٨٦

٣٨ ادخلوا في أمم ٤٧٤

٥٥ ادعو ربكم تضرعاً وخفية ٤٠١

٨١ انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون ٦٩

٨٨ أو لتعودُنّ في ملتنا ٤٤٥

٩٥ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قدمسّ آباءنا الضراء والسراء ٣١٨

١٤٢ وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي ٢٦٦

١٦١ قولوا حطة ٦٧

١٧١ خذوا ماآتيناكم بقوة ١٥

١٧٢ واذا أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ٢٠٦

١٩٩ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ١٦٣

* * *

(٨)سورة الأنفال

٧	واذ يعدكم الله	٤١٠
٩	اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين	٢١٧
٩	فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين	٢٣٤
١١	اذ يغشيكم النعاس	٤١٠
١٢	إذ يوحي ربّك الى الملائكةانّي معكم فثبتواالذين آمنوا	٢١٤
١٢	فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان	٢٣٥و٢٣٨
١٧	بلاءً حسناً	١٣٥
٢٤	واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه	١٣٩
٣٩	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله	٢١٠
٤٤	واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلاً ويقللكم في اعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولا	٢٦٠
٥٠	ولوترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة	٤١٩
٥٧	فاما تثقفنهم في الحرب فشرّدبهم من خلفهم لعلهم يذكرون	٢٠٣
٦٠	ترهبون به عدوّالله وعدوكم	٢٦٠

(٩) سورة التوبة

٣٠	وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون	٢٢٨
٣١	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح ابن	

	مريم وما أُمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اِله الا هوسبحانه عما يشركون	٢٢٨
٣٢	يريدون أن يطفئوا نورالله بأفواههم	٢٥٢
٣٦	ان عدة الشهور عندالله اثنا عشر شهراً	٤٣٥
٣٦	اربعة حرم	٤٣٥
٣٦	فلا تظلموا فيهن أنفسكم	٤٣٥
٦٠	انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين	٣٤٦
٧٥	ومنهم من عاهدالله لئن آتانا من فضله لنصّدقن ولنكونن من الصالحين	٤٣١
٧٦	فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون	٤٣١
٧٧	فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون	٤٣١
٨٣	فان رجعك الله	٤٧٦
٩٠	وقعدالذين كذبوا الله ورسوله	١١٨
١١٧	رؤوف رحيم	٤٧
١٢٠	ان الله لايضيع أجرالمحسنين	٣٩٠
١٢٣	قاتلوا الذين يلونكم من الكفار	٢٣٠

(١٠)سورة يونس

٧	رضوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا	٣٦٧
٦٢	ألا أن اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون	٣٩٢
٨٣	وان فرعون لعال في الأرض وانه لمن المسرفين	٦٩

* * *

(١١) سورة هود

١	كتاب أُحكمت آياته	٤٢٦
٤٣	لاعاصم اليوم من أمرالله الا من رحم	٤٤١و٤٤٢
٤٣	وحال بينهما الموج فكان من المغرقين	١٣٩
٤٥	ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي	٣٣٢
٤٨	اهبط بسلام منا	٣٩٩
٥٦	اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم	٢٨
٧٣	قالوا أتعجبين من أمرالله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد	١٨
٩١	يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز	٣١٥
١٠٧	ان ربك فعال لما يريد	٢٧٨
١٠٨	واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ	٢٦٢
١١٤	ان الحسنات يذهبن السيئات	٤٣٣

(١٢) سورة يوسف

٣٣	وإلّا تصرف عني كيدهن أصب اليهن	١١٩
٣٥	ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه	٨١
٣٦	أراني اعصر خمرا	٢٤٧
٤٣	ان كنتم للرؤيا تعبرون	٢٦٢
٥٢	اني لم أخنه بالغيب	١٦٩

٧٦ وفوق كل ذي علم عليم ١٨٩
٨٦ انما اشكوبثي وحزني الى الله ٤٤٥
٨٩ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذأنتم جاهلون ٤٤٨

(١٣) سورة الرعد

٢ يدبر الأمر ١٨٧
١٣ وهو شديد المحال ٢٠٩
٢١ يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ١٤
٤١ أولم يروا انا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ٢٢٩

(١٤) سورة ابراهيم

٩ فردّوا أيديهم في أفواههم ٤٣٠
١٤ وذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ٣٩١
٣٥ واجنبني وبنيّ ان نعبد الأصنام ١٦

(١٥) سورة الحجر

٢١ وان من شيء الا عندنا خزائنه ومانتزله الا بقدرمعلوم ٣١٧
٢٩ فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي ٤٦
٣٤ فاخرج منها فانك رجيم ٤٥٦
٩٤ فاصدع بما تؤمر ١٠٩

(١٦)سورة النحل

٢٨ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم ٤١٩
٣٢ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ٤١٩

٦١	لايستأخرون ساعة	٨٦
٦٣	ولهم عذاب اليم	٢٤٥
٧٠	ومنكم من يرد الى أرذل العمر	١٩٣
٩٠	وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي	٣٥٣
٩٨	فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله	٢٤٧و٤٢٠
١٠٦	ولكن من شرح بالكفر صدراً	٢٢
١٢٦	وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به	٢٦٣

(١٧)سورة الاسراء

٦	وأمددناكم بأموال وبنين	٢١٦
١٧	وبالوالدين احساناً	٥٠
١٨	من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء	٣٦٦
٢٣	وقضىٰ ربك الّا تعبدواالا اياه وبالوالدين احساناً اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما	٤١
٢٣	الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً	٤٣
٢٣	وقل لهما قولاً كريماً	٦١
٢٣و٢٤	اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة	٥١
٢٤	واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغرا	٤١
٢٤	واخفض لهما جناح الذل من الرحمة	٦١
٢٤	وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيراً	٤٢
٢٦	وآت ذاالقربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذرتبذيرا	٣٥٠

٢٧	ان المبذرين كانوااخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا	٣٥١
٦٤	واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك	٣٣
٨٥	قل الروح من أمر ربّي	١١٣
٨٥	وما اوتيتم من العلم الآ قليلاً	٤٧

(١٨) سورة الكهف

١٨	وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود	٥٩
٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً	٣٥٦
٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم	٣٥٧
٣٤	انا أكثر منك مالاً وأعز نفرا	٤٠٤
٦٥	علمناه من لدنا علما	٢٥٥
١٠٨	لا يبغون عنها حولا	١٩٨
١١٠	فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً	٢٥٨

(١٩) سورة مريم

١٣	وكان تقيّاً	١٠٢
١٤	وبرّا بوالديه	١٠٢
٢٥	وهزي إليك بجذع النخلة	١١٧و٢١٥
٧١	كان على ربك حتماً مقضيا	١٣٢
٧٩	ونمد له من العذاب مداً	٢١٦

٩٥	وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً	٤٣٤

(٢٠) سورة طه

٧	يعلم السرّ وأخفى	١٢٦
٢٢	واضمم يدك الى جناحك	٤٤٩
٤٦	لاتخافا انني معكما اسمع وأرى	٢١٤
٦٨	لا تخف انك انت الأعلى	٢٤٩
١٠٨	وخشعت الاصوات للرحمن	٤٠٢

(٢١) سورة الأنبياء

١٧	وأرادوا به كيداً	٢٩
٣٤	وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد	١٩٣
٤٥	قل انما أُنذركم بالوحي	٣٣١
٥١	ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنابه عالمين	١٣٩
٩١	فنفخنا فيه من روحنا	٤٦
١٠١	ان الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ	٨٨
١٠٤	كما بدأنا أول خلق نعيده	٢٧٨

(٢٢) سورة الحج

١٥	فليمد د بسبب الى السماء	١١٧و٢٦٤
٢٥	ومن يرد فيه بإلحاد	١١٧
٤٦	فانها لا تعمى الأبصارولكن تعمى القلوب التي في الصدور	٣٩٦

* * *

(٢٣) سورة المؤمنون

٣٥ أيعدكم أنكم اذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً
انكم مخرجون ٨١
٣٦ هيهات هيهات لما توعدون ٨١
٥٥ أيحسبون أنما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم في
الخيرات بل لايشعرون ١٠٨

(٢٤) سورة النور

٢ ولا تأخذكم بهما رأفة ١٩٨
١٥ وتحسبونه هيّنا وهوعندالله عظيم ٤٠٤
٣٣ لايجدون نكاحاً ٢٤٥
٤٥ والله خلق كلّ دابة من ماء ٢٧

(٢٥) سورة الفرقان

٤١ أهذا الذي بعث الله رسولاً ٣٦٤
٥٩ فاسأل به خبيراً ٤٦٠
٦٧ والذين اذاانفقوالم يسرفواولم يقترواوكان بين ذلك قواما ٣٤٨
٧٠ الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فاولئك يبدّل الله
سيئاتهم حسنات ٤١٨

(٢٦) سورة الشعراء

١١١ انؤمن لك واتبعك الأرذلون ٣٥٦

***

(٢٧) سورة النمل

١٠ ولى مدبراً ٢٦٦

٤٧ قالوا أطيّرنا بك ٤١٣

٥٤ أتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ١٩٠

(٢٨) سورة القصص

٢٤ رب اني لما انزلت الي من خير فقير ٣١٥

٣٥ سنشد عضدك بأخيك ١٠٤

٥٨ وكم أهلكنا من قرية ٢٨٦

٨١ فخسفنا به وبداره الأرض ٢٤٢

(٢٩) سورة العنكبوت

٨ ووصينا الانسان بوالدية حسنا ٥٣

١٤ فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً ٣٢١

٦٢ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ٣١٣

(٣١) سورة لقمان

١٤ ان اشكر لي ولوالديك ٤٣

١٥ وان جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما
وصاحبهما في الدنيا معروفاً ٥٣

١٧ ان ذلك من عزم الامور ٨٧و٨٨

١٨ ان الله لايحب كل مختال فخور ٤٦٣

٢٧ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ٢١٦

(٣٢) سورة السجدة

٨ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ٤٦

٩ ثمّ سوّاه ونفخ فيه من روحه ٤٦

٣٢ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكلّ بكم ٤١٩

(٣٣) سورة الأحزاب

٤ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ١٢٢

٣٧ واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه ٤١٠

٤٠ ماكان محمّد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله
وخاتم النبيين ٤٥

٥٦ يا أيهاالذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ٤٣

(٣٤) سورة سبأ

٢٨ وما أرسلناك الآّ كافة للناس ١٦٣

٣٩ وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خيرالرازقين ١٢٦

٥٤ وحيل بينهم وبين مايشتهون ١٣٩و٣٨٣

(٣٥) سورة فاطر

١٠ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ٤٠٢

١٤ ولا ينبئك مثل خبير ٤٦٠

١٨ الذين يخشون ربهم بالغيب ١٦٩

٢٢ وما أنت بمسمع من في القبور ٤٦٦

٢٨ انما يخشى الله من عباده العلماء ١٥و٣٩٠و٤٥٥

٣٤	وقالوا الحمدلله الذي أذهب عنا الحزن	٤١٣
٣٧	نعملُ صالحاً غيرالذي كنا نعمل	١٢٨

(٣٦) سورة يس

٢٣	ان يردن الرحمن بضر	٢٩
٧٦	فلا يحزنك قولهم انا نعلم مايسرّون وما يعلنون	٤١١

(٣٧) سورة الصافات

٨٤	اذ جاء ربه بقلب سليم	٤٠٨
٩٧	قالوا ابنوا له بنياناً	٤١٣
١٠٢	فلما بلغ معه السعي	١٩٧

(٣٨) سورة ص

١٦	وقالوا ربنا عجل لنا قطّنا قبل يوم الحساب	٣٦٦
٢٠	وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب	٤١٢
٢٣	وعزني في الخطاب	١٨٥و٤٦١

(٣٩) سورة الزمر

٩	هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون	١٢٧
١٠	انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب	٣٦٠
٤٢	الله يتوفى الانفس حين موتها	٤١٨و٤١٩
٥٣	ان الله يغفر الذنوب جميعا	٤٢٨
٧٣	ادخلوها خالدين	٤١٠
٧٤	وقالوا الحمدلله الذي صدقنا وعده	٤١٤

٧٤ وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ٣٠٧

(٤٠) سورة غافر

١٥ رفيع الدرجات ٣٠٢
٣٦ لعلي ابلغ الاسباب ٤٦٨
٣٧ اسباب السموات فاطلع ٤٦٨
٦٠ ادعوني استجب لكم ١٢٤و١٢٥ و٤٠٩و٤١٤
٦٠ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ٤١٠
٦٠ ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ١٢٥

(٤١) سورة فصّلت

١١ ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ٤٦٥
٢١ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ٢١

(٤٢) سورة الشورى

٢٥ وهوالذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوعن السيئات ويعلم ماتفعلون ٤٢٧
٢٧ ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ٣٥٤
٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها ١٦٢و٤٦٨

* * *

(٤٣) سورة الزخرف

٣٢	نحن قسمنا بينهم معايشهم في الحياة الدنيا	٣١٧

(٤٤) سورة الدخان

٢٥	كم تركوا من جنات	٢٨٦
٣١	انه كان عالياً من المسرفين	٦٩
٥٤	وزوجناهم بحورعين	١٩٤

(٤٥) سورة الجاثية

٢٢	وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون	٨٣

(٤٦) سورة الأحقاف

١٥	وأصلح لي في ذريتي	٩٨و١٥٢

---

(٤٧) سورة محمّد

٥	سيهديهم ويصلح بالهم	١٢٦
١٥	مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى	١٩٥
١٥	ولهم فيها من كل الثمرات	١٩٦
٢١	فاذا عزم الأمر	٨٨
٣٣	اطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم	٥٥

(٤٨) سورة الفتح

٢٥	ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات	١٢١
٢٧	لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق	١١٨
٢٩	اشداء على الكفار رحماء بينهم	٢٥٥

(٤٩) سورة الحجرات

٧	لو يطيعكم في كثير من الأمر	٤٠٩
١١	ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون	٣٨٢

(٥٠) سورة ق

٣٣	من خشي الرحمن بالغيب	٤٥٥
٤٠	ومن الليل فسبّحه وأدبار السجود	٨٦

(٥١) سورة الذاريات

٢٢	وفي السماء رزقكم	٣٣٤
٢٣	فورب السماء والأرض انه لحق	٣٣٤
٢٣	مثل ما انكم تنطقون	٣٣٣

(٥٢) سورة الطور

٤٨	واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا	٤٣٤

(٥٣) سورة النجم

٤٢	وان الى ربك المنتهىٰ	٤٦٥

(٥٤) سورة القمر

٤٢	فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر	٤٦٠
٥٤	ان المتقين في جنات ونهر	٣٦٧
٥٥	في مقعد صدق عند مليك مقتدر	٣٦٧

(٥٥) سورة الرحمن

١	الرحمن	١١١
٢	علّم القرآن	١١١
٣	خلق الانسان	١١١
٤	علمه البيان	١١١
٦٠	هل جزاء الاحسان الا الاحسان	١٦١

(٥٦) سورة الواقعة

٨٦	فلولا ان كنتم غير مدينين	١٢١
٨٧	ترجعونها ان كنتم صادقين	١٢١

(٥٧) سورة الحديد

٢٣	والله لايحب كل مختال فخور	١٤٠
٢٧	رأفة ورحمه	٤٧

(٥٨) سورة المجادلة

٢١	كتب الله لأغلبن أنا ورسلي	٢٧٤

* * *

(٥٩) سورة الحشر

٢ فاعتبروا يا أُولي الأبصار ٢٩٠

(٦٠) سورة الممتحنة

١ تسرون اليهم بالمودة ١٦٩
٢ ويبسطوا اليكم ايديهم وألسنتهم بالسوء ٢٠٢

(٦٢) سورة الجمعة

١١ واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها ٤٧٠

(٦٣) سورة المنافقون

١٠ من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى اجل قريب ٣٨٣

(٦٥) سورة الطلاق

١١ خالدين فيها ابداً ١٩٣

(٦٦) سورة التحريم

٨ يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ٣٨٢

(٦٧) سورة الملك

٥ وجعلناها رجوماً للشياطين ٢٣
١٥ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ٣٣٠

(٦٨) سورة القلم

١٠	ولا تطع كل حلاف مهين	١٤٠
٤٣	خاشعة ابصارهم	٤٠٢

(٦٩) سورة الحاقة

١٩	هاؤم اقرءوا كتابيه	٤٥٨
٢٠	اني ظننت اني ملاق حسابيه	٤٥٨
٢١	فهو في عيشة راضية	٤٥٨
٢٢	في جنة عاليه	٤٥٨

(٧٠) سورة المعارج

٤٤	خاشعة ابصارهم	٤٠٢

(٧١) سورة نوح

١٧	والله انبتكم من الأرض نباتاً	٢٧٠

(٧٢) سورة الجن

٣	وانه تعالى جد ربنا	٢٤٩

(٧٣) سورة المزمّل

٢٠	وما تقدّموا لانفسكم من خيرٍ تجدوه عندالله	٢٧٠

* * *

(٧٤) سورة المدّثر

٣٣ والليل إذا أدبر ٤٠٥

(٧٦) سورة الانسان

٩ انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءً ولا شكورا ٤٣
٢٤ ولا تطع منهم آثماً أو كفورا ٤٥١

(٧٩) سورة النازعات

٤١ فإنّ الجنّة هي المأوى ٤٧٤

(٨٣) سورة المطففين

٢ أذا اكتالوا على الناس يستوفون ١٣١
١٤ كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون ٣٨٤

(٨٥) سورة البروج

١٣ انه هويبدئ ويعيد ٢٧٨

(٨٦) سورة الطارق

٥ فلينظر الانسان ممّ خلق ٢٠٦
٦ خلق من ماءٍ دافق ٢٠٦
٧ يخرج من بين الصلب والترائب ٢٠٦

* * *

(٨٧) سورة الأعلى

١ سبّح اسم ربّك الأعلى ٨٥

(٨٩) سورة الفجر

٢٩ فادخلي في عبادي ٨٣

(٩١) سورة الشمس

٧ ونفسٍ وما سويٰها ١١٣

(٩٤) سورة الشرح

٢ ووضعنا عنك وزرك ٤٣٩

٧ فاذا فرغت فانصب والى ربّك فارغب ٨٦

(٩٦) سورة العلق

٦ ان الانسان ليطغى ٣٥٤

٧ ان رآه استغنى ٣٥٤

١٧ فليدع ناديه ٢١٥

(٩٨) سورة البيّنة

١ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ٢٢٨

(٩٩) سورة الزلزلة

٥ بأن رَبّك أوحى لها ١٦٩

(١١٣) سورة الفلق

١ قل أعوذ بربّ الفلق ١٢٩

(١١٤) سورة النـاس

١ قل أعوذ بربّ النّاس ١٢٩

٥ الذي يوسوس في صدور الناس ١١١و١١٢

فهرس الأحاديث

حرف الألف

القائل		الصفحة
الباقر (ع):	ابد أوا بمكة واختموا بنا	١٨
الصادق (ع):	اتى رجل رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله اني راغب في الجهاد ...	٥١
الصادق (ع):	الاحسان أن تحسن صحبتهما ...	٥١
الصادق (ع):	اذا تاب العبد توبة نصوحاً ...	٤٢٨ و٤٥٠
رسول الله (ص):	اربعة لا ترد لهم دعوة ...	٩٧
في الحديث:	ارزاق الخلائق في السماء الرابعة ...	٣٣٣
في الحديث:	اسبغوا لليتيم في النفقة	١٨٥
في الحديث:	استقيموا لقريش ما استقاموا لكم	١٠٦
النبي (ص):	أسره ملك من الملائكة كريم	٢٣٩
النبي (ص):	اعجل الخير ثواباً صلة الرحم	٢٧١
الامام علي (ع):	اعلموا علماً يقيناً ان الله لم يجعل للعبد ...	٣١٨
النبي (ص):	اعمار أُمتي ما بين الستين الى السبعين	٣٢٢
الامام علي (ع):	اعملوا في غير رياء ولا سمعة ...	٢٥٨
في الحديث:	اعوذ بكلمات الله التامة ...	٢٥

الصادق (ع):	(لعثمان بن عيسى) افترى الله عزوجل اخلف وعده	١٢٥
الصادق (ع):	(حول معنى الصمد) الذي ليس بمجوف	٣٠٠
الصادق (ع):	الله عزوجل يلتفت يوم القيامة الى فقراء . . .	٣٥٩
النبي (ص):	اللهم احيني مسكيناً . . .	٣٥٧
الامام علي (ع):	اللهم اغفرلي ما أنت اعلم به مني	٤٣٣
المعصوم (ع):	اللهم ان كثرة الذنوب تكف ايدينا . . .	٤٦٢
النبي (ص):	ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . . .	٢٥٨
الصادق والباقر (ع):	ان آدم عليه السلام قال: يا ربّ سلّطت . . .	١١٥
الامام علي (ع):	ان التوبة يجمعها ستة اشياء: على الماضي . . .	٣٨١
في الحديث:	ان الشيطان يجري من بني آدم . . .	١١٤
الصادق (ع):	ان العبد المؤمن الفقير ليقول: يا رب ارزقني . . .	٢٧٤
الباقر (ع):	ان العبد ليكون براً بوالديه في حياتهما . . .	٤٢
الصادق (ع):	ان الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت . . .	٤١٩
الصادق (ع):	ان الله تعالى يبتلي المؤمن بكل بلية . . .	١١٣
الصادق (ع):	ان الله جل ثناؤه ليعتذر الى عبده المؤمن . . .	٣٥٨
الصادق (ع):	ان الله خلق خلقاً ضنّ بهم عن البلاء . . .	١٣٦
الباقر (ع):	ان الله عزوجلّ أوحى الى داود عليه السلام . . .	٤٤٣
الصادق (ع):	ان الله عزوجل يقول: ان الذين يستكبرون . . .	١٢٥
الصادق (ع):	ان الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده	٩٧
الامام علي (ع):	ان الله يبتلى العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه	٣١٦
الصادق (ع):	ان الله يحب العبد المفتن التوّاب . . .	٤٤٦
في الحديث:	ان الله يحب من عباده المفتن التوّاب	٤٢٨
النبي (ص):	ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر	٤٢٥

عنهم (ع): ان المحكم ما يعمل به والمتشابه ... ٤٢٧
الامام علي (ع): ان الندم على الشريدعوالى تركه ٣٨١
النبي (ص): ان امرأة نادت ابنها وهوفي صومعة ... ٥٣
الامام علي (ع): (يصف المؤمن) ان بغي عليه صبر ... ١٣٤
في الحديث: ان جبرئيل عليه السلام نزل على رسول الله (ص) ... ١٦٢
الصادق (ع): ان فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة ... ٣٥٨
الصادق (ع): ان كان على يديه من غير فساد ... ٣٤٧
الرضا (ع): ان لكل امام عهداً في عنق شيعته ... ١٩
في الحديث: ان لله تعالى ضنائن من خلقه ... ١٣٥
الصادق (ع): ان لله عزوجل ضنائن من خلقه يغذوهم ... ١٣٦
الباقر (ع): ان لله عزوجل ضنائن يضن بهم ... ١٣٥
الصادق (ع): ان له بكل درهم عشرة ... ٣٤٧
في الخبر: ان من حق المسلم لأخيه ما يحب ... ١٤٢
السجاد (ع): اني اجالس من انتفع بمجالسته في ديني ٣٥٧
حديث قدسي: (لموسى (ع)) أوصيك بأمك ... ٥١
النبي (ص): اولئك قوم عجلت طيباتهم وهي ... ٥٦٥
الامام علي (ع): اياكم والدَّين فانه مذلة ... ٣٤٥

حرف الباء

الصادق (ع): (اذا ذكر رسول الله (ص)) بأبي وأُمي ... ٣٤٥

حرف التاء

النبي (ص): تابعوا بين الحج والعمرة ... ١٧
الصادق (ع): تعوذوا من غلبة الدين ... ٣٤٥
النبي (ص): تفكروا في آلاء الله ... ٣٩٦

حرف الثاء

في الخبر:	ثلا ثة لا يحل منعها: الماء والنار والملح	١٥٨

حرف الجيم

النبي (ص):	الجار الى اربعين داراً	١٥١

حرف الحاء

الصادق (ع):	الحاج والمعتمر وفد الله ...	١٧
النبي (ص):	الحجة ثوابها الجنة ...	١٧
الباقر (ع):	حد الجوار اربعون داراً ...	١٥١
في الحديث:	حسنات الابرار سيئات المقربين	٤٧٨
في الحديث:	حسن الملكة نماء وسوء الملكة شؤم	٢٩٧
النبي (ص):	الحمدلله الذي لم يمتني حتى امرني ...	٣٥٧

حرف الخاء

حديث قدسي:	خلقت الخير وأجريته على يدي ...	١٠١
النبي (ص):	خير سبيكم النوبة	٢٢٤

حرف الدال

الصادق (ع):	الدعاء هو العبادة التي قال الله ...	١٢٥
النبي (ص):	الدين ربقة الله في الأرض ...	٣٤٥

***

حرف الـراء

الصادق (ع):	ربح المؤمن على المؤمن ربا . . .	١٣١
الصادق (ع):	الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب . . .	٢٥٨
النبي (ص):	رحم الله والدين أعاناً ولدهما على برهما	٩٧
الصادق (ع):	الرزق: المطرينزل من السماء . . .	٣٣٣
النبي (ص):	الرياء أخفى من دبيب النملة . . .	٢٥٨

حرف السين

الباقر (ع):	(لرجل) سألت قوت النبيين، قل . . .	١٣٣
الصادق (ع):	(عن حق المسلم) سبع حقوق واجبات . . .	٥٥
الصادق (ع):	(عن حق المسلم) سبعون حقاً	٥٥
الباقر(ع):	السيد المصمود اليه في القليل والكثير	٢٩٨

حرف الصاد

الباقر(ع):	صلة الأرحام تزكي الأعمال . . .	٢٧١
الحسين (ع):	الصمد الذي لا جوف له . . .	٢٩٨
ابوالحسن (ع):	الصمد الذي لا جوف له	٣٠٠
السجاد(ع):	الصمد الذي لا شريك له . . .	٢٩٩
السجاد(ع):	الصمد الذي لا من شيء . . .	٢٩٩
الباقر(ع):	الصمد السيد المطاع الذي . . .	٢٩٨

حرف الطاء

النبي (ص):	طوبى للمساكين بالصبر . . .	٣٥٩

حرف الضاد

الصادق (ع):	ضمان الحاج والمعتمر على الله ...	١٧

حرف العين

النبي (ص):	عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ...	٣١٧
الباقر (ع):	علامات المؤمن ثلاث ...	٣٤٩
النبي (ص):	(وقد حمل ميتٌ الى المسجد) على ميتكم دين ...	٣٤٥

حرف الفاء

الامام علي (ع):	فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين ...	٣١٤
الامام علي (ع):	الفقر أزين للمؤمن من العذار ...	٣٥٨
الصادق (ع):	الفقير الذي لا يسأل الناس ...	٣٥٨
الصادق (ع):	في مناجاة موسى عليه السلام: يا موسى ...	٣٥٨

حرف القاف

الصادق (ع):	قد عرفت حال محمّد وانقطاعه إلينا وقد ...	٤٣٨

حرف الكاف

المعصوم (ع):	الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله	٣٤٦
الصادق (ع):	كان أبي يقول: خمس دعوات لا يحجبن عن ...	٩٧
الصادق (ع):	كان علي عليه السلام يحبس الرجل اذا ...	٣٤٧
الباقر (ع):	كان محمد بن الحنفية يقول: الصمد القائم ...	٢٩٩
الباقر (ع):	كانت على الملائكة العمائم البيض ...	٢٣٦

النبي (ص):	كل أربعين دار جيران ...	١٥١
الباقر(ع):	كل ذنب يكفره القتل في سبيل الله ...	٣٤٥
الصادق (ع):	الكمال كل الكمال في ثلاثة ...	٣٤٩
الصادق (ع):	(لمولى له) كم عندنا من طعام ...	٣٤٩
الصادق (ع):	(عمن زار رسول الله (ص)) كمن زار الله ...	١٩
الصادق (ع):	(لرجل) كيف من خلفت من اخوانك ...	١٦٠

حرف اللام

النبي (ص):	لا أحصي ثناءً عليك ...	٣٨٨
الرضا (ع):	لا، الآن يخاف على ذراري المسلمين ...	١٨٤
الامام علي (ع):	لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة ...	١٩
الصادق (ع):	لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال ...	٣٥٢
المعصوم (ع):	لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق	٥٤
النبي (ص):	لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك ...	٦٥
المعصوم (ع):	لا مال لمن لا تقدير له	٣٤٩
النبي (ص):	لا وجع الا وجع العين ...	٣٤٥
في الخبر:	لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلى على محمد وآله	٢٧٥
النبي (ص):	للمؤمن على المؤمن سبع حقوق واجبة ...	٥٥
الصادق (ع):	لما أفاض آدم من منى تلقته ...	١٦
النبي (ص):	لم أرشيئاً أحسن طلباً ...	٤٣٣
النبي (ص):	لمة الشيطان تكذيب بالحق ...	٤٥٢
النبي (ص):	لم تكن سيئة الخلق حين حملتك ...	٦٥
النبي (ص):	لو كان جريح فقيهاً لعلم ان اجابة امه ...	٥٣
في الحديث:	لولا الفقراء لم يستوجب الاغنياء الجنة	٣٥٩

الصادق (ع):	ليس حيث يذهبون انما عنى عورة المؤمن ...	١٦٧
الامام علي (ع):	ليس لصفته حد محدود ...	٣٨٩
الصادق (ع):	ليس هذا طلب الدنيا ...	٣٥٢
النبي (ص):	ليلة أسري بي الى السماء رأيت ...	٢٢٣

حرف الميم

الصادق (ع):	ما أعظم حق المسلم على اخيه المسلم	٥٥
النبي (ص):	ما أنا بطارد المؤمنين ...	٣٥٦
الامام علي (ع):	ما كنت تصنع بسعة هذه الدار ...	٣٦٨
الباقر (ع):	ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة ...	٣٨٤
النبي (ص):	ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة ...	٣٦٤
الباقر (ع):	ما من عبد الا وفي قلبه نكتة بيضاء ...	٣٨٤
حديث قدسي:	ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني ...	٢٨٨
النبي (ص):	ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه ...	٢٤
النبي (ص):	ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات ...	١٤٢
الصادق (ع):	ما هو ان ينكشف فيرى منه شيء وانما ...	١٦٧
الصادق (ع):	مايمنع الرجل منكم ان يبرّ والديه ...	٤٢
الصادق (ع):	المصائب منح من الله ...	٣٥٨
النبي (ص):	من أتى مكة حاجاً او معتمراً ولم يزرني ...	١٨
النبي (ص):	من أتى مكة حاجاً ولم يزرني ...	١٧
الامام علي (ع):	من آتاه الله مالاً فليصل به القرابة ...	٣٦٧
الصادق (ع):	من استدان ديناً فلم ينو قضاءه ...	٣٤٦
الصادق (ع):	من أغاث أخاه المؤمن اللهفان ...	٢٧١
النبي (ص):	من انقطع الى الله كفاه كل مؤونة ...	١٢٩

المعصوم (ع): من بات كالاً في طلب الحلال غفر له ٣٤٦
النبي (ص): من حج ولم يزرني فقد جفاني ١٧
في الحديث: من شرما أُعطي الرجل شح هالع ... ٢٠٠
النبي (ص): من طلب الشهادة بصدق بلغه الله ... ٢٧٥
النبي (ص): من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ... ٢٧٥
الرضا (ع): من طلب هذا الرزق من حل ليعود ... ٣٤٦
الصادق (ع): من كان عليه دين ينوي قضاءه ... ٣٤٦

حرف النون

في الحديث: الندم توبة ٤٧١
النبي (ص): نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما ٤٢
الصادق (ع): نعم العون الدنيا على الآخرة ٣٥٢
الباقر والصادق (ع) نعم العون الدنيا على طلب الآخرة ٣٦٨
النبي (ص): نعم العون على تقوى الله الغنى ٣٦٨
النبي (ص): نور يقذفه الله في قلب المؤمن ٢٢

حرف الهاء

النبي (ص): هؤلاء أهل بيتي وحامّتي اذهب عنهم الرجس ١٧٠
الباقر (ع) هل سمّي عالماً وقادراً الّا لانه وهب ... ٣٣٨
النبي (ص): هل من والديك أحد؟ قال: نعم كلاهما ... ٥٢
الباقر (ع): هل يعطف الغني على الفقير ١٦٠
الصادق (ع): هو أخبار القيامة والرجعة ... ٣٣٣
الصادق (ع): هو الدعاء في دبر الصلاة وأنت جالس ... ٨٦
الصادق (ع): هو الذي يغلب ولا يغلب ٢٩٩

الصادق (ع): هو القرض تقرضه، والمعروف تصنعه ١٥٨

حرف الواو

الامام علي (ع): واحد لا بعدد، ودائم لا بأمد ٢٩٤

الصادق (ع): واذا علمت ان له حاجة ... ١٦١

الصادق (ع): والديك، قال: قد مضيا، قال: بر ولدك ٩٧

الامام علي (ع): والله لقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم ... ٢٧٥

الامام علي (ع): وان العالم العامل بغير علمه ... ٣٩٥

الامام علي (ع): وايم الله يمينا استثني فيها بمشيئة الله ... ٣١٤

حديث قدسي: وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي لأقطعنّ ... ٢٨٨

الامام علي (ع): ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كافٍ ... ٣١٥

حرف الياء

الحسين (ع): (لرسول الله (ص)) يا أبتا ما لمن زارك ... ١٨

حديث قدسي: يا أحمد ان المحبة لله هي المحبة للفقراء ... ٣٥٧

الامام علي (ع): يا أعرابي ان القول بأن الله واحد ... ٢٩٤

الصادق (ع): يا داود لا يصلح المرء المسلم آلا ثلا ثة ... ٣٥٠

النبي (ص): (يوم بدر) يا ربّ ان تهلك هذه العصابة ... ٢٣٦

النبي (ص): يا علي آنا وانت ابوا هذه الامة ٤٥

النبي (ص): يا معشر المساكين طيبوا نفساً ٣٥٩

في الحديث: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحبّ ... ١٤٢

النبي (ص): يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ٧١